جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٥٤

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب:

عبد القادر قوبع

تحت إشراف الدكتور:

مولود عويمر

السنة الجامعية :٢٠٠٨/٢٠٠٧

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٥٤

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور جمال قنان.....رئيسا

الدكتور محمد القورصو.....عضوا مناقشا

الدكتور محمد العربي معريش..... عضوا مناقشا

الدكتور مولود عويمر.....مقررا

إعداد الطالب: عبد القادر قوبع

السنة الجامعية :٢٠٠٧/٢٠٠٨

كلمة شكر وعرفان

أتقدم في هذا المقام بالشكر لله سبحانه وتعالى على أن يسَّر لنا انجاز هذا العمل ووفقنا لإتمامه، كما أشكر شكرا خالصا أستاذنا الدكتور مولود عويمر – حفظه الله ورعاه- الذي كان لنا نعم المشرف والأخ، وضحى بكثير من الوقت والجهد في متابعة هذا العمل ،فله مني فائق الاحترام والتقدير والامتنان.

كما أشكر معهد الحياة بالقرارة وداخلية معهد الحياة ومركز الإمام للبحث العلمي بالقرارة ،إدارة وعمالا ،وكذا مشايخ القرارة على ضيافتهم لي ،وتسهيل بحثي. وأخص منهم ذكرا لا حصرا : محمد الشيخ بن الشيخ بالحاج، صالح باجو،صالح حدبون، علي بيوض ، محمد خبزي، محمد أوجانة ملالي، سليمان بكلي، رمضان عبد اللاوي...

كما لايفوتني أن أنوه بالمشايخ الذين قبلوا استقبالي والإجابة عن أسئلتي ،منهم الشيخ محمد الصالح رمضان، الأزهاري ثابت...

وليعذرني من لم أوفهم حقهم من الشكر ،وهم مشكورون في هذا وذاك.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والديَّ الكريمين – حفظهما الله- ،وإلى عائلتي العزيزة.

كما أهديه إلى الأوفياء والمخلصين من أبناء هذه الأمة

عبد القادر

مقدمة:

عرفت الجزائر كغيرها من بلدان العالم الإسلامي حركة إصلاحية مع بداية القرن العشرين استهدفت تحسين أوضاع المجتمع في مجالاته الدينية والتربوية والاجتماعية التي تنعكس بدورها على المجال السياسي والاقتصادي، وذلك بالرجوع إلى الأصول، ومحاربة مظاهر الجمود، وبالانفتاح على العالم الغربي فيما لا يتعارض وهذه وروح الإسلام.

وقد عبرت هذه الحركة الإصلاحية عن ماهيتها بطرائق عدة مع بداية القرن، واتخذت وسائل مختلفة لتحقيق مشاريعها، إلا أنها ظلت حركة تغيرية محدودة وأقل فعالية وتأثيرا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باعتبار هذه الأخيرة الممثل البارز للحركة الإصلاحية بالجزائر مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي.

والدارس لعشرينيات القرن العشرين يجد زخما كبيرا وإرهاصات واضحة الدلالات على حركة إصلاحية آخذة في النمو والتمظهر (التشكل)،خاصة في الجزائر وقسنطينة والزيبان وميزاب...فكانت جهود الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، والمولود الزريبي وأحمد بن العابد العقبي والطيب العقبي في بسكرة، والشيخ إبراهيم بيوض وأبي اليقظان في ميزاب، جهودا تفرض على الدارس الالتفات إليها، والتوقف عندها، خاصة إذا عرفنا خضوع القسم الأكبر من الزيبان للحكم العسكري، وخضوع ميزاب لإلحاق استطاع السيطرة والتحكم في شؤون ميزاب عسكريا.

ولقد أصبحت هذه الحركة في الثلاثينات من روافد المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضد الطرقية والبدع والجمود، ونال هذا الجانب اهتمام الباحثين، بينما لم يركز هؤلاء على الفترة الحاسمة الغنية بالإرهاصات أي العشرينات. فجل هذه الدراسات لا تبدأ منها إلا

قليلا رغم أن رواد هذه الحركة الإصلاحية سيلعبون دورا كبيرا في تحريك النشاط الإصلاحي داخل هاتين المنطقتين وحتى خارجهما، وفي مجالات كثيرة. لهذا سنحاول في هذا البحث أن نخص المنطقتين (الزيبان وميزاب) بالدراسة، ونعود بالحركة الإصلاحية إلى سنة ١٩٢٠ للبحث عن أولى النبضات الإصلاحية فيهما والمبادئ التي قامتا عليها، والأهداف التي سطرتها، والمجالات التي اهتمت بها، ونختم بسنة ١٩٥٤ كمحطة ختامية للمحطات الكثيرة التي اجتازتها الحركة الوطنية الجزائرية، والتي تتكامل فيما بينها، حيث تهيئ السابقة منها للاحقة، وهو ما ترجم في تفجير الثورة التحريرية .

عنونا بحثنا بـ"الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي ١٩٢٠ و١٩٥٤"

وتمثلت الإشكالية الرئيسية في هذا السؤال: ما هي مظاهر الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي ١٩٢٠ و١٩٥٤؟

أما الإشكاليات الثانوية، فهي:

- ما هي العوامل التي أدت إلى ظهور الحركة الإصلاحية مبكرا في هاتين المنطقتين؟وانتعاشها فيما بعد؟

- ما هي الوسائل التي وظفتها الحركتان في عملهما الإصلاحي المتشعب؟

- ما هي نقاط التقاطع أو التطابق بين الحركة الإصلاحية في المنطقتين والحركة الإصلاحية التي عرفتها الجزائر في جزئها الشمالي؟ وما إسهاماتهما فيها؟

- ما هي المواقف المختلفة من نشاط الحركة الإصلاحية في المنطقتين؟ وكيف تعاملنا مع هذه المواقف؟

وبالنسبة لدوافع اختيار الموضوع فهي:

أ) أسباب موضوعية:

– قلة الدراسات التاريخية (الأكاديمية) التي تناولت موضوع الحركة الإصـــلاحية في الجنـــوب الجزائري عموما ومنطقتي الزيبان وميزاب خصوصا رغم أهمية إسهاماتهما

– إن أغلب الدراسات حول الحركة الإصلاحية في الجزائر تركز على ما بعد ١٩٣٠ بتأثير من نشاط جمعية العلماء مما دفعنا للتركيز على عشرينيات القرن الماضي.

– عدم ربط الكثير من الدراسات التاريخية المتوفرة بين جهود المصلحين الزيبانيين والميزابيين في هاتين المنطقتين وجهدهم الإصلاحي في باقي مناطق الوطن الجزائري (قسنطينة ، الجزائر...)، وعدم دراسة نقاط الاتفاق والاختلاف ومظاهر التكامل.

– تناول عدد من الدراسات تراجم المصلحين من المنطقتين دون التطـــرق إلى العوامـــل الـــتي بكرت بظهور الاصلاح ورجاله فيهما، ومدى تفاعل المنطقتين مع جهود مصلحيهما في ظل حكـــم عسكري صارم.

ب) أسباب ذاتية:

– الرغبة الخاصة في إبراز تكامل الحركة الإصلاحية على ربوع الجزائر، وتبيان مدى انفتـــاح الجنوب الجزائري على مختلف التأثيرات الفكرية رغم سياسة العزلة المطبقة عليه .

– إبراز مساهمة الجنوب الجزائري في التصدي لمسخ وطمس معالم المجتمع الجزائري الأمر الذي هدفت إليه السياسة الاستعمارية في الجزائر.

– بحث الأسباب التي أدت إلى تبني منطقة ميزاب للمشروع الإصلاحي، وإســـهامات بعـــض رجالها في الحركة الإصلاحية بالشمال رغم الاختلاف المذهبي والخصوصية الميزابية التي راهنت عليها السياسة الاستعمارية في مخططاتها.

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة للموضوع فيمكن – إجمالا – أن نشير إلى:

أ- أنها دراسات شمولية تتناولت الحركة الإصلاحية في الجزائر ككل مع تركيز كبير على الشمال تحت لواء جمعية العلماء المسلمين، أهمها: علي مراد. الإصلاح الجزائري. مازن مطبقاني. جمعية العلماء.... عبد الكريم بوصفصاف.جمعية العلماء وعلاقاتها.... عبد المجيد بن عدة. مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود الرواد المصلحين ١٩٠٠-١٩٢٥. رسالة ماجستير،١٩٩١..

أمّا كتابا الأستاذ محمد علي دبوز ("نهضة الجزائر" و"أعلام الإصلاح")فهما كتابان غنيان بالمعلومات خاصة حول مصلحي ميزاب، لكن في شكل سردي وصفي متداخل الأحداث والتواريخ.

ب- جل الدراسات التي تمس المنطقتين هي حول شخصيات إصلاحية من المنطقتين، لكن كل واحدة على حدة، مما جعلها لا تركز على المنطقتين بصورة شمولية وتكاملية، من حيث مظاهر تأثرهما بالإصلاح، ولا ظروفهما إلا بمقدار تناول بيئة المترجم له، وأغلب هذه الدراسات هي رسائل ماجستير مثل:

- أحمد مريوش. الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية. (١٩٩٢).
- نور الدين سكحال. الشيخ إبراهيم بيوض ومنهجه في الإصلاح. (١٩٩٥).
- يسمينة بن رحال. الشيخ إبراهيم أبو اليقظان (٢٠٠٦).

وعالجنا الموضوع في خمسة فصول. تناول الفصل الأول تعريف منطقتي الزيبان وميزاب تاريخيا وجغرافيا، والأوضاع العامة لهما كالأوضاع السياسية تحت الحكم الفرنسي (مدنيا وعسكريا) والمكاتب العربية في الزيبان، وظروف فرض الحماية ثم الإلحاق في ميزاب. كما تناول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية كنمط المعيشة والإجراءات الاضطهادية والحياة القبلية والحالة المعيشية، أما اقتصاديا فتطرقنا إلى توزيع اليد العاملة، وحظ الأهالي من الأراضي والثروة الحيوانية (وسائل الإنتاج)

في المنطقتين. وفي الأوضاع الثقافية والتعليمية، تطرقنا إلى أهم المراكز العلمية المتوفرة، و البساطة التي اكتنفتها، وسياسة فرنسا تجاه التعليم في المنطقتين. أما في الحياة الدينية، فتناولنا المراكز الدينية من مساجد وزوايا والهيئات الدينية المشرفة على الأمور الدينية (الطرق الصوفية في الزيبان العزابة في ميزاب)، وسياسة فرنسا تجاه الشؤون الدينية.

وقسمنا عوامل ظهور الحركة الإصلاحية في المنطقتين إلى خارجية وداخلية: فمن الجانب الخارجي درسنا انتشار الفكر الإصلاحي للأفغاني وعبده ومحمد رشيد رضا...، وظهور الجامعة الإسلامية، ثم حركة القومية العربية، ودور الصحافة التونسية والمشرقية، وإسهام الجزائريين المهاجرين في تونس ومصر والحجاز وفرنسا، وانعكاسات الحرب العالمية الأولى... الخ. بينما درسنا الجانب الداخلي من خلال التركيز على دور النهضة الجزائرية الحديثة، والرصيد التاريخي للمنطقتين حيث بحثنا في جذور الاصلاح فيهما، ومراكزهما العلمية من زوايا ومعاهد ومحاضر، ودور علمائهما، وروح المحافظة التي امتازتا بها، إضافة إلى دور جمعية العلماء المسلمين في دعم وإنعاش هاتين الحركتين الإصلاحيتين فيما بعد.

وتناولنا في الفصل الثاني الإصلاح الديني في الزيبان وميزاب، فتناولنا في الزيبان مظاهره كالحرب على البدع والزوايا والطرقية من خلال جهود مولود الزريبي والطيب العقبي والسعيد الزاهري ومحمد خير الدين، وموقف الإصلاح من الاجتهاد والتنصير. وتوقفنا عند سائله المختلفة كالوعظ والإرشاد والتفسير والصحافة والطبع والتأليف.

أما بالنسبة لميزاب، فتناولنا مظاهره كمحاربة البدع والخرافات، وخطر الطرقية في المنطقة، ومسألة الاجتهاد ومحاربة الجمود في المذهب الاباضي، والموقف من القضاء والتنصير. أما وسائله فهي متنوعة كالوعظ والإرشاد والرحلات الوعظية والتفسير والصحافة والطبع والتأليف.

و تناولنا في الفصل الثالث الإصلاح التربوي، فأدرجنا في مظاهره بالزيبان أهم الـــدعوات إلى التعليم، وأهم المدارس التجديدية ومدارس جمعية العلماء بالمنطقة، إضافة إلى أهم الإصـــلاحات الـــتي طرأت على مناهج التعليم، وأهم المبادرات التي قام بها أبناء الزيبان في هذا المجال. وتناولنا أيضا مظاهر الاصلاح التربوي في ميزاب كالدعوة إلى إصلاح التعليم، وأهم المبادرات التي ظهرت في هذا الإطار، ثم ركزنا على معهد الحياة وجمعيته باعتباره نموذجا متطورا للمدارس الإصلاحية، دون إهمال المدارس الإصلاحية الأخرى في ميزاب وجمعياتها وحتى المدارس الإصلاحية الإباضية خارج ميزاب.

وتطرق الفصل الرابع للإصلاح الاجتماعي، فتناول في الزيبان مظـــاهره كمحاربـــة الآفـــات الاجتماعية، والاهتمام بالمرأة، ومحاربة مظاهر التجنيس والتفرنج والإلحاد، والدعوة إلى الوحدة مختلف أبعادها المحلية والقطرية والإقليمية، والنهوض بالمجتمع اقتصاديا. وتناولنا في وسائله في كلتا المنطقـــتين الجمعيات والنوادي وفرق الكشافة والمسرح والأناشيد مع إفراد الزيبـــان بـــشعب جمعيـــة العلمـــاء المسلمين، بينما حذفنا الصحافة تجنبا للتكرار طالما أننا تكلمنا عنها في وسائل الاصلاح الديني.

وتناول الفصل الخامس المواقف المختلفة من نشاط الحركة الإصلاحية في المنطقتين، وكيف تعاملـــت الحركتان معها. ففي الزيبان تتبعنا موقف الطرقيين وأصحاب الزوايا، وموقف الإدارة الاســـتعمارية وموظفيها، وموقف النخبة والنواب والمنتخبين المحتكين بها، والمتفاعلين معها في مناسبات كثيرة. أمـــا في ميزاب، فتطرقنا لتطور موقف المحافظين المسيطرين على جهاز العزابة ومـــشيخات المـــساجد...، وموقف الإدارة الاستعمارية وموظفيها سواء في الإدارة المركزية بالجزائر لاستقرار الميـــزابيين الكـــبير بالشمال أو موقفهم في ملحقة غرداية ومدن ميزاب الأخرى، حيث رصدنا مواقف رؤساء الملحقـــة والقياد. وفي ميزاب أيضا تطرقنا لعلاقة المصلحين بالنواب والنخبة والمنتخبين الذين احتكوا بهـــم في الجزائر وميزاب وبعد دخول الاصلاح الميزابي إلى السياسة ومعارك الانتخابات.

وفي خاتمة هذا البحث، تناولنا نقاط الاتفاق والاختلاف والتكامل بين الحركتين في المنطقتين في مختلف المجالات.

وفيما يتعلق بمصادر البحث، فقد اعتمدنا على الصحافة الإصلاحية مثل جريدة ميزاب، ووادي ميزاب، والأمة، والمغرب، والبستان، والنور، والدفاع ،والبرق، وصدى الصحراء، والصدِّيق، والإصلاح، والمنتقد، والسنة النبوية، والصراط السوي، والشهاب، والبصائر. ومؤلفات المصلحين مثل كتابات عبد الرحمن بكلي (البكري) ومذكرات محمد خير الدين وكتاب "بدور الأفهام" لمولود للزريبي، وديوان أبي اليقظان، وديوان "بذور الحياة" لرمضان حمود...إلخ.

ومن المصادر المهمة مجلة الشباب التي كانت تصدر عن جمعية الحياة بالقرارة منذ سنة ١٩٢٦ إلى ١٩٥٤ والتي كانت تُتداول بين طلبة معهد الحياة. وهي مخطوطة موجودة بمعهد الحياة، فعكست لنا تطور الاصلاح ومراحل تصوره لمختلف القضايا المستجدة. كما اعتمدنا على محاضر جمعية الشباب الصغرى والكبرى المخطوطة والموجودة بمعهد الحياة أيضا، وهي أكثر جرأة وصدقا إذ تعكس المناقشات الدائرة بين إدارة المعهد وطلبته الكبار حول كثير من القضايا التي كانت تشغل بال المصلحين؛ فدونت في شكل تقارير أو محاضر بصفة دائمة متقنة. كما اعتمدنا على دفتر الأناشيد الإصلاحية في ميزاب (مرقون)، وآخر حول الكشافة ببسكرة (مخطوط).

ومن المصادر الأساسية، نذكر كتابَي محمد علي دبوز: "نهضة الجزائر..."، و"أعلام الإصلاح". وهذا بحكم قربه من الاصلاح الميزابي وتلمذته على يد الشيخ بيوض والشيخ عدون في معهد الحياة، فترجم في كتابيه لشخصيات ميزابية كثيرة.

وإضافة إلى هذه المصادر، اعتمدنا على مجموعة من التقارير الفرنسية حول الإصلاح الميـــزابي وشخصياته وجمعياته... وقد اطَّلعنا عليها عند السيد علي بيوض (الابن الأكـــبر للـــشيخ إبـــراهيم بيوض). وقد نشر جزء منها الدكتور محمد ناصر في كتابه "إبراهيم بيوض مصلحا وزعيما".

وبالنسبة للمراجع، ففقد استعنا بكتابات الأستاذ محمد ناصر حـــول شخـــصيات وصـــحافة الاصلاح الميزابي، ورسالة الباحث صالح بن ادريسو حول معهد الحياة.

واعتمدنا أيضا على لقاءات مع بعض الشخصيات التي تمكنا من الالتقاء بها مثل الشيخ محمـــد الصالح رمضان، وتلاميذ معهد الحياة (الشيخ محمد بن الشيخ بالحاج وصالح باجو)، ومدرسة الإخاء ببسكرة (محمد خبزي بن عمارة) ،ومعاصري الإصلاح في الزيبان (الشيخ الأزهاري ثابت) .

وبالنسبة للصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث، فأهمها نقص المـــادة العلميـــة كالـــصحف والتقارير والمادة الأرشيفية الموجودة خارج البلاد، وفي حال توفر بعض الصحف الإصلاحية فهي في شكل ميكروفيلم مع غياب أعدادها الكاملة أو فقدان صفحات كثيرة من العدد الواحد، أو فقـــدان جرائد بالكامل، وصعوبة الوصول إليها حتى في المكتبات العمومية لأسباب كثيرة.

وفي الختام، أشير إلى أن تشجيعات كثيرة، ومساعدات عديدة من مختلف الأطراف وقفت وراء هذا البحث لا يعكس هذا العمل حجمها، فلهم منا عظيم الامتنان، وفائق الاحترام والتقدير.

عبد القادر قوبع، حاسي بحبح، الجلفة في ٥ أوت ٢٠٠٧

الفصل الأول:

الأوضاع العامة لمنطقتي الزيبان وميزاب وعوامل ظهور الحركة الإصلاحية فيهما

أولا– التعريف التاريخي والجغرافي:

تتناول هذه الدراسة منطقتي الزيبان وميزاب، وهما منطقتان شاسعتان من جهة، ومتوغلتان في مناطق أخرى من جهة أخرى، لذا لابد من تحديد عام، ولو تقريبي لهما.

١– الزيبان:

وبالنسبة للزيبان فهو اسم عربي أطلق على المناطق المجاورة لبسكرة بعد الفتح الإسلامي تمييزا لها عن زاب العراق وزاب الموصل ...وسُميت بزاب بسكرة ثم قسمت إلى عدد من الزيبان (الزاب الشرقي والزاب الغربي والزاب القبلي والزاب الظهراوي).

وذُكرت الزيبان وعاصمتها بسكرة عند البكري والإدريسي وابن خلدون والورتلاني والعياشي وياقوت الحموي وليون الإفريقي. وقد تعوّد التسمية إلى zaba أو zabos من العهد الروماني بالمنطقة.[١]

تمثل الزيبان حسب الجغرافيين الفرنسيين الجزء الشمالي من الصحراء الشرقية، حيث يحدها شمالا الأوراس وجنوبا واد ريغ، وشرقا واد العرب، أما غربا فقبائل أولاد نايل (شرق بسكرة وجنوب شرقها: فلياش، ودروح،وشتمة،وسيدي خالد،وسريانة،وهمودة،وقورتا، وسيدي عقبة.وغربها: بوشقرون، وليشانة، وزعاطشة، وطولقة،والعامري، وفوغالة. وشمالها:منعة، وغسيرة، وتاجموت، ومشونش ، وخنقة سيدي ناجي. [2]

[1] انظر: الجمعية الخلدونية للدراسات التاريخية. الملتقى الوطني الأول **بسكرة عبر التاريخ**. عدد خاص ،ع٢، ٢٠٠٣.

[2]. Société de géographie et d'archéologie de la province de oran. Bulletin de la société du geographie.Oran, n° 20, 1884, pp90,20.et buelltin trimestriel de géographie, avril/juin 1885

عرفت منطقة الزيبان الحكم التركي منذ القرن السادس عشر (١٦م)، بينما وصلها الفرنسيون بعد سيطرتهم على الأوراس (باتنة)، وحافظوا على مشيخة العرب حيث عيَّنوا فرحات بن سعيد ثم ابن قانة ضد مقاومة الأمير عبد القادر في المنطقة.

وباستيلاء الفرنسيين نهائيا على بسكرة في ٠٤ مارس ١٨٤٤ تم تنظيمها إلى قيادات، وستعرف المنطقة بعد ذلك قدوم بومعزة وثورة الزعاطشة وثورة الصادق بلحاج..إلخ.[٣]

٢- ميزاب:

اختلفت المصادر في أصل كلمة ميزاب، بين من يرجعها إلى كلمة مصعب التي تحولت في لهجة قبيلة زناتة البربرية إلى مُزعب ثم مُزاب، وبين من يرجعها إلى كلمة "الهضبة" بالبربرية الزناتية، لأنهم سكنوا هضبة في أول أمرهم[٤].

ومنطقة ميزاب يمكن أن نحددها كالتالي: يحدها في الشمال والشمال الشرقي واحة الأغواط وصحراء أولاد نائل(مسعد)، ومن الجنوب واحة ورجلان، من الشرق واحات حجيرة ولعلية...، أما غربا فيحدها وادي زرقون، فهي تمتد على مساحة أربع مئة وخمسين (٤٥٠) ألف هكتار[٥].

تسكن منطقة ميزاب قبائل قدمت من تيهرت (تيارت) بعد سقوط دولتهم الرستمية (١٤٤هـ-٢٩٦هـ)، حيث سكنوا ورجلان (ورقلة) ثم انتقلوا إلى وادي ميزاب ، وبنوا مدنهم

---

[3] Feraud(Charles). Les beni djellebs, sultans de tougourt, notes historiques sur la province de constantine. Revue Africaine. n° 28.1884, p220

وكذلك مياسي (إبراهيم). الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (١٨٣٧-١٩٣٤). دار هومة، ٢٠٠٥، ط١ ، ص ص٣٦،٣٢.

[4] آعوشت(بكير بن سعيد). وادي ميزاب في ظل الحضارة الاسلامية، دينيا وتاريخيا واجتماعيا. المطبعة العربية، ١٩٩١،ص، ٦٥ .

[5] دبوز(محمد علي). نهضة الجزائر وثورتها المباركة. ج١، ص ١٦١.

الخمس (العطف، مليكة، غرداية ، بني يزقن ،بونورة،ثم القرارة و بريّان أواخر القرن السابع عشر الميلادي .[٦]

وينتسب الإباضية إلى عبدالله بن إباض التميمي الذي خالف الخوارج في تكفيرهم المسلمين المخالفين لهم،وجعلوا من أهم أصولهم العقائدية: الإيمان وأركانه الاعتقاد والإقرار والعمل، وتخليد صاحب الكبيرة في النار مالم يتب، وحرية الإنسان في اختياره و اكتسابه لعمله وعدم إجباره عليه، وولاية المطيع والبراءة من العاصي واجتنابه ، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم جعل مخالفيهم في المذهب كُفارا ،وإنما هم مسلمون لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات مثل ما على المذهب نفسه إلا في شئ واحد وهو الاستغفار، وعدم حلية غنيمة مال من حل دمه ولا حلية سبي نسائه وقتل أطفاله وقطع الميراث عنه[٧] .

وقد حافظ الميزابيون على علاقات جيدة مع العثمانيين ودافعوا بحماس ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، في حين رفضوا العمل مع الأمير عبد القادر وبوشوشة، بينما دعموا ثورة أولاد سيدي الشيخ، ولعب سقوط الأغواط أمام الحصار الفرنسي دوره في استسلام ميزاب ،حيث أرسلوا رسالة في ١٢ ديسمبر١٨٥٢ للاستسلام وقبول الحماية الفرنسية عليهم وتطورت الحماية المفروضة على ميزاب إلى إلحاق بفرنسا في أول نوفمبر ١٨٨٢ وهو ما أطلق يد فرنسا في المنطقة.[٨]

---

[6] نفس المصدر. ص ١٥١. وأحمد توفيق المدني . كتاب الجزائر، تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا ، جغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية. المؤسسة الوطنية للكتاب ،١٩٨٤، ص ص٢٢٦،٢٢٧.

[7] آعوشت. تاريخ بني... ص ٢٥. كذلك: آعوشت (بكير بن سعيد). دراسات إسلامية في الأصول الإباضية. دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة ١٩٨٢، ط١ ،ص ٢٥. وكذلك: معمر علي يحي. الإباضية ، دراسة مركزة في اصولهم وتاريخهم . المطبعة العربية، غرداية، د.ط، ١٩٨٥، ص ص ٨١،٨٢

[8] انظر : المدني .كتاب الجزائر . ص٦٣.. ومما جاء في معاهدة الحماية :"... تطلب فرنسا خضوع المدن الميزابية، ودفعهن خراجا شعارا لذلك الخضوع، وهي في مقابل ذلك تمنحهم حق الحماية في الطرق والمدن... على أن فرنسا لاتريد بالمرة التدخل في أمور داخلية ميزاب بل تريد بقاءها محرزة على امتيازاتها القديمة، وتترك للمدن السبعة أن تعين فيما بينها القسط الذي تتحمله كل مدينة

ثانيا– الأوضاع العامه للمنطقتين:

١– الأوضاع السياسية:

١–١ –الزيبان:

وقع جزء كبير من الزيبان تحت ما عُرف بالحكم العسكري الذي ساد تراب الجنوب الجزائري ،في حين وُضع شماله تحت الحكم المدني مثل بسكرة، وقد تم تنظيم بلديات الجنوب في سلسلة من القرارات من الحاكم العام أهمها قرار ٢٠ ماي ١٨٦٨، و١٣ نوفمبر ١٨٧٤ المتعلق باليبلديات المختلطة،وأيضا قرار ٧ أفريل ١٨٨٤.

وفي البلديات الأهلية (الجزء الشمالي) تتكون اللجنة البلدية من رئيس الملحقة (متصرف البلدية)وينوب عنه الضابط الأول، ويختار رئيس الملحقة عددا من الأوربيين معه إضافة إلى رؤساء الملحقات أو المراكز التابعة للملحقة ومجموعة من الأعيان الأوربيين يعينون من طرف الحاكم العام لمدة ست (٦) سنوات،إضافة إلى قياد يمثلون القبائل، جزء منهم يُعيَّن من قائد القطاع العسكري لمدة ست سنوات .

أما في الجزء الجنوبي فيترأسها القائد الأعلى الذي ينوب عنه رئيس مكتب شؤون الأهالي (رئيس الملحقة أو نائبه)، وفي حين يَنتخب الأوربيون ممثليهم يُعين الحاكم العام قيادا يمثِّلون القبائل الأهلية.

من الخراج الموعود به، أما السلطة الفرنسية فإنها تقتصر على حفظ النظام العام في البلاد وحرمة حقوق الفرنسيين وحقوق القبائل الراضخة، والتزام الميزابيين بإغلاق مدنهم وأسواقهم في وجوه العرب المعادين لفرنسا...). أنظر مياسي. مرجع سابق. ص ص ١٢٠،١٢٢.و

Notes sur l'histoire de l'Aghouat. Revue Africaine .n° 39, 1895, p617

وكذلك :Coyen (A).leMzab. Revue Africaine. N°23, 1879, p 172.

وهكذا بقي الزيبانيون تحت حكم عسكري قاسٍ في الجنوب وحكم مدني تسيطر عليه الجالية الأوربية في شمالها. [٩]

ولعب شيخ العرب ابن قانة ورؤساء القبائل دورا في الحفاظ علـــى النظـــام الاســـتعماري في المنطقة، فمن خلالهم توزع الأوامر وتجبى الضرائب ويحفظ النظام خاصة أثناء الأزمات والاضطرابات، من أهم هذه العائلات ابن قانة، وابن شنوف(أولاد صولة)، وبوعكاز (الذواودة) ، وبـــن حـــسين (بن الناصر). [١٠]

وقد ساهم تحالف الإدارة الاستعمارية مع المكتب العربي ورؤساء القبائل وشيوخ الطُّرق الصُّوفية والزوايا في عدم الالتفات إلى أوضاع الأهالي، وانعكست بالسوء عليهم، ولعل سلسلة العرائض التي نجدها في الجرائد خلال الفترة المدروسة تعكس شيئا من هذه الأوضاع، فشكَّلت قضية التجنيد الإجباري محطة هامة، إذ أبرزت تحالف رجال الزوايا وشيوخ الطرق مع الإدارة الاستعمارية رغم اشتداد ثورة الأوراس ومعارضة الأهالي للتجنيد. [١١]

ويجب أن نلاحظ بأن الفترة التي ندرسها جاءت بعد فترة حاسمة جدا هي ثورة الأوراس في سنة ١٩١٦ ضد التجنيد الإجباري، حيث أعادت للأذهان بطولات المقاومات الشعبية وأشعلت تحديا جديدا لطرد العدو خاصة وأنها قد أعادت الصلات مع الباب العالي الذي أرسل فتوى بحرمة التجند مع الفرنسيين.

---

[9] Territoire du sud. T2, p 616. Yves chataigneau. Exposé général de l'Algérie en 1946. Imprimerie officielle 1947, pp 204-205.

[10] مطمر (محمد العيد). التنظيم الإداري وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان منطقة الأوراس. مجلة العلوم الانسانية ، جامعة محمد خيضر، العدد٤ ،ماي ٢٠٠٣، ص ص٤٢،٤٣.

[11] مثل مرابط خيران عبد الحفيظ بن الحفناوي وابن عمه سي الطيب مرابط ليانة ،وسي عمر بن علي بن عثمان...وموقف المرابطين ورؤساء القبائل كان كليا مع الادارة والتجنيد حسب الوثائق الفرنسية كما يقول الدكتور عبد الحميد زوزو في كتابه:
Zouzou (Abdelhamid). L`Aurès au temps de la France coloniale. Evolution politique, économique et sociale (1837-1939). Edition Houmma, Alger, t2 p 922.

وعلى رأس الأوضاع السياسية، نجد ظاهرة تزوير الانتخابات، وتكييفها حسب المصلحة الاستعمارية، ففي انتخابات البلديات المختلطة والأهلية وانتخاب الجماعة في الدوار وانتخاب الممثلين العماليين، ظل الممثلون الأهالي لا يمثلون برنامجا بقدر ما يمثلون مصالحهم الشخصية،كما أنهم عادة من الأعيان أو قدماء المحاربين أو أبناء الزوايا الموالين للإدارة.[١٢]ولعل أشهر تزوير للانتخابات هو تواطؤ رئيس بلدية بسكرة (كازناف) مع بوعزيز بن قانة ضد مرشح الأهالي الدكتور سعدان في عدة مناسبات[١٣]، فملأت هذه الفضيحة الجرائد وكُتِبت حولها العرائض الكثيرة خاصة المكتب العربي ببسكرة ،رغم أنها بلدية كاملة الصَّلاحية،ورغم رفع هذه القضية إلى المجلس الأعلى للدولة لكنها ظلت على حالها وتكررت كثيرا [١٤]

وتختصر لنا العرائض والبرامج الانتخابية الحالة السياسية في المنطقة عموما حيث المطالبة بالمساواة في الحقوق والواجبات وتوسيع التمثيل في مختلف المجالس وحرية تعلم العربية وحرية الديانة .[١٥]

---

[12] مثل انتخابات المجلس العام ١٩٣١حيث ايد رؤساء الزوايا مرشح الادارة علي بن قانة، وكذلك محمد صالح بن لوام الذي هو ابن عائلة مرابطية وشارك في الانتخابات العمالية و انتخابات المجلس العام ٩٤٨ ،٩٤١ , Zouzou. pp

[13] محمد الشريف سعدان: دكتور في الطب ،استقربسكرة في ١٩٢٧،تعاطف مع جمعية العلماء وتحالف معها في انتخابات المجالس العمالية بدائرة باتنة –بسكرة،سجن خمسة شهور بعد مجازر ٨ماي ١٩٤٥ ،نفي جوان ١٩٤٦ ترشح للنيابة في البرلمان الفرنسي على عمالة الجزائر ونجح إلى أن توفي في أكتوبر ١٩٤٨ ودفن ببسكرة.انظر: محمدخير الدين. مات الحكيم سعدان. البصائر،ع ٥٥، ٨ نوفمبر.١٩٤٨.

[14] انظر مثلا:

- La defense .La scandale de biskra. .N74,02 Aout1935 et N 68.74.76

– عريضة سعدان في جريدة الدفاع في العدد ٧٩ ،بتاريخ١١ أكتوبر١٩٣٥.– وأيضا:عريضة فوج من أهالي بسكرة في:

-La defence .Le scandal electoral de Biskra. N145, 16 avril1937. et Deroulede. La justise francaise dans les teritoire du sud. La defence, n°126. 13 novembre1936

[15] La defence. Les Election departemontales. N°33, 14 octobre 1934; La défence. Les teritoires du sud, motion de D Saadan. N° 109, 12 juin 1936.

وحول مطلب رفع الحقرة وتسلط البوليس وتزوير الانتخابات انظر مثلا:

- La Défence. Lettre ouvertte à Monsieur le governeur général de l'Algerie. N°79, 11Octobre1935.
- Ben salem (Mohamed). le regime feodal des teritoires du sud. La defence, N° 162, aout 1937.

وهو الأمر الذي دفع بعض الفرنسيين إلى استنكار هذه الأوضاع مثل جان مبليا الذي خصص كتابا حول الحكم العسكري بالجنوب، ورغم ظهور قانون النظام الأساسي لأراضي الجنوب الجزائري في سنة ١٩٠٢ وإلغائه الحكم العسكري في أراضي الجنوب(المادة ٥٠) لكن لم يتحقق منه شيء. [١٦]

– النشاط السياسي الوطني في المنظفة:

رغم أننا سنتناول التيارات السياسية في المنطقة عند تطرقنا لتفاعل الحركة الإصلاحية معها، إلا أننا سنشير ولو بصفة مقتضبة لإرهاصات هذه التيارات. فَمِن حظ المنطقة أنها ارتبطت بالتغيرات السياسية التي عرفتها البلاد، فنجد مثلا أن مُهاجري المنطقة في فرنسا سيلعبون دورا معتبرا، فيذكر الأستاذ عبد الحميد زوزو أن من بين الجماعة التي ستؤسس نجم شمال إفريقيا المجيد نجد شخصيتين تنحدران من منطقة بسكرة. [١٧]

وعموما نقول بأن الفكر الإصلاحي كان مؤثرا في الطلبة المتنورين وبعض العامة وحتى بعض أعيان الزيبان من الأثرياء، أما حزب البيان (فرحات عباس) فيميل إليه الشباب المثقف والمتعلم بالفرنسية، أما التيار الاستقلالي (مصالي الحاج) فيميل إليه العمال المغتربون في فرنسا المتأثرون بمصالي الحاج. [١٨]

٢– ميزاب

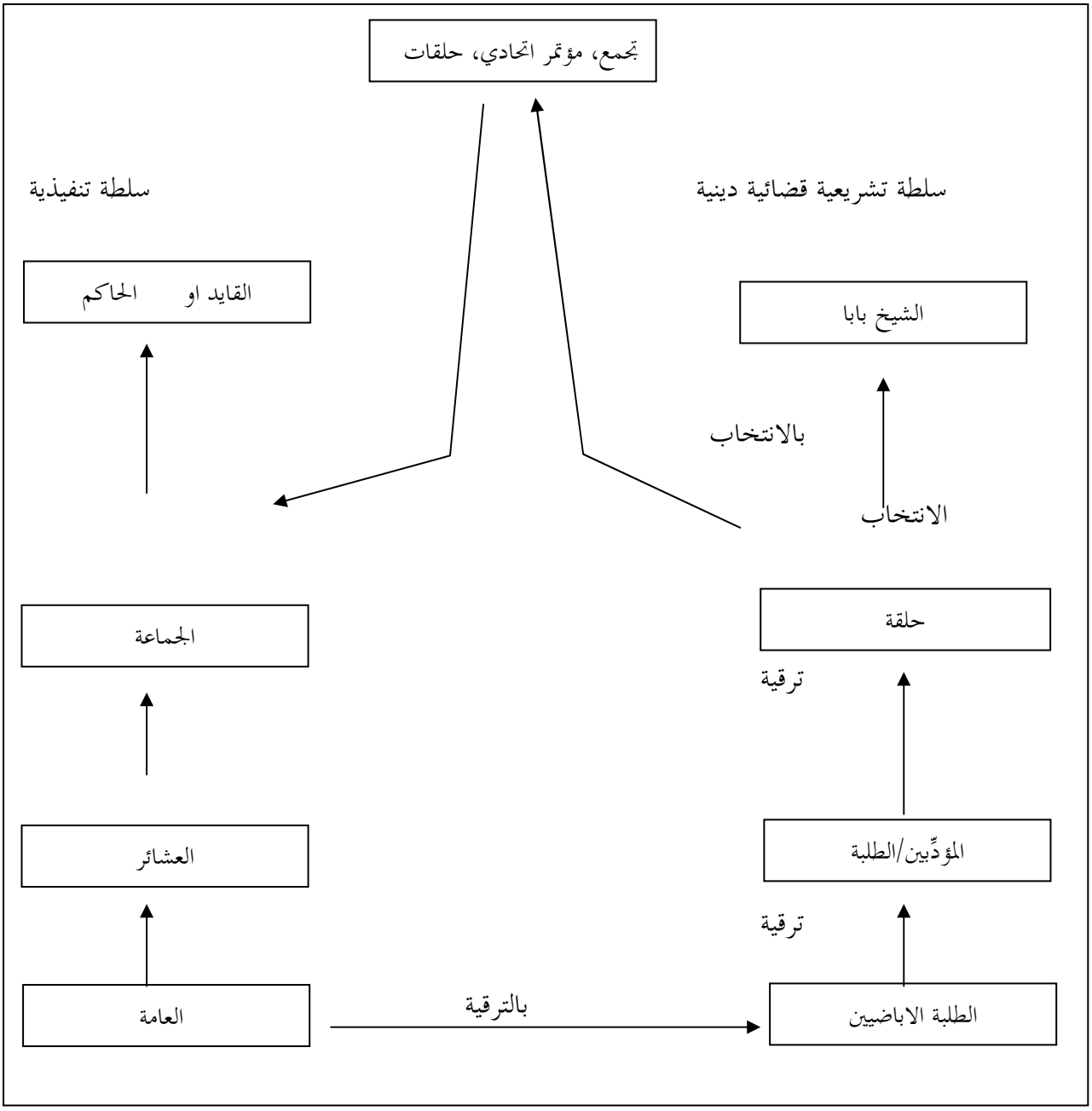
---

[16] جان ميليا. الإدارة العسكرية بالجنوب الجزائري مضى زمنها. النجاح، ع ١٦٣. و كذلك :فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية ، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، م.و.د.ب.ح.و.ث ١ نوفمبر، ص ص ٣٩،٤١.

[17] شهادة بانون آكلي لزوزو في كتاب زوزو (عبد الحميد). دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية بفرنسا. ص ٦٥.

[18] عجالي (كمال).أبو بكر مصطفى بن رحموني حياته وشعره. ديوان المطبوعات الجامعية ،دط،،١٩٩١،ص٣٨.

يُعرف المجتمع الميزابي بأنه مجتمع ديني، يؤطَّر ويوجه في تنظيم هرمي، قاعدته الأسرة وقمته المسجد،وذلك وفق الشكل التالي:



ففيما قبل الاحتلال كانت الكلمة العليا في الحياة السياسية للرؤساء الدينيين،بينما التنفيذ لأعضاء الجماعة الذين يتولون الإدارة وجبي الضرائب وعقاب المخالفين وبناء المشاريع خلال ثلاث

سنوات من انتخابهم، والجماعة تضم ممثلين عن كل عشيرة، ويُنتخب لها رئيس هو القايد الذي يخضع للهيئة الدينية (العزَّابة)[١٩].

لكن بفرض الحماية الفرنسية على ميزاب ثم الإلحاق، أصبحت ميزاب ملحقة يرأسها ضابط (رئيس الملحقة)، تجتمع لديه اللجنة البلدية المكونة من قياد ميزاب لمناقشة الميزانية واستشارتهم فقط،[٢٠] وفقدت ميزاب حق انتخاب ممثِّليها في المجالس البلدية عندما مُنِح الحاكم العسكري حق رفض المنتخب من بين ثلاثة يرشحون لهذا، ثم صار هو من يختار مباشرة قايدا لا يخضع للعزابة.[٢١]

ولهذا تركزت مطالب الميزابيين حول احترام معاهدة الحماية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لميزاب ، وإنشاء مجلس ائتلافي ميزابي يضم مدنهم السبعة وإقامة ممثل فرنسي بميزاب، ومنع تعسف القياد وإخضاعهم للعزابة والمراقبة، واستقلال القضاء الذي كفلته معاهدة الحماية بينما نقضت فرنسا تعهداتها حيث صارت تتدخل في اختيار القاضي ومنحه التعيين والحكم باسمها...، لذا عبرت كثرة العرائض عن وعي وتململ وتعسف استعماري متنام مثل عريضة سنة ١٩١٤ (حول القضاء والقياد)، وعريضة سنة ١٩١٩، وكتاب سنة ١٩٣١ (ضد التجنيد الإجباري)، والإعفاء من الضرائب وعدم التدخل في الأمور الداخلية، وإعادة سلطة مجلس عمي سعيد (الاستئناف) لكبح تعسف القياد والمطالبة بتعيين العشائر لقيادها..إلخ.[٢٢]

---

[19] الحاج محمد (عمر بن عيسى بن إبراهيم)(وكيل الأمة الميزابية المُفوَّض) .مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب من ناحيته الدينية والسياسية والاجتماعية من سنة ١٨٥٣ إلى ١٩٥١.مطبعة النهضة،تونس،دط،١٩٥١ ،ص ٥٠.

[20] انظر حول الالحاق:

- Le Mzab et son annexion à la France par le commandant Robin (chef du bureau arabe divisionaire d `Alger.Adolphe jourdan…libraire de l`academie, 1884,.pp 30.36.

[21] الحاج محمد عمر بن عيسى بن إبراهيم، ،مصدر سابق،...ص٩. وكذلك: وادي ميزاب.النظام الاجتماعي في وادي ميزاب...ج ٥. ع ٩٦ ،١٧ أوت ١٩٢٨.ع١٠١،ج ٦ ،٢١ سبتمبر ١٩٢٨.

[22] انظر: Le caid de guerrara contre les Azzaba. La Defense; 29Janvier1937

- Autour de la commision parlementaire, les revondications du Mzab; La Defense –

وتفاقم رفض الإدارة لممثلي الميزابيين بعد انخراط المصلحين في السياسة بدءا من سنة ١٩٣٤، فكان الانتخاب يعاد عدة مرات أو يلغى نهائيا بسبب نجاح أحد المصلحين مثلا. [٢٣]

ومن القضايا التي أسالت كثيرا من الحبر فرض التجنيد الإجباري على ميزاب في ٣ مارس١٩١٢ ،و رغم التوصُّل إلى صيغة التعويض المادي أو الشخصي والقرعة إلا ان الميزابيين واصلوا نضالهم ضد التجنيد لعدم شرعيته، و لم يُلْغَ بصفة رسمية إلا في ٦ فيفري ١٩٤٦ .[٢٤]

ولعبت المناقشات حول التجنيد دورها في تهييج العواطف وتنمية الوعي والمجاهرة بمطالب سياسية خطيرة.

وبعد الحرب العالمية الثانية نجد أن الميزة الغالبة هي الصراع السياسي الحاد حول الإلحاق بالقطر الجزائري والدخول إلى المجلس الجزائري ، وهو الرأي الذي رفعه التيار الإصلاحي- كما سنلاحظ-، أو الدفاع عن بقاء ميزاب تحت بنود الحماية الفرنسية حفاظا على خصوصياته الدينية والعرقية، وهو الرأي الذي تبناه المحافظون (الجامدون) ودعمتهم فيه الإدارة والمفتي حمو با حمد وعزابة بني يزقن والعطف وبونورةوالشيخ الثميني و مفدي زكرياء... [٢٥]

ومنذ انتخابات سنة ١٩٤٨ برزت اتجاهات أخذت تأثيراتها من شمال البلاد، حيث نجد مرشَّحا باسم الحزب الشيوعي الجزائري هو البكاي محمد، ومرشَّحان من طرف الإدارة (رتبة

ووادي ميزاب، ع ٤٣، ١٩٢٧/٠٨/٠٥

[23] عبد الرحمن بن عمر(بكلي) (البكري). مسيرة الإصلاح في جيل.جمع وتحقيق مصطفى باجو، المطبعة العربية، غرداية،الجزائر، دط،٢٠٠٤، ص ٢٠٢.

[24] انظر:Bulletin officials du gouvernement generales de l`Algérie. 1922, Alger ,impremierie admministrative ,Emile pfister,1923,N°519,

[25] بكلي. مسيرة الإصلاح في جيل. ص ٢٣٠.

باشاغا هما سليمان بن بكير وبكلو يحي بن أحمد) لكنهما انسحبا، أما حزب الإصلاح فمثّله بيوض إبراهيم .[٢٦]

٢- الأوصاع الاجتماعية والاقتصادية:

١- الزيبان:

لقد عرفت منطقة الزيبان منذ الفتح الإسلامي توافد القبائل العربية، التي تكاثرت وتوسعت في المنطقة مثل أولاد زكري والعرب الشراقة والعرب الغرابة وبني سليم، إضافة إلى العنصر الزناتي (البربري) الذي اختلط بالعرب وبالنساء الحرطانيات ولكنّه قليل، وعموما فسكان المنطقة ينحدرون من هذه الأصول.[٢٧]

أما اليهود فقد شكلوا بدورهم نسبة هامة منذ عهد سلطنة بني جلّاب الذين جلبوهم كخدم...، وحافظوا على ذاتيتهم عندما رفضوا التجنيس في العهد الفرنسي عام ١٨٧٠.

وتتميز منظفة الزيبان بطابعها البدوي حيث الارتباط بالواحات، فأكبر مناطقها بسكرة مثلا يصل عدد سكانها الرحل عام ١٩٣٠: ستا وأربعين ألف ومئة واثنين وثلاثين (٤٦١٣٢) نسمة ، أما المقيمون فبلغوا أربعا وأربعين ألف وسبعمئة واثنين وخمسين (٤٤٧٥٢) نسمة.

ويبدو أن المنطقة لم تعرف زحفا أوربيا عليها لصحراويها وفقرها وبعدها عن الساحل، ما عدا مدينة بسكرة[٢٨] .

---

[26] نفسه، ص٣٤٩، وانتهت هذه الفترة بدخول ميزاب المجلس الجزائري ومثله فيه الشيخ بيوض.

[27] Gouvernement général de l`Algérie. Commissariat du centenaire. Les territoires du sud de l`Algerie. 1ere partie. 1930, G. Soubiron, pp 283-284.

[28] في إحصاء مارس ١٩٢٦ نجد أن بسكرة الأهلية فيها من الفرنسيين الأصليين٧٦، المتجنسين ١٥،الاسرائيليين١٨،الأهالي٩٠٨٧٥.انظر Territoire du sud. T2, pp 638,639.

وساهمت السياسة التفقيرية في حياة اجتماعية واقتصادية قاسية لسكان المنطقة، فأخضع قانون ٢٦ مارس ١٨٧٣ الأملاك العقارية للقانون الفرنسي مما فتت الملكية القبلية وأضعف تضامنها ووحدتها، بينما منع قانون ٣٠ ديسمبر١٨٨٧ الأهالي من شراء الأراضي من الأوربيين[٢٩].

وساهم تحالف بعض رجال الزوايا وبعض قدماء المحاربين مع الإدارة الاستعمارية في ظهور طبقة إقطاعية سيطرت على الأراضي والواحات في المنطقة وخارجها، مثل حفيد الآغا سي مقران بن محمد المسعود المسمى مقران علي بن محمد الذي يمتلك مئة وخمسين (١٥٠) نخلة في جمورة و ثلاثمئة وخمسين (٣٥٠) نخلة في آمدوكال وطولقة وسريانة وبسكرة وثلاث دواب جر ومئة خروف وخمسة عشرة جملا، وأيضا مثل عبد الحفيظ بن سي محمد الأزهري الذي سيطر على نسيغة وامتد نفوذه إلى مناطق أخرى، وكذلك الأمين بن الطيب (ابن خال الأول) الذي يملك في خنشلة مئة (١٠٠) هكتار و سبعمئة (٧٠٠) نخلة في شتمة وليانة وسيدي عقبة وفلياش.

من جهة أخرى انتشرت المجاعات والإمراض كالتيفوس ونزلات البرد والملاريا، ففي سنة ١٩١٨ أصيب واحد وثمانون (٨١) شخصا بالتيفوس في بسكرة وفلياش، بينما توفي ثمانية عشر (١٨) آخرون[30].

ونظرا لاعتمادها على الحبوب والنخيل وتربية الحيوانات فقد تأثرت بقلة الكلأ وتذبذب المناخ وضعف المساعدات، وظهرت المجاعات مثل مجاعة سنتي ١٩٢٠ ، ١٩٣٧[٣١] :

[29] Ageron (Charles-Robert). L`histoire de l`Algérie contemporaine.Paris, P.U.F, 1968, p200.

[30]Gouvernement général de l`Algérie. Direction des teritoires du sud. Situation générale des territoires du sud pendant les années 1916, 1917, et 1918. Raport d`ensemble presenté par M Jounart gouverneur général. Alger. Ancienne maisan Bastide Jourdan, 1919, pp56- 57.

	غنم	ماعز	بقر	جمال	خيل	بغال	حمير
ملحقة بسكرة	١٦٩٠٢	١٧٠٦٦	١٣١	٤٠٢١	١٢٨	٨٩	٢٧٧٤
مركز أولاد جلّال	٤٤٢٩١	٣١٠٦٦	/ /	٣٢٨٨	١٤٤	٨٩	٢٠١٣

وهو ما فتح المجال أمام جمعيات خيرية مشبوهة للعلاج والمساعدة في ظل هذا العجز.

ورغم ما تُقدمه لنا الإحصائيات الرسمية الفرنسية من أرقام تبعث على التفاؤل، إلا أن شكايات الأهالي عبر العرائض والبرامج الانتخابية تظهر صورة قاتمة للغاية، حيث استفحال الضرائب على الفلاحين وقلة القروض وانعدام صندوق البطالة وتسلط نظام الغاب، إضافة إلى ظاهرة نقص المياه والرِّي في الواحات واستيلاء الأوربيين على النخيل.[٣٢]

وهذه الأمور هي التي تُفسِّر لنا في الأخير انخفاض معدل عمر الجزائري إلى أقل من خمسين (٥٠) سنة في حين بلغ معدل عمر الأوربي اثنان وسبعين (٧٢) سنة مع بداية القرن، وانعكست على سكان الزيبان فعُرفوا بظاهرة البطالة و بحركة الهجرة نحو فرنسا وقسنطينة والجزائر، وقد مسَّت هذه الظاهرة حتى أبناء خمسة عشرة سنة، وهو الأمر الذي اعترفت به السلطات الفرنسية في وثائقها الرسمية والذي سيساعد في ازدهار الحركة الإصلاحية فيما بعد .

٢ – ميزاب:

يمتاز المجتمع الميزابي بدقَّة التنظيم وصرامته، فهو على شكل مدن سبعة تسكنها عشائر، هذه العشائر تنتخب في الأخير هيئة دينية لتسيير المدينة هي العزابة التي امتد دورها من هيئة تربوية تعليمية إلى هيئة اجتماعية وسياسية ودينية تلعب الدور الأساسي والأكبر في تسيير كل شؤون المدينة (القضاء،

---

[31] - La Defense. Les scandales des distribitions de blé à Biskra. N°141, 19 juillet 1937. N° 145, 16 Avril 1937, La Defense. Sidi okba pays de soif . N° 163, 10 septembre 1937.

[32] - La Defense Il faut libérer l`Arabie du joug arabe. N° 73, 19 juillet 1935.
- V.S. La situation des indigénes à la fin de 1936. La Defense

الإفتاء، الاستئناف، وتختار كل عشيرة من يمثِّلها في هذه الهيئة وفق مقياس الدين والأخلاق والـــورع، ويكون الشيخ ممن تتلمذ في دار التلاميذ ("إروان) أو على الأقل من أصحاب المحاضـــر، أمـــا عـــدد أعضائها فهو عادة اثنا عشر عضوا إضافة إلى شيخها الذي يرأسها: وهُم الإمام، المؤذن، ثلاثة لتحفيظ القران للصبيان في المحاضر، خمسة لتغسيل الموتى، وكيلان على مال المسجد. [٣٣]

وتتَّحد المدن الميزابية (القصور) من حيث القرابة ومن حيث المذهب الديني (الإباضي)، ونجد أن العدد الكلي للسكان في ميزاب سنة ١٩٢٦ هو تسع وعشرون ألفا وتسعمئة وسبع وسبعون نسمة (٢٩٩٧٧)، أغلبيتهم ميزابيون يمثلون اثنين وعشرين ألفا وأربع مئة وأربعين (٢٢٤٤٠)، أما المالكية (العرب) فعددهم ستة آلاف ومئتان وثلاثة وستون (٦٢٦٣) أغلبهم شعانبة في متليلي، و أما اليهود فعددهم ألف ومئتان وأربعة وسبعون نسمة (١٢٧٤)، ولهذا لم يختلطوا بالأوربيين ولا اليهود بل وحتى بالعرب [34].

ورغم وقوع ميزاب تحت الحماية إلا أن الخدمات الصحية ظلت متردية رغم وجود مركز صحي رئيسي بغرداية في سنة ١٩١٠ ،وآخرين ثانويين خارجها،وعرفت المنطقة مجاعات وأزمات كثيرة مثل مجاعات سنوات١٩٠٥ و ١٩٠٦ و ١٩٢٠ ، وذلك بسبب صحراوية الأراضي والاعتماد على مياه الأمطار وضعف القروض ،وهو ما فسح المجال أمام الجمعيات الخيرية التنصيرية للنشاط مثل فتح دار الأيتام في القليعة (المنيعة). [٣٥]

ونظرا لاعتماد المجتمع الميزابي على التجارة والزراعة في الواحات فهو مجتمع قارٌّ (حيث نلاحظ هنا وجود تسعة وعشرين ألف وتسعمئة وثلاثة وتسعين (٢٩٩٩٣) مقيما و وثمانية آلاف

---

[33] آعوشت .تاريخ بني ميزاب. ص ص٢٩، ٣٠.

[34] نفسه.ص ١٥٢ . نقلا عن Les archives d`outre mer n° 8954, 1926s

[35] - territoire du sud, Commissariat de centenaire. 1930, t2, p 117.

ومئة وخمسين رحالا (٨١٥٠) ،ويعتمد على التجارة في الشمال رغم ما يملكه من ثروة حيوانية يبرزها الجدول التالي :

النوع	غنم	ماعز	جمال	خيل	بغال	حمير	نخيل
ملحقة غرداية	٢٨٧٦٧	٢٧٢٤٤	٦١٢٣	٢٦	٣١١	١٨٢١	٢٥٩٨٧٥

ولهذا يمتاز المجتمع الميزابي بقلّة البطالة فيه لاعتماده على نفسه وازدهار حركة الهجرة فيه نحو الشمال ونحو تونس[36]،ولكن هذا النشاط يصطدم بارتفاع الضرائب التي نجد شكايات كثيرة تطالب بتخفيضها،حيث يدفعون ضريبة البزرة (الخراج) المقدَّرة بثلاث مئة (٣٠٠) ألف، وضريبة السخرة (الكورفي) التي تفرض على الإنسان والحيوان، وضريبة المكس، وضريبة المواريث التي استحدِثَت بعد الحرب العالمية الأولى، إضافة إلى ضريبة خاصة بالقياد تكون عادة في شكل سخرة . وانعكست الظروف الاقتصادية على المجتمع الإباضي بتوجهه نحو تونس ونحو الشمال لتجنب الاضطهادات والضرائب الفرنسية الباهظة.[٣٧]

٣–الحياة الثقافية والتعليمية:

١–الزيبان:

كان من الطبيعي أن تنعكس الأوضاع السياسية والاقتصادية للجزائريين تحت الاستعمار على الحياة الثقافية والعلمية، خاصة أن السياسة التعليمية الفرنسية قد اتجهت إلى محاربة اللغة والثقافة

[36] – Territoire du sud..T2, 1930, pp 638-639.

[37] المغرب. وادي ميزاب يئن تحت أثقال الضرائب. ع ٢٥،٢٦ نوفمبر١٩٣٠.وأيضا وادي ميزاب.ع ٤٣ ، ٥ أوت١٩٢٧.

العربية و اعتبارالعربية لغة أجنبية في الجزائر، ومحاربة تاريخ وجغرافية الجزائر في سبيل استكمال القضاء على الشخصية الجزائرية في مختلف أبعادها. [٣٨]

عانى التعليم في القطاع المدني من عدم منح الرخصة من طرف والي العمالة في حين عانى في القطاع العسكري من عدم منحها من طرف الجنرال المسئول على القسم العسكري الذي يكلف المكتب العربي العسكري بالمراقبة الدائمة للتعليم.

وفي ٢٤ ديسمبر ١٩٠٤ أمر **جُونار** الحاكم العام بالجزائر بجعل رخصة التعليم تقتصر على تعليم القرآن وحده دون تفسيره،[٣٩] و ظل الأطفال الجزائريون بعيدين عن حركة التعليم بفعل سوء الأوضاع الاقتصادية لعائلاتهم، فنجدهم في الرعي ومسح الأحذية والعمل في المزارع والواحات. [٤٠]

ولهذا لا نستغرب عندما نجد أن نسبة الأمية في الجزائر نتيجة للاستعمار تصل إلى تسعين بالمئة (٩٠%) بالنسبة للرجال و ثمانية وتسعين وأربعة أجزاء (٩٨,٤ %) بالنسبة للنساء.[٤١]

ونلاحظ أن التعليم في منطقة الزيبان كان على ثلاثة أشكال هي :

أ–التعليم المسجدي:

تميز هذا الصنف بالضُّعف وقلّة الفعالية وضُعف التجهيزات وضُعف تكوين المدرسين، ورغم أن التلاميذ يدرسون مبادئ النحو والفقه والأدب والحساب والتوحيد لكنهم لم يكونوا يستفيدون من شيء، خاصة أن هذا التعليم يجمع ابن عشر سنين مع ابن خمس وستين (٦٥) سنة، وهو الأمر الذي

---

[38] بوعزيز (يحي) . أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين ١٩و٢٠م . مجلة الثقافة،ع ٦٣،س ١١، ماي/جوان ١٩٨١،ص ص ١٨،١٦.

[39] عباس (فرحات).حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار. ، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دت، دط، ص ٢٥، ترجمة أبوبكر رحال.

[40]- Emir Khaled. Sitiuation des musulmans d`Algérie.1924, Alger, p 39.

[41] بوحوش(عمار) . الثقافة، ع ١٤، ١٩٧٣، ص ٦٢.

تعكسه حتى التقارير الفرنسية والتي كانت صريحةً عندما قالت بأنها سمحت بهذا التعليم بهدف تحضير مرشَّحين للمدارس الشرعية فقط[٤٢] .

ب- تعليم الزوايا:

لعبت الزوايا دورا دينيا واجتماعيا وعلميا في مختلف العصور، وفي الزيبان توجد زوايا كثيرة عُرفت بعراقتها، لكن بقيت زاوية طولقة (العثمانية) إلى سنة ١٩٣٠ الوحيدة في المنطقة التي استطاعت أن تحافظ على تعليم من الدرجة الثانية كالقراءة والحساب والنحو والأدب والفقه والتوحيد طيلة أربع أو خمس سنوات من الدراسة. [43]

وعموما فالحياة العلمية على ضعفها تبقى مَدينةً للطُّرق الصُّوفية والزوايا، ففي إحصاء يعود إلى سنة ١٨٩٥ نجد المؤسسات الدينية والثقافية في الزيبان هي خمسة وتسعون (٩٥) مؤسسة دينية وثقافية مبنية حول القبور أو المساجد بالزَّاب الشرقي، وواحد وأربعون (٤١) مسجدا في تكوت ودائرة بسكرة ومشونش[44] .

وبقي التعليم تقليديا رغم ما طرأ عليه من تغييرات، وهذه التقليدية على مستوى المناهج والمقررات وعلى مستوى طرائق التدريس ووسائله، ويمكننا أن نَصِف التعليم داخل الزاوية بأن الطلبة يقسمون فيها إلى مجموعتين، كل مجموعة تنقسم إلى فئات ثلاث، فالمجموعة الأولى هي فئة المبتدئين (من لم يختم سورة البقرة)، وفئة المتوسطين (من ختم سورة البقرة وشرع في الإعادة)، وفئة المُنتهين (من ختم القرآن و لم يبق له إلا الرِّواية والتجويد). أما المجموعة الثانية ففيها فئة الأجْرُومية وابن

[42] سعدالله (أبو القاسم). تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي،ط ١ ،١٩٩٨،ص ص ١٥١،١٥٠.

[43] - Zouzou. L`Aures. op. cit, t1, p 353.

[44] ibid,T2,p754

عاشر، وفئة القَطْر والرسالة، وفئة الأَلفية والرسالة ثم الشيخ خليل. وهذا النظام يتكرر في الزوايا عموما.[٤٥]

ويُصوِّر لنا أحد أبناء الزيبان وهو الجنيد أحمد مكي حالة التعليم في منطقة خنقة سيدي نـــاجي، بقوله:".. فالولد يقضي جلَّ حياته- إن لم أقل عُمرَه كلَّه- في الدروس القرآنية مُنكبًّا علـــى لوحـــة مملوة حروفا سودا يكررها صباحا ومساء (كالفوتغراف) من دون فهم حتى يعوج مستقيم عمودنا " ،ولهذا تتفق مختلف المصادر على عقم تعليم الزوايا وعدم ملاءمته للعصر و عـــدم اســـتيعابه عـــدد التلاميذ، حتى أن أحد أبناء سيدي عقبة دعا إلى عدم التمييز بين الفقراء والأغنياء في قبولهم بالمكاتب القرآنية، ولهذا اتجه طلبة الزوايا الزيبان إلى المشرق وتونس وحتى المغرب الأقصى[46].

ج- التعليم الرسمي:

إذا عرفنا سياسة فرنسا تجاه التعليم في الشمال نكاد نعرف مبدئيا موقفها منه في إقليم يقع معظمه في التراب العسكري، فمن جهةٍ تعسُّف الإدارة، ومن جهة أخرى عدم رغبة الأهالي خوفا من التَّنصير، فرغم إدماج ميزانية الجنوب في ميزانية القُطر سنة ١٩٤٨ وتزايد عدد السكان إلا أننا نجد أنه لم يُفتح في سيدي خالد سوى ستة أقسام ،أما في أُورلال ففُتح قسم واحد، وفي طولقة تسعة أقسام للذكور وقسم واحد للبنات، وفي سيدي عقبة فُتحت أربعة أقسام ،أما في شتمة ففُتحت ثلاثة

---

[45] امقران (علي). الزاوية السحنونية بالأربعاء ناث ايراثن. مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية بقسنطينة، ع ٥،س ٣، ١٩٨١،ص ص ٧٢،٧١

[46] الجنيد أحمد مكي ولد في ٣٠جانفي ١٨٩٣ بخنقة سيدي ناجي،حصل على شهادة ابتدائية من المكتب الفرنسي ١٩٠٩،درس بقسنطينة ثم الجزائر،لحصل على شهادة التعليم الدنيا والعليا،درس بوادي الزناتي وبسكرة ١٩١٨ ،من شعراء الاصلاح. انظر محمد الهادي السنوسي.شعراء الجزائر في العصر الحاضر.مطبعة النهضة ، تونس، ج١،ص ص٩٨،٩٩. وأيضا الحاج علي بن يحي.كلمة في المكاتب القرآنية. الصديق،ع ٤٢ ،٠١ سبتمبر١٩٢١. انظر حول أوضاع التعليم في الزيبان انظر :

- Exposé de la situation générale des territoires du sud de l`Algérie 1900-1919, p 85.

أقسام للذكور ،وفي أولاد جلاّل فُتحت خمسة أقسام، وهذا يضاف إلى معرفتنا بضعف تكوين المؤطرين ونقص عدد التلاميذ.

ولعل ما يعكس لنا الإقبال الضعيف على الدراسة، هو عدد المسجلين الجدد في سنة ١٩٥٢ في أولاد جلال مثلا إذ لم يتعد عددهم سبع عشرة (١٧) تلميذا كلُّهم ذكور.[٤٧]

وبالنسبة للتعليم الحرفي (المهني) فرغم فتح فرنسا لمدارس حِرفية في المنطقة (في أولاد جلاّل سنة ١٩١٣، وبسكرة.إلخ..) إلا أنها لم تكن مفتوحة لكل الأهالي، فمركز أولاد جلاّل مثلا لم يكن به في سنة ١٩١٦ سوى سبعة متربصين، وأحد عشر متربصا في سنة ١٩١٧، وبقي هذا العدد إلى سنة ١٩٤٦، أما في بسكرة فقد بلغ عدد المتربصين بها سبع وأربعون متربصا سنة ١٩٤٦. وهكذا يمكننا القول بأنه إذا ما استثنينا مدينة بسكرة فإن التعليم الرسمي الفرنسي بقي غائبا في المنطقة.

٢- ميزاب:

رغم أن ميزاب عرف نظام حماية - نظريا على الأقل- إلا أن الاستعمار ترك آثاره الواضحة على حالة التعليم خاصة إذا عرفنا بأن منطقة ميزاب عُدَّت عاصمة علمية لكثير من الجاليات الإباضية في ليبيا وتونس وسلطنة عمان وزنجبار وغيرها طيلة قرون من حيث مدارسها وعلمائها ومكتباتها ومؤلفاتها قبل وصول الفرنسيين إليها.

وقد أدرك الميزابيون أن هدف الاستعمار من سماحه بالتعليم الفرنسي إنما هو تلهية المسلمين وصرفهم عن التعليم الفعَّال، فرغم أن معاهدة الحماية لتجيز للفرنسيين التدخل في التعليم إلا أنهم

[47] - Gouvernement general de l`Algérie,Deriction des territoires du sud, les territoires du sud. Compte rendu de l`oeuvre accomplie de 1947 à 1952. Roger Leonard et Maurice Cuttoli, impremerie officielle,1954, pp 176,183

حاربوه في ميزاب ومنعوا أبناء ميزاب من التعلم في الشمال ودخول المعاهد الثانوية العالية إلا بصعوبة شاقة .[٤٨]

١- التعليم المسجدي:

بنى الميزابيون مدارسهم قرب المساجد عادة، وهي تحضيرية لذا سُمِّيت في اللهجة المحلية بالمحاضر، حيث يدرس التلاميذ مبادئ القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، بينما يُدرس الشيخ في طبقة إروان (التلاميذ) القرآن، عقيدة التوحيد، الاجرومية، كراس النحو، لامية الأفعال، قصائد في فنَّي التجويد، ومنظومة علم الفرائض ويشرف عادة ثلاثة من العزابة على هذا التعليم المسجدي الذي يتغذى من الأوقاف المخصصة له.[٤٩]

وإذا ما استثنينا فترة القطب (محمد اطفيش) في بني يزقن وما أحدثته من تجديد علمي، فإن الجمود وعدم الفعالية وضعف الوسائل المادية وانعدام البرنامج الدراسي والامتحان هي أبرز سمات هذا التعليم، ويكفي أن نجد بأن العاصمة العلمية والدينية في ميزاب (بني يزقن) مع بداية القرن العشرين لم يكن بها سوى أحد عشر (١١) محضرة أغلبها مخصص لتحفيظ القرآن دون فهمه لتلاميذ لا يتجاوز مجموع عددهم مئة وخمس وتسعين (١٩٥) تلميذا.

وفي إحصاء سنة ١٩٢٤ نجد أن مجموع المحاضر في ميزاب كلِّها لا يتجاوز اثنتين وعشرين (٢٢) محضرة بها خمس مئة وتسع وعشرون (٥٢٩) تلميذا تتوزع على مدن ميزاب كالتالي:[٥٠]

---

[48] بكلي البكري. مسيرة الإصلاح. ص ١٨٠ .

[49]- Ben Idrissou (Saleh). Institut Elhayat 1925-1962. These de DEA, Paris, 1992, p 17.

[50] آعوشت . تاريخ بني ميزاب. ص ١٥٣، نقلا عن- G.Grossman. Le Réformisme Ibadite, p 60

المدينة	غرداية	مليكة	بني يزقن	بونورة	العطف	بريان	القرارة
عدد المحاضر	٦	٢	٥	١	٢	١	٥
عدد التلاميذ	١٨٩	٥٥	١٠٠	٣٥	٤٥	٢٠	١٢٥

فانطلاقا من هذه المعطيات يمكننا القول أن التعليم المسجدي رغم دوره الروحي إلا أنه يتميز بالضعف والبعد عن تحريك المجتمع الإباضي لمعاناته من الرَّتابة والجمود.

ب- التعليم الرسمي:

هدِف الاستعمار الفرنسي إلى التغلغل في منطقة ميزاب بوسائل شتَّى على رأسها التعليم، لكنه اصطدم بمحافظة صارمة أمامه تارة بتذكيره ببنود معاهدة الحماية التي تجعل من قانون سنة ١٨٩٢ لا يشمل منطقة ميزاب، وتارة بالفرار بأبنائهم في بداية كل موسم دراسي إلى الشمال، لاتقاء دخولهم مدارس فرنسا التي يعلمون أن هدف إنشائها ليس تعليم أبنائهم وإنما تشتيت أفكارهم وزعزعة إيمانهم. [٥١]

بدأ التعليم الفرنسي في سنة ١٨٨٧ في مدرسة غرداية ثم توسَّع إلى مدرسة العطف فبني يزقن في سنة ١٨٩٢، فمليكة سنة ١٩٠٧ -رغم الإقبال الضعيف فيها -، بينما لم يصل بونورة إلا في سنة ١٩٤٦، وقد ظهرت حوله شكايات كثيرة من الأهالي، لأن ميزانية هذا التعليم تُدفع من صندوق البلدة، بينما لا تتحمل فرنسا سوى أجرة المعلمين الذين عُرفوا بقلَّتهم وبضعفهم العلمي، حتى أن بلدة العطف لمدة ٥٠ سنة من التعليم الفرنسي بها وبثلاثة (٣) أقسام لم يحصل أي تلميذ منها على

[51] بكلي، مسيرة... ص ١٨٠.

شهادة التعليم الابتدائية [٥٢]. وبهذا ظل التعليم وكما وصفه أحد المعاصرين له يمشي مشية عرجاء بسبب ضعف برنامج التعليم الفرنسي وعدم اشتماله على قسم شهادة التعليم الابتدائية ولو الشهادة الأهلية، وعدم إلزام التلميذ بالعمل المترلي كما هو الحال في الشمال.إلخ، وهو ما دفع الميزابيين إلى تعليم أبنائهم في الشمال لضعف هذا التعليم كمًّا وكيفًا.

ج- التعليم التقني:

رغم أن التعليم التقني كان يستثير اهتمام الميزابيين أكثر من الأول بحكم بُعده ولو شكلياً عن تهديد عقيدة التلميذ وشخصيته، ورغم إنشاء مدرسة التعليم المهني بغرداية (للتجارة) عام ١٨٩٦ إلا أن الإقبال ظل ضعيفا رغم دعوات المثقفين والمصلحين للإقبال عليه. [٥٣]

٤- الحياة الدينية:

١-الزيبان:

عرفت الزيبان كغيرها من المناطق سيطرة الزوايا والطرق الصُّوفية على الحياة الدينية التي تمثل أساس الحياة اليومية للمسلمين، ففي فترة السِّلم تنصرف الزاويـــة لأداء دورهـــا الروحـــي (التزكية) والاجتماعي (مساعدة الفقراء والمشردين) وتنغلق على نفسها، بينما في فترة هجوم العدو الخارجي فإنها تنفتح على المجتمع وتقود المعارك كما حصل في مختلف المناطق الجزائرية أمام الاحتلال الفرنسي[٥٤]، وتعدَّى دورُها عموما الجانب الاجتماعي إلى تربية وتعليم الشباب ووعظ وإرشاد الكبار وبث الروح الدينية في النفوس وكفالة اليتامى والمساكين وعابري السبيل.

---

[52] وادي ميزاب. اختلال التعليم بوادي ميزاب. ع ١٠٣، ٥ أكتوبر ١٩٢٨ وكذلك الأمة. اختلال التعليم الفرنسي ببلدة العطف. ع ٠٩، ١٣ نوفمبر ١٩٣٤.

[53] آعوشت. تاريخ بني ميزاب.ص ١٢٤.

[54] سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. ج٤.

وعادة ما ارتبطت الزوايا بالطرق الصوفية حيث تجعل الطريقة زاوية أُمًّا لها، ثم تشرع في بنـــاء فروع لها، لهذا هي أقرب إلى كونها تنظيمات دينية وجمعيات دينية يتبعها منخرطون (مُريدون) ويمثِّلها مُقدَّمون، ولكل منها تعاليم وأذكار وزيارات خاصة بها.[٥٥]

وعرفت الزيبان التصوف و اشتهرت به من خلال عدد من الزوايا، أهمها زاوية علي بن عمر بطولقة وزاوية سي عبد الحفيظ (الخنقة) في عام ١٨٢٦، وزاوية أولاد جلاَّل والزاوية الحفيظية الرحمانية (خنقة سيدي ناجي)...إلخ.[٥٦]

وفي إحصاء سنة ١٨٨٢ نجد في الدائرة العسكرية لبسكرة توزيع الأدوار في مختلـــف منـــاطق الزيبان كالتالي:

المناطق	الأهالي	الرحمانية	القادرية	التيجانية
الزيبان	١٣١٠٠	٤١٠٠	٥١٠	٢٠٠
أولاد زيان	٧٩١٥	/	٨٠	/
الزاب الشرقي	٥٧١٧	٨١٠	٢٨٠	٣٠

وواصل عدد مريدي الرحمانية ازدياده، فوصل في بسكرة سنة ١٨٨٥: ألفين وتسعمئة واثين (٢٩٠٢)، أما القادرية فوصل ألفا ومئة (١١٠٠) مريد. ولعل الإحصاء الذي قام به الضابط

---

[55] في الطريقة الرحمانية يكرر المريد بعد أخذ ميثاق الطريقة من الشيخ لاإله الا الله ٣٠٠ مرة صباحا وبعد العصر، ويزور الزاويـــة ٤ مرات في العام في ٢٧ رجب و ١٥ شعبان و٢٧ رمضان و ١٠ محرم، القادرية:يكرر المريد سبحان الله والحمد لله والله أكبر لاإلـــه إلا الله محمد رسول الله اللهم صل على سيدنا محمد، قل هوالله أحد،١٠٠ يوميا، الحنصالية: يكرر المريد استغفر الله والله أكبر صباحا وبعد العصر ٢٠٠مرة، والحمد لله ١٠٠ مرة، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنـــت الوهـــاب ١٠٠ مـــرة، التيجانية : يكرر المريد لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ٣٠٠ مرة صباحا ومساء، استغفر الله وأتوب إليه ١٠٠ مرة صباحا ومساء، اللهم صل على سيدنا محمد ، يافاتح يا حكيم يا قادر يا مقتدر العلي العظيم القدير ٤٠٠ مرة صباحا ومساء..الخ .انظر: zouzo. L'Aurès, t 2;p 766نقلا عن AOM 10K35

[56] وصل عدد الطرق الصُّوفية في الجزائر ٢٣ طريقة لها ٣٤٩ زاوية حسب الدكتور سعدالله. تاريخ الجزائر الثقافي.ج ٤، ص ٢٩١. وحول الزاوية العثمانية انظر: الحسيني (علي الرضا).زاوية علي بن عمر،طولقة ، الجزائر.الدار الحسينية للكتاب،د،ط،٢٠٠٢

الفرنسي لويس رين[٥٧] يعكس لنا الطرق القوية في المنطقة، حيث نجد في دائرة بسكرة العسكرية ما يلي:

الطرق الصوفية	عدد الزوايا	عدد المقدمين	عدد المريدين
القادرية	٤	١١	١٦٢٠
الشاذلية	١	١	٢٠٥
الطيبية	٢	٢	١٦٤
التيجانية	٢	١٩	٢٣٣٠
الرحمانية	٨	٣٢	١٣٨٧٠

بينما نجد في التراب المدني لبسكرة[٥٨]:

[57] Rinn (Louis). Les confreries relegieuses. Etude sur l`islam en Algérie.1889.p 539.

[58] تنتسب الطيبية إلى أشراف وزان بالمغرب مؤسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم (ت ١٦٨٧).أما التيجانية إلى أحمد التيجاني،ومنذ سنة ١٨٩٧ أصبح لها فرعان هما عين ماضي وتيماسين، لها اثنان وثلاثون (٣٢) فرعا منتشرا في الجزائر.أما الرحمانية تنتسب إلى سيدي محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري بوقبرين.أما القادرية تنتسب الى عبد القادر الجيلاني (١٠٧٨-١١٦٧) وعنها تفرعت طرق كثيرة فهي (اساس ومنطلق كل الطرق الصوفية في الجزائر،فالمدينية تفرعت عن القادرية والجنيدية، وتفرعت عن المدينية الشاذلية وعن هذه الأخيرة تفرعت طرق كثيرة كالدرقاوية والجزولية واليوسفية والعيساوية والشيخية والطيبية والحنصالية وغيرها.انظر: عمراوي (احميدة).رسالة الطريقة القادرية في الجزائر.دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، دت، ص ٢٧. كما عرفت المنطقة السنوسية والشابية والعيساوية(انتشرت السنوسية فيها بحكم قربها الجغرافي من زاوية جغبوب بليبيا، وتشابه السنوسية مع الوهابية (السنية) وخلوها من التعقيدات.أما العيساوية فأصلها من مكناس.والسابية أصلها مدينة القيروان وجريد تونس، ولها من الأتباع ألفان وخمسمئة (٢٥٠٠)في الشرق والجنوب الجزائري.انظر:سعد الله.تاريخ الجزائر الثقافي.ج ٤، ص ص ٢٩٥،٢٩٧.

الطيبية	/	/	١٠
التيجانية	١	٢	١٥٠
الرحمانية	/	٤	٧٤٠
المدينية	/	/	٠٥

ونظرا لهذا الوزن فقد أولتها فرنسا أهمية بالغة، فتعددت الدراسات حولها وحول أصولها ومريديها ومُقدَّميها ونفوذها منذ عهد هانوتو إلى كتاب لويس رين إلى مجلة "العالم الإسلامي"... لتشرع بعد هذا في محاربة الطرق الصُّوفية ثم تدجينها، لارتباط الدخول الفرنسي إلى الجزائر بتاريخ دمويّ مع الطرق الصُّوفية خاصة الرحمانية والقادرية، فسي الصادق وعبد الحفيظ الخنقي وسي الحفناوي المنفيّ إلى تونس وثورة بوزيان الدرقاوي...هي محطات لهذا الصراع، لكن عندما فقد المرابطون السيطرة وشعروا بفقدهم امتيازا تهم لجأوا إلى التعاون مع الاستعمار.

ففي زاوية طولقة مثلا تغيرت الأمور بعد وفاة علي بن عمر، حيث تعاون خُلفاؤه سي عمر وسي الحاج وسي الحسين وسي مصطفى مع الإدارة الاستعمارية، ومثل سي محمد الأزهري في خيران (الأوراس) الذي عمل بتفانٍ مع الإدارة الاستعمارية، وكذا ابنه من بعده (منذ سنة ١٨٩٦) مما مكَّنه من مدِّ نفوذه الروحي والمادي من الأوراس وواحات الزَّاب الشرقي إلى تونس ، ووصل مُريدوه إلى خمسة عشر(١٥) ألف مريد.[٥٩]

[59] يتفق سعد الله وزوزو على تاريخ ١٨٨٢ كبداية لوقوع الرحمانية تحت سيطرة التعاون مع الادارة بعد وفاة شيخها وتولي خليفته ، انظر سعد الله. مدارس الثقافة العربية في المعرب العربي.الثقافة،ع ٧٩ ،١٩٨٤ ، ص ص ٥٢،٥٤.وانظر: Zouzou .L`Aures .t2,pp 751 ,775

وكانت فرنسا سخيَّة على شيوخ الزوايا المتعاونين معها ،فمنحت درجة الفتوى ومنصب المفتي ووسام الشرف برتبة "كوماندور" ورخصة تلقي الزيارة لشيخ زاوية طولقة سي عمر بن علي بن عثمان[٦٠]، إضافة إلى نفوذه الروحي في الشرق الجزائري إلى تبسة، وامتلاكه ألفا وثلاثمئة واثنين (١٣٠٢) من النخيل في طولقة، وخمسة وخمسين (٥٥) نخلة في البرج، و سبعة مئة وسبعة وعشرين (٧٢٧) نخلة في فرفار، ويجمع بين زوايا ليانة وخيران التابعة له ما مقداره عشرين ألف (٢٠) فرنك .أما زاوية أولاد جلال فقد تلقت سنة ١٩٠٦ ما مقداره عشرين (٢٠) ألف فرنك نقدا، إضافة إلى ما تمتلكه في أورلال من نخيل (أي ستة مئة وواحد نخلة)،أما فرعها بالهامل فيملك ثمان مئة وسبعة وأربعين (٨٤٧) نخلة ببرج بن عزوز...، فكانت بلاد النخيل –كما رأينا- ضحية إقطاع منظَّم بين القياد ورجال الزوايا في داخل المنطقة وحتى خارجها. [٦١]

و لم تغامر الإدارة الفرنسية بمنح هذه الامتيازات لرجال الزوايا إلا بعد أن تأكَّدت من قوتهم التي تظهر في اعتقاد العامة فيهم بل وكثير من فقهاء ومثقفي الأهالي ، وفي حجِّهم إليهم والتبرُّك بهم، ولعل الصراع الذي تجاوزت نقاشاته وصداه حدود الجزائر والذي دار بين عاشور الخنقي [٦٢] وعبد الرحمن الدِّيسي بعد تأليف عاشور لكتابه "منار الإشراف" يعكس هذه القداسة،حيث يقول عاشور مثلا : "رضي الله عن وليِّهم وتقيِّهم وعن ظالمهم وعصيِّهم وعن بريِّهم وحريِّهم وعن حييِّهم

---

[60] الزيارة هي الهدايا التي يأتي بها المريدون إلى شيخ الزاوية أو مقدم الطريقة.انظر: Ageron. l`histoire de l`Algérie. op.cit, p 900

[61] El Elamoudi. Le marabotisme aux abois. La defense,n°3, 9 février 1934, n°4, 16 février 1934. Zouzoum op, t2, p 786 -786. نقلا عن AOM 13 KK25

[62] هو عاشور بن محمد ... بن عبد العزيز الهاملي (١٨٥٤-١٩٢٩) ولد بالخنقة درس بها ثم انتقل الى زاوية نفطة (تونس)حيث أجيز في أكثر من عشرين علما، عاد إلى قسنطينة مدرسا بمساجدها،انظر كتابه: منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف.المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط ١٩١٤،١،ص ١٧٢.

وبذيِّهم" ، بل ويربط كمال الإيمان بحب الأشراف (المرابطين) فيقول : " إن الايمان ومايتعلق به من الأوصاف مُعلَّق كتابا وسنة وإجماعا على المودة في الأشراف ، مع شرائط أخرى قلَّما تنال". [٦٣]

وقضية الشرف أو الأصل الشريف الذي يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم اُستغِلَّت في الاستئثار بالامتيازات، واحتكار التوجيه الديني والروحي، ومحاربة كل اجتهاد، بل إن عاشور يدعو المسلمين إلى دعمهم بالمال والطاعة والحب في قوله : " ...فمن المعلوم بالضرورة عند النساء والرجال أن الله فرض أرزاق الشرفاء والعلماء في بيت المال، فإذا ضاع بيت المال باستيلاء الظالمين فأرزاقهم مفروضة في أموال المسلمين" ،بل ويعتبرهم أنوارا ربانية عندما يكتب عنهم : " فَهُم ذرَّاتُ القبضة النورانية المقبوضة من نور ذاته، وقال لها كوني محمدا فكانت محمدا، وبالضرورة أن السادة الشرفاء ذرات فائضة من تلك القبضة فردا فردا عقلا وطبعا وعرفا وشرعا". [٦٤]

وانعكس كل هذا على العبادات والمعاملات ، وإذا كنا سنتناول هذا في محطات قادمة إلا أننا سنذكر شهادتين فقط لشخصين عاصرا هذه الأوضاع ، أولهما هو الجنيد أحمد مكي ابن خنقة سيدي ناجي الذي يذكر مَيل أهل الخنقة كبارا وصغارا إلى الأفكار الصُّوفية والخرافية وترنيمات الحَضْرة من طرف المدَّاحين، ويذكر كيف قضى الليالي الطوال في سرد أخبار وكرامات من يعتقد فيهم الصَّلاح، وسماع كتاب "العروسي" في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر تقبيل الأيدي، وزيارته الأضرحة وتقبيلها، والتوسُّل بأحجارها، وما على توابيتها من الرياش وترابها،أما محمد الهادي السنوسي فيقول:"كنت قبل صحبتي لهذا الأستاذ الإمام (ابن باديس) وَلُوعاً بأباطيل الخرافيين من الطرقيين راسخ اليقين في الإيمان بطواغيت الدجالين". [٦٥]

---

[63] عاشور. مصدر سابق. ص ١١.

[64] نفسه، ص ٤٣.

[65] الهادي السنوسي. شعراء الجزائر في العصرالحاضر.ص ٩٩ وص ١٨٦

وهكذا فشت البدع والخرافات وحُورب الاجتهاد وكثرت أراجيز ومنظومات المدح والثناء الصُّوفية والأوراد،مما انعكس على الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية كما رأينا، فأصبح الوضع في وجهه الديني والاقتصادي والثقافي شبيها إلى حد ما بأوضاع أوربا في القرون الوسطى، حيث سيادة الجمود وصكوك الغفران والإقطاع، فنجد أن رئاسة الزوايا صارت وراثية ، وصار شيخها يمنح العفو والمغفرة كأنه وسيط بين الله والمريدين ،فيضمن المغفرة للعُصاة ، وتكفي المُريدين أوراد الزاوية عن الصلاة، وزيارة قبور أهل الزاوية وشدِّ الرِّحال إليها عن الحج، فصار رِضا شيخ الزاوية عند الناس هو رِضا الله.

٢- ميزاب:

عُرف المجتمع الميزابي بعاطفته الدينية القوية ، وهي الخاصية التي جعلته يسكن المنطقة ويفرُّ بمذهبه الإباضي حتى يحافظ عليه، وأمام انعدام الإمامة ابتكر الإباضيُّون نظام العَزَّابة كنظام بديل يسيرون به شؤونهم في مختلف الأصعدة، وهكذا عرفوا استقرارا نسبيا لم يُنغِّصه عليهم غيرَ وصول الفرنسيين إليهم.[٦٦]

وظلت العزَّابة تسير شؤون البلاد وتصدر الفتاوي وتحدد المكاييل والمقاييس وتعين موظفي المحاكم، أما شيخها فهو من يرأس المحكمة (قاض)، بينما يستأثر مجلس عمي سعيد بالقضايا التي ترفع إليه من مختلف هيئات العزابة من كل مدن ميزاب. [٦٧]

ويتوسع جهاز العزابة ليشمل المرأة الميزابية، فكانت لها هيئة تدعى الغاسلات (امصوردان) تتكفل بتجهيز الموتى من النساء والأطفال، وتنظيم الأعراس ومحاربة المنكرات والبدع في المآتم. [٦٨]

---

66 مثل الأذان ،الإمامة ،التعليم، تنظيم الاوقاف وحفظها ، تجهيز الأموات ، القيام بشؤون المساجد ،تقويم سلوك العامة ووضع حد للإسراف والبدع والمهور ومراقبة تسيير المجازر(الذبح الشرعي) والأسواق.انظر : وادي ميزاب.أقسام السلطة بوادي ميزاب . ع ٩٠ ،٦ جويلية ١٩٢٨.

67 الحاج محمد (عمر بن عيسى بن إبراهيم). مصدر سابق. ص ٩.

وليس أدل على تشدُّد هذا المجتمع من مواصلته استعمال سلاح "البراءة" ضد كل مخالف لمبادئ المذهب بعد الوعظ والإنذار والجلد ،وتشكل البراءة عقابا اجتماعيا يرتكز على أساس ديني وهو البراءة والولاء حيث يقاطع الإباضيون مرتكب الكبيرة ويهجرونه، و ويعلنون هذا حتى في شمال البلاد إلى أن تتم توبته. [٦٩]

و لم تكن أولى المواجهات مع الاستعمار اقتصادية أو ثقافية، بل كانت دينية بحتة عندما سُلب الميزابيون حق الإشراف على القضاء الشرعي، وألغيت كثير من المحاكم ورُشِّح لها غيرُ الأكفاء ، مما هدَّد المجتمع كلَّه لعلاقة القضاء الوثيقة بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث وعقود وجرائم ومخالفات..إلخ.

---

[68] وادي ميزاب. أقسام السلطة... ع ٩٠.

[69] دبوز. نهضة... ج ٢، ص ص ٢٠٩،٢١٠. نذكر هنا براءة عزابة غرداية من القايد عندما استعمل الموسيقى ١٩٠٦، وكذا عزابة القرارة..الخ. وهذا التشدد هو الذي جعل اللجنة الفرعية المكلفة بالبحث في الجزائر تصف شعور الميزابيين الديني بالقوي جدا ، وانهم متعصبون في حياتهم الدينية والعائلية، وانهم امة نزوع الى الاستقلال الذي ترى فيه ما يحقق لها استقلالها الديني وحريتـــها في العبـــادة حسب مذهبها الإباضي .للمزيد انظر:الحاج محمد عمر بن عيسى بن ابراهيم.مصدر سابق. ص ص ٤٥-٤٦.

ثانيا– عوامل ظهور الحركة الإصلاحية وانتعاشها في المنطقتين:

تتميز العوامل التي تقف وراء الحركات الفكرية والدينية بأنها متشابكة ومتشابهة ومتزامنة التأثر والتأثير في بعضها البعض، إلى درجة يصعب معها تصنيفها ووضعها في إطارها الزمني والموضوعي الصحيح، وضعًا يفي بغرضها ويتحمل مؤداها ولايتجاوز معناها،ولهذا سنحاول تقسيم عوامل ظهور الحركة الإصلاحية في المنطقتين وانتعاشها إلى عوامل خارجية وداخلية،وأن نلزمها بالدخول داخل عناوين فرعية قد تقترب من العامل أحياناأ ولكنها تجد مناسبة أخرى أفضل لشرحها والتوسع فيها،كما أن كثيرا من هذه العوامل سيواصل فعله حتى بعد انطلاق الحركة الإصلاحية واشتداد ساعدها فيكون مظهرا لها وعاملا فيها ونتيجة لها أحيانا.

١– العوامل الخارجية:

١– انتشار الفكر الاصلاحي:

تعود بدايات إشكالية عصر النهضة الحديث أو الفكر الإصلاحي إلى احتكاك العالم الاسلامي بالعالم المسيحي، أين ظهرت ضرورة ماسة لوجود نظم ومؤسسات تنهض بالعالم الإسلامي أمام التطور الأوربي المطَّرد الذي شمل كل مجالات الحياة. وأفرزت هذه الحالة مأزقا شتت اتجاهات النخبة الإسلامية التي كانت في مجموعها متأثرة في حقيقة الأمر بالتجارب الأجنبية للأمم الأخرى،فظهرت نزعة تدعو لنفض الغبار عن التراث العربي الإسلامي والحلول التي تنطوي عليها التجارب الإسلامية والنصوص القرءانية، في حين تطرَّفت نزعات أخرى ونادت بالذوبان في المدنية الأوربية التي مثلت أوجَّ ما بلغه الفكر البشري وقتها، بينما ظهرت نزعات أخرى تمزج بين الرأيين تارة تميل نحو هذا وتارة أخرى نحو ذاك.وإجمالا تعود هذه النهضة إلى العوامل التالية:

– تأثير حملة نابوليون بونابارت،فمنها عرف المصريون ومن بعدهم العالم العربي الحضارة الاوربية والمطبعة والبحث العلمي والتجهيزات ...بعدما كانوا لايعرفون عن أوربا سوى جانبها العسكري.

– انفتاح البلاد العربية أمام الإرساليات الاوربية التبشيرية التي حركت التحدي والمنافسة واستثارت العالم العربي الخامل.[٧٠]

– دور البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي الى باريس حيث عادت بأساليب ومظاهر الحضارة الاوربية متزعما هذه البعثات رفاعة رافع الطهطاوي المتأثر بأفكار الثورة الفرنسية التي قلبت وجه أوروبا.

وسنتطرق باقتضاب للتيارات الإصلاحية الكبرى التي تركت آثارها الواضحة على الإصلاح في الجزائر خلال الفترة المدروسة.

– جمال الدين الأفغاني:[٧١]

لم تأخذ كلمة الإصلاح مدلولها الحقيقي إلا مع جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، ورغم أنها استعملت منذ زمن بعيد في الخطاب النهضوي الإسلامي إلا أنها ظلت سطحية،فقد قاما بإثراء المرجعية القديمة بأخرى جديدة، فكانت حركة الأفغاني استمرارا للحركة التي ظهرت على يد الغزالي في كتابه "**إحياء علوم الدين**" ،و على يد ابن تومرت وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب .[٧٢]

---

[70] الحداد (محمد).محمد عبده.قراءة جديدة في خطاب الإصلاح الديني.دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،ط١ ،٢٠٠٣،، ص٣٠.

[71] ولد في أوت ١٨٣٨ في كابول ثم انتقل إلى قزوين ومنها إلى طهران فالنجف أين درس المنطق والفلسفة والتفسير وعلم الكلام والطب،ثم انتقل إلى الهند حيث درس العلوم الأوربية الحديثة،حج مكة في سنة ١٨٥٧، شغل بعد عودته إلى كابول رئيس وزراء في دولة الأمير محمد أعظم خان،ليغادر إلى الهند وينفى منها إلى مصر ومنها إلى الاستانة حيث عينه السلطان عبد العزيز محمود عضوا في المجلس الأعلى للمعارف لكن مؤامرات الصُّوفيين والتقليديين أخرجته إلى مصر حيث أسس الحزب الوطني الحر وكوَّن تلامذة له هناك (مثل محمد عبده،وحسين الطويل.إلخ.)،نفي بعدها إلى الهند ومنها إلى باريس اين أسس جريدته العروة الوثقى سنة ١٨٨٣،ومنها عاد إلى الاستانة ليتبنَّى مشروعه **الجامعة الإسلامية** لكن بوفاة عبد الحميد الثاني زال المشروع مثلما سيزول مشروعه دمقرطة إيران والنهوض بها.للمزيد انظر: أبوحمدان. مرجع سابق.ص ص ١٦، ٥٢.وكذلك عمارة (محمد).جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام .دار الوحدة،بيروت ،لبنان،دط،١٩٨٤، ص٤٩

[72] بن عيسى(حنفي). تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر. الثقافة،١٩٧٧،ع٣٢، ص ١٠٨.

تميزت حركة الأفغاني بالتوتر والعنف والتركيز على السياسة رغم تردُّده أول الأمر بين إصلاح الدين والأخلاق أو إصلاح السياسة،ويذهب الأستاذ محمد الحداد إلى أن دعوة الأفغاني قد زادت تطورا وتوسعا بفضل مطالعته لكتاب المؤرخ الفرنسي فرانسوا غيزو "**تاريخ الحضارة في أوربا**" الذي ترجمه إلى العربية الأديب حسين نعمة الله بعنوان "**التحفة الأدبية في تاريخ الممالك الأوربية**". [٧٣]

ناضل الأفغاني لإصلاح السياسة، ولعل ارتباطه بمناصب سياسية كثيرة يُبرر توجُّهه هذا، فقد سعى إلى دمقرطة الحكم في كابول وإيران عندما شغل منصب رئيس الوزراء فيها،كما أشاع الفكر السياسي في اسطنبول عند السلطان عبد العزيز محمود (بين سنتي ١٧٦٠-١٨٧٦) ،وتحالف مع رياض باشا في مصر والخديوي توفيق ،وأسس الحزب الوطني الحر سرا،كما انضم إلى "الماسونية" مؤقتا،وعَرض تحالفَه مع روسيا لطرد الانجليز من الشرق الإسلامي والهند، كما كانت مجلته **العروة الوثقى** التي أصدرها في سنة ١٨٨٣ منبره للتعبير عن أفكاره والمجاهرة بعدائه للانجليز وفضح مخططاتهم،ووجد في السلطان عبد الحميد الثاني حليفه الوحيد للوقوف ضد الاستعمار الذي "يكاد يغرقنا جميعا" كما يقول السلطان العثماني، وقد وصف الأفغاني مشروعه **الجامعة الإسلامية** بقوله :" نُنشئ ونؤسس اتحادا واتفاقا قويا ثابت الأركان لايقبل الخلل من الشعوب الإسلامية حتى يمكن بفضل تلك الوحدة أن تَمُد أُممُ الجامعة الإسلامية يد المودة والإخاء بعضها إلى بعض،وتنهض بالصناعة والعلوم في ظل الاستقلال القومي والاتحاد الإسلامي،ولكي يصل لها التوفيق بعون الله تعالى لاسترجاع تلك القوة العظيمة السابقة ولا تتأخر عن ركب السعادة والرقي".[٧٤]

---

[73] الحداد. المرجع السابق. ص ٣٢. وأيضا أبو حمدان.مرجع سابق.ص٣٨. و كذلك: عمارة. مرجع سابق.ص٤٩.

[74] تصور الأفغاني هذه الفكرة بقيامها على تنازل السلطان على الأماكن المقدسة عند الشيعة لشاه إيران مقابل اعتراف شاه إيران بالخلافة العثمانية،وعقد مؤتمر إسلامي موسع في اسطنبول للزعماء والعلماء السنة والشيعة لحسم الخلاف .انظر: أبو حمدان.مرجع سابق،ص٥٩.

ورغم فشل هذا التحالف بمماطلة ثم رحيل السلطان عبد الحميد إلا أن أفكار الأفغاني قد استمرت عبر مقالاته وتلاميذه أمثال محمده عبده وأحمد الطويل وعبد الله النديم...رغم ما وُجِّه إليه من نقدٍ بعد رحيله من أن تَصوُّره تُجاه الإصلاح العلمي والتربوي والاجتماعي كان ناقصا،وأن عداءه للإنجليز قد عجّل بفشل مشروعه...وهذا النقد جاء حتى من تلميذيه محمد عبده ومحمد رشيد رضا .[٧٥]

– رفاعة رافع الطهطاوي:

مثَّل الطهطاوي قناة التواصل الشرقي والغربي، وقد أتاحت له رحلته إلى باريس نقل إعجابه وتأثُّره بالحضارة الأوربية من خلال كتابه (**تلخيص الإبريز**)، ودعوته للنظم الديمقراطية والاهتمام بالتربية والتعليم والمرأة..كما أفادت ترجماته لعدد من الكتب والمصادر الفرنسية في اطلاع العرب والمصريين خصوصا على الحضارة الاوربية التي لم يسبق لهم معرفتها.

ومن المهم أن نذكر هنا أن أفكار الطهطاوي لهدوئها وعدم اصطدامها بالنظم القائمة لقيت دعما منها، بل الأكثر من ذلك نجد أنها انتقلت إلى خارج مصر،فقد نقل المغاربة كتابه إلى المغرب الأقصى،وقام أحد الوزراء المغاربة بوضع كتاب على شاكلته عندما زار فرنسا سماه :" **تحفة الملك العزيز بمملكة باريز**" ضدهم، لهذا سعوا إلى معرفة هذا الوافد الجديد من حيث نظمه وأساليبه وحياته وعلومه وفنونه.[٧٦]

– عبد الرحمن الكواكبي:

---

[75] محمود قاسم. موقف جمال الدين **الأفغاني** من الإصلاح العلمي ومناهج الإصلاح عند أحمد خان ومحمد عبده. الثقافة، ع ٨٢، أوت ١٩٨٤، ص ص ٢٣، ٢٤.

[76] المجلة التاريخية المغربية. رفاعة الطهطاوي وإدريس العمراوي نموذج للتواصل الثقافي بين مصر والمغرب. أوت ١٩٩٠، ص ٢٥٨.

.يمكن أن نصف مشروع الكواكبي بالديمقراطية الدستورية المُتديِّنة،فرغم تحمُّسه للديمقراطية ومحاربة الاستبداد إلا أنه لايغفل عن دور الدين وركيزتيه القرءان والسنة بُغية توحيد العدد الكبير من المذاهب الإسلامية المتناثرة،فالكواكبي وفي للنسب القرشي في انتخاب الخليفة الذي يجب أن يتم انتخابه من طرف ممثلي البلاد الإسلامية.[٧٧]

ورغم مواقفه الكثيرة لمحاربة التصوُّف والتقليد وإحداث البدع في الدين والاقتصار على العلوم الدينية بحجة عجزها عن مقارعة الاستبداد،ودعوته المُلِحَّة لفتح باب الاجتهاد،إلا أن الكواكبي كان ممن يؤمنون بأن الإصلاح السياسي أسرع وأقرب،ولهذا كانت رحلاته وكتبه كلها في سبيل محاربة الاستبداد،فأجاب من خلال كتابه "**طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**" عن معنى الاستبداد وسببه وأغراضه وأنذاره ودوائه مما قاده إلى مباحث أخرى كطبائع الاستبداد ،ولماذا يكون المستبد شديد الخوف؟ ولماذا يستولي الجبن على رعية المستبد؟ وما تأثير الاستبداد على الدين؟ وعلى العلم؟ وعلى المجد؟ وعلى المال؟ وعلى الترقي؟ وعلى الأخلاق؟ وعلى التربية؟ وعلى العمران؟ ومن هم أعوان المستبد؟ وهل الاستبداد يتحمل؟ وكيف يكون التخلُّص من الاستبداد؟ وبماذا ينبغي استبدال الاستبداد؟

ونظرا لمخاطبة الكواكبي للنُّخبة فقد ظلت دعوته حبيسة الصحف والتجمعات السرية التي كان يعقدها، و لم تنقلها العامة أو تتبنَّاها. [٧٨]

– محمد عبده:

---

[77] نوربير.مرجع سابق ،ص٦٨. ولد الكواكبي في ١٨٥٤ بحلب ،أتقن العربية والتركية والفارسية،ناضل بالصحافة حيث اسس الشهباء ١٨٧٦ ثم الاعتدال، ونشر في مصر كتابيه أم القرى وطبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.عُرف بعدائه الشديد للأتراك،توفي مسموما ١٩٠٢.انظر:نوربير تابيرو. الكواكبي المفكر الثائر. ،منشورات دار الاداب، بيروت ،ط٢، ١٩٨١، ص٧، ترجمة علي سلامة.

[78] عبد الرحمن الكواكبي. طبائع الاستبداد. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، موفم للنشرالجزائر، ص٧.

رغم النشأة الصوفية لمحمد عبده (الشاذلية عن طريق أخواله) إلا أن دخوله الأزهر سنة ١٨٦٦ ولقاءه الأفغاني في سنة ١٨٧١ في مصر ساهم في تحوله إلى الإصلاح، وقد فتح حصوله على شهادة العالمية سنة ١٨٧٧ بابَ الأزهر له للتدريس فيه.

وعُرِف محمد عبده بإصلاحه التعليمي عَبر مشروعين، المشروع الأول الذي لم يستطع التخلص من اللون التقليدي وهذا في سنة ١٨٨٧،والثاني في سنة ١٨٨٩ والذي خلص فيه إلى أن الإصلاح السياسي هو ابن الإصلاح التعليمي ونتيجته المباشرة،وكان دعمه لدار العلوم – رغم ارتباطها بسلطات الحماية الانجليزية – تعبيرا منه عن اهتمامه بتحديث التعليم، وإعداد جيل صالح مكون وقوي.

ونجد من بين أهم اقتراحات الشيخ محمد عبده داخل الأزهر اقتراحه كتبا جديدة لتدريسها كمقدمة ابن خلدون...والتخلي عن الحواشي، وإخضاع الأزهر لنظام إداري وبرامج دراسية مُلزمة للمدرسين،ووضع تراتيب للامتحانات والمكتبات والإقامات،وإدراج مواد دراسية عصرية مثل الحساب والهندسة والجغرافية..مع إحياء المصادر اللغوية والدينية وتحقيقها،رغم أن هذه المقترحات لن تجد طريقها للتحقيق لوقوف المحافظين ضدها. [٧٩]

وعاب محمد عبده على أستاذه الأفغاني عدم اهتمامه بالمرأة والمجتمع، لذا تقارب موقفه منها مع موقف الطهطاوي وقاسم أمين،لأن عبودية المرأة لن تُنتج للمجتمع سوى جيل مُستعبد في رأي الشيخ محمد عبده.

وراهن محمد عبده في الإصلاح على الوعظ والمجالس ،لكن ظلّت الصحافة وسيلته الأساس ،وهذا بتأثير من أستاذه الأفغاني في **العروة الوثقى**،فكتب في جريدة **الأهرام** ، كما أشرف على

[79] الحداد. مرجع سابق. ص ص137، ١٤٠.

جريدة **الوقائع المصرية** (الحكومية)،و لعب فشل الثورة العرابية في سنة ١٨٨١ وإغلاق **العروة الوثقى** دورهما في توجيه عبده نحو الإصلاح الاجتماعي خاصة مع تولِّيه منصب مفتي الديار المصرية سنة ١٨٩٩.[٨٠]

وبصفة عامة يمكن القول أن إصلاح محمد عبده يقوم على ركيزتين هما :تحرير الفكر من قيود التقليد والعودة إلى الأصول (السلف)،وإصلاح الأساليب اللغوية العربية بما يتوافق وروح العصر ويظهر هذا في التربية والمجتمع.أما تكوين الوعي السياسي لدى الأمة العربية والإسلامية تجاه السلطة الحاكمة فهو أمر ثانوي عند الشيخ محمد عبده [٨١]، رغم أن إصلاحه مسَّ جوانب متعددة كالتربية (كترجمة كتاب هاربرت سبنسر)، والمرأة (مثل الفصول التي شارك بها في كتاب قاسم أمين **تحرير المرأة**)، وكالسياسة (في كتابيه **المستبد العادل** و**الرجل الكبير في الشرق**)، وحتى الطُّرقية والماديين (**رسالة الرد على الدهريين**)، والتاريخ وصراع الحضارات (مثل ردوده على هانوتو، وكتابه **الإسلام والردُّ على منتقديه**،**الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية**).

وبالنسبة لتأثير عبده في المغرب فنقول أن أهم هذه المحطات هي زيارته لتونس في ١٨٨٤ التي دامت أربعين (٤٠) يوما والتي كانت بطلب من محمد السنوسي الذي كان قد زاره في مصر سنة ١٨٨٢ ،وأسس أثناءها فرعا لجمعية **العروة الوثقى** بتونس ضمت أعضاء كثيرين.

ثم جاءت زيارته الثانية لتونس في سبتمبر ١٩٠٣ في وقت زادت فيه شهرته منذ توليه مفتيا عاما للديار المصرية، فأحدث ضجَّة كبيرة حتى أن :" أندية العلم قد اهتزت لمقدمه".فالتقت به شخصيات تونسية علمية مثل صاحب جريدة **الحاضرة** و الشيخ الطاهر بن عاشور (١٨٧٩-١٩٧٣) و الشيخ

---

[80] أبوحمدان. مرجع سابق. ص٢١.

[81] نفسه، ص٥٠.

محمد النخلي القيرواني الذي درس عددا من الطلبة الجزائريين،كما أن جماعة الجمعية **الخلدونية** قد تحمسوا له وهيأوا له مقر جمعيتهم ليلقي محاضرته هناك .[٨٢]

كما أحدثت زيارة عبده للجزائر في سنة ١٩٠٤ ضجّة كبيرة، وهذا بُحكم معرفة الجزائريين له قبل وصوله إليها،ورغم عمل فرنسا على مراقبته واستغلال الزيارة لصالحها فقد احتك به أنصاره وأعاد إليهم الثِّقة للنهوض بالإصلاح.[٨٣]

– محمد رشيد رضا:

يعد فكر الشيخ محمد رشيد رضا امتدادا لفكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده لمعاشرته الأخير وتأثره به، فقد وُلِد رضا بالقلمون بطرابلس الشام سنة ١٨٦٥،وهاجرت عائلته إلى مصر حيث تبنى أفكار الأفغاني ودافع عنها، وساهمت دراسته بالمدرسة الوطنية الإسلامية التي يُشرف عليها محمد حسين الجسر (١٨٤٥–١٩٠٩) المُتأثِّر بالأفغاني في تحمسه له،كما تَأثَّر رضا بتراث الغزالي خاصة كتابه "المُنقِذ من الضَّلال"،وبما كان يُترجَم له من كتب ومجلات أوربية في التربية وعلم الاجتماع.

وتراسل رضا مع الأفغاني وعبده، ثم درس على الشيخ محمد عبده في المدرسة السُّلطانية بين سنتي ١٨٨٥و ١٨٨٩، وانتقل معه إلى مصر كاتباً في **العروة الوثقى**،وفتح انتقاله إلى مصر له بابَ التعاون مع عبده لإصدار مجلة **المنار** التي عكست نشاطه الذي أثنى عليه عبده بقوله: " أنشأ لي أحزابا و أوجد لي أصحابا " ،مشيرا إلى دور رضا وتأثير مجلته **المنار** الواسع ، خاصة في بلاد المغرب. [٨٤]

وقد فسحت وفاة الشيخ محمد عبده (سنة ١٩٠٤) الطريق أمام الشيخ محمد رشيد رضا للبروز كزعيم إصلاحي وحيد للتيار السلفي وأصبحت **المنار** تعبر عن وجهة نظره وحده، كما شرع في

---

82 رشيد الذوادي.محمد عبده والمشهد الاصلاحي التونسي. الهداية، تونس، ع١٦٠، أفريل ، ٢٠٠٤، ص٣٠.

83 سعد الله . الحركة الوطنية الجزائرية.ج٢،ص.١١٥

84 المراكشي(محمد صالح). تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار ١٨٩٨–١٩٣٥.الدار التونسية للنشر،تونس،دط،١٩٨٥،ص ص ٤٠، ٤٥.

تأسيس المدارس والجمعيات ولعب الأدوار السياسية بعدما التزم خلال حياة أستاذه بالإصلاح التربوي والاجتماعي فقط،فتركز نضاله حول تحقيق جامعة إسلامية تكون رابطة سياسية حيوية توحد العرب والأتراك لمقاومة نزعات الانفصال الوطني،ثم تطور هذا إلى مقاومته الشديدة للاستعمار الأوربي والعمل على تحقيق استقلال البلدان العربية التي انفصل أهلها عن الدولة العثمانية،وهذا النشاط كان يسير بالموازاة مع الاهتمام بالصحافة والزيارات المتعددة للبلاد العربية.[٨٥]

وفِكْرُ الشيخ محمد رشيد رضا هو أقرب إلى فكر الشيخ محمد عبده منه إلى فكر الشيخ جمال الدين الأفغاني رغم أنه لايخفي اهتمامه بالإصلاح السياسي، فنادى رضا بمهادنة الانجليز والتقرب منهم حمايةً للمشروع الإصلاحي، بل دعا كلَّ مصلحٍ لهذه الخطة، مُستوحياً هذا من إصلاح أحمد خان (توفي سنة ١٨٩٨) في مدرسة عليكرة بالهند،لهذا كتب في **المنار** قائلا : "...إن مسلمي الهند لم يسبقوا مسلمي مصر إلى الاشتغال بالإصلاح، وإنما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية (مدرسة عليكرة)،وليعلم مسلمو مصر أن مدرسة العلوم في عليكرة لم تنجح إلا لأن مؤسسيها كانوا على عهد زعيمهم السيد أحمد خان إلى الآن على وفاق مع السلطة الانجليزية وتحسين الظن بها".[٨٦]

ولهذا جمع رضا بين فكر أُستاذَيه ،ووجد الطريق مُعبَّداً لإصلاحه خاصة من خلال اتساع انتشار مجلته **المنار**.

٢- وصول فكر الجامعة الإسلامية والقومية العربية إلى الجزائر:

ذكر القنصل الفرنسي في مصر في أحد تقاريره أن عددا من الجزائريين كان يتجمَّع حول محمد

---

[85] ربان (محمد رحائي). رشيد رضا ومجلة المنار مابين ١٨٩٨-١٩١٩. الحياة الفكرية في الولايات العربية، المجلة التاريخية المغربية، ص ٤٦.

[86] رضا (محمد رشيد).المنار.مجلد٩،ج٤، ٢٤ ماي ١٩٠٢. عارض الأفغاني أحمد خان واتهمه بالكفر وأنه يقتل المسلمين رحمة بهم،وهذا لمحايدة مدرسته وعدم تحمسه لقيام دولة هندية مستقلة واعتماد الحكم النيابي، وأثبت التاريخ صحة وجهة نظره ما يقول رضا أعلاه وكما وصفه لوثروب ستودار بأنه أفضل مثال للمصلحين. انظر: قاسم، مرجع سابق، ص ص ٢٣، ٢٤

عبده وغيره من زعماء الجامعة الإسلامية ،وازداد هذا العدد بعد تولي الشيخ محمد عبده منصب الإفتاء في مصر،وبلغ تأثر الجزائريين بالشيخ محمد عبده أن جعله بعضُهم رئيساً شرفياً لجريدته (مثل **المغرب**)،كما أشاد به آخرون شعرا ونثرا أمثال أبو بكر شعيب بن علي ومحمد بن عبد الرحمن الدِّيسي[٨٧]..وغيرهم ممن سجّلت المنار قصائدَهم،إضافة إلى كبار العلماء أمثال مصطفى بن الخوجة وعبد الحليم بن سماية وعبد القادر المجاوي..وغيرهم.

ومن أبناء الزيبان المتأثرين بالشيخ محمد عبده نجد الشيخ محمد الخضر الحسين الذي تعرَّف على الشيخ محمد رشيد رضا تلميذِ الشيخ محمد عبده، وعرَّف به محمد البشير الابراهيمي في زيارة قادتهما إليه في مترله بدمشق .[٨٨]

وابتداء من نهاية الحرب العالمية الأولى أخذت المدرسة "**العبدوية**" في الظهور والعطاء ، وقد مثَّلها في الجزائر مصلحون شباب هم عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩-١٩٤٠) ومحمد البشير الإبراهيمي(١٨٨٩-١٩٦٤) والطيب العقبي (١٨٩٠-١٩٦٠) ،وهذا حسبما يرى الأستاذ أبو القاسم سعدالله،رغم أن العقبي كان أكثر تأثرا بالوهابية منه بالاعتدال والانفتاح العبدوي ،ولهذا كتب الإبراهيمي في السِّجل: " بأن عبده هو أندى المصلحين صوتاً وأبعدهم صيتاً في عالم الإصلاح"، وبأن جمعية العلماء تنتسب إلى فكر الشيخ محمد رشيد رضا. [٨٩]

وهكذا فإن تصوُّر الجزائريين للجامعة الاسلامية قد صِيغ من خلال الإقبال على **العروة الوثقى** وتتبع أخبار الأمير عبد القادر في سوريا ومحمد بيرم التونسي ومحمد السنوسي صاحب

---

87 حرفي. المقاومة. ص١٢٣.

88 الإبراهيمي (محمد البشير).جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي،دار الكتب،الجزائر، المطبوعات الجميلة، ١٩٨٢، دط ص ٤٥.

89 سعدالله. تاريخ الجزائر الثقافي.ج٥،ص ص٥٩٢، ٥٩٤. و أيضا سجل جمعية العلماء. ص ص ٤١، ٤٤

الحاضرة[٩٠] ، ولعبت تونس دور الحلقة الإصلاحية بين أفكار خير الدين التونسي (توفي ١٨٩٠) والأفغاني وعبده وخرِّيجي المعاهد الأوربية فيها. [٩١]

ويدلنا على هذا التأثير تخوف السلطات الفرنسية من تأثيرات الجامعة الإسلامية ،لهذا لجأت إلى منع الحج في عدة مرات بحجج مختلفة في سنوات ١٩٠٣ و ١٩٠٤ و ١٩٠٨ و ١٩١٠و ١٩١١ و ١٩١٢...وحذَّرت مِن أن عدد الطلبة الجزائريين في الأزهر أكبر من عددهم في المدارس الشرعية الفرنسية بالجزائر[92] .

وربما يمكننا القول أن الميزاب هم أكثر الجزائريين تأثرا بفكر الجامعة الإسلامية بحكم علاقتهم الوثيقة بالثَّعالبي فهم من تكفل بدعمه لطبع كتابه "تونس الشهيدة" وهم من دعَّم حزبه (**الحزب الدستوري التونسي الحر**) الذي كان الميزابي صالح بن يحي عضوا في لجته التنفيذية ،كما أن الثّعالبي كان دائم التردد على مقر البعثة الميزابية تونس (بني يزقن) في تونس ،وعند تأسيسه لجمعيته السرية في سنة ١٩١٧ استعدادا لحرب متوقعة لتحرير المغرب ونصرة الدولة العثمانية تولى صالح بن يحي تجنيد وتأطير ميزابيي تونس أمثال: أبي اليقظان ويوسف بن بكير وعبد الله بن إبراهيم أبو العلاء والناصر بن صالح الملالي وأحمد بن الحاج إبراهيم بن كاسي وعمر بن محمد بوحجام. [٩٣]

---

[90] الجندي (أنور). الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا.دار الطباعة،القاهرة،مصر،دط،١٩٦٥، ص٣٩.

[91] مناصرية (يوسف).الحزب الدستوري الحر التونسي ١٩١٩-١٩٣٤. دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط١ ،١٩٨٨، ص ٢٤ .

[92] Ageron, op.cit, pp.898.899.

[93] عبد العزيز الثعالبي:سياسي ومفكر تونسي من أصل جزائري،ولد في تونس ١٨٧٤،تعلم بها وانضم إلى الخلدونية،شارك مع الييبين ضد ايطاليانثم انتقل إلى مصر وتاثر برشيد رضا،اسس حزب الدستور التونسي الحر ١٩٢٠،شارك في المؤتمر الإسلامي بالقدس١٩٣١،توفي في ١٩٤٤،عرف بكتابه تونس الشهيدة.انظر : أبوعمران (الشيخ). سعيدوني(ناصر الدين) وآخرون.معجم مشاهير المغاربة.جامعة الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، دط،دت،، ص ص ١٢٦، ١٢٧. وأيضا دبوز. أعلام الإصلاح.ج٣، ص ٢٣٤ .

وبدوره تأثَّرَ الشيخ إبراهيم بيوض أيضا بدعوات المصلحين في الشرق أمثال عبده والأفغـــاني ومحمد رشيد رضا والكواكبي وشكيب أرسلان[٩٤]، خاصة بعد لقائه هذا الأخير في الحج سنة ١٩٢٩ أين ترك فيه أثرا وتحمسا كبيرين،ودليل هذا الاهتمام تخصيصُ أبي اليقظان عدداً كاملاً مـــن **الأمّـــة** لشكيب أرسلان وجهاده، وتخصيصه عددا من **الأمّة** لتأبين الشيخ محمد رشيد رضا ورثاء أبي اليقظان له بقوله:"...كيف لايبكي دماً كلُّ نادٍ إصلاحي وكلُّ معهد علمي وكلُّ مجلس شرعي وكلُّ منـــبر ومحراب في الشرق والمغرب،وقد انهار طودٌ من أطواده طالما اهتدى به في ظُلمات المشاكل".[٩٥]

ومن جهة أخرى احتكَّ الميزابيون بسليمان الباروني المعروف بتبنِّيه فكر الجامعة الإسلامية ،فتعرَّفوا عليه في زيارته وتتلمذه على القطب في سنة ١٩٠٧ ببني يزقن، ولقائه أبا اليقظان ثانية في تونس سنة ١٩١٣ ، وقدومه مرّة أخرى لتعزية ميزاب في وفاة شيخها القطب في سنة ١٩١٤، كما عُرف الباروني بدعمه الكبير المادي والمعنوي لمدرسة الصِّديقية بتبسة ثم للبِعثة الميزابية بتونس حيث زارها وتراسل مع المشرفين عليها (أبواليقظان،الثميني..)، وظلت صحافة الإصلاحيين بعد ذلك زمنا طويلا حتى آخر الثلاثينات تمدحه وتعتبره بطلاً قومياً وإسلامياً.

---

[94] إبراهيم بن عمر بيوض:زعيم الإصلاح الميزابي ،ولد في القرارة في ٢٢ أفريل ١٨٩٩،تتلمذ على يد الشيخ محمد بن الحاج يوسف ثم الشيخ إبراهيم بن عيسى الابريكي من سنة ١٩٠٨ إلى وفاته سنة ١٩١١ حيث خلفه الشيخ عبدالله بن إبراهيم أبو العلا،في سنة ١٩١٣ انتقل بيوض إلى معهد الشيخ الحاج عمر بن يحي (نور القلب) عامين وبقي مساعدا له إلى وفاته في عام ١٩٢١، وواصل بعده التدريس في معهده ثم تحول إلى دار أوقفها والده لتعليم الصبيان فكانت نواة معهد الحياة وبدأت دروسها يوم ٢١ ماي ١٩٢٥. دخل العزابة في سنة ١٩٢٢ إلى جانب التدريس والوعظ بالمسجد،عضو مؤسس لجمعية العلماء مساعد أمين صندوق المال،مؤسس جمعية الحياة بالقرارة سنة ١٩٣٧،ورئيس هيئة العزابة سنة ١٩٤٠،فرضت عليه الإقامة الجبرية بالقرارة بين سنتي ١٩٤٠-١٩٤٤،انتخب ممثل ميزاب في المجلس الجزائري عام ١٩٤٨،كلف بالثقافة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية،ثم رئيسا لمجلس عمي سعيد مع مواصلة الوعظ والتدريس بميزاب. جمعت أعماله في **رحاب القرءان** (تفسير) و **فتاوي الشيخ بيوض وأعمالي في الثورة**. انظر دبوز. أعلام الإصلاح.ج٣؛ وكذلك بن بكير.تاريخ بني ميزاب، ص ص ٢٢٧، ٢٢٩ ،- أما شكيب أرسلان (١٨٦٩-١٩٤٦) فهو مصلح سياسي، ولد بلبنان ثم انتقل إلى سوريا ومنها إلى مصر فألمانيا أين أصدر مجلته الأمة العربية عام ١٩٣٠ . أنظر ترجمته في: عويمر(مولود). شكيب أرسلان ودوره في تحرير المغرب العربي. المجتمع، الكويت، العدد ١٤٤١، مارس ٢٠٠١.

[95] ناصر(محمد). الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما. مكتبة الريام، الدار البيضاء، الجزائر، ٢٠٠٥، ص١٧ . أبو اليقظان. الله أكبر مات رشيد رضا.ع٤١، ١٠ سبتمبر ١٩٣٥. وانظر أعدادا تناولت أعماله وأخباره مثل ع٤٥، ٤٧، ٤٩.

٣- دور المهاجرين الجزائريين:

خرج الجزائريون من بلادهم بعد تعرُّضهم للاحتلال وفَشَلِ مقاوماتهم ضدَّه،إلا أنهم ظلوا محافظين على صِلاتهم مع ذويهم مراسلةً أو زيارةً،وكانت وجهاتهم تونس ومصر وبلاد الشام والحجاز طالبين للأمن ثم للعلم.ففي مصر راحت التقارير الفرنسية مع بداية القرن العشرين تُحذر من عدد الطلبة الجزائريين المتزايد، وفي تقرير سنة ١٩١٦ تذكر أسماء تسع وعشرين(٢٩) طالبا منهم سبعة طلبة (٧) من عمالة قسنطينة كما فيها أسماء من الزيبان هي نسيب سعيد من سيدي عقبة وصادق بن خليل من أولاد جلال والبشير العروسي من ليانة..إلخ. [٩٦]

وبين سنتي ١٩١٠ و١٩١٢ فقط هاجر مئة وسبعة عشر شخصا (١١٧) إلى سوريا من بسكرة وتقورت وأولاد جلال، هذه الأخيرة التي استطاع سبعون شخصا (٧٠) منها الوصول إلى تونس من أصل ثلاثة مئة (٣٠٠) عائلة، مما دفع بالقنصل الفرنسي في الإسكندرية إلى الكتابة في سنة ١٩١٤ : " فقد اتخذت هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي خلال هذه الفترة تطورات هامة خاصة بين أهالي الجنوب الجزائري في عين ماضي وتماسين وأولاد جلاَّل وتوقرت ومناطق الزيبان .[٩٧]

وقد وصل عدد الجزائريين في تونس حوالي خمسة وعشرين ألفا (٢٥٠٠٠) حسب القنصل الفرنسي بتونس.[٩٨]

---

[96] بلغيث (محمد الأمين). الطلبة الجزائريون بجامع الأزهر وعيون المخابرات الفرنسية بين الحربين من خلال وثائق جديدة. الموافقات، ١٩٩٥، ص ٣٦٧.

[97] هلال (عمار). الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي (١٨٩٨-١٩١٨).ج٢، الثقافة، لجزائر، ع٨٤، نوفمبر ديسمبر ١٩٨٤، ص ص ١٢٩، ١٤٤ نقلا عن AOM9H104. et62.104H9

[98] - Les Algeriens originaires du sud algeriens a tunise,Universite de Manouba,These de doctorat,p53.من الأسماء التي عادت من تونس وحاولت لعب تأثير لصالح التغيير محمد العيد الجباري (١٩١١-١٩٤٢) الذي اتصل بشخصيات إصلاحية وسياسية في بسكرة والجزائر لتأسيس اتحاد الشباب الإفريقي، وحسن النوري الذي استقر ببسكرة منذ ١٩٣٨...وغيرهم. الحناشي (عبد اللطيف).الإبعاد في مواجهة النشاط السياسي للعرب المقيمين بالبلاد التونسية (مثال الجزائريين ١٩١١-١٩٣٩). المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع٩٧ و٩٨، ماي ٢٠٠٠، ص ص ٦٤، ٦٥.

وسنكتفي بترجمة حياة ثلاث شخصيات إصلاحيّة هاجرت من الزيبان وبقيت على علاقات بها واحتفظت بتأثير كبير في تهيئة الحركة الإصلاحيّة ودعمها فيها :

أ- **المكي بن عزوز:**[٩٩]

ترعرع المكي بن عزوز في زاوية والده مصطفى الذي بناها في نفطة بتونس ، ثم تنقل إلى الزيتونة ودرس بها، وحافظ على علاقات متينة مع أهله في الزيبان، مما دفع بفرنسا إلى محاولة إلقاء القبض عليه في إحدى زياراته السنوية للجزائر والهامل والزيبان،ونظرا لخطره على النفوذ الفرنسي نُفي إلى الأستانة أين عيّنه السلطان عبد الحميد مُدرسا بدار السعادة (الخير)، وقد ترك المكي بن عزوز مؤلفات كثيرة في شتى الفنون.

ولعل ما يُعبِّر عن تعلق أهل الزيبان وتأثرهم به هو مراسلتهم له وتحمُّسه لفتح فروع لجمعيته (**جمعية الشُّرفاء**) في الجنوب الجزائري، واطِّلاعِهم على مؤلفاته الكثيرة بفضل علاقات الزوايا الرحمانية (العزوزية،العثمانية ،الجلالية،الحفيظية) بزاويته في تونس، ورثاؤهم له في وفاته في سنة ١٩١٦،كما حزن العقبي لوفاته ورثاه رثاءً حزيناً ،ونشر الهادي السنوسي رثاء العقبي للمكي بن عزوز في كتابه **شعراء الجزائر** رغم أن الكتاب غير مخصص للرثاء ، وهذا يدلُّ على مكانة الرجل ،وقد كتب العقبي عنه : "وكان ممن يعزُّ عليَّ كثيرا لما بيني وبينه من المؤانسة وعظيم الوداد". [١٠٠]

ب- محمد الخضر حسين:

---

[99] هو أبو عبد الله محمد المكي بن مصطفى ولد في ١٥ رمضان ١٢٧٠(١٨٥٤) في نفطة حيث زاوية والده مصطفى بن عزوز،قرأ القرءان والاجرومية ووشرح ابن عاشر والرحبية والدرة البيضاء ومبادئ علم الفلك والفية ابن مالك وشروحها ومختصر خليل وشرح الترمذي،ثم درس بالزيتونة وحصل على ٨٠ اجازة من مختلف البلدان التي مر بها، شغل مفتيا في نفطة ثم قاضيا، انظر الحسيني (علي الرضا).محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره. الدار الحسينية للكتاب، ١٩٧٠، ص ص ١١، ٢٠.

[100] الهادي السنوسي. شعراء... ص١٣٨.

وُلد بنفطة سنة ١٨٧٣ من أسرة علمية شريفة فَجدُّه لأبيه مُؤسس الزاوية العثمانية بطولقة ،وَجدُّه لأمِّه مؤسس الزاوية العزوزية بنفطة،وخاله محمد المكي بن عزوز المذكور،أما شقيقاه فَهُما العلاّمة اللغوي محمد المكي بن الحسين والشيخ زين العابدين بن الحسين.

درس الخضر بالزيتونة وحصل منها على شهادة العالمية في العلوم الدينية واللغوية وتمكن من إصدار أول مجلة في المغرب العربي وهي مجلة **السعادة العظمى** التي أوقفتها السلطات الفرنسية، كما تولى القضاء في بترت ثم التدريس في الزيتونة ومدرسة الصّادقية،و درَس ابن باديس عليه علم التفسير .

ولأفكاره التجديدية المناهضة لفرنسا فقد حكمت عليه بالإعدام في تونس، ففرَّ إلى دمشق ومنها إلى الأستانة فألمانيا فدمشق ثانيةً إلى أن استقر به المقام بمصر في عام ١٩٢٠ ليؤسس جمعية **الهداية الإسلامية** ويُشارك في تأسيس **جمعية الشبان المسلمين**،وترأّس تحرير مجلة **نور الإسلام** (بالأزهر). وإلى جانب تدريسه الفقه في كُلِّية أصول الدين، وعضويته في مجمع اللغة العربية في مصر وسوريا، ترأس تحرير مجلة **لواء الإسلام** وجمعية جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، وإمامة مشيخة الأزهر عام ١٩٥٢، وتوفي بالقاهرة في سنة ١٩٥٨.

ويَظهر تأثُّر الزيبانيين به في مناسبات كثيرة، كزياراته المتكررة للجزائر ولقائه عددا من رجال الإصلاح في الجزائر أمثال محمد بوقندورة وعبد الحليم بن سماية ومحمد بن أبي شنب والمجاوي... [١٠١]

[101] محمد الجابري. التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠ ،ص٢٨٢.

وتهنئة المصلحين له بمناسبة تَولِّيه مشيخة الأزهر،ووجود أعداد من مؤلفاته ومجلته **الهدايـــة** في زاوايـــا المنطقة (طولقة). [١٠٢]

ج- عودة الطيب العقبي:

وُلد الطيب بن محمد بن إبراهيم العقبي بسيدي عقبة في سنة ١٨٨٧ إلا أن عائلته انتقلت إلى المدينة المنورة وهو ابن خمس أو ست سنوات، مما أنشأه في بيئة دينية وهابية،كما انخرط في صفوف الحركة العربية القومية التي قامت ضد الأتراك مما كلَّفه النفي إلى الأناضول.وعند استتباب الأمن عاد إلى مكة ليتولى تحرير جرية **القبلة** بمعيَّة محب الدين الخطيب وفؤاد الخطيب ومصطفى فهمي . [١٠٣]

كما كتب العقبي في جريدة **أم القرى**، واطَّلع على الفكر الوهابي بالحجاز، وتأثر به[١٠٤]، وعند عودته إلى الجزائر عام ١٩٢٠ عاد بفكر محمد عبد الوهاب ومحمد عبده و محمد رشيد رضا كما يقول المؤرخ الفرنسي **جوزيف ديبارمي**.[105]

ونظرا لقوة الطُّرقية وتسلط الحكم العسكري في بلدته سيدي عقبة انتقل العقبي إلى بسكرة حيث الحكم المدني، وحافظ على اتصالاته مع الحجاز، وكانت تَرِد إليه البرقيات منها مُتابِعاً أخبار

---

[102] محمد العيد آل خليفة. تهنئة الأزهر الشريف بشيخه الجديد. البصائر،ع٢٠٨، ١ديسمبر١٩٥٢. وانظر أيضا: حـــسين (محمـــد الخضر).الرحلات.جمعه وحققه علي الرضا التونسي،١٩٧٥ ، ص٥. وكذلك: علي الرضا الحسيني.صفحات من سيرة الإمام محمـــد الخضر حسين وأخويه زين العابدين ومحمد المكي. الدار الحسينية للكتاب، دمشق،٢٠٠٠ .

[103] القِبلة هي أول جريدة عربية في العهد الهاشمي،صدرت في ١٥ أوت١٩١٦ بمكة وهي نصف اسبوعية دينية سياسية.اما محب الدين الخطيب (١٨٨٧-١٩٦٩) فولد بدمشق، وسافر إلى الاستانة١٩٠٥ ومنها فر إلى اليمن فسورية فمصر فالحجاز أين أشرف على تحرير القبلة، وهو من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين، كما أسس جريدة الفتح سنة ١٩٢٤ و جريدة الزهراء .

[104] عن تأثير الحركة الوهابية في الجزائر، أنظر مولود عويمر. مالك بن نبي رجل االحضارة. الجزائر، دار الأمل، ٢٠٠٧، ص ص ٣٧—٥١، ص ١٢٠-١٢٢.

[105] Deparmet (J).contribution à l`histoire contemporaine de l`Algerie.La politique des Oulemas Algeriens 1911-1937 .in L`Afrique française, juillet 1937,p.352.

ملِكها ابن سعود ،وهو ما عرَّضَه للتفتيش ومُصادرة كثير من وثائقه الخاصة من طرف السلطات الفرنسية. [١٠٦]

٤- دور الزيتونة والأزهر والحجاز:

لقد درس الجزائريون خارج الجزائر بعدما حاربت فرنسا مدارس الدين واللغة، فمنهم من هاجر ثم التحق بمدارس العلم، ومنهم من اتجه نحوها مباشرة.

وتأتي الزيتونة في المقدمة بحكم قربها الجغرافي والتاريخي والثقافي والاجتماعي من الجزائر،ولايشذُّ أحد من الباحثين في جعل الزيتونة صاحبة الفضل في النهضة الجزائرية في العصر الحديث.

وتميزت الزيتونة بتعدد علومها وعلمائها وتعديل مناهجها وتأثرها -رغم معارضة وتيقُّظ نظام الحماية- بالتيارات التجديدية آنذاك.،فكانت تُدرس التفسير والنحو والحديث والسير والقراءات والتوحيد والمصطلح والفقه والأصول وآداب الشريعة والنحو والبيان والأدب وعلم العروض والمنطق والتاريخ والجغرافية والحساب والهندسة والهيئة والميقات والمساحة،وتتمتع امتحاناتها بالمصداقية إذ تنعقد لجنة من المدرِّسين لاختبار التلاميذ فيما درسوه (اختبار النقل)،كما يجري اختبار شهادة التطويع المعادلة لشهادة العالمية في الأزهر(بعد سبع (٧) سنوات) وهو عبارة عن تسعة (٩) أسئلة في تسعة (٩) علوم هي الفقه والنحو والصرف والمنطق والبلاغة والحساب والهندسة والجغرافية والتاريخ[١٠٧]

---

[106] الشهاب.ع٦٥، ٤ نوفمبر ١٩٢٦.

[107] حول مقررات ومناهج وأساتذة الزيتونة انظر: محمد الخضر حسين. تونس وجامع الزيتونة.جمع وتحقيق علي الرضا التونسي. المطبعة التعاونية ،دمشق، ١٩٧٥،ص٢٩.

وبفضل إصلاحاتها المتواصلة (سنتي ١٩١٠ و١٩٢٤) استطاعت استقطاب عدد كبير من الطلبة من مختلف المناطق حتى وصل عدد طلبتها ثلاثة آلاف وستمئة وخمسين طالبا (٣٦٥٠) قبيل الحرب العالمية الثانية.[١٠٨]

وبفضل النشاط الجمعوي تكوَّن الجزائريون في جوٍّ ايجابي أكبر وَعَوا من خلاله دور الجمعيات فانخرطوا وتأثروا بالخلدونية (ديسمبر ١٨٩٦) التي ظهرت كتتويج لزيارة محمد عبده لتونس،ودعت لتجديد التعليم في الزيتونة،كما أسست النوادي ومكتبتها الشهيرة.وعلّق عليها أحد المعمرين بقوله: " إذا ما قُدر أن تندلع ثورة في تونس فإن هيئة أركان ثوارها تكون قد تخرّجت من الخلدونية" [١٠٩].و أيضا جمعية قدماء المدرسة **الصادقية** سنة ١٩٠٥. [١١٠]

وتابعت السلطات الفرنسية بقلق كبير تزايد الطلبة الجزائريين في الزيتونة، ودعت لترحيلهم كلما حدث اضطراب داخلها،خاصة أن عددهم يتفوق على عدد كل الطلبة الأجانب،وتمثل جهة قسنطينة (الشرق) ثلاثة أرباع (٤/٣) هذا العدد ، ويتركزون في فرعيّ **الكاف** و**توزر** القريبين من الحدود (الجزائرية التونسية)،واستمر عدد الطلبة الجزائرين في الزيتونة في النمو حتى بلغ مئتي (٢٠٠) طالب في أول الثلاثينات وحوالي ألف وخمس مئة طالب (١٥٠٠) في سنة ١٩٥٢. [١١١]

ولعل ما يُصوّر لنا هذا الارتباط هو تمدرس أهم زعماء الإصلاح بها أمثال:زهير الزاهري والسعيد الزاهري (١٨٩٩-١٩٥٦) والهادي السنوسي (١٩٠٠-١٩٧٤) ومحمد خيرالدين والأمين

---

[108] مختار العياشي . البيئة الزيتونية ١٩١٠-١٩٤٥ مساهمة في تاريخ الجامعة الاسلامية التونسية. تعريب حمادي الساحلي،دار التركي للنشر، تونس ،دط،١٩٩٠،ص٩٠.

[109] بشير منصوري . الجمعية الخلدونية بين شموخ الماضي والتواصل مع الحاضر.الهداية. تونس،ع١٦٠، أفريل ٢٠٠٤، ص٨٦.

[110] وهناك أيضا الناصرية ١٩٠٤.الإسلامية ١٩٠٥. النصر الرياضي ١٩٠٦. النادي الأدبي١٩٠٥.النجم التمثيلي١٩٠٨.الجمعيات الخيرية الإسلامية ١٩١٠.الآداب ١٩١١،الشهاب ١٩١٢.الساحلية ١٩١٢.التهذيب١٩١٢ . انظر:العياشي. مرجع سابق.ص ص ١٢٦، ١٢٧.

[111] نفسه، ص ص ٩٠، ٩٨.

سلطاني وعبد اللطيف سلطاني وعبد القادر المغربي وعلي المغربي(١٩١٥ بليانة،بسكرة) ونعيم النعيمي وبلقاسم الغسيري ومحمد العيد آل خليفة مؤقتا وأحمد سحنون..إ لخ .لهذا يعترف نعيم النعيمي بأن الفضل يعود اليها- مع العلم. [١١٢]

وتُوِّج النشاط الطلابي الجزائري في تونس أيضا بإنشاء جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين وانضمام الطلبة الجزائريين لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين (نوفمبر١٩٢٧) واحتكاكهم بزملائهم الزيتونيين. [١١٣]

٥-الميزابيون في تونس:

يُعد الميزاب أكبر طائفة جزائرية مُهاجرة في تونس لوجود علاقات تاريخية لهم بجربة، إذ يمثلون ١٩,٥% من مجموع الجزائريين عام ١٩٢١ وهي نسبة كبيرة جدا إذا علمنا أن نسبتهم في الجزائر ٠,٥% ، يتركز ٦٦,٥ % منهم في جربة ،و٤,٥% من مجموع الجزائريين في تونس...، وازدادت هجرتهم نحو تونس بعد تشديد قانون الأهالي ١٩١٤. [١١٤]

ومن الأسماء التي درست بالزيونة الشيخ صالح بن عمر لعلي (١٨٦٧-١٩٢٨) والشيخ إبراهيم بن بكير حفار(١٨٩٠-١٩٥٤) ومحمد بن صالح الثميني وابو اليقظان وحمو بن موسى بن يامي،الشيخ محمد بن بلحاج بن يامي،الشيخ حمو بن الحاج الناصر الداغور. [١١٥] والكلام عن الميزابيين في تونس هو الكلام عن البعثات العلمية الميزابية بها.

---

[112] نعيم النعيمي. أثر المعاهد العلمية في حياة المجتمع.البصائر، ع٤٤.و أيضا محمدخيرالدين،ارتباط معهد ابن باديس بجامع الزيتونة،البصائر، ع٤٤.نعيم المعيمي :ولد بسيدي خالد،درس بالزاوية المختارية،ثم الزيتونة مؤقتا،اعتبرعلامة،عضو عامل ومؤسس لجمعية العلماء..درس بمدارس الجمعية في طولقة ثم بسكرة مع الغسيري ثم معهد ابن باديس في ١٩٤٧،توفي ١٩٧٣. انظربلقاسم النعيمي، نعيم النعيمي في ذمة الله. الأصالة، ع١٦، كتوبر ١٩٧٣.

[113] مناصرية.مرجع سابق ، ص ص ٢٠، ٣٠.

[114] Les Algeriens originaire. pp 24.41

[115] يطو (عائشة). مدرسة الفتح مصدر الثقافة العربية الإسلامية في بريان.الشهاب الجديد،مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس،قسنطينة،لمجلد الثالث ،العدد٣ أفريل ٢٠٠٤ ،ص ١٨٦ . – أما أبو اليقظان: فهو إبراهيم بن عيسى حمدي،ولد بالقرارة ٥

٥-١ البعثات العلمية الميزابية في تونس:

لقد اهتدى الميزابيون إلى طريقة ذكيِّة تكفل تمدرس أبنائهم في تونس بعد أن فشل مشروعهم في تبسة الذي مثلته المدرسة الصِّديقية.

وفي الحقيقة فإن إنشاء الصِّديقية – في حدِّ ذاته –كان بتأثيرٍ من تونس إذْ تأثر الميزابيون بمدرسة الشيخ محمد صفر الابتدائية والأرجح بمدرسة الشاذلي المرالي لتشابه منوالهما ،كما أن مدرسة المرالي كانت تضم مساعدين من ميزاب مثل أبي اليقظان والثميني وإبراهيم اطفيش....،فربَّما راسلوا الحاج بكير العنق وحفّزوه. [١١٦]

تأسست المدرسة الأهلية الصديقية في سنة ١٩١٣ ،بإشراف جمعتها "جمعية الصِّديقية الخيرية للتربية الإسلامية والتعليم العربي والإصلاح الاجتماعي" التي ترأسها عباس حمانة، بينما شَغل الحاج عمرالعنق أمينها المالي ،ووفّرت الوسائل العصرية من مناضد وكراسي وسبورات ونظام داخلي وإطعام ومكتبة كما استعانت بمعلمين تونسيَين اثنين لتدريس العربية والفرنسية،إضافة إلى مواد أخرى مثل النحو والصرف والحساب والفقه والتاريخ الإسلامي والجغرافية....وتمتعت المدرسة بقانون داخلي.

نوفمبر ١٨٨٨،الشخصية الثانية في الاصلاح الميزابي بعد بيوض ،درس على يد الحاج عمر بن يحي وحفظ القرءان في ١٩٠٥،انتقل إلى بني يزقن للدراسة على القطب ١٩٠٧،ثم إلى تونس من ١٩١٢إلى ١٩٢٥ خلالها عاد إلى القرارة ليقود بعثتين علميتين منها إلى تونس،كما احتك بالثعالبي وسليمان الباروني ووانخرط في الحزب التونسي الدستوري الحر.عرف بعميد الصحافة الجزائرية اذ كتب في الصحافة التونسية ،واصدر ثمانية صحف منذ ميزاب في اكتوبر١٩٢٦ ،صاحب المطبعة العربية بالجزائرفيفري ١٩٣١،عضو مؤسس في جمعية العلماء ونائب أمين المال،دخل عزابة القرارة ١٩٣٦،أُصيب بالشلل في أفريل ١٩٥٧ ،وتوفي بالقرارة في ٣٠مارس ١٩٧٣،ترك حوالي ٦٠ مؤلَّفا أغلبها مخطوط حول التاريخ الميزابي والاباضي والتفسير والتربية والتعليم والتراجم.انظر بن بكير. تاريخ بني ميزاب، ص ص ١٨٩، ١٩٢. ومؤلفات محمد ناصر حول صحافته.

[116] دبوز. أعلام.ج٣،ص ص ١٤٩، ١٥٠.

واستقطبت المدرسة أبناء ميزاب في تبسة وفي الشمال ،كما قدِمت إليها بعثة من ميزاب بإشراف محمد بن بكير، لكن المدرسة لم تُدرِّس غيرَ موسم دراسي واحد، إذ أغلقها والي عمالة قسنطينة،وكلّف عباس حمانة دفاعُه المستميت عنها الاغتيالَ في ١٦ أوت١٩١٤ .[١١٧]

ولهذا اضطر تلاميذ الصدِّيقية إلى إكمال دراستهم في تونس في بعثة أبي اليقظان، التي تلتها بعثات هي:

١- بعثة أبي اليقظان:

كانت في ماي ١٩١٤ ، و ضمَّت في أول أمرها ستة طلبة، ثلاثة منهم من تلاميذ الصِّديقية (تلاميذ الصديقية هم دحمان بن الحاج بكير المرموري وحمو بن عيسى المرموري (أصبح من كبار عزابة القرارة). إضافة إلى سعيد بن الحاج إبراهيم المرموري ومحمد بن مسعود المرموري ويوسف بن الحاج بكير المرموري، أمَّا من انضم إليها في تونس فَهُم بوهون بن قاسم الزيتون وأخوه بكير ومحمد بن عمر بوعصبانة ويحي بن الحاج يوسف مزوز وإبراهيم بن حمُّو بغباغة وأخوه احمد ويحي بورورو من غرداية ومحمد بن ابراهيم المفنون من بني يزقن ومحمد بن الحاج عمر العنق.[١١٨]

درسَت هذه البعثة في المدرسة القرءانية العصرية التي أسّسها مصلحون ميزاب في سنة ١٩٠٧،كما درسَت بمدرسة السّلام القرءانية ،لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى اضطرهم للعودة بعد عشرة (١٠) شهور فقط.[١١٩]

٢-بعثة أبي اليقظان الثانية:

---

[117] دبوز.نهضة....ج٢،ص٢٥.وأيضا جريدة الصديق.ع٣٠، ١٨ أفريل١٩٢١.أما بكير العنق (١٨٦٨-١٩٣٤)، فولد بالقرارة،تاجر ،أسّس الصديقية،ترأس فرع الجمعية السرية المساندة للاتراك في القرارة ١٩١٥،عزّابي منذ ١٩٢٦.

[118] دبوز، أعلام، ج٣،ص١٥٤.

[119] مدرسة السلام: القرءانية التي ترأسها الشاذلي المرالي صاحب جريدة المنير،يساعده عدد من أبناء ميزاب منهم أبو اليقظان وابراهيم اطفيش وصالح بن يحي وصالح بن علي باعلي ومحمد بن الحاج صالح الثميني ويوسف بن بكير حمو أوعلي ،درست هذه المدرسة ٥٨ تلميذا ميزابيا .انظر آعوشت، تاريخ...، ص ٥٨.

تمّت في أكتوبر ١٩١٦ ، وضمّت طلبة معهدي الحاج عمر بن يحي والحاج ابراهيم بن كاسي المناصرين للفكر الإصلاحي ، وقادهم أبو اليقظان الذي هدف بدوره لإتمام دراسته العليا ،ويساعده عبد الرحمن بن عمر (البكري) ويوسف بن بكير،واستطاعت هذه البعثة أن تنمو لتصل في نهاية الحرب العالمية الأولى اثنين وتسعين (٩٢) طالبا ،كما وجدت عناية من إبراهيم اطفيش ومحمد الثميني،وعرفت نشاطا وتحمسا كبيرا انعكس في طبعها المجلات وتأسيسها النوادي مثل جمعية **الوفاق** ومجلتها وجمعية **إخوان الصفاء** ومجلة **البرق**...و أجمع كل من زاروها بأنها تُبشر بمستقبل مثمر وسعيد لميزاب والجزائر، ومنهم الشيخ ابن باديس والثعالبي والباروني..إلخ. [١٢٠]

واستمرت البعثة اليقظانية في استقبال أبناء ميزاب طيلة تسعة عشرة (١٩) سنة إلا أنه بعودة مُؤطرها قاسم بن الحاج عيسى سنة ١٩٣٦ توقفت نهائيا.

٣- بعثة بني يزقن:

بتأثير واضح من أبي اليقظان تشكلت بعثة من أبناء بني يسقن بقيادة وإلحاح المصلح الحاج صالح بن يحي بعد شهور من بعثة أبي اليقظان ،واستقرت في تونس قربها ،بينما حظيت برعاية ابراهيم اطفيش ومحمد الثميني وصالح بن علي(أبناء بني يزقن)،وانقسمت هذه البعثة إلى قسمين سنة ١٩٢٢،استمر قسم منها إلى غاية سنة ١٩٥٨،بإشراف محمد الثميني وحده باعتباره مقيما في تونس [١٢١].

وبهذا استفادت ميزاب من البعثات العلمية في الوعظ والإرشاد والصحافة والتعليم وحتى الاقتصاد وإنشاء الجمعيات الخيرية والتموقع داخل جهاز العزابة بعد مدة. [١٢٢]

---

[120] دبوز.أعلام.ج٣،ص ص ٢٢٣، ٢٢٤. وأيضا عبد الحميد بن باديس .نهضة جزائرية بالحاضرة التونسية.الصديق،ع٤٤، ١٩ سبتمبر١٩٢١

[121] دبوز، أعلام ج٣، ص ص٢٢٧، ٢٣٠.

وأقبل الميزابيون على جربة لما عُرفت به من علم، فكانت كما كتب عنها الأستاذ محمد علي دبوز: " تزخر بالعلم والعلماء وبالفضل والدين، وكان الناس يقصدونها من أنحاء المغرب للتعلم والتزود من الصلاح الذي تتسم به...ولم تكن جربة مقصدا للإباضية وحدهم، بل كان المالكية والحنفية يأمُّونها من أنحاء المغرب" ،ويضيف قائلا: "وأغلب علماء ميزاب في العهد الحديث أخذوا منها العلم مثل أبو زكريا يحي بن صالح الأفضلي وضياء الدين عبد العزيز الثميني..إلخ. [١٢٣]

٦- دور مصر والأزهر:

كانت مصر محطّةً للجزائريين المتوجهين للحج والعمرة كما أنهم قصدوها عن طريق ليبيا،و اشتهر من مصلحي الزيبان المولود الزريبي [١٢٤] والجموعي الزريبي كأهمِّ من درس بها من الزيبانيين،ولعل اشتهار لقب الأزهري أوالأزهاري في المنطقة الجنوبية من الجزائر إلى اليوم يحتفظ بشيء من هذا التأثير

وقد عكست التقارير الفرنسية تزايد عدد الجزائريين المهاجرين نحو مصر والأزهر بالخصوص المتأثرين بمدرسة الشيخ محمد عبده،وكيف أنهم كانوا يتسلَّلون عبر ليبيا للوصول إلى مصر.

---

[122] يكفي أن نذكر بعض الأسماء التي ستتكرر أثناء هذه الدراسة أبو اليقظان،وإبراهيم اطفيش،ويوسف بن بكير،وعبد الرحمن بن عمر (البكري)،ومحمد الثميني،ومحمد بن الحاج يوسف بابانو ،ومفدي زكرياء،وأحمد بن الحاج يحي بكلي ،ورمضان حمود،وبكير بن الحاج سليمان بن الناصر،وعبد الله بن محمد بوراس،وباسعيد عدون،وصالح بابكر،وسليمان بوجناح(الفرقد)،وبابا بن ابراهيم بوعروة،وأحمد بن الحاج موسى بابا عمي،وأحمد بن عيسى قزريط،وعبد الله بن داود بغباغة، وإبراهيم بن داود بغباغة،وأحمد بنحمو بغباغة،وبانوح بن الحاج أحمد مصباح،وعبد العزيز بن يوسف الثميني،ومحمد بن يوسف اطفيش،وقاسم بن الحاج سعيد ابسيس،ومحمد بن باحمد بن منصور....انظر: دبوز.أعلام...،ج٣، ص٢٣٨.

[123] دبوز.نهضة، ج١، ص٢٥٦.

[124] المولود الزريبي:ولد بزريبة الواد شرق بسكرة،درس على يد العلامة حامد العبيدي ،انتقل إلى الأزهر ودرس على يد محمد ابخيت ومحمود الخطاب،عاد إلى زريبة الواد ثم انتقل إلى العاصمة لتحرير جريدة الصديق ثم مدرسا بوفاريك،توفي مريضا في سنة ١٩٢٥. انظر شعراء الجزائر، ص ص ٩٩ ،١٠٤. وأيضا فضلاء (محمد الطاهر). أعلام من المغرب العربي. موفم للنشر،٢٠٠٠، دط،ج ١، ص ص ٨٤، ٨٥.

وكتب السعيد الزاهري في سنة ١٩٣٦ في **الرسالة** المصرية مُبرزا أثـــر مـــصر في الإصـــلاح الجزائري قائلا :"وكل حركة دينية أو أدبية في مصر لها صداها القوي في هذا المغرب العربي،فللأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده المصري أنصار ومريدون ،وفكرة الإصلاح الديني التي كان يـــدعو إليهـــا أصبحت اليوم في الجزائر مذهبا اجتماعيا تعتنقه الكثرة الكثيفة من الناس وتقـــوده جمعيـــة العلمـــاء المسلمين الجزائريين،وكل أديب كبير مصري له أنصار وأشياع في بلاد المغرب العربي...والمطبوعـــات المصرية تحتل المقام الأول عندنا، وسواء في ذلك الصحف والكتب والمجلات،والصحف المغربية لكثرة ما تروي عن مصر وما تنشر من أخبارها تكاد تكون طبعات مغربية لزميلاتها المصريات ".[١٢٥]

وكتب الهادي السنوسي أيضا سنة ١٩٤٨ مُعلِّقـــا علـــى دور مـــصر في النهـــضة الجزائريـــة الحديثة :"...ومن منّا معشر الجزائريين من لم يفتح عينيه منذ انتهت الحرب الكبرى (العالمية) على آثار مدرسة إسماعيل صبري وحافظ وشوقي وطه حسين وأحمد أمين والمنفلوطي والزيات من أفراد الرعيل الثاني،أقول الثاني لأنهم سُبقوا بطبقة الشيخ محمد عبده وعبد العزيز جاويش وطنطاوي جوهري وعلي يوسف والمرصفي،فكانت **الهلال** و**المقتطف** و**المنار** هذه الثلاثة على الخصوص رُسل النهضة الأدبيـــة الشرقية إلى الشمال الافريقي،وكان أساتذتنا يتخيَّرون لنا من منظومهم ومنثورهم ما يؤثروننـــا بـــه لتثقيف عقولنا وإصلاح ألسنتنا وتبصيرنا ما تجود به أفكار المدرسة الحديثة في عالم العرب".[١٢٦]

---

[125] محمد السعيد الزاهري:ولد في ٢٥ شعبان ١٣١٨هـــ،درس على يد جده وعمه بليانة، ثم انتقل إلى الجامع الاخضر أين بقـــي ١٤ شهرا مع ابن باديس،ثم انتقل إلى تونس حيث درس على النخلي وابن الخوجة والتميمي،تحصل على التطويع،عاد إلى الجزائر في ١٩٢٤ وأسس جريدة **الجزائر**(ثلاثة أعداد) ثم **الوفاق** ثم **المغرب العربي**،كتب في الجرائد المشرقية **كالفتح** و**الهداية** و**الرسالة** و**الاهرام**...وكان من مؤسسي جمعية العلماء وعضوا في مجلسها الاداري،ودرس بوهران وتلمسان ،ثم انسحب من الجمعية وحـــارب محمـــد البـــشير الابراهيمي .كما انضم إلى حزب الشعب،توفي مغتالا في ١٩٥٦.انظر: حرفي. محمد السعيد الزاهـــري، ص١٥. وأيـــضا :الهـــادي السنوسي .شعراء الجزائر، ص ص ٦٢، ٦٨.

[126] حرفي، الزاهري، ص٨٣. أما محمد الهادي السنوسي:(١٩٠٠-١٩٧٤)، فعرف بتمثيله جريدة **المنتقد** و مجلـــة **الـــشهاب**،درس بمدرسة الشبيبة بالجزائر سنة ١٩٢٨ ثم بتلمسان ثم بسيدي بلعباس وبعين تموشنت، وارتبط بمسقط رأسه من خلال تجارته في التمـــور. انظر : حمزة بوكوشة. الثقافة، ديسمبر ١٩٧٥.

ومن جهة أخرى أقبل الميزابيون على الأزهر وتخرّجوا منه ،مثل صالح بن عمر لعلي وأبو يعقوب يوسف بن عدون وإبراهيم اطفيش ومحمد بن باحمد الشريف (١٨٨٤-١٩٤٠).

٧- دورالحجاز:

احتلت الحجاز مكانتها الروحية والعلمية بحكم وجود المقدّسات الإسلامية بها (مكة المكرمة والمسجد النبوي..،ولبعدها عن كل أنواع الاستعمار،وإذا كان اسم الطيب العقبي هو أسرع ما يتبادر إلى أذهاننا عند ذكر الجزائريين فيها فإن أسماء كثيرة قد درست بها وتأثرت بالوهابية هناك،كما أن الشيخ حمدان الونيسي قد نُفي إليها ودرّس بها،و ابن باديس والبشير الابراهيمي درَسا بها أيضاً ، وكذلك أحمد رضا حوحو الذي تأثّر بها هو الآخر، ونقل أفكارها إلى الجزائر رغم تأخُّر عودته نوعا ما عن الإطار الذي ندرسه ،حيث عاد أحمد رضا حوحو إلى الجزائر سنة ١٩٤٥.[١٢٧]

ولعل ما يُبين دور الحجاز في الإصلاح الجزائري ما ناله الملك ابن سعود من أهمية في كتابات المصلحين، فتتبعوا نشاطاته وأخباره وحربه على البدع ،ومدحوه شعرا ونثرا (الطيب العقبي و محمد العيد آل خليفة و السعيد الزاهري ورمضان حمود (إباضي) وأبو اليقظان (إباضي) و حمزة بوكوشة والابراهيمي...). يقول الإبراهيمي في هذا الصدد :"...وللمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود عاهل الجزيرة العربية مكانة سامية في نفوس المصلحين بالجزائر لما اشتهر به من إقامة حدود الله والقضاء على البدع والأضاليل وإحياء السنة النبوية".

---

[127] أحمد رضا حوحو:ولد سنة ١٩١١ بسيدي عقبة درس بمدرستها الفرنسية ثم في سكسكدة،ثم هاجر مع عائلته إلى الحجاز في سنة ١٩٣٤ ،أين درس بالمعهد الحر للعلوم الشرعية بمكة المكرمة،في طريق عودته إلى قسنطينة في ١٩٤٦ عرج على مصر وفرنسا ، وشغل عضوا في إدارة جمعية العلماء المسلمين ثم كاتبا عاما لمعهد ابن باديس ومكتب لجنة التلعيم العليا ، نشر مقالاته الإصلاحية الاجتماعية في الحجاز وفي **البصائر** كما أسس جريدة **الشعلة** ،وساهم في حركة شباب الموحدين،وكتب قصصا كثيرة مثل غادة أم القرى ، ومع حمار الحكيم وأعمال مسرحية هامة لم ينشر كثير منها.واغتالته منظمة اليد الحمراء في قسنطينة في ٣٠ مارس١٩٥٦ . انظر أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة.ص ص ١٧٩، ١٨١.وأيضا: محمد الصالح رمضان. الأديب الشهيد حوحو وآثاره. مجلة الثقافة،ع ٥٤ ،١٩٧٩،ص ص ٥٤،٦٤ .

وتتبعت **صدى الصحراء** أخبار ابن سعود وانتصاراته ،كما شاع بين الزيبانيين تسمية المواليد الجدد باسم "عبد العزيز" تعبيرا عن إعجابهم بشخصه.[١٢٨]

وفي الحجاز ارتبط الميزابيون بأداء الحج إذ يشتهرون بأداء هذه الفريضة والتحمس لها ،واشتهر اطفيش القطب بزيارته المسجد النبوي ولقائه العلماء هناك، والشيخ صالح بن عمر الذي درس عاما بالحجاز ١٩١٤ ثم الأزهر وجربة وتونس ، ومن أهم من تأثّر بالحجاز الشيخ عمر بن يحي (ت١٩٢١) الذي درَس بها لثلاث سنوات وعاد منها بفكر إصلاحي. [١٢٩]

وغير بعيد عن الحجاز يبرز دور سلطنة عمان في الإصلاح الميزابي حيث لم تنقطع العلاقات العلمية والمذهبية والعائلية بين السلطنة وميزاب ،وقد درس أبناء ميزاب فيها وجلبوا منها الكتب والمكتبات (مثل الحاج محمد آزبار وابراهيم بن يوسف اطفيش شقيق القطب..)، وتدعّمت هذه العلاقة بعد انتعاش الصحافة في المنطقتين ، فتعززت العلاقات بينهما،وتعكس جرائد أبي اليقظان هذه المكانة للسلطنة لدى الميزابيين.

كما نجد أن محمدا بن إبراهيم الطرابلسي قد تأثر بالحركة العلمية في طرابلس وتونس ،حيث درس على يد مفتي طرابلس الشيخ القمي ومحمد بن عبد القادر الفزاني المرزوقي عندما استقرت عائلته بطرابلس في بداية القرن العشرين[١٣٠].

٨- تأثير الصحافة:

---

128 خرفي (صالح).شهيد الثورة الجزائرية أحمد رضا حوحو في الحجاز(١٩٣٤-١٩٤٥).دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط١، ١٩٩٢،ص ص ٢٥، ٢٦.وأيضا: في عائلة المصلحين.الشهاب ،ماي ١٩٣٠.

129 دبوز، نهضة...ج٢، ص ص١٩١ ،١٩٤.

130 محمد بن إبراهيم الطرابلسي :ولد بطرابلس ١٨٨٥،ودرس على علمائها ثم بالزيتونة،حضر الاجتماع التاسيسي لجمعية العلماء،وكان عضوا ناشطا فيها،أسس مدرسة تعليمية بالقرارة ١٩١٢ ثم درس بالإخاء في بسكرة ١٩٣٠،شارك في الإصلاحين الزيباني والميزابي تدريسا وصحافة ووعظا،توفي في ٢٥ ديسمبر١٩٤٨ .

لم يقتصر دور مصر وتونس والحجاز على الجانب العلمي فقط في بعث الإصلاح الجزائري،بل تعداه إلى التأثير بواسطة الصحافة،فشرع أبناء الجزائر- ومنهم أبناء الزيبان وميزاب - في خوض تجارب صحفية بتونس، مثل العقبي والعمودي اللذين كتبا في **العصر الجديد** مثلا...،واستفادوا من الخبرات التونسية والمشرقية بما دعموا به الصحافة الجزائرية العربية الناشئة فكتبوا فيها وراسلوها وعملوا موكلين لها (مثل مصطفى بن شعبان لجريدة **الإصلاح** للعقبي)، وحاولوا طبعها ببلادهم وإرسالها إلى الجزائر،كما نقل الجزائريون كثيرا من المواضيع عن جرائد تونسية ومصرية وسورية وحجازية...،ولعل ازدهار النهضة الصحفية والفكرية بالمدن المتاخمة للحدود التونسية دليل على هذا مثل قسنطينة و حتى غرداية وبسكرة التي ذكر أحد الرحالة التونسيين في زيارته لها سنة ١٩٢٦ بأن رواج الصحف التونسية فيها يكاد يكون مثل رواجها في تونس العاصمة. [١٣١]

وما يؤكد انتعاش حركة الصحف هو تمكن السلطات الفرنسية من وضع يدها على سبع وستين (٦٧) عنوانا لجرائد مشرقية بين عامي ١٩٢٠ و١٩٥٤، رغم أن هذا العدد بعيد عن الواقع لِنُدرة الوثائق.وأكثر هذه الجرائد هي جرائد تونسية (سياسية،إعلامية،دينية) وحتى المصرية والسورية...فالجرائد المصرية مثل الرابطة العربية والمُصوَّر وكلٌّ شيئ والإسلام.أما الجرائد التونسية فمثل النهضة والهلال والإرادة والأسبوع والزهرة والزّهو والمرجان والزيتونة.أما الجرائد السورية فمثل سورية الجديدة والجامعة الإسلامية...والجرائد السعودية مثل صوت الحجاز وأمّ القرى...وحتى الجرائد العراقية والمغربية ، ويذكر المؤرخ الفرنسي شارل روبير آجرون بأنه مع بداية القرن العشرين كان بالجزائر مئة وسبعة عشرة (١١٧) دورية مصرية تُتَداول بالجزائر. [١٣٢]

---

[131] الجابري.مرجع سابق. المقدمة والصفحة ٥٨.

[132] القورصو (محمد).حول إشكالية انتشار الصحافة المشرقية والمغربية في المستعمرة الجزائرية ما بين ١٩٢٠-١٩٥٤.الصحيفة وآثارها في الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين.وحدة البحث في الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية،اعداد خبر التاريخ والانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية،وهران،الجزائر،دفتر عدد ٣،نوفمبر ١٩٩٢ص٥٢. وأيضا Ageron, histoire... ,p 914

ووصلت الصحف عبر أكوام البريد وداخل السلع ومع الفرق المسرحية والغنائية ومع الحدود،وبطرق كثيرة لم تستطع صيحات المستوطنين ولا إجراءات الإدارة الصّارمة منع دخولها.[١٣٣]

ومن أهم المجلات التي تركت أثرها الكبير على الإصلاح الجزائري **المنار** و**الفتح**.وأغلب مصلحي ميزاب كانت تصلهم هاتين المجلّتين... وكان الشيخ بيوض يُدرس من أعدادهما في المسجد للعامة ولطلبته في المعهد،ويُلخّص أبو اليقظان نظرة الإصلاح لمجلة **الفتح** بقوله :"إن مجلة الفتح مجلة مقدّسة لايمسها إلا المطهرون لأنها تنطق عن لسان رب العالمين،ولو عرفها الناس حق معرفتها وقدروها حق قدرها لما خلا منها مكتب عالم ولا منضدة محام ولا محفظة تلميذ ولاخزانة طبيب ولاملف موظف..". [١٣٤]

٩- أثر الحرب العالمية الاولى:

ساهم عدد المهاجرين الجزائريين الذي اتخذ شكلا منظما بعد سنة ١٩١٦ بفضل قانون سنة ١٩١٤ الذي رفع القيود عن عدد المهاجرين في ازدياد عددهم،كما ساهم ارتباطهم بأهلهم أيضا في تأثيرهم إيجابا على تطور المجتمع الجزائري وانتعاش الحركة الإصلاحية، حيث أن النصف منهم يعود كل ثمانية (٨) شهور[١٣٥]. وفي إحدى السنوات هاجر واحد وسبعون (٧١) ألفا ،عاد منهم أربعة وخمسون (٥٤) ألفا.[١٣٦]

وبفضل تطورات الحرب فُتحت حرية وتمثيل الجزائريين لأول مرة في الدواوير والجماعة، ومَنحت فرنسا حق الانتخاب لأربع مئة وواحد وتسعين (٤٩١) ألف جزائري ،كما فَتحت نوعا ما

---

133 القورصو. المرجع السابق.ص٤٥.

134 أبو اليقظان. وادي ميزاب.ع٩٠، ٦ جويلية ١٩٢٨.

135 زوزو (عبد الحميد).الهجرة ودورها في الحركة الوطنية بين الحربين ١٩١٩-١٩٣٩.المؤسسة الوطنية للكتاب، ط ٢ ،١٩٨٥،ص٦٦

136 Merad (Ali).i Le reformisme musulman en Algerie de 1925 a 1940,essai d`histoire religieuse et sociale .les editions Elhikma,2em ed, 1999.pp56.57

من آفاق التعليم بشكل ملحوظ،مما خلق جوا مساعدا – ولو على المستوى النّفسي– لبروز النخبة وتقويتها في وجه المرابطية والجامدين وعملاء الإدارة، فساهموا في التخفيف من سيطرتهم بمناداتهم باللائكية والتعليم الفرنسي والصحافة والحضارة الأوربية. [١٣٧]

ويُصور عبد الرحمن البكري هذا الأثر بقوله: "...تنبّه شعور ميزاب كغيره من الأقطار على زعقات الحرب العالمية الأولى فأخذت تستيقظ شيئا فشيئا على توالي الأيام وتتابع السنين (بفضل التجنيد الإجباري) شعرت بالشر يزحف إلى حماها الأمين والانتكاث يهدد عهودها الخطيرة بفكرة الكفاح والصراع،فشعرت إذ ذاك بشدة حاجتها إلى عُدة الكفاح وهو التزود بالعلم الصحيح في صبغته الحديثة والتمرس بالعناصر الحية خارج حدود الوطن لتأليف جيش مثقف يحمل راية الكفاح عن جدارة واستحقاق". [١٣٨]

وتفاعلت في الحرب العالمية الأولى عوامل كثيرة ،كالهجرة ودخول المدن والتجنيد الإجباري ووصول تأثيرات الخلافة والمشرق والدعاية الألمانية وجهود الثعالبي وشكيب أرسلان....تفاعلت كلها لتجعل المتصرفين الإداريين الفرنسيين يكتبون في نهاية الحرب العالمية الأولى بأن الجزائريين قد تغيّروا كثيرا بعد الحرب. [١٣٩]

---

[137] سعد الله.الحركة الوطنية الجزائرية.ج٢ ،ص ص ٢٧٤، ٢٧٥.وايضا Ali Merad,op cit,p58

[138] بكلي (البكري).مسيرة الإصلاح.ص٩٠

[139] Ageron(C.R).Les Algeriennes misulmans et la France 1871-1919,t2.presse universitaire de France,1968,pp1179.1180

٢-العوامل الداخلية:

١ - السياسة الاستعمارية الاضطهادية وفشل الكفاح المسلح:

من المعروف أن هدف الاستعمار الفرنسي في الجزائر من خلال سياسته التدميرية المتكاملة هو إفناء العنصر الجزائري ماديا وروحيا، وإحلال العنصر الأوربي أرض الجزائر،ولعل الأوضاع العامة للمنطقتين – التي تناولناها -كانت تعبيرا ونتيجة لهذه السياسة التي انطلقت منذ ١٨٣٠.

ونتجة لفشل الكفاح المسلح الذي قاده في الزيبان ابن قانة وفرحات بن سعيد باسم أحمد باي أو باسم الأمير عبد القادر ،وبوزيان في ثورة الزعاطشة، وعبد الحفيظ الخنقي ،وسي الصادق..إلخ ،اتجهت زوايا المنطقة إلى الانغلاق والعزلة ورسم عالم مثالي صُّوفي يتجه إلى تقوية العادات والمقومات الروحية والاجتماعية في مقاومة هذا العدو،وهو ما تُرجم في الكتاتيب والزوايا والشعر الملحون والمدائح...وعدم التعامل مع الفرنسيين بفرض حالة اجتماعية نفسية لسان حالها : "اتركونا لوحدنا" مثلما استنتج **جول فيري** عندما ترأس بعثته البرلمانية لزيارة الجزائر نهاية القرن التاسع عشر،وهذه العزلة أو السياسة أو المقاومة (السلبية) سلكها الجزائريون بعد ما عرفوا – بعد سنوات من الدّم والجوع - أن الاستمرار في المقاومة المسلحة معناه الفناء. [١٤٠]

ومن جهتهم لم يستطع بنو ميزاب البقاء بعيدا عن طمع الفرنسيين الذين ما إن سيطروا على الأغواط حتى اتجهوا نحوها وأخضعوها للحماية ١٨٥٢،ولم يستطع التحالف الحذِر الذي عقده بنو ميزاب مع ثورة الشريف بوبغلة ثم أولاد سيدي الشيخ تحريرَهم من السيطرة الفرنسية ،ولم تلبث أن تطورت الحماية إلى الإلحاق في سنة ١٨٨٢،وراح الفرنسيون يتدخلون في الشؤون الميزابية التي كانوا أعلنوا أنها ستبقى شأنا داخليا مثل القضاء، واختيار القاضي، وعدد المحاكم وعملها ،والاستئناف في

[140] سعدالله.الحركة الوطنية.ج٢.ص٩٧

مجلس عمي سعيد، وحرية تنقل الميزابيين في الشمال ،وضمان حرية تجارتهم مع تونس والمغرب، وعدم التدخل في فرض القايد وشيخ العزابة..إلخ.

لقد شملت السياسة الاستعمارية في الجزائر مختلف الجوانب، لذا سنقتصر على أهم عناصرها وأشهر قوانينها فقط.ويأتي في المقدمة قانون الأهالي (الانديجينا) الذي يعد أشدّ ما توصلت إليه الإدارة الاستعمارية قسوة والأطول عمرا،فقد شرع في تطبيقه في ٢٠ جويلية ١٨٨١ وجُدد كلما انتهت مدته، و لم يُلغَ في الجنوب الجزائري إلى الاستقلال. [١٤١]

ولتفقير الجزائريين وتجفيف منابع الثورة استولت فرنسا على الأوقاف على مراحل،ونوّعت الضرائب المفروضة من فرنسية رسمية إلى عربية كالزكاة والعشور والراس وحراسة الغابات..ورغم إلغاء الضريبة العربية في ١٩١٨ إلا أنها استمرت في الجنوب.

ونختصر السياسة الدينية الاستعمارية في العمل على صنع إسلام (استعماري) يوافق خططها، ولا يهدد نفوذها في الجزائر ،ورغم تعامل بعض الموظفين الدينيين معها فإنها لم تستطع أن توفر إلى نهاية القرن التاسع عشر سوى مئة (١٠٠) منصب إمام، ونحو ثلاث مئة وتسعين (٣٩٠) عونا إماما

---

141 من أهم مواد قانون الأهالي :

-الكلام بما لايليق ضد فرنسا وحكومتها

-التأخر عن دفع الضرائب أو الغرائم او كل مال من أموال الدولة والبلدية

-إيواء أشخاص من غير الدائرة الممترجة إذا لم يكونوا حاملين رخصة السفر الخاصة دون إعلام رئيس الدائرة بذلك

-السكن المعزول الخارج عن الدشرة أو الدوار بدون اذن حاص من المتصرف أو نائبه

-الخروج من تراب الدائرة التي يسكن فيها والدخول في تراب دائرة أخرى إلا لمن يملك جواز سفر(يجدد كل سنة)

-عدم اتصال الاهلي (الجزائري) بمركز السلطة في حال استقر بمدينة غير مدينته الأصلية ولو لاربع وعشرين ساعة

-الخروج من السوق بماشيته لبيعها دون الحصول على شهادة من عضو اهلي في لجنته البلدية

-اذا قام بزيارة ولي له أو اقام في جماعة دون رخصة

- فتح أي محل ديني أو مدرسة للتعليم دون اذن

أما عقوبات المخالفة فهي النفي أو السجن الاداري أو الوضع تحت الرقابة الخاصة والحكم بالغرامات المشتركة على الدواوير والحكم بحجز الاملاك خاصة الأراضي والنفي الاداري وعدم تسليم جواز السفر أونزعه.المرجع السابق،ص ص٨٧. ٨٨.وأيضا سيف الإسلام (الزبير). تاريخ الصحافة في الجزائر.المؤسسة الوطنية للكتاب،دط،١٩٨٥،ج٤، ص٥١

لسكان يفوق عددهم ثلاثة ملايين ونصف المليون (٣,٥) مليون نسمة،ولم تكن ميزانية الشؤون الدينية كافية حتى لترميم المساجد، فالميزانية المخصصة للمسلم هي أقل من الميزانية المخصصة للكاثوليكي باثنتين وعشرين (٢٢) مرة،ومن الميزانية المخصصة للإسرائيلي بسبع (٧) مرات، ومن الميزانية المخصصة للبروتستانتي باثنتي عشرة (١٢) مرة. [١٤٢]

كما شملت هذه السياسة التنصير والتجهيل وطمس الشخصية الجزائرية، ويكفي أن نقول أن السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر هي سياسة "تشييئ " أي جعل الجزائري مجرد شيئ يحتل مؤقتا حيزا ما ولا تترتب عن إزالته أية تبعات تاريخية أو حضارية أو اجتماعية أو أخلاقية أو قانونية ،مما جعل التوجه إلى الإصلاح ضربا من الاستجابة للتحدي الذي مثّله الاستعمار الفرنسي، والنخبة المُلهَمة هي طبقة العلماء التي أخذت تتشكّل مع ما يعرف بالنهضة الجزائرية الحديثة. [١٤٣]

٣- النهضة الجزائرية الحديثة:

في بداية القرن العشرين برزت مظاهر نهضة جزائرية انعكست في الصحافة خاصة ،فظهرت صحيفة **المغرب** (١٩٠٣-١٩١٣) التي تكتب فيها نخبة إصلاحية متنورة (أمثال المجاوي وابن الموهوب ومحمد بن أبي شنب...)،كما ظهرت **المصباح** و**الجزائر** في سنة ١٩٠٨، و**الإسلام** في سنة ١٩١٢ ،و**الفاروق** لعمر بن قدور...إلخ، وأخذ تصوّرٌ جديد للقضية الوطنية يتبلور عبر هذه المظاهر،فشاع طبع وإحياء الأعمال الأدبية والتاريخية التي تُذكر بأمجاد الجزائريين ودورهم الحضاري (مثل أعمال

---

[142] آجرون (شارل روبير).المجتمع الجزائري في مخبر الايديولوجية الكولونيالية،مقاومة القبائل للادماج والتفكيك وفشل مشاريع التنصير والتجنيس.ترجمة وتقديم وتعليق ولد خليفة (محمد العربي)،منشورات ثالة،الجزائر،دط،٢٠٠٢،ص١٥٦.

[143] سليمان الشيخ،الجزائر تحمل السلاح ،دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة،ترجمة محمد حافظ الجمالي،منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال،دط،دت،ص ص ١٦٥، ١٧٦

ابن عمار والغبريني وابن مريم...وطبع الحفناوي لكتابه **تعريف الخلف برجال السلف** ،وأعاد محمد بن الأمير عبد القادر طبع كتابه **تحفة الزائر بمآثر الأمير عبد القادر**...).

ومن جهة أخرى انتشرت الجمعيات والنوادي (١٨٩٠-١٩١٤)، جامعةً في دورها بين المدرسة والملتقى الثقافي والرياضي والإسعافي والكشفي وحتى السياسي، كالتوفيقية في سنة ١٩٠٨،ووداديـة العلوم الجديدة ،ونادي التقدم ،ونادي الشباب الجزائري،وجمعية الهلال، ونادي صالح باي بقسنطينة ،والجمعية الرشيدية في الجزائر في سنة ١٨٩٤،وإذا عرفنا أن بعض منخرطيها والمطلعين عليها كانوا من أبناء منطقتي وميزاب عرفنا تأثير هذه النهضة في بعث الحركة الاصلاحية فيهما أو تنبيهها على الأقل.[١٤٤]

ويجب أن ننتبه إلى أن هذه النهضة هي الواسطة بين فكر محمد عبده والإصلاح في الجزائر كلِّه،وهذا لارتباطها بدورها بالشيخ محمد عبده .

فعبد القادر المجاوي كان ممن استقبل عبده،ومصطفى بن الخوجة (المضربة)(١٨٤٨-١٩١٣) عرف بصداقته له ومراسلته له ،و قد كلفه هذا العزلَ من تحرير جريدة **المُبشِّر** الفرنسية، ووصفه الشيخ عمر راسم بقوله:"ولوعٌ بالكتب المصرية ،شغوفٌ بمحبته الشيخ عبده،وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر وعَرّف الناس به وبجمال الدين الأفغاني وأصحابهما ،يعرف الشرق كأنه عاشره مائة عام".[١٤٥]

أمّا عبد الحليم بن سماية (١٨٦٦-١٩٣٣) فقد اشتهر بتدريسه رسالة التوحيد لمحمد عبده في الجامع الجديد،كما كانت له مراسلات مع الشيخين محمد عبده ومحمد رشيد رضا،وهو من كان وراء زيارته إلى الجزائر في سنة ١٩٠٤،وكان كتابه **فلسفة الإسلام** نتاج تأثره به، لكن الحكومة

---

144 انظر حول النهضة بن عدة (عبد المجيد).مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود الرواد المصلحين ١٩٠٠-١٩٢٥.معهد التاريخ،الجزائر،إشراف جمال قنان،١٩٩١-١٩٩٢(ماجستير مخطوطة).

145 طالبي (عمار).ابن باديس وآثاره.ص٣٥ و كذلك دبوز.نهضة .ج١،ص١٣٠.

الفرنسية رفضت طبعه لخطره عليها،ويذكر الشيخ محمد رشيد رضا بأن ابن سماية وابن الخوجة هما من كانا وراء الطلب من الشيخ محمد عبده بأن يطلب من صاحب مجلة **المنار** (رشيد رضا) أن لايتعرض لفرنسا في مجلته حتى لاتمنعها فرنسا في الجزائر لدورها الهام الذي علّق عنه الشيخ رضا بقوله:" لأننا نعدّه مدد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة عنّا ".[١٤٦]

ولمكانة الشيخ المجاوي وحربه على البدع والخرافات كما في منظومته "**اللُّمع في إنكار البدع**"، قام الشيخ اطفيش القطب بإرسال عدد من طلبته النجباء للتمدرس على يديه منهم الحاج الناصر الداغور وإبراهيم اطفيش..اللذين سيكون لهما شأن كبير في الإصلاح الإباضي،ومثل إبراهيم الطرابلسي الذي مكث بالجزائر ثمانية (٨) شهور والحاج الناصر بن إبراهيم كروش الذي مكث بالعاصمة أيضا ودرس على المجاوي أيضا. [١٤٧]

ولعل أقرب هذه المجموعة إلى متناول الزيبانيين – بحكم الموقع الجغرافي- هما الشيخ المجاوي قبل انتقاله إلى الجزائر من قسنطينة التي وعظ ودرس بها وبمدرستها الشرعية (الكتانية) .وأيضا تلميذه المولود بن الموهوب الذي درس بالمدرسة الشرعية (الكتانية) ثم الجامع الكبير، كما تولى منصب مفتي المالكية في قسنطينة ، إضافة إلى عضويته في نادي صالح باي التجديدي. [١٤٨]

وأثَّر ابن الموهوب بكتابيه شرح منظومة شيخه المجاوي في التوحيد ،و " **آداب الطريق** "في التصوُّف الذي حارب فيه البدع والخرافات.

---

[146] نفسه.ص ص ١٢٣، ١٢٦

[147] نفسه،ص ص٨٢، ٨٦.وأيضا :دبوز.نهضة.ج٢،ص١٩٤. كذلك: الهادي السنوسي .شعراء.ص ص ١٢٤،١٢١

[148] دبوز.نهضة.ج١،ص١٣٧

وممن تأثّر بعبده ومحمد رشيد رضا أيضا عمر بن قدور الذي عُرف بنشاطه الصحفي ومراسلته الصحف المشرقية كالحضارة التركية...وساهم نفيُه إلى الأغواط سنة١٩١٥ في اطلاع الصحراء على مُستجدات الإصلاح رغم أنه عاد منها متأثرا بالتصُّوف. [١٤٩]

وظلّت روح النهضة حيّةً في المدارس واعتنقها التلاميذ والطلبة في الجزائر وقسنطينة،ويذكر محمد الصالح رمضان بأن زميله محمد العابد الجلالي (١٨٩٠-١٩٦٧) - الزيباني- المُدرس بقسنطينة كان متأثرا بابن رحال وابن سماية والحفناوي وابن الموهوب. [١٥٠]

وفي مقابل هذه الجماعة ازدهرت حركة النُّخبة التي تضم الأطباء والصيادلة والمحامين والمدرسين وأصحاب المهن الحرة..وساهم هذا في تحريك روح التطور والاطّلاع على ما يحدث في العالم الغربي،وانعكست مطالبتهم بالمساواة مع الفرنسيين إيجابا على الإصلاح.[١٥١]

ويجعل العمودي التعليم الفرنسي والمدارس الشرعية (الدينية الفرنسية في الجزائر وقسنطينة وتلمسان (١٨٥٠) أحد أهم عوامل الاصلاح لتخريجها "شبيبةً مُهذبةً تتوقّد غيرة وهُياما بالنهوض والرُّقي" . [١٥٢]

٣-١- دور امحمد بن يوسف اطفيش في ميزاب:

---

149 عمر بن قدور:١٨٨٦-١٩٣٢،نشر مقالات كثيرة في الصحافة العربية والأخبار التابعة لفرنسا، أصدر الفاروق١٩١٣ وساهم في الصديق،نفي إلى الاغواط، ختم حياته متصوفا زاهدا.انظر حوله: معجم مشاهير المغاربة.ص ص ٤٣٤، ٤٣٥) ...الخ.وأيضا ناصر (محمد).رائد التضامن الإسلامي عمر بن قدور.الأصالة،الجزائر، ع٥٨، ٥٩، جوان /جويلية ١٩٧٨، ص ٥٨.

150 رمضان (محمد الصالح).محمد بن العابدالجلالي.الثقافة،ع٨٢

151 سعد الله .الحركة الوطنية .ج٢،ص٥٩

152 العمودي(الأمين) .الحركة الإصلاحية،سيرها،نتيجتها،مستقبلها.الاصلاح،ع٤، ٣ أكتوبر١٩٢٩ . الامين العمودي:ولد بواد سوف حوالي ١٨٩١،تعلم بالمكتب القرءاني ثم بالمكتب الفرنسي ،تتلمذ بالمدرسة الشرعية بقسنطينة ،وتولى منصب عدل بالمحكمة،تولى وكيلا شرعيا ببسكرة التي استقر بها،كتب ب**النجاح والبرق وصدى الصحراء والشهاب والإقدام**،ثم أسس **الدفاع** سنة١٩٣٤ بعد عضويته في جمعية العلماء ،وترأس منظمة شباب المؤتمر التي دافعت عن المؤتمر الإسلامي في جوان ١٩٣٦ .واستقال من الجمعية لإصرار العقبي على خروجه من مجلسها الإداري لأنه لا يعكس أخلاق العلماء،توفي مغتالا في سنة ١٩٥٧. انظر : بوكوشة (حمزة).شخصيات منسية الأمين العمودي.الثقافة، ، ع٦،جانفي ١٩٧٢.ص ص ٤٧، ٥٩

ولِد الشيخ امحمد بن الحاج يوسف اطفيش المُلقب بالقُطب في بني يزقن عام ١٨٢١، وأخذ جُلّ علومه عن أخيه العائد من عمان ومصر (إبراهيم)،واستفاد من مكتبة نجل الشيخ عبد العزيز الثميني التي جلبها من المشرق،ومن مكتبة زوجته التي تزوجها رغبة في كتبها.وقام القطب بفتح منزله للتدريس منذ عام ١٨٣٧،كما انضم إلى العزّابة ،وتولى مشيخة بني يزقن، وقام بزيارات كثيرة نحو ورقلة والقرارة التي كان يزورها سنويا مدرسا وواعظا ،وبريّان التي كان يزورها مرتين في السنة للغرض ذاته .وفي رحلته الثانية للحج زار بوسعادة أين مكث فترة وجيزة بزاوية الهامل وبقسنطينة وبعنابة،كما توقّف بالزيتونة وألقى بالمسجد النبوي درسا واحدا مما يعكس لنا مكانته العلمية.

وقد تعرض القطب للحصار والنفي لمواقفه المناهضة للحماية الفرنسية في ميزاب، فقد عارض التدخل في الشؤون الدينية وقدوم المنصرين إلى ميزاب...مما عرّضه للنفي إلى بونورة عشرة (١٠) سنوات كاملة .

وترك القطب آثارا هامة تنوعت بين كتبه و عدد تلاميذه الكبير من جربة وجبل نفوسة (ليبيـــا) وسلطنة عمان مثل سليمان الباروني المصلح المعروف الذي درس عليه وسعيد بن تغاريت الجربي...أمّا في ميزاب فقد درس عليه عمر لعلي وصالح بن يحي بن الحاج سليمان آل الشيخ والحاج عمر بن حمو بكلي والحاج الناصر بن ابراهيم الداغور ويحي بن صالح والحاج عمر بن يحي وأحمد بن الحاج الثميني وابراهيم بن بانوح امتياز(مطياز) [١٥٣] صالح بن الحاج محمد الداوي.

أمّا في مجال المؤلفات فقد اشتهر القطب بموسوعيته إذ ألّف في الأخلاق والأصول والبلاغة والتفسير والتجويد والتوحيد والتاريخ والحديث والحساب والسير والطب (الأعشاب) واللغة

[153] ابراهيم بن بانوح امتياز : (١٨٨٥-١٩٨١) ولد ببني يزقن ودرس بها على القطب ،درس في بونورة ثم فتح مدرســة عــصرية بالجزائر،دعم ابا اليقظان في صحافته،وجمعية العلماء ونادي الترقي،ترأس جمعية التوفيق في بني يزقن ١٩٤٧/١/٢٥. بن بكير.تاريخ بني ميزاب.ص ١٩٦.

والصرف والعروض والقافية والفلك والفلاحة وعلم الفرائض والفلسفة ومصطلح الحديث والمنطق والنحو والوعظ..

واتجهت الحركة الإصلاحية إلى تحقيق مؤلفاته ونشرها وشرحها لتطابق أفكاره مع أفكار الحركة الإصلاحية الميزابية ، حيث قام ابن أخيه إبراهيم بتحقيق عدد من مؤلفاته ونشرها في مصر[١٥٤].

ويجعل مصلحو ميزاب وعدد من الباحثين مرحلة القطب اطفيش بداية النهضة الحديثة والتمهيد للحركة الإصلاحية (مثل أبي اليقظان، إبراهيم بيوض، محمد علي دبوز،محمد ناصر..إلخ.).

وبحكم استقرار الميزابيين بالجزائر العاصمة فقد احتكوا بالنهضة وتأثروا بها، وعاشت ميزاب مع بداية القرن حركة علمية وسياسية حثيثة، ومن أهم الأسماء العلمية المتداولة في ميزاب مع بداية القرن العشرين عبد الرحمن بن عمر نوح (بني يزقن)، والحاج صالح بن محمد بومعقل الغرداوي ،ومحمد بن الحاج قاسم القراري، والحاج ابراهيم بن عيسى الأبريكي (القرارة)، والحاج عمر بن يحي المليكي، والحاج اسماعيل بن الحاج ابراهيم زرقون والحاج عمر بن حمو بكلي. [١٥٥]

وتأثّر الشيخ بيوض بدعوات المصلحين في الشرق أمثال الشيخ محمد عبده و جمال الدين الأفغاني و محمد رشيد رضا والكواكبي وشكيب أرسلان،خاصة بعد لقائه هذا الأخير في الحج سنة ١٩٢٩، أين ترك فيه أثرا وتحمسا كبيرين،ودليل هذا الاهتمام تخصيصُ أبي اليقظان عددا كاملا من **الأمة** لشكيب أرسلان وجهاده. [١٥٦]

---

154 ناصر (محمد).الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي.جمعية التراث،القرارة ،غرداية،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الرغاية،الجزائر،دط،١٩٩١ ، ،ص ٣٤

155 آعوشت.تاريخ بني ميزاب. ص ص ١٣٢، ١٣٤.

156 ناصر. الشيخ بيوض. ص١٧.

٣-٢- دور ابراهيم اطفيش:

وُلد إبراهيم اطفيش في سنة ١٨٨٦ ببني يزقن ، أين تربى وتعلم على يد عمِّه القطب الذي أثّر فيه تأثيرا عميقا، وتحوّل بعد إنهاء دراسته الابتدائية إلى العاصمة فتتلمذ مؤقتا على عبد القادر المجاوي في سنة ١٩١٠، وفي سنة ١٩١٧ تنقل إلى تونس أين درس في الزيتونة على يد محمد النخلي وعثمان بلخوجة والطاهر بن عاشور كبار علماء الزيتونة آنذاك ،كما بدأ في المساهمة في تأطير البعثة الميزابية بتونس منذ سنة ١٩١٣ رفقة الثميني وأبي اليقظان ،وشرع في نشر مقالاته في الصحافة التونسية والمصرية والجزائرية التي عكست تحمسا كبيرا للإصلاح وحربا لاهوادة فيها على المعارضة الجامدة ،تُوِّجت بطبعه كتابه **"الدعاية إلى سبيل المؤمنين"** وانخراطه في الحزب الدستوري الحر ،فنُفي إلى القاهرة التي أسّس فيها مجلته **المنهاج**، وحقق وطبع سبعة كتب لعمه اطفيش القطب،كما ساهم في جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا مع الخضر حسين ومحي الدين القليبي وبورقيبة،كما حضر المؤتمر الإسلامي بالقدس سنة ١٩٣١، وشغل عضوا بجمعية الهداية الاسلامية، وعضوا في اللجنة المؤسسة لجمعية الإخوان المسلمين،إضافة لاشتغاله بدار الكتب المصرية مُشرفا على الطبع فيها. [١٥٧]

واحتل إبراهيم اطفيش مكانة خطيرة لدى مصلحي ميزاب والمصلحين الجزائريين عموما فكان عينَهم على الخارج ولسانهم إليه ،ويتشابه دوره مع دور كل من الطيب العقبي ومحمد الخضر حسين بالنسبة للزيبان من حيث الاطلاع والاحتكاك بتيارات النهضة العربية، مع ايجابية أكبر بالنسبة لاطفيش الذي ظل وفيّاً لميزابيته رغم انشغاله في تونس ومصر، خاصة بعد تأسيسه لمجلته **المنهاج**، التي هي مجلة علمية سياسية اجتماعية نصف شهرية ثم شهرية، دامت سبع سنوات بداية من أوت ١٩٢٥ ، وقد كانت تصل من القاهرة لتوزع في أقطار المغرب والمشرق العربيين،كما استطاع أن يجند لها

[157] ناصر.الشيخ إبراهيم اطفيش. ص ص ١٥، ٤٤.

كبار الأدباء والمصلحين في العالم الإسلامي للكتابة فيها مثل محب الدين الخطيب وأحمد زكي وعلـــي سرور الزنكلوني وسليمان الباروني.[١٥٨]

٤- الرصيد التاريخي:

١- الزيبان:

أ- المراكز الإسلامية التاريخية:

احتلت الزيبان مكانة خاصة تاريخياً، إذ عرفت بأنها بوّابة الإسلام إلى الجزائر والمغرب والأندلس ،كما عُرفت بأنها مَرقد الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري وكثير من رفاقه من الصحابة والتابعين، مما منحها مكانة روحية متميزة، فمدينة سيدي عقبة أخذت اسمها منه وقامت حول ضريحه[١٥٩]،كما أن مدينة سيدي خالد أخذت اسمها من النبي خالد بن سنان العَبْسي وقامت على ضريحه،وراح أهل الزيبان منذ القديم يؤلفون المؤلفات والقصص – افتخارا- حول إثبات نبوته، مثلما فعل المُتصوف عبد الرحمن الأخضري الذي أثبت نبوءة خالد بن سنان العَبْسي بواسطة الكَشْف عند الصوفية (الكَرامة) ومثل عبد المجيد حبة (١٩١١-١٩٩٢) الذي ألّف كتابا سمّاه "حدّ السنان على من أنكر نبوءة خالد بن سنان".

---

158 ناصر، الشيخ ابراهيم اطفيش. ص ص ١٣٥، ١٣٦) واحتفظ إبراهيم اطفيش باحترام ومراسلات دائمة مع زعمـــاء الإصـــلاح الميزابي خاصة أبي اليقظان (انظر مثلا: المغرب. مهرجان الزعيم الخطير. ع ١٥، ٩ سبتمبر ١٩٣٠. وقصيدة مفدي زكريا فيه في نفس العدد بعنوان (فتى المغرب).و أيضا بلحاج (قاسم أحمد الشيخ). أبو اليقظان معالم في جهاده. الموافقات، عدد خـــاص، ١٩٩٥ ، ص ٥٠١.

159 عقبة بن نافع :عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري القرشي، ولد قبل الهجرة بسنةنقاد الجيش الإسلامي الذي فتح مصر وافريقيا نفي ٤٩ هـــ عين واليا على افريقيا وبنى القيروان،عزل في ٥٥هـــ،عاد واليا على افريقيا في ٦٢هـــ،وفي رجوعه من فتح المغرب الاقصى ،تمكن أبو المهاجر دينار وكسيلة من الفرار من سجنه وتجهيز حملة ضده في تهودة قرب بسكرة أين قتل كل من مع عقبة بن نافع من الصحابة والتابعين في ٦٣هـــ،وبعد مقتل عقبة بسنين بنيت قبة في مكان المعركة دفن فيها عقبة وأصحابه ثم بني مسجد وبعد ذلك مدينة أصبحت تحمل اسم سيدي عقبة.انظر أبوعمران (الشيخ)، سعيدوني(ناصر الدين) وآخرون.معجم مشاهير المغاربة.جامعة الجزائر،المؤسسة الجزائرية للطباعة،دط،دت،ص ص ٣٦٥، ٣٦٦

فكانت هذه المراكز داعما روحيا لمحافظة المنطقة وشعورها الجمعي بأهميتها الدينية على المستوى العام،ومن الطرائف أن نجد صراعا على صفحات إحدى الجرائد حول مسألة إثبات هلال رمضان يدافع فيها أحد الزيبانيين عن أهليّة بسكرة لإثبات هلال رمضان لأنها أرض عقبة وخالد بن سنان و الصحابة والتابعين..ويفضلها على غيرها من المناطق . [١٦٠]

ب- الفكر الإصلاحي في المنطقة:

تعود جذور الإصلاح (السّلفية) إلى القرن السابع الهجري عندما انتشرت دعوة أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي ٧١٩هـ،ودعوة الشيخ زروق الفاسي الذي تأثر به ابن مرزوق الحفيد (في تلمسان)والخروبي(ت ٩٦٣هـ)ومحمد الصغير بن عامر الأخضري (والد المُتصوف عبد الرحمن الاخضري) والجيلالي بن المنور المجاجي....وعبد الكريم بنت الفقون وعبد الرحمن المجاجي وأبي راس الناصري فعبد القادر المجاوي أخيرا . [١٦١]

ومن جهتها عرفت الزيبان منذ القديم ظهور أقطاب سلفيين تركوا آثارهم الواضحة ،أهمهم الشيخ **سعادة** صاحب جيش السنة الذي انطلق من طولقة، وانتشرت دعوته بين واد ريغ وواد سوف، وحارب البدعة بواسطة زاويته التي بناها لأتباعه، ورغم مقتله إلا أن دعوته استمرت بعده وبقيت في الصحراء والواحات المغلقة.[١٦٢]

ج- عبد الرحمن الأخضري المتصوف السُنّي:

---

[160] دالي (علي محمد الطاهر).صوت الصحراء.الصديق،ع٤٣، ١٣سبتمبر١٩٢١

[161] رمضان (محمد الصالح).أقطاب السلفية في الجزائر ورؤيتهم الدينية والوطنية.مجلة التراث، جمعية التاريخ والتراث الأثري،باتنة،ع٤، ديسمبر ١٩٨٩ص ص ٨٠، ٨٣

[162] نفسه،ص٩٣

يُعد الأخضري أهم شخصية دينية في الزيبان في العصر الحديث ،وهو عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الاخضري ولد في سنة ٩٢٠هـ، وألف أكثر من ثلاثين (٣٠) مؤلفا في العبادات والتوحيد والتصوف والحساب والفلك ...دُرِّست في الزيتونة والأزهر والقرويين،وتأثر الناس بها قديما وحديثا، فطبعت وشرحت عدة مرات في المشرق والمغرب، فطبعت مع فتاوي ابن الصلاح وكتاب الزَّهر الباسم والرسائل الجلية ،كما شرحها الحسين الورتلاني في رحلته .ونسج على منوالها ابن الفقون القسنطيني في كتابه "**منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية** "...والأهم أن الشيخ المصلح المولود الزريبي قد شرحها في مخطوط وربما تناولها في وعظه للعامة لما عرف من تعلقها بها ،وظلت منظومات الأخضري الصّوفية واللغوية والدينية تدرس وتُرتّل بالزوايا إلى اليوم.

حارب الأخضري البدع المنتشرة في الزيبان والتصوف الخاطئ في منظومته ،كقوله:

ومن شروط الذكر أن لاينقصوا بعض حروف الاسم أو يفرطوا

في البعـــض من مناسك الشريعة عمـــداً فتلك بدعـــة شنيعـــة

والرقص والصراخ والتصفيـــق عمـــداً بذكـــــر الله لاتليـــق

فـــواجب تنزيـــه ذكـــر الله علـــى اللبيب الـــذاكـــر الأوّاه

ومِن حربه على الصوفية قوله مثلا:

قد ادَّعوا مراتب جليـــــــلة والشرع قد تجنبوا سبيلـــه

ونبذوا شـــــريعة الـــرسول فاليوم قد حادوا عن السبيل

لـــم يقـــــتدوا بسيد الأنـــام فـــخرجوا عن ملة الإسلام

لـــم يعملوا بمقتضيات الكتاب وسنة الهـــادي إلى الصواب

ويُحدّد التصّوف السُّني الصحيح في قوله:

واعلم بأن الولي الربّاني لتابـــع السنة والقرءان

والفرق بين الإفك والصواب ليعرف بالسنة والكتاب [١٦٣]

فنهل المصلحون من فكر الأخضري في أول أمرهم في الزوايا والكتاتيب وتأثروا به وطالبوا الطرقيين بالالتزام بتصّوفه وقراءة آثاره كما جاءت.

ومن جهة أخرى عرفت منطقة الزيبان السنوسية التي تتطابق مع الوهابية، والتي اتخـــذت لهـــا مقرا غير بعيد منها في ليبيا،كما أن مؤسس الطريقة كان يتردد على الجنوب الجزائري لزيارة أصهاره في بوسعادة غرب الزيبان ،ومن خلال المقاومات التي تفجّرت باسمها في الزيبان مثـــل ثـــورة ســـي الصادق وبوشوشة...[١٦٤]

٢- ميزاب:

حافظت ميزاب لحدٍّ ما على إرث علمي كبير بواسطة احتكاكها بتونس، وهو ما جعلها تزخر بعلماء أجلاء – حتى قبل الاحتلال- بقي تأثيرهم شائعا في أرجاء ميزاب [١٦٥] مثل:

- أبوزكريا يحي بن صالح الأفضلي (١١٢٠هـــ-١٢٢٣هـــ) الذي يعد ملهم القطب اطفيش، ومـــن المنادين بتعطيل العادات لصالح الشرائع الدينية،عاد أبو زكرياء من جربة بعد أن درس على علمائهـــا

---

163 رمضان .أقطاب السلفية في الجزائر ورؤيتهم الدينية والوطنية..ص ص ١٠٠، ١٠٤.

164 أنور الجندي.العالم الإسلامي والاستعمار.دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٦٤.

165 مثلا في غرداية:أبو القاسم بن يحي وابنه حمو والحاج بلقاسم والحاج مسعود وبابا بن محمد وبابا بن يونس عمي سعيد بن علـــي الجربي وابنه صالح ،وعمر بن صالح،وصالح بن محمد بومعقل، وحمو بن باحمد بابا.وفي العطف يحي بن موسى وأيوب بن قاسم وباحمد بن عبد الله وابوبكر بن الشيخ داود بن يوسف بابا دادي،وحمو بن باحمد بكلي ويوسف بن بكير حمو وعلي.. وفي مليكة ابومهـــدي عيسىبن اسماعيل،ويحي بن داود،وسعيد أبوبكر،ويوسف بن محمد المصعبي وابنه محمد بن يوسف،والحاج يحي بن صالح باعمارة.ومن بونورة:دحمان،وحمو بن موسى،والحاج صالح بن الحاج أحمد...ومن القرارة بالحاج بن كاسي،والشيخ قاسم،والحاج محمد بن الحـــاج قاسم..انظر: دبوز.نهضة الجزائر، ج١، ص ص ٩٧، ١٠٠.

مدة اثنتي عشرة (١٢) سنة،وقد أخذت شهرته اتساعا كبيرا من خلال تلاميذه الذين منهم عبد العزيز الثميني والشيخ حمو والحاج اليزقني وابنه العلامة الشيخ أبو يعقوب يوسف بن عدون والشيخ الحاج ابراهيم بن بيحمان،وابنه الشيخ موسى بن يحي بن صالح .

- ضياء الدين عبد العزيز الثميني:١١٣٠-١٢٢٣ ،عُرف باقتنائه الكتب الكثيرة من جربة وسلطنة عمان وأنحاء المغرب،ساهم بوعظه في بني يزقن وترؤسه عزابتها والإسهام في التأليف والشرح والتلخيص (اثنا عشر(١٢) مؤلفا، كما اشتهر بحربه على البدع وصِلاته الكبيرة بعلماء الجزائر والمغرب،لكن انشغاله الكبير بالبحث والتأليف حَرَم ميزاب من علمه وجهده.[١٦٦]

- الشيخ أبو يعقوب يوسف بن عدون (١١٥٨-١٢٢٥)خليفة عبد العزيز الثميني،درَس بالأزهرمدة أربع (٤) سنوات، وترك مؤلفات وحواشي كثيرة.

- الشيخ الحاج محمد آزبار الذي درس بمصر وعمان،وعظ ببني يزقن ودرس القطب اطفيش،تُوِّجت علاقاته بالمشرق في إهدائه خزانة كتب من سلطنة عمان.

- إبراهيم بن يوسف اطفيش شقيق القطب، الذي درس خارج ميزاب في مصر وعمان، وجلب معه الكتب النفيسة،توفي في ١٣١٠هـ. [١٦٧]

أ- دور المراكز العلمية في ميزاب:

حافظت ميزاب على التعليم العربي رغم الحصار المفروض عليه، ولكن طبيعة القصور والأزقّة الميزابية عرقلت عمل القياد والمراقبين للمدارس، فانتشرت المدارس والمحاضر والكتاتيب في المساجد وفي البيوت واستفادت منها حتى النساء الميزابيات.

166 نفس المصدر. ص ص ٢٥٠، ٢٧٨

167 نفسه.ص ص ٢٨٣، ٢٨٥.

وفي القرارة مثلا وجدت مع بداية القرن أربعة معاهد للقرءان وعلوم العربية والـــشريعة، هـــي معهد الابريكي ومعهد عمر بن يحي ومعهد ابراهيم بن كاسي ومدرسة إبراهيم الطرابلسي،أما بـــني يزقن عاصمة الحركة العلمية على عهد القطب ففيها ثلاث محاضر، فيها مئة وأربعـــة عـــشر (١١٤) تلميذا وثمان وستون (٦٨) تلميذا يدرسون بالمنازل مع بداية القرن ،وكان التعليم على بساطته يدوم كل أيام الأسبوع عدا الخميس والجمعة. [١٦٨]

وتمتعت ميزاب بميزة حُرِمت منها باقي مناطق البلاد وهي تغذية الأوقاف، ففرنـــسا اســـتولت على الأوقاف الجزائرية منذ سنة ١٨٣٠ بالتدريج بينما ظل الميزابيون محافظين عليها، مما وفر دعمـــا لحركة التعليم وللمجتمع ككل، وفي إحدى المناسبات كتب أحد الضباط الفرنسيين المُتـــرجِمين في ميزاب سنة ١٩١٣ عن أوقاف المساجد والمقابر الميزابية بأنها موزعة كالتالي : عشر آلاف وثلاث مئة (١٠٣٠٠) نخلة، وأربعة وعشرون ألفا وخمسة مئة (٢٤٥٠٠) عرجون تمر سنويا، و ألفان وثلاثة مئـــة وخمسة (٢٣٠٥) خروفـــا في الـــسنة ،وقطعـــة أرض في بريـــان، وقطعـــة أرض فيهـــا بئـــران في مليكة.وانتقد[١٦٩] أحد الأوربيين أمام الطاعة الكبيرة التي يتصرف بها الميزابي مع الهيئات الدينية الخيرية، فكتب قائلا: " إن الميزابي مع تحكّمه في أمور التجارة ،وأنّه لايستطيع منح حبة قمح واحدة ،إلا أنه لايتوانى في التضحية بقسط هام من فوائده بل حتى من رأسماله من أجل ترميم مسجد أو بناء مدرسة "[170] .

أ–١ مدرسة أبي اليقظان:

[168] آعوشت .تاريخ.... ص ١٢١، دبوز. نهضة الجزائر. ج٢، ص ١٩٨.

[169] Bendrissou. op cit, p 47.

[170] Ibid. p 47.

يمكن أن نعتبر مدرسة أبي اليقظان التي أسسها في جوان ١٩١٥ في القرارة تعبيرا مباشـــرا عـــن تأثّره بالنهضة التونسية وارهاصا إصلاحيا واضحا، وساعدته عشيرته في القرارة على فتح هذه المدرسة التي استقطبت خمساً وثلاثين (٣٥) تلميذا، يدرسون القرءان والقراءة وعلم الأشياء والنحو وســـيرة الرسول (ص) وتاريخ الجزائر والجغرافية الطبيعية والفقه والحساب والمحفوظات، وحتى التربية البدنية، ورغم أنها لم تدم أكثر من سنة وأشهر إلا أنها لفتت الانتباه إلى ضرورة تطـــوير التعلـــيم والاقتـــداء بالنهضة التونسية .

وبالموازاة مع نشاط مدرسته، أسّس ندوته التي جمعت النّخبة المتنورة الميزابية من الطلبة الكبـــار في معاهد الحاج عمر بن يحي وابراهيم بن كاسي وإبراهيم بن بكير حفّـــار ومدرســـة الطرابلـــسي ،وزملائه الشيخ إبراهيم بيوض وعبد الله بن إبراهيم أبو العلاء وعمر العنق وإبراهيم بن الحاج ســـعيد والحاج سليمان بن الحاج يوسف بربوشة..إلخ.[١٧١]

ب- روح المحافظة في ميزاب:

هاجر الميزابيون إلى وادي ميزاب قبل قرون من تيهرت، وتحملوا العزلة وقـــساوة الظـــروف الطبيعية في سبيل الحفاظ على مذهبهم الإباضي،لذا عرفوا بتشدّدهم الديني الذي لانجد له نظـــيرا في المذاهب الإسلامية الأخرى المعاصرة، حتى أنهم يجعلون مؤتمرا سنويا لمحاربة مظاهر البدع والخرافـــات يسمى بمؤتمر "ننهى عن المنكر" ،لكن هذا المؤتمر اختفى مع الاحتلال الفرنسي".[١٧٢]

وظلت العزّابة تمثل دور السلطتين السياسية والدينية بامتياز،فاستطاعت عزّابة غرداية – مثلا- أن تسلط سلاح البراءة على قايد غرداية الذي استعمل الموسيقى – المُحرّمة في المذهب الإباضي- في

---

171 دبوز. أعلام. ج٣، ص٢١١.

172 دبوز. نهضة.ج٢، ص ١٩٨.

احتفالاته سنة ١٩٠٦،كما رفضت فتح دُور البغاء في غرداية حفاظا على عِفّة أهلها وتمكنت من إغلاقها نهائيا سنة ١٩٠٨.[١٧٣]

كما ساهمت المرأة الميزابية أيضا في الحفاظ على المجتمع، عندما كانت تشترط في كتاب زواجها (عقد الزواج) على زوجها أداء الصلاة واجتناب الكبائر وعدم بقائه في الشمال أكثر من سنتين.[١٧٤]

وخوفا من تفسخ المجتمع وذوبانه تشترط العزّابة أن يُولد الميزابيون ويُدفنوا في ميزاب،ولا تجيز للمرأة الخروج من ميزاب حتى مع زوجها إلا لأداء الحج،مما دفع بكاتب اللجنة الفرعية المكلفة بالبحث في الجزائر عن لجنة الجزائر والمستعمرات والأوطان أن يكتب عنهم قائلا: " ومعاملتهم التجارية الكثيرة مع سكان الشمال الإفريقي لم تخلق بينهم وبين هؤلاء لا روابط علمية ولاعلائق قَبَليّة...وتتميز تلك الأمة الصغيرة بحبها الاستقلال الذي ترى فيه ما يحقق لها استقلالها الديني والحرية في عبادتها حسب مذهبها الإباضي الذي طالما اضطهده المسلمون السنّيّون". [١٧٥]

٥- الزوايا والمراكز العلمية:

رغم ماطرأ على دور الزوايا من تحريف وضعف في أدائها إلا أنها ظلت تؤدي دورا هاما في الحفاظ على الشخصية الوطنية بمقوماتها الدينية واللغوية،وظلت المؤسسة الوطنية الوحيدة البعيدة عن الإشراف والتحكُّم الفرنسي والقائمة في وجهه،فإثر فشل دورها العسكري للتصدي للاحتلال، تراجعت نحو الدور الروحي الديني التعليمي.

---

173 أفلح. كلمة وجيزة عن بقية السلف الصالح. الشيخ الحاج إبراهيم بن يحي.الأمة، ع ١٠٨، ٢ فيفري١٩٣٧.

174 دبوز. نهضة..ج١، ص ٢٢٩

175 عمر بن عيسى بن إبراهيم الحاج محمد . مصدر سابق، ص ص ٤٥، ٤٦.

وفي الزيبان وخارجها اشتهرت زاوية علي بن عمر(طولقة) التي امتلكت رصيدا تاريخيا هاما أهَّلها لتزعم الطريقة الرحمانية في كل الجنوب،كما اشتهرت بمكتبتها الكبيرة التي وصفت بـــ "**وحيدة الإيالة**" والتي حوت أكثر من ثلاثين (٣٠) ألف مخطوط [١٧٦]،وزاوية أولاد جلاّل وزاويـــة ســـيدي خالد،وزاوية الخنقة التي اشتهرت بنشر العلم وتوافـــد الطلبـــة إليهـــا مـــن الأوراس والـــصحراء وقسنطينة،إضافة إلى مراكز علمية عريقة، مثل جامع سيدي مبارك بضريحه ومسجد السوق ومسجد عبد الحفيظ الخنقي ومسجد كرزدة وسدراته...إلخ.[١٧٧]

وربَّما تأثرت زوايا الزيبان وطلبتها بالتطور الحاصل في زاوية تقرت مـــن حيـــث علاقتـــها بالإصلاح، وكذا بفكر عمار بن الأزعر وعبد العزيز الهاشمي بواد سوف فيما بعد باعتبارالأخير شيخ زاوية،فنجد أن الشيخ محمد الطاهر عمارة اتجه بزاويته في تقرت اتجاها إصلاحيا ، فـــرفض الهـــدايا وأنكر تقبيل اليد وأرسل أبناءه إلى الزيتونة للتعلم،ورغم وفاته المبكرة إلا أن عمّه أحمد التيجاني واصل المسيرة الإصلاحية من بعده.[١٧٨]

وإلى الزوايا يعود الفضل في تكوين عدد من المصلحين أمثال العربي التبسي ومولود الـــزريبي ونعيم النعيمي وفرحات الدراجي وأحمد بن العابد العقبي وزهير الزاهري والسعيد الزاهري،وعلي بن عمارة البرجي..[١٧٩]

---

[176] النجاح. طولقة. ع ١٨٥، ديسمبر ١٩٢٣.

[177] سعد الله. تجارب في الأدب والرحلة. النؤسسة الوطنية للكتاب، دط، ١٩٨٣، ص ص ٢٥٩، ٢٦٣.

[178]عمار بن الأزعر: حضر الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء ،اضطهد من طرف السلطات الفرنسيةن ثم نفي إلى الحجاز.أما عبـــد العزيز الهاشمي هو الابن الثالث لمحمد الهاشمي بن ابراهيم الذي أسس زاوية عميش بواد سوف، قاد تمردا ضد فرنسا ١٩١٨ بينما ولد ابنه عبدالعزيز في ١٨٩٨، ودرس بالزيتونة، وانخرط في جمعية العلماء وقاد تمردا ضد فرنسا ١٩٣٨. أنظر أبو القاسم سعد الله، أفكـــار جامحة. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٨، ص١٧٤. وأيضا محمد علي دبوز، نهضة، ج١، ص ص ٨٢، ٨٦.

[179] فرحات بن الدراجي الليشاني:١٩٠٦ -١٩٥١ ولد قرب طولقة حصل على شهادة التطويع من الزيتونة، ودرس بمدرسة الـــشبيبة في الجزائر ثم سيق ثم مارسيليا حيث عمل ممثلا لجمعية العلماء ثم البليدة، شغل نائب كاتب عام لجمعية العلمـــاء، عـــرف بكتاباتـــه الصحفية، توفي ١٣ ماي ١٩٥١. انظر حمزة بوكوشة. صديقي فرحات. البصائر، ع ١٥٨، ١٩٥١/٦/٤. و كذلك بن أحمـــد بـــن

ورغم كل النقائص إلا أن الزوايا مثّلت حتى بداية القرن العشرين مُنافسا علميا ودينيا وقوميا وتربويا لموجة التعليم والمسخ الفرنسي،حتى أن أحد الفرنسيين كتب في نهاية القرن التاسع عشر:" إن التعليم في الجزائر الآن (أي سنة١٨٩١) تحت إشراف الأهالي أنفسهم،والزاوية حيث يتعلم التلاميذ القرءان وتفسيره هي المؤسسة التعليمية الوحيدة في المستعمرة ". [١٨٠]

٦- الإشعاع العلمي لقسنطينة:

ارتبط الزيبانيون والميزاب بقسنطينة تجاريا وعلميا،كما أن وقوعها في تراب الحكم المدني وقربها نسبياً من الصحراء ،خاصة مع وجود خط القطار، سهّل الإقبال عليها.

فَعُرفت قسنطينة بمعهدها الكتاني (منذ سنة ١٧٧٦) الذي حَوَّله الفرنسيون في سنة ١٨٥٠ إلى مدرسة شرعية تخرج منها كثير من أبناء الزيبان،كما احتضنت علماء كبار ،مثل المجاوي وابن الموهوب والفقون والبوطالبي وابن زقوطة والعطّار...والذين عُرفوا بدورهم بدروسهم المسجدية الكثيرة. [١٨١]

وبفضل الشيخ عبد الحميد بن باديس ظهرت دروس الجامع الأخضر وسيدي قمّوش في علوم كثيرة تدعمت بتوفير المأوى والغذاء ،مما ساهم في ازدياد عدد طلبة الزيبان في مدينة قسنطينة. [١٨٢]

ومن طلبة الزيبان في الجامع الأخضر سنة ١٩٣٤ نجد يحياوي علي من برج طولقة، ومحمد بن عبدالله وأحمد بن صالح ذياب ومحمد الشريف بن أحمد من القنطرة ،والوردي بن الحاج التركي

ذياب. فرحات الدراجي الأديب والعالم. الثقافة، الجزائر،ع٣٥، أكتوبر نوفمبر، أنظر أيضا عويمر (مولود). التجربة الدعوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا ١٩٣٦-١٩٥٤. باريس، تعارف، مجلة مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، العدد ١، ٢٠٠١.

[180] بن عدة. مرجع سابق، ص٦٣، نقلا عن مجلة الفكر العربي،ع ٢١،١٩٨١، ص١٧٨.

[181] السحنوني (امقران). المعهد الكتاني بقسنطينة قرنان في خدمة الثقافة العربية و الإسلامية ١٧٨٧-١٩٨٧. مجلة التراث، باتنة، الجزائر،ع ٤، ص ص ١٢٣، ١٤٥. وكذلك: الشهاب. الدروس المسجدية في قسنطينة. ع٤، ديسمبر ونوفمبر ١٩٢٩

[182] الصراط.ع٤، ٩أكتوبر١٩٣٣.

والسعيد بن الطاهر والمسعود بن علي من بسكرة..إلخ.، ويجعل محمد البشير الإبراهيمي دروس الجامع الأخضر من بين عوامل ظهور الإصلاح وانتعاشه في الجزائر.[١٨٣]

٧- ملائمة منطقة الزيبان للإصلاح:

لعب الطابع الريفي القبلي دورا هاما في الحفاظ على مظاهر الشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على الولاء القبيلة و اللغة العربية والعادات ومظاهر التديّن،وظلت مناطق الزيبان الجنوبية بعيدة عن مظاهر التفرنج وطمس الشخصية التي عرفتها باقي المناطق الجزائرية ، وهذا لصحراوية المنطقة وقساوة طبيعتها.

وعُرفت المنطقة — من جهة أخرى- بفقهائها وأدبائها ووعاظها وشعرائها أمثال الزواهر (زهير الزاهري، والسعيد الزاهري، وعبد الرحيم الزاهري، وعلي بن العابد السنوسي الزاهري، ومحمد بن ناجي الزاهري..)، وأبوبكر مصطفى بن رحمون، وسي الأخضر الليباني، والجموعي الزريبي، والعزوزي حوحو، وفرحات بن العابد الدراجي، وحامد العبيدي الليباني، والصادق بلهادي (١٨٧٥-١٩٣٩)، ومحمد بن الدايخة المنصوري (١٨٨٢-١٩٥١)، والهاشمي بن مبارك (١٨٨٢-١٩٦٧)، وعبد الرحماني العُقبي (١٨٤٦-١٩٢٨).[١٨٤]

ومن جهة أخرى اعتبِرت بسكرة عاصمة إدارية واقتصادية للزيبان لوقوعها في الحكم المدني الملائم للنشاط الإصلاحي، ولقربها من الأوراس والشمال بفضل توفر القطار، كما اعتبرت أيضا رأس الحربة في مواجهة الاصطدام بالزحف الأوربي نحو المنطقة.لهذا استقطبت شخصيات هامة لعبت

---

183 طلبة الجامع الأخضر. الشهاب. ج٨،م١٠، جويلية ١٩٣٤. وأيضا السجل. ص ص ٤٧ ،٤٩.

184 أنظرالهادي السنوسي. شعراء الجزائر. وكذلك :شهادة الشيخ محمد الصالح رمضان في مترله بالقبة للباحث يوم الخميس ١٦ فيفري ٢٠٠٦.

دورها في الإصلاح من واد سوف وواد ريغ وتوقرت..مثل الأمين العمودي ومحمد العيد آل خليفة والحفناوي هالي وحمزة بوكوشة..إلخ.

وشكّل جامع **بكّار** قِبلة المُصلحين وأتباعهم للقاء العقبي ودروسه المتنوعة.وفي سنة ١٨٨٠ تحدّثت التقارير الفرنسية عن وجود سبعة عشر (١٧) مسجدا ببسكرة وحدها. [١٨٥]

ويمكن أن نُدرج استقرار محمد الطاهر بن الشيخ حمدان الونيسي في بسكرة كنقطة إيجابية لصالح الإصلاح، خاصة أنه جلب خزانة والده من الكتب، واحتك بالمصلحين، من خلال تهنئته للهادي السنوسي بمناسبة تأليفه كتابه "شعراء الجزائر"، وحضوره للقاء وفد الشيخ ابن باديس – تلميذ والده – الذي زار بسكرة في سنة ١٩٢٦.

كما امتاز أهل الزيبان الريفيين بحفاظهم على سجيّتهم رغم انتشار الخرافات فيهم، وفي هذا الصدد يمدحهم الهادي النوسي – الذي هو ابن المنطقة – بقوله :" بَيْدَ أنك تجد فيهم من اللِّين والإصغاء عند الخطاب ما لا تجده في غير أبناء الصحراء".[١٨٦]

٨- دور الزيارات الإصلاحية:

لقد لعبت الزيارات دورا هاما في إنعاش الحركة الإصلاحية ودعمها وشد أزرها أمام المعارضة والحرب التي واجهتها من طرف الطرقيين والجامدين والإدارة وموظفيها،فكانت بمثابة تكوين ميداني ونصر إعلامي وردٍّ على المعارضين بأن الحركة الإصلاحية في الزيبان ليست معزولة، وإنما هي تابعة لحركة عامة في الوطن،وأهم هذه الزيارات الإصلاحية هي:

---

[185] هذه المساجد هي: سيدي علي مقري،وسيدي منصور،وسيدي الجودي،وسيدي صحابي،وسيدي داود الفوقاني،وسيدي داود السفلي،وسيدي زردال،وسيدي كوفي،وسيدي بلقاسم،وسيدي صالح أحمد،وسيدي علي دليل، وسيدي حيواني، وسيدي إبراهيم عمري، وسيدي هان،وسيدي امعمر،وسيدي مؤنس، وسيدي الحاجب. انظر مريوش(أحمد). الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية. رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، إشراف أبو القاسم سعد الله، ١٩٩٢، ص ٥٤.

[186] الهادي السنوسي. بسكرة. الشهاب ج٢، ع١٥.

- زيارة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لبسكرة في ١٩٢٥ في طريقه إلى واد سوف. [١٨٧]

- زيارة ابن باديس والميلي ومدير المطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة إلى الزيبان في ١١ فيفري١٩٢٦، وتعود أهمية هذه الزيارة إلى طول مدتها (حيث دامت ستة أيام)، وإلى نوعية الدروس المُلقاة ، وإلى تعدُّد المناطق ، وإلى الدعاية الكبيرة لها ، ومشاركة أغلب مصلحي الزيبان فيها. فقد زار الوفد بسكرة وسيدي عقبة وطولقة ،والزاوية العثمانية أين شرح المصلحون رؤيتهم للإصلاح وللكرامة والولاية..كما زار برج بن عزوز (قرب طولقة) وألقى درسين بها للعامة في جامِعَيها حول الولاية والكرامة،ثم فرفار،وخُتمت الزيارة بدرس في التفسير بمسجد بكّار.

ولعل قصيدة محمد العيد آل خليفة تُؤكد أهمية مثل هذه الزيارات في دعم المصلحين إذ يقول فيها:

هاتوا لنا الإصلاح واحموا ديننا من هذه الآفات والأخطار

واجلوا هدى الدين القويم لنا فقد نسجت عليه عناكب الأستار[١٨٨]

وتعزّزت علاقة ابن باديس بالمنطقة أيضا من خلال علاقته بالطيب العقبي الذي تواصل معه عبر الصحف، وكتب ابن باديس عن أمنيته بلقاء العقبي في بداية العشرينات، كما تواصل ابن باديس مع محمد خيرالدين تلميذه في قسنطينة، و مع محمد العابد الجلالي تلميذه وعونه في الجامع الأخضر، والسعيد الزاهري الذي لم يتفق معه كثيرا فيما بعد، ومحمد العيد آل خليفة الذي تربطه بابن باديس علاقة عائلية فشقيق الشاعرمتزوج بابنة عم ابن باديس.[١٨٩]

---

187 بسكري. النجاح.ع١٩٣، ٣٠ جانفي ١٩٢٥.

188 صدى الصحراء .الوفد العلمي القسنطيني. ع١١، ١١ مارس ١٩٢٦.

189 سعد الله (أبو القاسم).محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث. دار المعارف، القاهرة ط٢، دت، ص ٢٧.

– زيارة أحمد توفيق المدني لبسكرة في ١٩٢٧،وكان في استقباله محمد العيد ال خليفة والكاتبَيْن المصلحَيْن مكي اسماعيل ومحمد العزوزي حوحو. [١٩٠]

– زيارة طاقم جمعية العلماء للمنطقة في ١٣ جانفي ١٩٣٧ ،وضمَّ الشيخ عبد الحميد بن باديس والعقبي–بعد غياب– والإبراهيمي والميلي والتبسي...الخ،وهذا في إطار الدعاية للمؤتمر الإسلامي حيث قدم معهم حوالي أربع مئة (٤٠٠) شخص مناصر للمؤتمر والإصلاح،ودُعّمت هذه الزيارة بإلقاء الدروس[١٩١] .

– زيارة ابن باديس إلى بسكرة في أربعينية القتيلين اللذين قُتلا بعد اظطرابات بسكرة الانتخابية التي قامت بها الإدارة ضد انتخاب سعدان في ١٩٣٨.[١٩٢]

و لم تنقطع الزيارات حتى آخر الفترة المدروسة مثل زيارة الإبراهيمي لتدشين نادي ومدرسة القنطرة ،ولتأسيس مدرسة التربية والتعليم ببسكرة ثم لتدشينها ،وزيارة التبسي رئيس الجمعية بالنيابة في ١٣ ديسمبر ١٩٥٢.[١٩٣]

وهكذا نجد أن عوامل ظهور الحركة الإصلاحية في المنطقتين هي مشتركة بين عوامل داخلية وأخرى خارجية،لعبت فيها العوامل الداخلية دور الرصيد الغني الحيّ أو القاعدة الصلبة، بينما لعبت

---

[190] المدني (أحمد توفيق). حياة كفاح، مذكرات القسم الثاني (في الجزائر) ١٩٢٥–١٩٥٤. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٧، ص ١٠٠.

[191] Zouzou. Ibid, t2, pp 96-970 نقلا عن AOM9H16

[192] يذكر الشيخ ثابت الأزهري أنه حضر التأبين في مقبرة بسكرة حيث لبس الشيخ ابن باديس السواد تعبيرا عن حزنه وشرع في تفسير آيات من القرءان تتحدث عن الجبروت والظلم.والشيخ ثابت الأزهاري من مواليد المغير ،انتقل إلى فسنطينة ودرس بها ثم تحوَّل إلى تبسة بسبب نقل دروس الجامع الأخضر نحوها مؤقتا من طرف العربي التبسي أثنتاء الحرب العالمية الثانية. شهادة الشيخ للباحث في منزل الشيخ ببسكرة واعتمادا على مخطوط بخط يد الشيخ، ٢٦ أفريل ٢٠٠٦.

[193] البصائر. بسكرة تستقبل قادة الأمة. ع٢١١، ١٣ ديسمبر ١٩٥٢.

العوامل الخارجية دور الإيقاظ والتنبيه، مما يؤكد عدم عزلة المنطقتين عن الخارج رغم سعي الإدارة الفرنسية لذلك.[١٩٤]

[194] للمزيد انظر العوامل في مازن مطبقاني.جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣١-١٩٣٩.دار القلم دمشق،دار العلوم بيروت،ط١، ١٩٨٨، ص ص ٥٧، ٦٧. أما الأستاذ محمد القورصو فيميل إلى العوامل الداخلية انظر:

- Elkoursou Mohamed. mythe et histoire,aproche critique de la thèse Mashreqienne de l`islahe en Algérie. Revue d'histoire maghrébine,Tunisie, N ٨٤-٨٣ , juillet 1996, p 795.

الفصل الثاني:

الإصلاح الديني في منطقتي الزيبان وميزاب

الإصلاح الديني:

يرتبط الإصلاح الديني بالمفهوم العام الإصلاح ارتباطا وثيقا ،ويعدُّ أول مجالات الاحتكاك والتغيير، وهذا لانطلاق الإصلاح الإسلامي من الدين، واعتباره مرجعا في الحياة بتعدد مجالاتها الاجتماعية والتربوية والقانونية، وانطلاقا من أنّ الإسلام يشمل كل هذه المجالات، فانطلق مختلف المصلحين في العصر الحديث من المراجع الدينية والتراث الشرعي، كما أن أُولى مواجهاتهم كانت دينية.

أولا– في الزيبان

١ – مظاهره

أ–محاربة البدع والزوايا:

شكّلت محاربة البدع والخرافات أولوية للحركة الإصلاحية بالزيبان بل إننا نعتقد أن زعماءها هم من فرض هذا التوجه على قيادة جمعية العلماء، فيقول محمد البشير الإبراهيمي مُعلقا في مؤتمر جمعية العلماء سنة١٩٣٥ على عشرينات القرن العشرين بأنه قد وجد فيها تياران إصلاحيان، أحدهما يركز على إعداد الناشئة بالتعليم العربي الحر، لإعداد الوعاظ و الدعاة والشعراء للهجوم أخيرا على البدع، وقد كان يؤيد هذا الرأي الإبراهيمي وابن باديس وأحمد توفيق المدني..، أما الرأي الثاني الذي كان يمثله –في رأينا– جماعة الزيبان فيها (العقبي، السعيد الزاهري، خيرالدين ،..) فيتبنّى الهجوم على البدع لارتباط مصالح رؤساء الطرق والزوايا بها ،ولتعلق العامة بها أيضا ، وقرب الهلاك المحقق فيها، وكان النصر للرأي الثاني، وإنْ كانت هذه المجابهة بدرجات مختلفة حسب المناطق الجغرافية وطبائع العلماء المصلحين.[١٩٥]

[195] الإبراهيمي (محمد البشير). سجل جمعية العلماء. ص ٥٢

وكان المولود الزريبي سبَّاقا في إعلان حربه على البدع، وهذا عندما وضع كتابه "**بدور الأفهام وشموع الأحلام على عقائد ابن عاشر الحبر الهمام** " الذي يعد الأول من نوعه في المنطقة وحتى خارجها إلى أن طبع محمد مبارك الميلي كتابه "**رسالة الشرك**". فكتب الزريبي في كتابه :"... وقد ظهر في قطرنا الجزائري في هذا الزمان بدع كثيرة واعتقادات فاسدة، وقام بها أناس يزعمون علوما، وهم أضل من توما الحكيم...يأمرون العوام بالاستمرار على عوائدهم المحدثة الشنيعة التي هي مصادمة للدين القويم والصراط المستقيم" ،ويحدد المسئولين عن هذا الوضع في قوله : "ومنبع هذه البدع بعض الزوايا، فكم في الزوايا من خبايا، بالغ فيهم تلامذتهم فاعتقدوا فيهم ما اعتقد النصارى في المسيح" ،ويبين الزريبي أن هذا الوضع هو الدافع وراء استقراره في المنطقة :"فرأيت أنه من الواجب علي الإقامة للذب عن شعائر الدين ما دمت بين أظهرهم ووافقني على ذلك بعض الأفاضل..." [١٩٦].ورغم مؤازرة الزريبي من طرف شخصية إصلاحية أخرى هي أحمد بن العابد العقبي الذي سيبرز نجمه بعد ذلك في الصحافة الإصلاحية، وسيظل على ارتباط به حتى بعد مغادرته الزيبان، إلا أن الزريبي تعرض لمعارضة شديدة يصورها لنا تلميذه الهادي السنوسي بقوله :" ثارت عليه ثائرة الدجالين في ذلك الوسط من أبناء الزوايا، وافتروا عليه الأقاويل" ،ففشلت مساعيه، وتنتقل إلى الأوراس ،ومنها إلى العاصمة فبوفاريك.[١٩٧]

ورغم أن الدِّيسي [١٩٨] ألف كتابيه "**هدم منار الأشراف**"، و"**هدم المنار وكشف العوار**" إلا أن العامة لم تطلع عليه، كما أن الشيخ محمد بن بلقاسم شيخ زاوية الهامل لم يتحمس لهما، خاصة أنه

---

196 الزريبي (مولود). بدور الأفهام وشموع الاحلام على عقائد ابن عاشر الحبر الهمام. دط، دت، تونس، ص ٦١

197 فضلاء. أعلام المغرب. ص ٨٨

198 الديسي:محمد بن محمد بن عبد الرحمن، ولد بقرية الديس(١٨٥٤-١٩٢١)درس بالهامل على يد الشيخ محمد بن بلقاسم، وفي زاوية سيدي السعيد بن أبي داود(زواوة)، حفظ من المتون ٥٠ متنا، ألف ٣٤ كتابا مكررة شرحا أو إضافة.انظر: بن قينة (محمد). الديسي حياته وآثاره وأدبه. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٧٧ص ص١٣، ٨٥

هو مَن أمر عاشور الخنقي بكتابة كتابه الشهير الذي انتشر في المنطقة بل وتعداها إلى خارج الجزائر، لهذا فإننا نعتبر أن مجيء الطيب العقبي من الحجاز قد كان له الأثر الكبير في هدم منار عاشور الخنقي.[١٩٩]

وتميز عمل العقبي بالتوجه إلى العقائد وإصلاحها، وإلى البدع بمحاربتها ،دون احتفاء لا بالتعليم ولا بالإصلاح الفكري، وحتى الصحافة عنده فلم تكن سوى وسيلته لهذا، فكتب في إحدى المناسبات : " فما وجد عقلاء المفكرين وحكماء المرشدين مثل قرع باب الإصلاح والرجوع بالأمة (من حيث الدين والعقائد) إلى ما كان عليه سلفها، ورد كل خلاف أو نزاع بين طوائفها ومذاهبها إلى أصل الدين الذي هو الكتاب والسنة وعمل السلف"[٢٠٠]، كما كتب في نفس الفترة في **المنتقد**: "بل سبب انحطاطنا ما أحدثه المحدثون في الدين، وما أعطوه من عند أنفسهم اسم الدين وما شرعوه لنا في الإسلام مما لم يأذن به الله، ودعوا الناس إلى اعتقاده والعمل بمقتضاه"[٢٠١]، وفي العدد الأول من جريدته **الإصلاح** كتب:"وأهم كل مهم وأولاه بالتقديم عندنا مسألة العقائد والكلام على تصحيحها، ولا إصلاح إلا بتصحيحها، فقد أفسد الناس من أمرها ما أضرّ بالعامة"، وجعل شعار جريدته **الإصلاح** : "لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها "[٢٠٢] ،وكتب منبها جريدة **صدى الصحراء** أن محاربة البدع مقدمة على جلب المصالح : " أدركي المفسدة قبل المصلحة ،كما هو شعارك الوحيد وقاومي البدع والضلالات وكل ما سنه أهل الخرافات".[٢٠٣]

---

[199].بن قينة. مرجع سابق. ص ٥٣

[200] العقبي . فكرة حرة. صدى الصحراء، ع٣، ٧ ديسمبر١٩٢٥

[201] العقبي. الدين والاجتماع. المنتقد، ع ٦، ٦ أوت١٩٢٥

[202] الإصلاح. ع ١، ٨ سبتمبر١٩٢٧

[203]العقبي.سيل البدع الجارف والإصلاح.ع٢، ٥ سبتمبر ١٩٢٩

وقاد العقبي من خلال الصحافة حربا شرسة على البدع في أركان الجرائد، مثل **الإصلاح** في:سيل البدع الجارف، أصحيحٌ ما قيل، كلمات مأثورة، سوانح الحكمة، شعرا ونثرا جدا وتهكما..ومن خلال مواضيع فكرية رفيعة المستوى.أما في **صدى الصحراء** فمن خلال: أقوال الحكمة، حيّ على الإصلاح، وفي مجلة **الشهاب** من خلال يقولون وأقول...

وانطلق العقبي من خلال الوعظ ورحلاته وتجمعاته في الحرب على البدع، وزاد المصلحون فتحا بظهور جريدته **الإصلاح**، فكانت ترصد المناسبات لتعالج الخلل، مثل صلاة **الأربعاء الكحلة** التي أثارت حفيظة العقبي فكتب في هذه المناسبة: "وبينما نحن نقاوم البدع والضلالات ونتمنى رجوع الأمة إلى ما كان عليه السلف الصالح إذا بفريق الابتداع أو معامل الاختراع تبرز لنا كل يوم ضلالة جديدة وتأتينا بمحدث من الأمر يذهب بالسنة والفرض ويحل محلهما...طرق أسماعنا نبأ صلاة الأربعاء الكحلة كما قالوا أو صلاة الأربعاء السوداء ببسكرة العليا واجتماع بعض المتدينة العامة وأنصار البدعة من الخاصة لأداء تلك الصلاة خلف الإمام الراتب وقراءة أدعية خاصة أيضا وأذكار زوروها عن الشيخ الديرني، نعم الديرني المشهور، ذلك الكتاب الذي يعرفه صغار الطلبة وكل من أراد كتابة (الحجب والأحراز) وكم رأيناه بين يدي من يدجلون على الأمة وعوامها بضرب خط الرمل وأخذ الفال والطالع وقطع التابعة أو أم الصبيان... ".[٢٠٤]

وكتبت **صدى الصحراء** مبكرا كيف أن الإصلاح الديني يقوم على محاربة البدع وأنه أول الأسس للنهوض: "...الإصلاح الديني:وهو مقاومة البدع والضلالات التي أدخلت على الدين باسم الدين".[٢٠٥]

---

[204] العقبي.سيل البدع الجارف.الإصلاح، ع٢، ٥سبتمبر١٩٢٩

[205] صدى الصحراء .نهضتنا اليوم وكيف يجب أن تؤسس؟.ع ٥

ولمحاربة البدع حول القبور والقباب والطواف بالمزامير والبنادير وجمع الزيارات شرعت **صدى الصحراء** في نشر أجزاء من كتاب "حاشية بدر الدين النفساني على الدر النضيد"،وهو نقد هادئ لهذه البدع والمخالفات.[٢٠٦]

كما أنكرت **صدى الصحراء** ما وقع بضريح سيدي زرزور ببسكرة، عندما طاف المُكلّف بالزَّرْدَة ببقرته أرجاء المدينة ووراءه الأعلام والدفوف ووقع الاختلاط المحظور فطالبت السلطات بالتدخل لإزالة مثل هذه المظاهر: "...فَنستلفت أنظار أولي الأمور سِيما نوابنا الكرام إلى إيقاف هذا التيار، والضرب على يد هؤلاء المبتدعين الضَّالين المضِّلين".[٢٠٧]

وفي اعتقادنا أن ما سهّل عمل العقبي الإصلاحي هو تشابه البيئة الصحراوية في الزيبان مع البيئة الحجازية التي ترعرع فيها الطيب العقبي، عكس ما نجده عليه في العاصمة حيث اصطدم ببرجوازية العاصمة وتفتُّحها، وهو ما أدركه ابن باديس عندما تهرّب من نشر مقالات العقبي في **الشهاب** لِما سبّبته للجريدة من مقاطعة الطرقيين لها والاصطدام بهم في عدّة مناسبات.[٢٠٨]

ومن الأسماء التي حاربت البدع في الزيبان نجد أيضا عمر بن السكري المتأثر بابن باديس وكُتب ابن تيمية والشوكاني ، فعُرف في مقالاته بأسلوبه الحواري حول الولاية والطرق الصُّوفية وإزالة البدع وقراءة القرءان على القبور..إلخ.[٢٠٩]

---

[206] مصلح .إلى العلماء.صدى الصحراء صدى الصحراء،ع ٥. ،ص ع٩، ١ فيفري ١٩٢٦

[207] صدى الصحراء .حديث اليوم، البدع الممقوتة. ع ١٠، فيفري ١٩٢٦.انظر أيضا: البرق .عادة حمل البنادير يوم العيد قبل الصلاة.من البرج(طولقة). ، ع ٢٠. وقد كانت النساء تُقدم الطعام للقبور والأشباح التي كن يعتقدن فيها القدرة على تدبير الكون والعطاء والمنع والرزق والإنجاب، فيقدمن الطعام في جو من الوقار وهن يُرددن :(يا أهل الدار الظّاهرين والخافيين الله ينفعنا ببركتكم ويحفظ أولادنا من شركم وإني قدمت لكم هذا الشعير إلى خيولكم لتكونوا معنا حاضرين وعلى أعمالنا شاهدين راضيين)انظر:عجالي.مرجع سابق ص ٧٨

[208]انظر قصة إزالة ركن "في سبيل الوفاق"، وغضب العقبي من ابن باديس واضطرار الأخير لإعادة الركن بعدما توقف من العدد ١٩ الى العدد٧٥ .وهذا في: Merad.op cit,p88.

[209]انظر سلسلة مقالاته التي نشرها في الشهاب تحت عنوان (مناظرة بين المصلح والمحافظ) ج ١٠، م٨، وج ١١، ج١٢

وهناك أيضا تلميذ ابن باديس أبوبكر مصطفى بن رحمون (١٩٢١-١٩٨٤) الذي عاد إلى فِلياش بين سني ١٩٤١ و١٩٤٤، وبعد ١٩٥٠ أيضا ،محاربا البدع، وألَّف لهذا الغرض كتابا سمَّاه "**الأشعة المبينة من ذكريات قسنطينة**".[٢١٠]

ب- محاربة الطُّرقية:

أدّى حلول العقبي بالزيبان إلى تغيير وتيرة الإصلاح القائمة على مُهادنة واستدراج الطرقيين بالمنطقة بواسطة الزيارات والمراسلات، مثل مراسلة ابن باديس سنة ١٩١٨ إلى أحد مشايخ وادي سوف العبيدي الطاهر ورسالة الأخير له تعكس هذه العلاقة المتنامية، وزيارة ابن باديس لشيخ زاوية أولاد جلال وصورته معه، حتى ذهب الباحثون انطلاقا من علاقة ابن باديس بمشايخ الرحمانية وغيرهم في المنطقة إلى اعتباره صوفيا رحمانيا في أول عهده.[٢١١]

وقام العقبي بإعلان حربه في الوعظ والصحافة، ووضع قصيدة "**عليكم بنهج الصالحين**" التي طبعت على حدة ،وقدمت كهدية وجائزة وحققت انتشارا واسعا سنة ١٩٢٧، وأنهت المهادنة التي راهن عليها الإصلاحيون، يقول العقبي في أبيات منها [٢١٢]:

فما الطُّـــرق في هذا الزمان مجـــادة ولكنـــــها يبغي بها أهلها الرزقا

تجارة قـــــوم عاجـــزين، سبيلهـــم سبيل ضلال جانبوا العلم والصدقا

وشيـــخهم الأتقى(الـــوليُّ) بزعـــمه إذا مـــــا رأى مالا أمال له عنقا

أولئك عبـــاد الدراهم ويلـــــهم سيمحقـــــهم ربي وأموالهم محقا

قـــد انتشروا بالغي في كل بلـــــدة فلم يتركوا غربا و لم يتركـــوا شرقا

---

[210] عجالي. مرجع سابق.ص ٧٨

[211] الطاهر العبيدي (١٨٨٦-١٩٦٨) ولد بالوادي، درس بالزيتونة، أجازه المكي بن عزوز، ألّف "النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصّوفية".انظر حوله: سعد الله. تجارب في الأدب والرحلة... .ص ص ٩٨، ١٠٢

[212] خرفي (صالح). الشعر والانحراف الديني. الثقافة، الجزائر، ع ٤٤، أفريل/ ماي ١٩٧٨، ص ٦٣

ويبرِّر العقبي حربه على الطرقيين بقوله: "...أما السادة المرابطون فهم الكُل في الكُل، إليهم يرجع الأمر ،ومنهم تُؤخذ المشورة، وعليهم يُعتمد في كل جزئية من جزئيات الدين ،وهم أسوة العامة وقدوة الخاصة...لهذا لم يجد أحد بُدّاً من إلقاء مسؤولية هذا الانحطاط الديني على كاهلهم وحدهم..."[٢١٣].

و هكذا يبرز لنا العقبى كرائد للصراع مع الزوايا والطّرق الصّوفية بلا منازع، فبمجرد عودته من الحجاز أخذ في انتقادها والهجوم على زعمائها، و لم يكن عُمر الحوار الذي فتحه العقبي معهم طويلا عندما نادى بتحسين أداء الزوايا وتطهيرها وتحويلها إلى ملاجئ خيرية ودُور عِلمية تنفع العامة لا الخاصة[٢١٤]،وأيضا في زيارته لزاوية طولقة في ١١فيفري ١٩٢٦ عندما ذكّر العقبي الحاضرين بمراميه السامية وقصده الوحيد ألا وهو إحياء السنة وقتل البدعة ونشر الفضيلة ،كما برّأ نفسه مما يشاع عنه بأنه ينكر الولاية والكرامة والزيارة ، وفي زيارته بلدة برج بن عزوز مع ابن باديس، عندما بيّن ابن باديس للحضور حقيقة الولي وما يعتقد فيه ،وأكّد العقبي بالمناسبة عدم إنكاره للولاية والكرامة والزيارة.[٢١٥]

واشتهرت **الشهاب** بِرُكنها " يقولون وأقول " للطيب العقبي للردِّ على خُصومه من الطُّرقيين ورجال الزوايا في أمور الدين (العقائد) ،حتى تبدو كأنها ثورة دينية حول مواضيع متعددة كالبدع، والتوسُّل بالموتى، وقراءة القرءان، والزَّرْدَات، والزِّيَارة...إلخ[٢١٦]. ولجأ العقبي إلى السُّخرية من

---

213 الشهاب .مساجلة علمية في درس العقبي.ع ٨١

214 العقبي. تمنياتي اليوم. الشهاب، ع١، ١٢ نوفمبر١٩٢٥

215 صدى الصحراء. الوفد العلمي القسنطيني. ع١١، ١ مارس١٩٢٦

216 انظر مثلا الأعداد١. ٥. ١١، ١٢، ١٦، ١٢٤

الطّرقيين المتصوِّفين عندما وضع جائزة لمن يُشطِّر بيتين شعريين يتهكَّم فيهما على المُتصوِّفة، فظهرت أبيات كثيرة، منها قول حسين بولحبال [٢١٧]:

قيـــل التصـــوُّف أصله مِن بعـــض زُهّـــاد الهنـــود

قيـــل تصوّف عصـــــرنا مِن شـــرِّ أخلاق الهُنـــود

أو قول سمهري (الأمين العمودي) :

قيـــل التصوّف أصله حُـــبّ البـــطالة والجمود

أحدثته طائـــــفة لنا من بعض زُهاد الهنـــــود

قلنا تصـــوّف عصرنا طبـــل ومزمار وعُـــود

ويـــُقال أيـــــضا أنه مِن شرّ أخلاق اليـــهود

وهذه الشِّدة في محاربة الطُّرقية دفعت المصلحين لتنبيه العقبي ونقدِه [٢١٨]، لكن العقبي ردّ علـــى مُنتقديه، ومنهم الحافظي[٢١٩] ،حيث رفض نقدَه بقوله:" ...أخي أنا لستُ بفظٍّ غليظٍ إلى الدَّرجة التي تصوّرتَ ..بل أنا اللِّين مع الحق والخشن مع الباطل، ولو حضرتَ معي تلك المعارك أحيانا لما كنـــتَ تأخرتَ لحظة واحدة في إصدار الفتوى بوجوب مُجاهدتهم، ولَكنتَ أول من يغلظ علـــيهم وتحكُـــم عليهم بالكفر "[٢٢٠].

وقد ذهب كثيرٌ من المصلحيين، وحتى من الباحثين المتأخربن إلى أن العقبي كان شديدا في عمله الإصلاحي ،ومن هؤلاء مثلاً: أحمد توفيق المدني وأبو القاسم سعد الله ومحمد ناصر وعلـــي مـــرّاد،

---

[217] الإصلاح. العدد ٣. حسين بولحبال:ولد بخنشلة ١٨٩٧، درَس بتونس، ودرّس بعين البيضاء (شمال الزيبان).

[218] الميلي. الإصلاح.ع٥، ١٧ أكتوبر١٩٢٩

[219] المولود الحافظي:١٨٩٥-١٩٤٨، من بني حافظ بسطيف، درس بمسقط رأسه ثم سافر إلى بلاد المشرق، وتخرّج من الأزهر، بعد الحرب العالمية الأولى عاد إلى الجزائر وبدأ نشاطه الإصلاحي والصحفي ١٩٢٥، انفصل عن جمعية العلماء وأسس جمعية علماء السنة، وترأس تحرير جريدة الإخلاص لسان حالها Merad. p131

[220] العقبي. الشهاب، ع١٧، س ١، ٣ مارس١٩٢٦

فيقول أحمد توفيق المدني : "...و موضوعه المفضل (أي العقبي) هو الدين الصّافي النقيّ ومحاربة الطُّرقية ونَسْفُ خرافاتها والدعوة السَّافرة لمحاربتها ومحقها"، أمّا محمد ناصر فيقول عن جريدة **الإصلاح**: "فَتَحتْ منذ البداية جبهة واسعة لملاحقة الخرافات والأوهام وفَضْحِ ما في الزوايا من خبايا".[٢٢١]

ويبدو أن السلطات الفرنسية لم تتعود طريقة العقبي الإصلاحية، فبادرت باعتقاله مُدّة شهرين، وقامت بتفتيش مترله وحجزت مادة علمية ووثائق كان جلبها من الحجاز، وهدفها من هذا ربما تخويفه أو تخويف أنصاره ومعجبيه ،خاصة أن التقارير الفرنسية كانت تعتبره الخطيب الحقيقي لعلماء الجزائر.[٢٢٢]

وخرج العقبي من بسكرة مُتصلِّب الموقف تجاه الطرق، وظلَّ على رأيه حتى عندما عاد الى بسكرة في جانفي ١٩٣٧ ،فندّد بها وأكّد رفض جمعية العلماء التعامل معها ومع مقترحاتها، مما يُوحي بأنّ الحرب على الطّرقية كانت تُمثِّل الثَّابت في سياسة العقبي على الطُّرقية. لكن الملاحظ أن العقبي بعد خروجه من جمعية العلماء انقلب الى الحوار اللَّين، فهل الظروف الاجتماعية أم السياسية؟ أم تَقدُّمه في العُمر؟ أم الاحتكاك والارتباط بالإدارة ؟ أَمْ نُضوجه وفهمه للبنية الاجتماعية والدينية؟ وزوال كثير من الأفكار الضّالة وراء هذا الاعتدال كما يذهب الأستاذ أحمد مريوش؟.[٢٢٣]

ب–١) حرب محمد السعيد الزاهري على الزوايا:

يأتي الزاهري بعد العقبي مباشرة من حيث الحرب على الطُّرقية والزوايا في الزيبان، فقد كتب عن دواخل الطرق والزوايا وسجّل اعترافات مُريديها بعد خروجهم من الطرقية، ودعا الإدارة

---

221 المدني. حياة كفاح.مذكرات القسم الثاني، ص ١٨٣ .وأيضا ناصر (محمد). المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٨، مجلد ١، ص ١١٢

222 دبوز.نهضة الجزائر. ج٢، ص١١٠. وكذلك: مريوش. مرجع سابق. ص ١٠٢ .نقلا عنAOM16H72

223 مريوش. مرجع سابق. ص ٤٥٠.وانظر مثلا ما كتبه العقبي. في الإصلاح الثانية، ع ٢١، ٥ أفريل١٩٤٠

الفرنسية لمحاربة خداعهم للناس، فَنجِده في إحدى المرّات يشكر الحكومة لّما منعت رجال الزوايا من جمع الأموال والزّيارة، وفي مناسبة أخرى دعاها لمنع الطريقة العيساوية والطيبية والعمارية لِما تقوم به من منكرات تُسيئ للحضارة الفرنسية وللدين الإسلامي، ويُذكِّر الزاهري فرنسا بأن الزوايا لا تملك أي نفوذ قد يمنع الإدارة من تنفيذ قراراتها فَعَهْدُ الثورات قد انتهى.[٢٢٤]

ومن جهة أخرى ،يحمِّل الزاهري الزوايا كلَّ المسؤولية في تردي أوضاع الناس، ويحارب فكرة النّسب الشريف التي يستغلونها، لأن بعض الزوايا هي بؤر للفساد والمنكرات، فكتب نثرا وشعرا حول هذه القضية، مثل قوله في إحدى القصائد[٢٢٥]:

ويُريد آخرَ للجـــــزائر أن تضـــــــــــــــــــــــــــــلّ الرُّشدَ في طرق وأبواب

تُلقي زمامَ عُقـــولها جهـــــــلاً إلى من كان مُتّكلا على الأنساب

ويلٌ لأشيـــاخ الزوايا فرّقـــــوا الإســـــــــــــــــــــــــلام في طرق لهم وشِعاب

يارُبَّ زاويـــــــة بها مـــــــا لم يكن في حـــــــانةٍ من خمرة وشراب

يسقي الشيوخ الصالحون ضيوفَهم بالكأس أو بالطـــاس والأكواب

وهم الأُلى جمعوا حطامهم من الـــــــــــــــــــــــــــفقراء والإخوان والأحباب

و لم يتوانَ الزاهري في توجيه الاتهام للطرقية بنصب المكائد للإصلاح وفتح الباب للمُنصِّرين بتجهيلها أبناء المسلمين، فكتب قائلا: "...فقد تآمروا مع السلطة على إغلاق المساجد في وجه علماء الدين، وتآمروا مع السلطة أيضا على إغلاق الكتاتيب القرآنية وتعطيل المدارس العربية، فدفعوا أطفال المسلمين إلى الشوارع والطرقات ودفعوهم إلى أحضان المبشِّرين"[٢٢٦]، وانتقل الزاهري من التعميم إلى

---

[224] الزاهري (محمد السعيد). الحكومة وأبناء الزوايا. المنتقد، ع ٦٣، ١٨ أكتوبر١٩٢٦.وع ٦٨

[225] الزاهري (محمد السعيد). الشهاب، ١٩٢٨

[226] الزاهري(محمد السعيد).مؤتمر رؤساء الطرق الإسلامية الجزائرية.الشريعة المطهرة، ع ١١، ٢٧ نوفمبر١٩٣٣

التخصيص، عندما خصص ستة أعداد كاملة لنقد وكشف أسرار وخرافات وفساد زاوية سيدي عابد الديني والفكري،وكذلك زاوية سيدي عمَّار،والهدف هو تحطيم صرح الطّرقية وكشفها أمام مُريديها[٢٢٧]

ويبدو لنا أن الزاهري كان شديدا على الرَّحمانية في حين أنه حاول استدراج التِّيجانية، فوصف شيخها بالصّلاح، ودعا للإقتداء به بل ورثاه أيضا بعد ذلك .[٢٢٨]

ويمكن أن نقول أن الإصلاح الزيباني كانت تتنازعه – من حيث روح العمل - نزعتان، نزعة تشاؤمية راديكالية تصادمية عرف بها العقبي والزاهري..، ونزعة هادئة متفائلة يمثلها محمد العيد آل خليفة ومحمد خير الدين..، ولعل مقارنة تقارير وقصائد ممثلي النزعتين في مختلف المناسبات يبرز هذه الحالة، فمثلا تقدم كل من محمد العيد آل خليفة ومحمد السعيد الزاهري بقصيدة في مؤتمر جمعية العلماء ١٩٣٥، فكان الأول متفائلا، بينما كتب الثاني مخاطبا الطّرقيين:

ولو أن الجُنيد يُبعث هذا الـــــــــــــــــيوم حيًّا إليكم من جديد

لدعاكم لما دِعا الطيبُ العقـــــــــــــــبيُّ إليـــــه بمقمعٍ من حديد

وكذلك في قصيدة السعيد الزاهري "ليتني ما قرأت حَرفاً" في سنة ١٩٣١ حيث جاء فيها:

من يكن صوفيًّا كذوبا خبيثا فاز منها بكل خير عميم

وإذا كنت مصلحا فَلَك الويلُ مـــَلُوماً وأنت غير ملـــوم

أُمّـــةٌ تعبد القبورَ وهل يُقدْ دِرُ علـــماً عبادُ عظمٍ رميمٍ[٢٢٩]

---

[227]الزاهري(محمد السعيد). زيارة سيدي عابد. الصراط السوي، ع ٦، ٧، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦.وانظر أيضا: الزاهري(محمد السعيد).الصراط السوي، ع ٩.وانظر أيضا: الزاهري(محمد السعيد). اعترافات طرقي قديم. الشريعة النبوية، ع٧.وأيضا: الزاهري(محمد السعيد). نحن والطرقيون. الشريعة النبوية، ع ٦،

[228] نفسه، هل كان التيجاني وهابيا؟،الصراط، ع ٧، ٣٠ أكتوبر١٩٣٣

[229] الزاهري (محمد السعيد). ليتني ما قرأت حرفا. الشهاب، ج١، م٧، فيفري ١٩٣١.انظر أيضا: آل خليفة (محمد العيد). في الله نحتمل الأذى. الشريعة، ع ٧

ومن الأسماء التي حاربت البدع والطرقية في الزيبان نجد أحمد بن العابد العقبي، ففي مقال له سنة ١٩٢١ كتب محاربا مظاهر البدع والتصوف: "...فمنهم من يقول أن شيخي أحيا خديمه بعد موته وزاده في عمره حينا من الدهر، ومنهم من يقول أن شيخي يعلم الغيب، وله التصريف في الكون، ومنهم من يقول أن شيخي باع لي ولدا بستين فرنكا"...ويُبين أحمد بن العابد العقبي أن التصوّف الحقيقي ماكان عليه الصالحون، وأن هذه البدع أنكرها الأقطاب الذين يتمسّح الطّرقيون بقبورهم مثل الشّيخ عبد الرحمن الأخضري.

ب-٢) صدى الصحراء:

تميّزت **صدى الصحراء** في أول أمرها بهدوئها في محاربة البدع والطرقية مُقارنةً بشِدّة العقبي، فبأسلوب تاريخي هادئ تبنّت محاربة التصوف الفاسد، وكتب فيها أبو يعلى الزواوي سلسلة من ستة أجزاء حول ضرورة الإصلاح وتاريخ التصوّف والطّرقية[٢٣٠]. واقترحت في مناسبة أخرى على أهل الزوايا والطرق رفع دعاوٍ قضائية وشرعية ضد المشعوذين ومنعِ تجمعاتهم، لأنهم يسيؤن إليهم وللإسلام ،ولأنهم يُنفِّرون السُّواحَ من الإسلام بادِّعائهم أنهم شيوخ الإسلام.[٢٣١]

والخلاصة التي أدركها المصلحون في الزيبان في نهاية العشرينات أن الحل لإعادة الدين إلى صفائه هو تأسيس جمعية دينية يكون لها الفصل في العقائد والأحكام، لأن الواقع يؤكد أن: "...لكل طائفة إسلامها فللطرقيين (إسلامٌ) لا سبيل لإقناعهم أنه ليس بإسلام، وللخرافيين بكافة أنواعهم (إسلامٌ) يتحققون أنه الدين الحق، وللعوام (إسلامٌ) يشبه إسلام الفريقين المتقدمِ ذكرهما".[٢٣٢]

ج - محاربة عاشور الخنقي وجريدة النجاح:

---

[230] انظر الأعداد ٥، ٦، ٩، ١٠

[231] الحافظي (مولود). الدخلاء. صدى الصحراء، ع١٣، ٢٩ مارس١٩٢٦

[232] صّوفي(محمد العيد آل خليفة).الجمعية الدينية.الإصلاح،ع ١٤، ٥ سبتمبر١٩٣٠

مثّل عاشور الخنقي لمدة وجيزة اللسان الناطق والمدافع عن الطرقيين نظريا على الأقل، بكتابه الشهير "**منار الإشراف**" وبشعره الغزير، وقد جاءت قصيدته "**قُرة العين في مَدح الغَوثَين**" لِتفجّر الصراع بينه وبين رجال الإصلاح ،خاصة الطيب العقبي الذي أسقط خرافاته من خلال **المنتقد والشهاب**، فرد العقبي في **المنتقد** مثلا على قصيدة عاشور بأنّ المخلوق لا دخل له في الأوامر والمنهيات الشرعية بل الشّرع وحده[٢٣٣]، واعترف العقبي في جريدته **الإصلاح** بأن عاشوراً كان عدوّاً للإصلاح، وهذا بمناسبة قصيدة رثائية بُعثت إلى الجريدة لرثاء عاشور فكتب العقبي"...نَنشُر هذه القصيدة ونحن نعلم أنها ضد أفكارنا، و أن الممدوح بها كان من ألدِّ خصومنا المُناهضين لنا، وقد بلغنا أن عصاه التي سماها **عصا موسى** هي ضد الفكرة الإصلاحية وفي هجو المصلحين"[٢٣٤].وأكثر من هذا لم يتسامح المصلحون مع المولود الحافظي الذي دافع عن عاشور ضد العقبي لدفاعه – في نظر الإصلاحيين – عن رجل يدعو إلى الإلحاد والحُلول[٢٣٥].وقد ردّ العقبي بدوره على دفاع الحافظي عن عاشور بمقالات في الصحافة، منها قوله:"...كنت أعتقد وأجزم بأن ما حَوَته تلك القصيدة هو من عقائد الشيخ عاشور وحده...واليوم علمت فقط أن في البلاد عواشير كثيرة وأن تلك القصيدة يصحُّ أن يطلق عليها بعد الآن أنها حافظية أيضا.."[٢٣٦]

أما بالنسبة لجريدة **النجاح** فقد انطلقت إصلاحية ثم تحولت لمناصرة الطرقيين، لذا رأى فيها الإصلاحيون رأس الحربة ضدهم وعامل قوة للطرقيين، خاصة أن مسؤولها هو ابن منطقة الزيبان (عبد الحفيظ الهاشمي)، لذا ركّزت جريدته(النجاح) على دعم الطّرق الصّوفية في المنطقة إعلامياً.

---

233 العقبي. المنتقد، ع١٧، ٢٢ أكتوبر١٩٢٥.انظر أيضا: العقبي. حول القصيدة العاشورية.الشهاب، ابتداء من العدد ١. أما المنتقد فهي أسبوعية، ظهرت في ٢ جويلية١٩٢٥ لعبد الحميد بن باديس، إصلاحية، توقفت بعد ١٨ عدد، في ٢٩ أكتوبر١٩٢٥

234 الإصلاح. ع ٩

235 حوحو (محمد العزوزي). الانتقاد الحر. الإصلاح

236 العقبي. الشهاب، ع ١٧، ٣ مارس١٩٢٧

فهاجمتها **صدى الصحراء** بتسميتها **نجاحَ الطّرق** ،لأن المشرفين عليها – في نظر **صدى الصحراء** – هم قوم: "...انتصبوا للدفاع عن حضرة الطرقيين والذّود عن حِياض أولئك الذين دأبهم التجوال لطلب الارتزاق على حساب الأمة، الأمة التعيسة التي تعتقد أن الكون بأيديهم والنفع والضر منوط برضاهم، الأمة التي دخلت في ورطة الإشراك من جرائمهم، ضِف إلى ذلك الشقاق الذي أحدثوه بين أفراد الأمة حتى صرت ترى التِّيجاني لا يصلي وراء العزُّوزي، والقادري يعتقد أن الفريقين في ضلال يتخبطون وأن لا نجاة إلا بمن تمسّك بشيخه"[٢٣٧] ،وحذّر أحد صحفيي تونس ومراسلي الإصلاح من خطر جريدة **النجاح** بقوله: "...خُصوصا جماعة نجاح الطرق الذين أوقفوا أقلامهم على تحبيذ منكرات الزوايا وضلالات مشايخ الطرق ونفاق المتصوفين" ، ويذهب إلى جعلها طرفاً في المعركة بين الإصلاح والطّرقية :"...وجريدة النجاح من ثالثة تحبذ ما يصنعون وكُتّابها من رابعةٍ يشنون الغارة على المصلحين...".[٢٣٨]

د– مسألة الاجتهاد:

شكّلت الحرب على الطرقية دعما للاجتهاد والتحرر الفكري من خلال المساجلات والجدال المتواصل بين الطرفين، وهي نقطة سنلحظها أكثر في تناولنا لقضية التفسير، فدعا المصلحون العامة إلى التحرر من أفكار الجمود التي فُرضت عليهم، وكتب محمد بن إبراهيم الطرابلسي ،وهو إباضي دعّم الإصلاح في بسكرة وعُرف به ،قائلا: "...أيها الجزائري لاتجنِ على دينك ووطنك بخرافات تشتبهها وترهات تتبعها وتقليدات يعتد بها فكرك الثاقب، وعقلك الذي لايصح إسلامك إلا به، فلا تمت

237 حوحو (محمد العزوزي). الانتقاد الحر.ج٢، صدى الصحراءع١٠، فيفري ١٩٢٦

238 بن شعبان (مصطفى). يخربون بيوتهم بأيديهم. صدى الصحراء، ع ١١، ١ مارس١٩٢٦

نفسك وأنت الحي، ولا تمنع ضميرك وأنت الحر، إن دينك لا يحجر عليك الاستنباط من الكتاب والسنة".[٢٣٩]

و يبدو أن تأثر زعماء الاصلاح في الزيبان خصوصا بالفكر الوهابي الذي يرتبط بدوره بالمذهب الحنبلي قد أضعف الاجتهاد عندهم، وجعلهم مرتبطين بالكتاب والسنة أكثر، ومن ثم بِكُتب محمد بن عبد الوهاب وابن حنبل وابن تيمية والشوكاني.[٢٤٠]

ويقول العقبي في هذا المجال: "...فقلت لهم لا طريقة ولا حقيقة ولا شريعة إلا ما كان عليه محمد وأصحابه الكرام..". [٢٤١]

وعموما يمكن القول بأنه رغم تأثُّر الإصلاح الزيباني بالمدرسة الحنبلية الجديدة إلا أنه ظل وفيّاً للمذهب المالكي.[٢٤٢]

هـ–محاربة التنصير:

ازداد الاهتمام الفرنسي بالتَّنصير في الصحراء منذ تولي لافيجري مندوبا رسوليا للصحراء في أوت ١٨٦٨ ،حيث جعلها هدفا لدعايته وقام بإرسال عدة بعثات استطلاعية، وعيّن **شارموتان** رئيسا لمركز الأغواط الذي توسع من خلاله نحو ميزاب ومتليلي وبسكرة سنتي ١٨٧٢ و ١٨٧٣.وتوغل الآباء البيض في بسكرة وورقة كان بهدف الوصول إلى غدا مس وطرابلس، أما في ميزاب ومتليلي فللوصول إلى التوارق والسودان[٢٤٣].خاصة أن بسكرة مثَّلت قلعة الفتح الإسلامي ومرقد الفاتح عقبة

---

239 الطرابلسي (محمد بن إبراهيم). ألا فليعش المصلحون و ليخسأ المبطلون. الإصلاح، ع٣١ ، ٩ سبتمبر١٩٢٩

240 انظر: الزاهري (السعيد). الوهابيون سنيون حنابلة. جزأين، ع٥، ٢٣ أكتوبر١٩٣٣

241 العقبي. يقولون وأقول. الشهاب، ع ١٦

242 Merad.op cit,p207

243 Missions d`Afrique des pères blancs. Novembre 1925, N329, PP340, 341

بن نافع لذا أشاعوا أن الصحراء تتوفر على كنائس رومانية كثيرة، وأن الحروف التارقية وأشـــكال الوشم ليست إلا دلائل على أن الصليب كان سائدا في هذه المنطقة.[٢٤٤]

ومثّلت بسكرة أيضا نقطة ارتكاز فرنسي لانطلاق الدعاية التبشيرية أمام أي دعاية إنجليزية محتملة من جهة غدامس وطرابلس، وقد ساعد إنشاء كنيسة بها منذ سنة ١٨٥٤ ،[٢٤٥] واتخاذ لافيجري لها مقر إقامة شتوية له في ظهور فرقة **إخوان الصحراء المسلحين**، التي هي فرقة دينية مسلحة تتولى حماية أعضائها ضد اعتداءات التوارق، وتمتعت بنظام ديني عسكري داخلي صارم للمنضمين إليها[٢٤٦]، وساهمت هذه الفرقة في التمهيد للاستعمار، فاعتبر الفرنسيون أنها عامل اختصر خمسة عشر ١٥ عاما من التردد في فتح الجنوب وسقوط النفوذ الفرنسي أمام أهالي الجنوب، كما بنى لافيجري الزاوية المسيحية أو بيت الله في بسكرة أيضا[٢٤٧].وازدهرت الكتابات حول التاريخ المسيحي في المنطقة بدعم من لافيجري.

ومن جهة أخرى استغلَّ المنصرون أوضاع السكان القاسية ففتحوا المستوصفات والمعامل والمدارس وساعدهم قرار وزير التربية الذي فتح لهم النشاط التعليمي للأهالي[٢٤٨]،واعترافا بدور لافيجري في دعم الاستعمار في الصحراء أُقِيم له تمثالٌ – بعد وفاته – في قلب بسكرة شاهرا صليبه

---

[244] سعيدي (مزيان). النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر١٨٦٧-١٨٩٢. رسالة ماجستير ، إشراف سعيدوني (ناصر الدين)، ١٩٩٨/١٩٩٩، جامعة الجزائر، بوزريعة، (مخطوطة)، ص ص١٦٨، ١٦٩

[245] Zerdoum .(Abdelhamid). Les français à Biskra (1844-1862); p 33

[246] Baunard (M). le cardinal Lavigerie. t2, libraire ch poussielgue 1896, p511. انظر قانونها مترجما في سعيدي . مرجع سابق. ص ص٢٣٧، ٢٤٥

[247] Pottier (Rene). le cardinal Lavigerie, apporte et civilisateur. la publication technique et artistique.t1.paris, p197

[248] Le père lavegerie.wreinachter des pères blancs, congres de la colonisation. Alger, Mai 1930, l`ouvre des pères blancs en Algérie, Ancienne imprimerie, v.heintz, pp16, 17

في وجه الصحراء ،وقامت السلطات بدعم المنصرين وفرضت على القياد والموظفين التعاون معهم ولو بصفة غير مباشرة.[٢٤٩]

ويكفي أن نجد في سنة ١٩٣٠ أن عدد الآباء والأخوات البيض في مراكز الصحراء هو سبع وعشرون (٢٧) أباً و أربعة وأربعون (٤٤) أختاً، يساعدهم واعظان أهليان، ومعهم خمسون (٥٠) متنصرا جديدا ،وواحد وخمسون (٥١) أهليّاً في طريق التنصير، والجدول التالي يوضح مراكز وأعمال الأخوات البيض في المنطقة مجال الدراسة[٢٥٠]:

المركز	تأسيسه	الأخوات فيه	المعمل	الأيتام	المعالجون في المستشفى	المعالجون في المستوصف	في المترل
بسكرة(معمل)	١٨٩٣	٦	٧٥	/	/	١٤٢٠٠	/
بسكرة(مستشفى)	١٨٩٥	١٦	/	/	٤٦٥	٢١٩٠٠	٣٧٠٠

تطرَّق المصلحون في الزيبان إلى خطر التنصير كتحصيل حاصل من خلال هجومهم على الطّرق الصّوفية أو نتيجةً لارتباطهم بحركة الإصلاح التي عرفتها الجزائر ،والتي اصطدمت فعلا بالتنصير في الميدان، كما أن التنصير لم تنجُ منه أية منطقة في العالم الإسلامي مما شكل خطرا متداعيا.[٢٥١]

---

[249] حتى أنّ بوعزيز بن قانة كان يمنح سيارته يوميا لنقل الأخوات البيض عبر الزيبان لعلاج الأهالي وتلقيحهم انظر=
- Venlande (Rene). chez les peers bancs(tunisi,kabylie,sahara,avec des notes,comentaire et extraits divers sur les missions Methodists americainnes et sur la situation politique en kabilie.paris,j peyronnet et cie,editeurs1929,pp125,126. .وانظر تمثال لافيجري في الملحق رقم2

[250] Missions d`Afrique des pères…, op. Cit, pp96, 142

[251] انظر: خالدي (مصطفى)، فروخ (عمر). التبشير والاستعمار في البلاد العربية، عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي.المكتبة العلمية ومطبعتها، ١٩٥٣

ونحسب أن أول احتكاك فعلي بين الإصلاح والتنصير في المنطقة كان سنة ١٩٣١، فردا على زيارة ابن باديس للزيبان تحرك رئيس المركز الثقافي للمنصرين المسيحيين بورقلة المنصِّر شارل دو فوكو فقام بعدّة زيارات ومراسلات نحو الشيخ محمد خير الدين تضمنت حوارا ساخنا، ربما كان هدفه فهم الإصلاح وأهدافه واستراتيجيته.[٢٥٢]

ويَبْرزُ لنا السعيد الزاهري كأهم المحاربين للتنصير والفاضحين لمخططاته في كثير من الصحف والمناسبات، فاتّهم الإدارة بدعم التنصير بغلقها المدارس العربية ورمي الأطفال المسلمين نحو المنصرين المدعَّمين من طرفها بقوله :"...وهم في الواقع لا ينشئون مدارس ولا مستشفيات كما تفهمه من هذه الأسماء، بل هم ينشؤن بين أوساطنا الإسلامية العربية مراكز للتنصير والتضليل"، والأخطر من هذا عند الزاهري :"...أن نرى السلطة تشترك في المآدب والحفلات التي يقيمها هؤلاء المضللون كلما فتحوا في هذا البلد الإسلامي مركزا للتنصير والتضليل، وهذا معناه أن هذه السلطة- وهي علمانية لائكية- تحمي هؤلاء المضلّلين وتساعدهم في الاستيلاء على عقائد المسلمين".[٢٥٣]

ويَتّهم الزاهري الطّرقية بوضع المؤامرة معهم، بل إن الفضل في نجاح المنصرين يعود لدعم الطرق لهم، فيُذكِّر سكان الصحراء بحادثة زواج شيخ زاوية سيدي عابد بسيِّدةٍ فرنسية سنة ١٨٧٠ ،وكيف توسّط له لافيجري لدى أهل العروس وأقنعهم بضرورة القبول، وفِعلاً فقد ساهمت هذه السيدة الفرنسية في دعم التنصير، خاصة وأن الزاوية لها نفوذ كبير، فتدعّموا ماليا ومعنويا وسهل لهم مُريدو الزاوية نشاطهم في كل مكان تحت نفوذهم.[٢٥٤]

---

[252] خير الدين (محمد). مذكرات. المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، دت، ج١، ص ٩٤

[253] الزاهري (محمد السعيد). في الموقف الحاضر. الشهاب، ج٩، م ٩، ١٩٣٣

[254] الزاهري (محمد السعيد). إلى زيارة سيدي عابد. الصراط السوي، ع ٦، ٢٣ أكتوبر١٩٣٣.ع ٨، ٦ نوفمبر١٩٣٣.وأيضا: الزاهري (محمد السعيد). الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير. المطبوعات الجميلة، دط، ١٩٨٣ص ١١٥

ويُذكّر الزاهري الطرقيين بأن تئآمرهم ضد مدارس وكتاتيب الإصلاح يؤدي في النهاية بأطفال المسلمين إلى أحضان المنصرين، بل يصل به التحمس إلى نقل عنوان خطير، فيكتب مقالا عنوانه "**ألف وسبعمائة مسلم يرتدون**".[٢٥٥]

ولهذا يقترح الزاهري سياسة دينية يمكن أن نصفها بالهجومية الإيجابية، هي التبشير بالإسلام وإظهار محاسنه وفضح خطط المنصرين، ولعل من هذه السياسة تخصيصُه جزءا مُهمًّا في كتابه "**الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير**" لهذه النقطة.[٢٥٦]

وحذّر البعض الآخر من الإصلاحيين من تعليم البنت المسلمة عند الأخوات البيض (المنصرات)،حتى ولو كان هذا التعليم مفيدا كالحِرف وغيرها ،فكتب أحدُهم :"...ولقد ظنّ الكثير أن في تعليم بناتهم المنسوجات عند اليسورات (أي الأخوات بالفرنسية) خيرا كثيرا، ولكن هل تعليمهن قاصر على خدمة الصُّوف أَمْ يتعدّى إلى إدخال كثير من السموم في عقيدتهن؟"[٢٥٧]،بينما فضّل العمودي فضح خطط المنصرين في استدراج أبناء الأهالي وحذّر منهم في مقالاته.[٢٥٨]

وعموما فمعالجة هذا الموضوع تظهر لنا أنها كانت تبدو ثانوية وعابرة، تأتي – ربما – بعد محاربة البدع والطرقية والإلحاد والتجنس.

---

[255] الزاهري (محمد السعيد). الصراط السوي. ع١١، ١٧ نوفمبر ١٩٣٣.و الزاهري (محمد السعيد). ألف وسبعمائة مسلم يرتدون. الشريعة النبوية، ع٢

[256] الزاهري (محمد السعيد). الإسلام في حاجة إلى تبشير ودعاية. ص١١٨

[257] الفتى الزيباني.الأمة. ع٥٥، ع٥٤

[258] La défense .L apostolat du cardinal Lavigerie, commont on Christianiser les jeunes indegines. n 138 Fevrier1937 ,26

٢- وسائل الإصلاح الديني:

أ -الوعظ والإرشاد:

الإرشاد في تصور الإصلاحيين هو: "هداية المرشد أفراد الأمة كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم ،إلى دين الله الذي هو مجموعة عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وآداب، ويكون المرشد يدعو الناس إلى العمل بالدين عملا موافقا لما كان عليه صاحب هذه الشريعة".[٢٥٩]

وقام العلماء بالوعظ والتدريس حتى قبل قيام الحركة الإصلاحية لكن بوتيرة وتحمس أقل، وكانت هذه الدروس تبدأ عادة في أواخر فصل الخريف وتتواصل في فصل الشتاء وجزء من فصل الربيع (حيث يشتغل الأهالي بالفلاحة)، وهذه الحلقات لا تكاد تخرج عن دروس التفسير والحديث والفقه والوعظ والإرشاد.[٢٦٠]

وشكل العقبي رائدا للوعظ لتمكنه من الخطابة، فيصفه أحمد توفيق المدني بقوله:"...كان خطيبا مصقعا من خطباء الجماهير، عالي الصوت، سريع الكلام، حادّ العبارة، يُطلق القول على عَواهنه كجوادٍ جامحٍ دون ترتيبٍ أو مقدمةٍ أو تبويبٍ أو خاتمةٍ".[٢٦١]

وعلى طريقته سار تلاميذه الذين كَوَّنهم في مسجد **بكّار** ببسكرة. ولهذا عندما أخذت جمعية العلماء مسؤولية التخطيط للعمل الوعظي وتعيين المشرفين عليه وجدت من أبناء الزيبان العدد الكافي لهذا الغرض لإجادتهم الخطابة وتحكُّمهم في اللغة العربية.[٢٦٢]

---

[259] الابراهيمي (محمد البشير). السجل.ص ١٤٩

[260] جمعية أول نوفمبر في الأوراس. تاريخ الأوراس ونظام التركية الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من١٨٣٧-١٩٥٤. دط، دت، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ص ٢٤٧

[261] المدني. حياة كفاح. مذكرات القسم الثاني(في الجزائر) ١٩٢٥-١٩٥٤ ، ص١٨٣، ١٩٧٧

[262] ففي رمضان ١٩٥٠ عينت في القنطرة الأمين القنطري وفي مشونش عيسى الدراجي والسرحاني أحمد وفي طولقة عيسى معتوقي... البصائر. قائمة الوعاظ لشهر رمضان. ع١٢٢، ٥ جوان١٩٥٠.وأيضا البصائر. ع ١٩٠، ١٩ ماي١٩٥٢

وشهدت مختلف مساجد بسكرة هذه الحركة الوعظية، من خلال دروس الشيخ نعيم النعيمي والياجوري وأحمد الدراجي العقبي وأبي بكر جابر (الجزائري)....، وكذا مختلف مناطق الزيبان منها المولود الزريبي الذي قال فيه الهادي السنوسي : "وما كنت أعلم أن أحدا صدع بدعوة المصلحين في ذلك الوقت قبله" ، وأحمد بن فرحات الدراجي بين سنتي ١٩٢٤ و١٩٣١ [٢٦٣].أمَّا في أوماش فقد قام محمد الهادي سلطان الأوماشي (١٩٠٢-١٩٦٥) فحارب البدع ووعظ الناس في الأسواق والمناسبات، أما عبد المجيد حبة فقد وعظ في سيدي عقبة ثم المغير،وهذا إضافة إلى مغزي الفرفاري وعبد الرحمن بركات...إلخ. [٢٦٤]

ولقد استغل الوعاظ مختلف المناسبات، من تجمعات قبلية وأعراس ووفيات وتجمعات الأعياد ومنازل الأعيان والمساجد لبثّ وعظهم، [٢٦٥]لهذا نادوا وسعوا إلى استرداد المساجد من الحكومة، لأن الحكومة استولت على المساجد في فترة كانت فيها حكومة دينية، أما بعد سنة ١٩٠٤ فقد أصبحت حكومة علمانية لائكية، فدعا السعيد الزاهري لإنشاء "جمعية استرداد المساجد "،ودعا النوابَ لدعم مشروعه في المجالس، وإلى تأسيس فروعٍ لها في كل ناحية وقرية من الجزائر.[٢٦٦]

وعلى صعيد آخر قام زعماء الإصلاح برحلات وعظية عبر نواحي الزيبان، بلغت حتى الأوراس واعظين ومحاربين للبدع والخرافات، مثل زيارة العقبي وجماعته لعين فكرون وآريس و طولقة وفرفار والبرج وضريح عبد الرحمن الأخضري وليشانة وسيدي خالد...أين تم إبطال عادات التوسل بالقبور وذبح التيس في العيون..إلخ.[٢٦٧]

---

263 محمد الهادي السنوسي. شعراء الجزائر. ص ١٠٠. و أحمد الدراجي الأديب العالم. البصائر، ع ٣٥، أكتوبر/نوفمبر١٩٣٦.

264 مصمودي (فوزي). أعلام من بسكرة،تراجم لشخصيات علمية وثقافية ونضالية وثورية.الجمعية الخلدونية،بسكرة،بسكرة ٢٠٠٢ ،ص ص ١١٦، ١٥٩

265 مثل مترل عيسى بن عمارة خبزي في بسكرة الثري الميزابي الإصلاحي، شهادة ابنه محمد خبزي للباحث

266 الزاهري (محمد السعيد). مساجدنا تباع ونوابنا سكوت. الشهاب، ع ١٦٠

267 صدى الصحراء. وفد العلماء يزور طولقة. فرفار. ع٨،وأيضا: صدى الصحراء. وفد العلماء يزور البرج. ع٩، ٢ماي١٩٢٧

ومن ناحية أخرى ساهم ظهور جمعية العلماء في وضع أسس واضحة ومدروسة للوعظ، ففي مؤتمر الجمعية سنة ١٩٣٥ خُصّص مجال واسع لضرورة الإرشاد ووسائله، انطلاقا من أن الأمة تقوم ديانتها في العقائد والأعمال والأخلاق والآداب على العلم قبل العمل، بل ذهبت الجمعية إلى اعتبار أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والإرشاد هو وسيلة صحة العقائد والعبادات والمعاملات، ويوصي صاحب أحد التقارير رجال الإصلاح القائمين بالوعظ بدراسة كتاب الله وسنة نبيه اعتمادا على الكتب الصحيحة وهدي السلف وحسن معالجة الأمراض المتفشية لإنجاح العمل الإرشادي،وذلك بالاختلاط بالجمهور وتنظيم الرحلات.[٢٦٨]

وانتقل الوعظ من حيث موضوعاته المفضلة من تصحيح العقائد، إلى تقويم الأخلاق و السلوكات في مرحلة ثانية، وهذا تبعا لتعليمات جمعية العلماء المسلمين التي دعت إلى تبني هذا وتوحيده ابتداء من رمضان ١٩٤٩.[٢٦٩]

ب – **التفسير**:

يُعد التفسير مظهرا من مظاهر الإصلاح الديني وفي ذات الوقت وسيلة ضرورية من وسائله لخطورة أهدافه ونتائجه، وقد سار المصلحون في الجزائر على اختلافهم على خُطى محمد عبده، حيث اهتموا بالتفسير باعتباره **وسيلة لإصلاح العقيدة**، فكان محمد عبده إذا صادف آية في العقيدة شرحها وعززها بآيٍ من القرءان، ثم قارن النص بواقع المسلمين وما طرأ عليه من مفاسد، وإذا كانت آية في الأخلاق وضّح أثر الأخلاق في المجتمع وبناء الأمم، وإذا كانت آية تتصل بحالة اجتماعية أوضح أثرها في الواقع والمجتمع...،فهو تفسير واقعي عملي يتّجه إلى الإقناع والتربية

---

268 الابراهيمي . السجل. ص ص١٤١، ١٥٢

269 البصائر. دروس الوعظ والإرشاد في رمضان .ع ٨٦، ١١جويلية ١٩٤٩

الروحية دون أن ينسى الواقع والتطور العلمي الحديث،يقول محمد عبده :"...خاطب الله من كان في زمن التنزيل و لم يُوجِّه الخطاب إليهم لخصوصيةٍ في أشخاصهم".[٢٧٠]

وازدهر التفسير كوسيلة إصلاحية جديدة على يد الطيب العقبي الذي اشتهر به، فتابعت الجرائد أخباره، وتوافدت عليه الوفود في تفسيره بمسجد **بكّار** ببسكرة، كما كان يتنقل إلى فرفار وطولقة وسيدي عقبة والبرج لإلقاء دروس تفسيره بها، وقد نشرت البصائر تفسيره في عدة حلقات[٢٧١]، وهذا رغم المعارضة الشديدة التي لقيها التفسير من طرف الطّرقيين والمحافظين، خاصة مسألة توظيفه في علاج الأمور الواقعية المُستجدَّة، وهذه هي طريقة الإصلاح التي ترى أن هدف التفسير هو فهم الإسلام: "من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة" [٢٧٢]،ويذكر الشيخ محمد الميلي أن أحد المدرسين الموظفين لدى الإدارة الفرنسية بجامع سيدي عقبة قام ضد درس ابن باديس في مسجد سيدي عقبة، وهو يفسر إحدى الآيات وطلب منه أن يدرس للحاضرين مختصر خليل في المذهب المالكي، لأنه لا فائدة ترجى من التفسير، بل الأخطر عندهم هو أن التفسير صوابُه خطأ وخطؤه كفر،لذا يجب الاقتصار على تفاسير القدامى الذين ما تركوا للمتأخرين من شيئ.[٢٧٣]

ولعل أهم من خلف العقبي في التفسير في الزيبان هو عبد المجيد حبة (١٩١١-١٩٩٢)، الذي شرع في تفسير القرءان منذ سنة ١٩٤٠ ،و لم ينته منه إلا في ١٩٥٢ بسيدي عقبة، ولعل أهمية تفسيره تعود إلى موسوعيته وإجادته التدريس.[٢٧٤]

---

270 المنار. ص ص ٤١٧، ٤١٨

271 صدى الصحراء. ع٣، ع ١٠، فيفري ١٩٢٦.البصائر. ع٣٣، ١٧ جانفي١٩٣٦

272 أبو حمدان. مرجع سابق. ص٦٣

273 الميلي (محمد مبارك). رسالة الشرك ومظاهره. مكتبة النهضة الجزائرية، ط ١، ١٩٣٧ ص٣٦

274 مصمودي (فوزي). مرجع سابق.ص ١٤١

وفي تصوّر الإصلاحيين لا يجب أن ننظر إلى التفسير كعلم لغوي وديني مُغفلين دوره الدعائي النقدي، لأنهم كثيرا ما خرجوا به إلى معالجة الأوضاع واستنهاض الهمم، وهو ما كان يُعرِّضهم لصدامات مع الإدارة الفرنسية، ففي بداية الخمسينيات – مثلا- بلغ القائد العسكري في إحدى مناطق الزيبان أن الشيخ أبا بكر مصطفى بن رحمون قد فسّر آية "وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد" ،بأن (نقموا) تعني نحن الجزائريين، فاستدعاه ونكّل به.[٢٧٥]

ج –الصحافة:

تميَّزت بسكرة رغم بُعدها عن المراكز الكبرى باهتمام خاص بالصحافة، واستطاع العقبي فرض نظرته للصحافة على الحركة الإصلاحية الناشئة، وشكّلت الصحافة في الإصلاح الزيباني قضية مبدأ لا وسيلة تجارة، لذا استبشر المصلحون بصدور **صدى الصحراء** و**المنتقد**،وساهم أبناؤها في **المنتقد** و**الشهاب** و**البرق** و**الصديق** و**صدى الصحراء** ...منذ أعدادها الأولى.[٢٧٦]

وبلغ الاهتمام بالعمل الإصلاحي الصحفي أن جعل العقبي شروطا للصحفي المصلح، هي "...عالم سياسي بصير بالأمور له معرفة تامة ووقوف على ماضي التاريخ وحاضره، ذو نظر سديد وفكر ثاقب يريه ذكاؤه وما اتصف به من الحذق "، إضافة إلى الجسارة والجدة الأدبية والتضحية والإخلاص وصحة الغرض[٢٧٧]،كما جعل الجرائد من الضروريات ،فكتب :" ونظري الخاص في الجرائد أنها من الضروريات في هذا الوقت، وهي من الأمور التي أدعو إليها وأرغب الناس في قراءتها

---

275 عجالي (كمال). مرجع سابق. ص ١٥١

276 انظر شعراء الجزائر، ج١، ص ١٣٥.وأيضا العقبي. جريدة المنتقد في نظر الكتاب.المنتفد، ع ٥، ٣٠ جويلية١٩٢٥

277 العقبي. الصحافة ومن هم رجالها. البرق، ع ٢، ١٤ مارس١٩٢٧

،وأرجو من الله على ذلك أجرا وثوابا، فهي في نهضة الأمم وحياتها مبدأ الرقي ودليل الحياة فيها"[٢٧٨].وسنتطرق لأهم الجرائد الإصلاحية في المنطقة:

ج–١ صدى الصحراء:

تعتبر أول جريدة إصلاحية ببسكرة، أسّسها أحمد بن العابد العقبي ،وشارك في تحريرها العمودي والعقبي ومحمد العيد آل خليفة، فكانوا يكتبونها في بسكرة لتطبع في قسنطينة، وكانت مطابقةً للخط الذي سارت فيه **الشهاب**، واستطاعت أن تستقطب الأقلام الإصلاحية المعروفة، فعبّرت عن بداية النهضة الفكرية والأدبية والوطنية التي أخذت في الانتشار في تلك الفترة، وسرعان ما توقفت بعد ثلاثة عشر (١٣) عددا، وهذا في ٢٩ فيفري ١٩٢٦، وعادت إلى الظهور في سنة ١٩٣٤، لكنها عادت مضادة للإصلاح وللدكتور سعدان ولجمعية العلماء، ويبدو أن النائب الحفناوي دبابش كان هو من يموّلها.[٢٧٩]

وعُرفت **صدى الصحراء** بتركيزها على الإصلاح الديني والاجتماعي، خاصة أنها جاءت مبكرة وعاصرت **المنتقد** و**الشهاب**، وهي في أسلوبها ومواضيعها متأثرة بالعقبي وفكره الوهابي والقومي كما يرى الأستاذ أبوالقاسم سعدالله.[٢٨٠].

ج–٢ الإصلاح:

تعتبر **الإصلاح** اللسان الناطق باسم الإصلاح الزيباني في مرحلتها الأولى بلا منازع، لأن ظهورها كان أساسا: " للعمل على تحطيم الخرافات وهدم الأوهام ،كواجب أول لتنوير الأفكار

---

278 العقبي. ماذا ينتقدون علي؟.الإصلاح، ع ٧، ٧ نوفمبر١٩٢٩

279 ناصر. الصحافة العربية. ص، ٦٥، ٦٣.وانظر هجومها على سعدان وخير الدين في العدد١٦، وضد جمعية العلماء ع١٧، وضد عبابسة ع١٨.

280 أمامؤسسها أحمد بن العابد العقبي فهو خريج الزاوية العثمانية وأحد المولعين بالأدب والشعر، بوفاته المبكرة ١٩٢٦ خسر الإصلاح رجلا متكونا وجريئا،انظر : سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. ج٥، ص ٢٥٧.وكذلك أحمد بن الدراجي. صدى الصحراء، ع ٦، ١١ جانفي١٩٢٦ الذي يمدح الجريدة بأن لها فكرا واحدا مع الشهاب.

وتهذيب الرأي العام".وقد أصدرها العقبي بالاشتراك مع محمد العيد آل خليفة، لكن ابتداء من العدد الثاني سيتأكد إشراف العقبي عليها بعد انتقال آل خليفة للتدريس بالعاصمة في أكتوبر ١٩٢٩.

وقد جعلت **الإصلاح** هدفها محاربة البدع والعودة إلى الأصول، فكتبت في افتتاحيتها في العدد الأول: "وستخصِّص الفصول الطويلة والاستجوابات الكثيرة لمحاربة البدع التي أُلصِقت بالدين...وإنّ اعتقادنا الجازم بأن لا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها يحملنا على ذلك ويُوجب علينا أن نتحمل من أجله كل أذى"، وقد شاركت العقبي في هذه المهمة الشاقة أسماءٌ بارزة منها السعيد الزاهري (ع٩) والعمودي ع ٤، ٥، ٨، ١٠، ١١، ١٤ والميلي ع٥، بينما كان العقبي يُوقِّع بأسماء مختلفة منها أشهرها فتى الإصلاح (ع ٣، ٧) . وهذه الميزة هي التي جعلت العمودي يكتب عنها قائلا: "...على أن لإصلاح بسكرة مَزيَّة تُسجل في تاريخه بحروف ذهبية وأتمنى أن تكون لإصلاح الجزائر، وهي أنه كان وبقي إلى أن نام نومته الطويلة همزة وصل بين كافة المصلحين الذين ظهروا زمنئذ في عالم الوجود، وميدانا لجميع فرسان النهضة الجزائرية الفتيّة، ورابطة تَعذّر على الخصوم فَصْمَها بين حملة الأفكار والأقلام العاملين لخير العباد والبلاد".[٢٨١]

ورغم الثورة الإصلاحية التي أحدثتها الإصلاح إلا أنه لم يصدُر منها في بسكرة سوى أربعة عشر (١٤) عددا خلال ثلاث سنوات، بفعل عوائق قاسية وقفت أمام طبع الجريدة في تونس، ثم بسبب تقليدية المطبعة التي كان قد اشتراها العقبي وأعيان بسكرة المصلحين، وربما لتدخل الطّرقيين ورجال الإدارة الذين رفضوا طبع **الإصلاح** في تونس...كما يقول العقبي: " كلاّ بل لا مُوجِب لما وقع سوى أن الجريدة اسمها الإصلاح، وهي لهذا المخلوق المُسمّى الطيب العقبي، وفي الناس من لا يحب سماع اسمه مُركبةً حُروفه أو مُفردة، لماذا؟ لأن الأولياء الصالحين وأغواث هذه الأمة المُتألِّهين

[281] العمودي. بماذا اقتبل المصلحون الصادقون جريدتهم الإصلاح. الإصلاح، ع ٢١، ٥ أفريل١٩٤٠

وَشَوا به كثيرا إلى إدارات ظاهرة وباطنة وصوّروه لها في آلة تصوير مكبرة جدا، ثم ابتدعوها مع الرهبانية التي ابتدعوها وبهذا أثروا على رجال الغيب الأبرار...واستطاعوا إيقاف الإصلاح بمثل هذه الرسائل والوسائط.."[٢٨٢] .ويُضيفُ مُتتبِّعاً سيرَ جريدته والعوائق التي وقفت أمامها بقوله: "...السنةُ الأولى والثانية لم يصدر فيها غيرُ عدد واحد أما السنة الثالثة فلم يصدر منها غير اثني عشر (١٢) عددا، أما النصف الأخير منها فقد توقفنا فيه عن العمل بالمرة ،وذلك لحادث انكسار وقع للآلة الطابعة و لم يتيسر إصلاحها إلا بعد أشهر ،ثم عقب ذلك سفر المُصفِّف ورجوعه إلى بلده تونس ،وتبع ذلك فقدان بعض العَمَلة في أمور لا ينبغي التصريح بها لضيق ظرف الزمان وظرف المكان عنها".[٢٨٣]

وبفضل تفاني الجماعة الإصلاحية في بسكرة استطاعت أن توزع ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) نسخة منها أسبوعيا، متفوقة بذلك على **الشهاب** و**المغرب** و**البلاغ** [٢٨٤]،وقد وصل صداها إلى تونس، واعتبرها الكثير امتدادا **للشهاب** و**المنار**...، ويقول أحد معاصري الإصلاح الشيخ محمد الصادق بسيس باختيار بن عمر فيها: "جريدة الإصلاح كانت غايتها أول واجب لتنوير الأفكار وتهذيب الرأي العام والعمل على تحطيم الخرافات وهدم الأوهام ،وكانت تقفو أثر المنار، ويكتب فيها رجال النهضة الجزائرية".[٢٨٥]

ومن أهم عوامل قوة **الإصلاح** أنها جمعت رجال الإصلاح وأرباب القلم، كما أنها وزعت أعدادها على نطاق واسع، ويكفي أن نعرف أنها منحت الاشتراك فيها مجانا كهدية، كما كانت

---

[282] العقبي. الإصلاح. ع٢، ٥ سبتمبر١٩٢٩

[283] العقبي. الإصلاح. ع ١٤، ٢٥ سبتمبر١٩٣٠

[284] المدني. كتاب الجزائر. ص٣٧٢

[285] باختيار بن عمر (محمد الصادق بسيس). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شمس أشرقت في سماء الجزائر فأحيتها من بعد مئة عام. الهداية،تونس، أفريل ٢٠٠٤، ع ١٤٠

ترسل أعدادها مجانا لكل رجل ممتاز في الهيئة الاجتماعية كرئيس جمعية أو نـــادي أو شـــيخ طريقـــة [٢٨٦].وبعد ثلاث سنوات من النشاط والتقطع توقفت الاصلاح في عددها الرابع عـــشر(١٤) لتعطـــل مطبعتها اليدوية، لتعود مجدَّداً في ٢٨ ديسمبر١٩٢٩ ، لكن في الجزائر العاصمة حيث تُطبَـــع بالمطبعـــة العربية لأبي اليقظان.[٢٨٧]

ج-٣ البرق:

تُعدُّ **البرق** الجريدة الزيبانية الثانية في الإصلاح، حيث ظهر عددها الأول في٧ مـــارس ١٩٢٧، ،ورغم أنها كتبت أن مديرها وصاحب امتيازها هو محمد عبد المجيد رحموني إلا أن المعاصـــرين لهـــا والباحثين يذهبون إلى أن مديرها الحقيقي هو محمد السعيد الزاهري، وهو ما أثبته أبـــو اليقظـــان في **الأمة** وأحمد توفيق المدني في **"كتاب الجزائر"**.[٢٨٨]

كانت **البرق** كما كتبت في أعلاها: "صحيفة اجتماعية أدبية انتقاديـــة سياســـية اقتـــصادية فكاهية"،شعارها خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال، وامتازت على مدار أعدادها الـــسبعة والعشرين(٢٧) بخطها الإصلاحي الذي بدأت فيه **المنتقد**، كما عرفت بعداوتها الـــشديدة للطّرقيـــة خاصة العَلِيويَّة، كما عُرفت بدعوتها للإكثار من الصّحف الإصلاحية[٢٨٩]، أما كُتّابهـــا فهـــم أعـــلام الإصلاح الزيباني الذين يتكررون في الجرائد الأخرى وهم الزاهري (تأبط شرا) والعمودي (سمهري) ،والميلي (بيضاوي) ،والعقبي (السلفي) الذي كتب فيها شعرا ونثرا..إلخ.

وعَرفَت الجريدة مصاعب عدة ،فبعد أن كانت تطبع بقسنطينة لتوزع ببسكرة، أصبحت بعد عددها السابع عشر(١٧) تُطبَع بتونس لتوزع ببسكرة وقسنطينة، ورغم دعم المـــصلحين لهـــا إلا أن

---

286 الإصلاح. ع٢

287 ناصر. الصحافة العربية. ص ٩١

288 الأمة. ع١٥، ١٩٣٤/١٢/٢٥.انظر أيضا محمد ناصر. الصحافة العربية. ص ٨٤

289 العقبي. الصحافة ومن هم رجالها. البرق، ع٢. ٣. ٤ .٥

أسلوبها المتهكم الحاد ،خاصة "**ركن قوارص**" أدى إلى نفور الناس عنها وتعطيلها في سبتمبر ١٩٢٧، بعد أن رفع الدكتور ابن التهامي والمعمر مورينو دعوى ضدها، فعُطّلت بحجة أنها: " تُثير التراعات بين الأفراد وتثير الأحقاد وهو أمر يضر بالنظام والأمن العام".وبهذا فقد الإصلاح قناة خطيرة تكفلت بالردِّ على أعدائه ونشر أخباره والدفاع عن أهدافه.[٢٩٠]

ج-٤ الدفاع (La défense):

كان ظهور الدفاع في سنة ١٩٣٤ نصرا للإصلاح على المستوى العام، وللإصلاح الزيباني بصفة خاصة، باعتبار العمودي صاحب الجريدة أحد أعلام الإصلاح الزيباني، ولهذا **فالدفاع** تعكس لنا الكثير من تطور الإصلاح في الزيبان وأخباره والعوائق التي واجهته، ولاشك أن من بين العوامل التي حملت أعضاء جمعية العلماء المسلمين على تأسيس **الدفاع** هي التهديدات التي واجهتها الصحافة العربية والعزلة الرهيبة المفروضة عليها من طرف الإدارة الفرنسية والمعمرين.[٢٩١]

وتميّزت الدفاع بالواقعية وارتفاع مستوى الخطاب والتحليل، خاصة أن الجرائد الإصلاحية المكتوبة باللغة العربية عُرفت بنزعتها الأدبية والأخلاقية، فكانت **الدفاع** أُذْنَ وعَينَ ولسانَ الإصلاح على النخبة والمعمرين والإدارة[٢٩٢]،ومن جهة أخرى شكّل قلم العمودي أساس الجريدة بأسلوبه وقوته الإقناعية، وهو ما يجعلنا نفهم اشتراط "**ميرانت**" مدير الشؤون الأهلية إبعاد العمودي من الكتابة في جرائد الجمعية حتى تسمح الإدارة لهذه الجرائد بالصُّدور.[٢٩٣]

---

290 انظر في دعمها: العقبي. إلى الأمام إلى الأمام. البرق، ع٧، ١٨ أفريل١٩٢٧.وفي تعطيلها: الزاهري (محمد السعيد).هل حوكم البرق. الشهاب. ع١٢٢، ١٧ نوفمبر١٩٢٧.وأيضا: ناصر. الصحافة العربية. ص ٨٥

291 خضعت الصحافة العربية لوزير الداخلية أو من ينويه، فله الحق في تعطيل ما ينشر بها إداريا دون المرور عبر المحاكمة أمام القضاء، وأغلب الصحف العربية كان تعطيلها تعسفا، انظر ناصر (محمد). الصحف العربية الجزائرية من ١٨٤٧-١٩٣٩. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠، ص١٤

292 القورصو. حول إشكالية انتشار الصحافة...(مرجع سابق).ص ٦١

293 بوكوشة (حمزة). شخصيات منسية الأمين العمودي. الثقافة، الجزائر، ع٦، جانفي ١٩٧٢، ص٥٦

ومن جهة أخرى اعتمد رجال الإصلاح في الزيبان على الجرائد الإصلاحية الكبرى في خارج المنطقة، إما لاستغلالها كمنبر أمام الحصار المفروض في المنطقة من طرف الإدارة ورجال الطّرق والزوايا ،أو إسهاما منهم في حركة الإصلاح الوطنية الشاملة .وتأتي جرائد **الصديق** و**المنتقد** و**الشهاب** و**السنة** و**الصراط** و**الشريعة** و**البصائر** في مقدمة الجرائد التي ارتبطت برجال الإصلاح الزيبانيين، فقد تولى مولود الزريبي رئاسة تحرير **الصِّديق** لصاحبها محمد بن بكير اليزقني منذ عددها السابع في ٢٥ أكتوبر١٩٢٠، وكانت تُطبع بالجزائر وتُوزَّع في قسنطينة والجزائر وغيرها [٢٩٤]،وكتب العقبي حوالي سبعا وستين (٦٧) قطعة في **المنتقد** حول العقيدة والدين ومحاربة الطرقية،أما محمد العيد آل خليفة فكتب خمسا وأربعين (٤٥) قصيدة في **الشهاب**، إضافة إلى عشرين (٢٠) قطعة صغيرة، وثمانين (٨٠) قطعة ذات طابع تاريخي،إضافة إلى نشره المقالات والقصائد في **البصائر** منذ سنة ١٩٣٦،أما الشيخ فرحات الدراجي (١٩٠٦-١٩٥١) فقد كتب في **الشريعة** و**الصراط** و**السنة** و**البصائر** و**الشهاب**..إلخ. ، كما تولى الطيب العقبي مع السعيد الزاهري إدارة تحرير **السنة النبوية**.[٢٩٥]

ج-٥ الجرائد المساعدة:

- أبو العجائب:

التي أسسها أحد أبناء الزيبان الإصلاحيين، وهو محمد بن العابد الجلالي (١٨٩٠-١٩٦٧) وترأس تحريرها محمد بن العابد العقبي، بينما كانت إدارتها لأحمد بوشمال، وظهر عددها الأول في

---

294 الهادي السنوسي . شعراء الجزائر. ج٢، ص١٠٢

295 السنة النبوية أول جريدة أصدرتها جمعية العلماء كلسان ناطق باسمها في ١ مارس١٩٣٣ جاء عنوانها مضادا لجمعية علماء السنة، طبعت بالمطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة، عُطّلت بعد ١٣ عددا منها في ٢٢ جوان١٩٣٣.أما الشريعة المطهرة فهي أسبوعية تصدر كل يوم اثنين، ظهر عددها الأول في ١٧ جويلية١٩٣٣ بعد ١٧ يوما من تعطيل السنة "لتقوم مقامها وتحل في القلوب محلها" وهي لسان جمعية العلماء، لكن عطلت بعد العدد السابع ٢٩ أوت١٩٣٣ .انظر ناصر. الصحف العربية. ص ١٥٠.وكذلك Collot (Claude). le regime geridique de la press arabe. p74

٢٤ماي ١٩٣٤، وتميزت بأنها مثلت وسيلة إصلاحية فكاهية انتقادية موجهة للعامة.وبحكم انتماء محمد بن العابد الجلالي للزيبان وعلاقاته فإنه يمكننا القول أن "**أبو العجائب**" ربما قد تكون ساهمت في العمل الإصلاحي ،وإن لم يكن لها تأثير فحسبها أنها وسيلة جديدة وابتكار طريف ،خاصة أنها أعلنت منذ عددها الأول أنها ضد الطّرقية ،فقد كتب صاحبها:"...وقد انتقى له من الأسماء **أبو العجائب** رجاءَ أن يأتي في مستقبل حياته بالغرائب... لم يُطوق عنقَه بحرزٍ ولا تميمةٍ لأن ذلك بدعة ذميمة نَفَرَ منها الذوقُ وكسَد بها السوق"، لكنها لم تُعمِّر إذْ توقَّفت بعد شهرين من صدورها بسبب الصعوبات المالية وتضييق الإدارة عليها ،ونلاحظ هنا أن الحركة الإصلاحية في ميزاب اهتدت إلى جريدة البستان الفكاهية بعد طول جهد وصراع ،وهاهي الحركة الإصلاحية في الزيبان تُجرِّب هذه الوسيلة الفكاهية بعد **صدى الصحراء** و**الإصلاح** و**الدفاع** مع سبْقٍ خاص للإصلاح الزيباني زمنيا .[٢٩٦]

– المرصاد:

استفادت الحركة الإصلاحية في الزيبان لحدّ ما من **المرصاد**، خاصة أن مديرها ورئيس تحريرها محمد عبابسة الأخضري من أبناء المنطقة ،ومن المرتبطين بجماعة الإصلاح فيها، أما صاحب امتيازها فهو المسلم الفرنسي محمد الشريف جوكلاري (١٩٠٤-١٩٥٧) الذي أعطاها دعما كبيرا، وتتطابق خطة **المرصاد** الإصلاحية مع خطة جمعية العلماء المسلمين، لذا وجد فيها أبناء الزيبان مجالا جديدا لنشر أفكارهم ضد الانحراف الديني ومظاهره، لكن بأسلوب تهكمي نقدي حادٍّ، فبشرت جريدة **الإصلاح** بها قبل ظهورها ،فكتبت: "...نزفُّ البشرى لأنصار الإصلاح وعُشّاق الأدب بقرب بروز جريدة المرصاد، وهي جريدة اقتصادية أدبية دفاعية مهما دعت الحاجة إلى الدفاع سلمية وحربية في

[296] مرتاض (عبد المالك). حول تاريخ الصحافة العربية بالجزائر. الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ع٤٤، أفريل، مايو١٩٧٨، ص ٣٠

آن واحد...فبقدر ما نهنئ المصلحين بها بما ستتحفهم به من الأدب الغض والفكاهة الراقية، نحذِّر المجرمين الأفاكين والدراويش المعتوهين مما ستصبُّه عليهم من الويلات البرقية والحملات الجهنمية".[٢٩٧]

وقد صدر عددها الأول في ٢٧ ديسمبر١٩٣١ ،وممن كتب في الجريدة من أبناء الزيبان العمودي(سمهري) متهكما ضد العليويين وجمعية علماء السنة الذين تعاديهم الجريدة صراحة، (انظر سمهري، هاهو قلمي، المرصاد، ع ٢٧، ٩ سبتمبر١٩٣٢.وأيضا العدد ٣٦، ٣٨)، كما كتب بها محمد العيد آل خليفة باسمه الصريح أو باسم الحارث بن همام، (ع ٧، تحية ووصية.ع٢، قصيدة كثر التساؤل عنك يا مرصاد.ع ٣، قصيدة بلا عنوان.ع ٣٣، إلى صاحب الاقتراح المشئوم.ع ٣٦ تدشين نادي النهضة بالبليدة)، وعمر البسكري (ع ١٤، الشباب الناهض).[٢٩٨]

ويبدو أن لهجتها الحادّة ضد الطُّرقين والنواب في آن واحد كانت هي السبب وراء تعطيلها في ٨ نوفمبر١٩٣٣ بعد صدور أربغة وستين (٦٤) عددا منها.

- **الثبات:**

أسّسها محمد عبابسة الأخضري بعد تعطيل جريدته **المرصاد** ،وقد صدرت في جانفي ١٩٣٤، واستمرت إلى غاية تعطيلها في ٦ سبتمبر١٩٣٥ ، رغم تقطعها الكبير في الصدور، وعرفت بولائها للعلماء و لابن جلول خاصة.[٢٩٩]

- لوكو دي بومبو:

كانت **لوكو دي بومبو** (أو **ضربة الخيزران**) تُوالي سعدان الموالي بدوره للإصلاح، وقد كتب

---

297 الإصلاح، ع١١، ٢٣ جانفي١٩٣٠.

298 ناصر.الصحافة العربية.ص ص ١٢٠، ١٢٤

299 نفسه. ص ص ١٨٢، ١٨٦

بها العمودي كوجه إصلاحي بارز ضد أحمد الأحمر الوكيل الشرعي المعروف بعمالته للإدارة وللطّرقية، ولهذا شنّت حملة شرسة ضد الطّرقية والعمالة للإدارة، لكن يبدو أن هذه الجريدة لم تُعمِّر طويلا و لم تُؤثِّر كثيرا.[٣٠٠]

د- الطبع والتأليف:

دعا المصلحون إلى الاهتمام بالنشر والتأليف وإصدار الجرائد والمجلات لنا لها من دور في نشر الفكر الإصلاحي، ونجد في **صدى الصحراء** دعوة مبكرة إلى كسر سيطرة الطرقية والإقتداء بالحركة الإصلاحية في مصر،فكتب أحدُ كتابها: "...وعليه استنهض الهمم إلى السعي في كثرة التأليف والنشر والتحرير والتصنيف لترقى البلاد وتتحسن حالة العباد الأدبية"، أما المطابع فيرى أحد المصلحين في تأسيسها:"... حركة كبرى في نشر العلم والأدب وإصلاح الأخلاق وعلاج الأمراض ودواء الأجسام المريضة بالتأخر والمُصابة بالانحطاط". وبعد ازدهار الصحافة دعا أحد مصلحي الزيبان إلى إنشاء مطبعة بالزيبان وعدم الاعتماد على تونس ،حتى لا يتعرّض العمل الإصلاحي لمضايقات الإدارة، فكتب الطرابلسي:"...أليس من العار والشنار أن يكون القطر خاليا من مطابع تفي بشؤون الأمة؟ ...وأنتم أيها البسكريون لا يجهل كونكم لستم بأغنياء حتى تعجزوا عن شراء مطبعة وفيكم من يشتريها بسعف نخيله "[٣٠١] ،وهو الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور المطبعة العلمية (يدوية) ببسكرة بعد اتفاق عدد من المصلحين ومن أعيان الزيبان على جلبها وتكليف العقبي بها،[٣٠٢] بعد فشله في طبع

---

300 يذكر الشيخ رمضان (محمد الصالح) أنه يتذكر جيدا أحد أعدادها الذي رسمت فيه كاريكاتيرا يمثل برميلا من الخمر كتب تحته اسم أحمد الحمار (إشارة إلى أحمد الأحمر الوكيل الشرعي) وفوق البرميل قول الله تعالى:" يسألونك عن الخمر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإثمها أكبر من نفعها".وإلى اليمين من البرميل نخلة تحتها اسم الشريف سعدان وفوقها قوله تعالى:" تؤتي أكلها كل حين"، شهادة الشيخ رمضان (محمد الصالح) للباحث.وانظر كذلك: ناصر . الصحافة العربية.

301 شعبان (مصطفى). صدى الصحراء. ع٩، ١ فيفري ١٩٢٦.وحول المطبعة انظر: الطرابلسي (محمد بن إبراهيم). جريدة الإصلاح والأمة الجزائرية.الشهاب، ع ١٢٧

302 خير الدين.مذكرات. ج١، ص ٩٣

جريدته **الإصلاح** بتونس، بسبب عرقلة الإدارة له،وسنحاول أن نرصد أهم المؤلفات ذات العلاقة بالعمل الإصلاحي:

د-١)آثار المولود الزريبي:

تركزت آثار الزريبي حول تطهير الدين مما لحقه من البدع والخرافات، مثل شرحه على "قُدُسِيّة الأخضري"، وشرحه على كتاب "البيوع من مختصر خليل" ،وكتاب في الأخلاق لم يُكمِله ،نُشرت أجزاء منه في جريدة **الصديق**، أما أشهر كتبه والذي اعتبِر وسيلة إصلاحية دينية بامتياز فهو كتابه "بُدُورُ الأفهام وشموعُ الأحلام على عقائدِ ابن عاشر الحبرِ الهمامِ" ، الذي يقع في مئتين واثنتين وثلاثين (٢٣٢) صفحة، والذي دون آراءه الإصلاحية فيه، ويبرز ذكاء الزريبي عندما اتخذ كتاب "عقائد المرشد المعين" جسرا لإيصال أفكاره، وهذا لما يعرفه من تعلق العامة وشيوخ الزوايا والطرق بابن عاشر[٣٠٣]،وقد طبع الكتاب في سنة ١٣٣٤هـ،ولأهمية الكتاب قرَّضته جرائد كثيرة منها **الصِّديق** التي كتبت عنه:"...وهو كتاب عظيم النفع والفوائد جامع للعقائد التوحيدية وبراهينها العقلية والنقلية وأطنب في البدع الحادثة والعقائد الفاسدة بما يشفي الغليل".[٣٠٤]

د-٢)شعراء الجزائر في العصر الحاضر:

ظهر الجزء الأول منه في سنة ١٩٢٦، في مئتين وخمس (٢٠٥) صفحات، من الحجم المتوسط، وتلاه الجزء الثاني في سنة ١٩٢٧ ملتصقا به كقسم ثان، ووتم طبعه بمطبعة النهضة بتونس، ويمكن اعتبار الكتاب وسيلة إصلاحية دينية من حيث الأبيات الشعرية الواردة فيه،والتي هي في كثير منها إصلاحية، كما أن الشخصيات المترجم لها في اغلبها إصلاحية، ففي الجزء الأول نجد محمد العيد حم

---

303 الهادي السنوسي. شعراء الجزائر. ص ص ٩٩، ١٠٤.ويذكر الصديق (محمد الصالح) أنه سمع الشيخ أرزقي الشرفاوي يقول هذا في زاوية عبد الرحمن اليلولي عندما كان محمد الصالح الصديق تلميذا فيها، انظر: الصديق (محمد الصالح). أعلام من المغرب العربي. موفم للنشر، ٢٠٠٠، ج١، ص ١٠٤

304 الصديق. كتاب جديد مفيد. ع ٧، ٢٥ أكتوبر١٩٢٠

علي(آل خليفة)، ومحمد اللقاني بن السايح (من شعراء **الإصلاح والبرق**)، ومحمد السعيد الزاهري، والجنيد أحمد مكي (من شعراء الإصلاح الزيباني)، وأبا اليقظان، والطيب العقبي، ومفدي زكريا، وأحمد كاتب بن الغزالي، ورمضان حمود بن سليمان،و إبراهيم بن بانوح امتياز (الإصلاح الإباضي)، ومحمد الهادي السنوسي (صاحب الكتاب). أما في الجزء الثاني فنجد فيه تراجم للأمين العمودي، ومحمد المولود بن الموهوب، والطاهر بن عبد السلام، وحسن بولحبال (من شعراء الإصلاح الزيباني)، والمولود الزريبي، ومحمد العلمي، ومحمد الحاج إبراهيم الطرابلسي، وأحمد بن يحي الأكحل، ومحمود بن دويدة. ويجب أن نعطي للكتاب بعدا آخر وهو النهضة الأدبية والقومية، وهذا للارتباط الوثيق بين اللغة والإصلاح، لذا اعتبرته جريدة **لسان الشعب** التّونسية:"عنوان على النهضة القومية بالجزائر"، أما محمد مبارك الميلي فكتب: "الأدب الجزائري يُبعَث من مَرقده أو بارقةُ أملٍ في عصر جديد" [٣٠٥]،كما عُقدت له حفلاتُ التهاني في تونس وبسكرة...، .فكان الكتاب جديداً في طرحه، صريحاً في أهدافه، محمِّلاً الاستعمار كل مسؤولية في تخلّف الأمة وشقائها.

د–٣) الإسلام في حاجة الى دعاية وتبشير:

لمحمد السعيد الزاهري، ويُعدُّ الأهم من حيث الشهرة والتأثير، وهو في الأصل مجموعة مقالات كان الزاهري قد نشرها في مناسبات مختلفة بمجلة **الفتح** لمحب الدين الخطيب، فقام محب الدين الخطيب بجمعها وطبعها في القاهرة سنة ١٩٣٠، يقول محب الدين الخطيب في هذا :"...هذه فصولٌ كتبها أخي في الدعوة الأستاذ السيد محمد السعيد الزاهري لِتنشَر في صحيفة **الفتح** فرأيتها مثلاً صالحا للدعوة إلى الخير وما يجب أن يكون عليه الدّاعي من بصيرة وحكمة"[٣٠٦]،وتتلخّص فكرة

[305] انظر مقدمة الجزء الثاني من شعراء الجزائر. ص ٢٠٠

[306] خرفي. محمد السعيد الزاهري. ص ١٤

الكتاب العامة حول محاربة الطّرقية والتّنصير وطمس وتشويه الإسلام،ولهذا أحدث ضجة كبيرة وقرّظه شكيب أرسلان ومجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، وكذا **الشهاب**...وغيرها.[٣٠٧]

د–٤) تقويم الأخلاق:

لصاحبه محمد بن العابد الجلالي، أحد مصلحي منطقة الزيبان المستقرين بقسنطينة للتدريس مع الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد طُبع الكتاب في المطبعة الإسلامية بقسنطينة في سنة ١٩٢٦، ثم أصبح يُطبع في كل سنة، وهو يعكس النهضة الجزائرية، ويُثقِّف المسلمين في لغتهم وتاريخهم وتشريعاتهم وحضارتهم، وبحكم ارتباط المؤلف بالمنطقة فإننا نعتقد أنه قد حظي بالاهتمام والمطالعة ،خاصة أن **الشهاب** قد تكفلت بالدعاية له فكتبت عنه: "...يشتمل على مباحث منها الفلك والتراتيب الإدارية والتنسيقات العمرانية بالجزائر، الأخلاق والآداب الإسلامية، اللغة العربية وتاريخها وآدابها، التشريع الإسلامي عامة، الاقتصاد، العلم الحديث، السير ".وفي تقويم سنة ١٩٢٧ تطرّق إلى: "جغرافية الجزائر وتاريخها وتراجم لبعض رجال الوطن وأخلاق وآداب إسلامية، ونماذج من الأدب العربي القديم والحديث".[٣٠٨]

د–٥) الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية:

ألّفه محمد بن العابد الجلالي وطبعه في سنة ١٩٣٩ في تونس، ووزعه في الجزائر على المدارس والنوادي الإصلاحية، ورغم أن الكتاب مخصص لأبناء المدارس في شكل أناشيد إلا أنه يُدعم العمل الإصلاحي ضد الجمود والخرافات والبدع بشكل صريح أو غير صريح، ولهذا قرّظته **الشهاب** بقولها:

---

307 الشهاب .الإسلام في حاجة إلى دعاية. ج١٢، م٧، ديسمبر ١٩٣١

308 الشهاب. ع٥٩.وأيضا ع١٠٤

"ولهذا نختار الأناشيد المشتملة على العقائد الصحيحة والأفكار السليمة والأخلاق الفاضلة، وقد راعى كل هذا الأستاذ محمد بن العابد الجلالي".[٣٠٩]

د-٦)الأشعة المبينة من ذكريات قسنطينة:

لأبي بكر مصطفى بن رحمون، وقد ألَّفه في محاربة المظاهر الأخلاقية السيئة وانتشار البدع والخرافات واقتراح علاجها، ورغم أن الشاعر محمد العيد آل خليفة قرّظه شعرا إلا أن أثره يبدو محدودا ،ولم يظهر له أي أثر بعد ذلك، لكن المؤكد أن صاحبه قد استعمله في وعظه ومحاربة البدع عند عودته إلى الزيبان، ومما كتبه الشاعر محمد العيد آل خليفة في تقريظ هذا الكتاب:

أشعة كشـــفت عن خير مكنون من منشئات أبي بكـــر بن رحمون

أبدى لنا قصصا في وصف مجتمع جـــم الضلالات بالأهواء مفتـــون

محسنا حسن الأخلاق ممتدحـــا حميـــدها مرشـــدا للخير مسنون[٣١٠]

وأمام ضعف حركة التأليف والطبع لجأ المصلحون إلى طريقة الاكتتاب أو الاشتراك، حيث يتكفلون بجلب المؤلفات الجديدة أو التي تُدعِّم تَوجُّهَهم والتي عادة ما تُطبع بعيدا عن الزيبان.[٣١١]

كما ابتكرت جريدة **الإصلاح** طريقة أخرى، وهي طبع قصيدة "**عليكم بنهج الصالحين** " للشيخ الطيب العقبي في المطبعة العلمية ببسكرة ،وتوزيعها كهدية أو مقابل مبلغ رمزي، وهذا بهدف محاربة البدع والخرافات ونشر الفكر الإصلاحي.[٣١٢]

---

309 الشهاب. جويلية١٩٣٩. وأيضا الجلاّلي (محمد بن العابد). الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية. مطبعة النهضة، تونس، ط١، ١٩٣٩

310 عجالي.مرجع سابق، ص ١٠٠

311 يذكر السيد خبزي (محمد) المعاصر للإصلاح الزيباني والقريب منه بحكم دور والده فيه (عيسى عمارة خبزي) أن السيد مغـــزي كان ممن يقومون بجمع اشتراكات الراغبين في الحصول على المؤلفات، ويذكر كيف اشترك للحصول على كتاب تفسير المراغي.شهادة السيد خبزي(محمد) للباحث بمنزل السيد خبزي في القرارة.غرداية يوم الثلاثاء ١٨ أفريل٢٠٠٦ من الساعة ١٧,٣٠ إلى ١٩,٢٠

وفي اعتقادنا، أنه رغم اعتبار التآليف وسيلة حيوية للإصلاح ولنشر تعاليم الدين الصحيحة، إلا أنها لم تنتعش وظلت محدودة مقارنة بغيرها من الوسائل، وهذا في رأينا ربما يعود إلى أن القائمين على الإصلاح في الزيبان قد خصصوا كل إمكانياتهم للتعليم والتدريس والاتصال بالشعب عن طريق الكلمة المباشرة، كالخطابة والوعظ والصحافة ونحوها، و كذلك لانتشار الأمية بين أوساط الأهالي، مما عرقل نشر المؤلفات.[٣١٣]

ثانيا:ميزاب

١- مظاهر الإصلاح الديني:

أ- محاربة البدع والطُّرقية:

بفعل احتكاك المجتمع الميزابي بمختلف الوافدين تغلغلت كثير من البدع الغريبة عن المذهب الإباضي، كالطواف بالقبور وبناء الأضرحة والتبرك بها واعتقاد الخير والشر والنفع والضر في بعض الأولياء، ورغم عدم وجود البعد التصوُّفي في المذهب الإباضي إلا أن بعض الأحداث دفعته إلى الواجهة. وقد كانت بريَّان من أولى المحطات التي اصطدم فيها الشباب الإصلاحي مع العزّابة عندما قام بتحطيم عدد من القباب والأضرحة بتحريض من الشيخ بيوض وهو ما كلّفهم المتابعة والسجن.

كما نجد أنه قد انتشر في ميزاب ما يعرف **بالإخوان السُّود** ذوي الأصول السودانية، الذين تحرروا من العبودية واختلطوا بالسكان منذ زمن بعيد، وحافظوا على تنظيماتهم وطقوسهم الغريبة، واشتهروا باستعمال البخور والشموع والدفوف واستحضار الجنّ وتقديم الذبائح لأوليائهم لقضاء حاجاتهم، ورغم انتشارهم في مناطق عديدة من الجزائر إلا أن تركُّزَهم في غرداية أكبر لكونها مركزا تجاريا بالنسبة للصحراء.

---

312 الإصلاح. ع ٢

313 انظر: سعد الله. محمد العيد رائد الشعر. ص ص ٨٢، ٨٣

وكان "الإخوان السُّود" يحتفلون بأعيادهم المختلفة، مثل عيدهم في شهر نوفمبر في متليلـــي، بينما يحتفلون بالمولد النبوي بيوم متأخر، كما يفعل ينو ميزاب في غرداية، حيث يتجهون إلى قمـــم الجبال على مقربة من الآباء البيض "الضاحكين عليهم"، كما يصفهم أبو اليقظان، أمـــا في غردايـــة فينظمون حفلات الرقص في أماكن متتابعة وفي الهواء الطلق، وقد استطاعوا التأثير في العامة ، حـــتى أنهم تمكنوا من دعوة أعيان غرداية لحضور احتفالاتهم، مما عرّض المجتمع الميزابي لخطر الاحتكاك بهـــم وبعاداتهم وبدعهم .[٣١٤]

وتصدّى المصلحون الميزابيون لكلِّ حديث عن تغلغل الطُّرقية في ميزاب، ولو كان عند المالكية (العرب)، فندّدوا مثلاً بزيارة شيخ الطريقة الطَّيبية في وزَّان إلى غرداية واحتفاء الحكومة والقايد به، الذين بفضلهم استطاع تأسيس زاوية تابعة له، فكتبت جريدة **وادي ميزاب** بأن الحكومة مسؤلة عن تخلف المسلمين وتجهيلهم والإساءة إلى الإسلام: "...وكان في الظن أن السادات الذين جاءوا لتمديننا وتنوير عقولنا سيحُولُون دون نشر هذه البدع والخرافات لأنها تُنافي مهمَّة التمدين وتخالفها على طرفي نقيض، أو يقفون موقف الحياد على الأقل ويُظهِرون أنهم فوق ذلك...وليت شعري ماذا تقصد بهذا التدخل الغريب أمساعدةً لنشر مهمة التمدين؟ أم تلويثاً لتربة بقيت ولازالت طاهرة من هذه الميكروبات المنتشرة".[٣١٥]

كما وقف المصلحون ضد كل مَسَاسٍ بالمذهب الإباضي ودخول الطرقية إليه، فردَّاً على إشاعة حول دخول أحد الإباضيين لإحدى الطرق الصوفية تجنّد الإصلاحيون ونادوا بالبراءة من كل

---

[314] Bulletin de liaison sahariennes. Les confréries noires du Mzab n15, decembre1953, pp18, 20.

[315] وادي ميزاب .ماذا في الوطن.ع ٥، ٢٩ ديسمبر١٩٢٦

إباضي يدخل في الطُّرقية لما فيها من اختلاط وغُلو ولهو وشرك بالله، ولتعارضها أصلا مع المذهب الإباضي.[٣١٦]

ومن جهة أخرى تجنّدت الجرائد الإصلاحية لرصد كل تجاوز أو ابتداع في العقائد أو المعاملات ومهاجمة احتكار العزّابة للصلاحيات الدينية وجموده.[٣١٧]

ب–الاجتهاد ومحاربة الجمود:

تلت فترة الشيخ محمد اطفيش الذهبية حالة جمود كبيرة، واتجه العزابة للالتزام بأفكاره والدفاع عنها لكسب قلوب العامة الوفيّة لذكرى الشيخ اطفيش، وأمام البعد التجديدي للفكر الإصلاحي كان الاصطدام بين المحافظين والمصلحين محتدما في مجال التجديد أكثر من القضاء على البدع والطرقية لضعفها مقارنة بقضية الجمود.

وقد تزعم المحافظين الشيخ حمو بن باحمد، الذي كان يحظى بتزكية قديمة من الشيخ اطفيش، مما عقَّد مهمة المصلحين، خاصة أن بيده سلاح البراءة التي سُلِّطت فيما بعد على الشيخ بيوض نفسه.

وخطرُ الجمود –كما يُسميه المصلحون– في فلسفة الإصلاح يكمن في تحطيمه الأمة من نواح عديدة، اجتماعيا عندما يقولون للأمة أن السلف قانعون زاهدون، وعلميا عندما يقولون شعاراتهم الشهيرة مثل قولهم فتح المدارس غلق للمدارس، والجلوس على الطاولة بدعة، وما ترك الأول للآخر

---

316 وهو المدعو صالح بن سعيد الذي انخرط في الطريقة العليوية وصار من كتاب البلاغ، انظر هل فتح الله عليه. الـــبرق. ع ١٠، ٩ ماي ١٩٢٧، وأيضا الفرقد. غيّ طالح يجني على الجنسية والدين. الشهاب، ع ٩٤

317 انظر مثلا: سعيد. الأفكار المستعبدة بالأوهام والخرافات. النور، ع ١٤.وأيضا: سعيد. الأوهام وأثرها في النفوس. النور، ع١٥. كذلك: الأمة.من هم حماة الدين ومن هم الخاذلون. ٣٩. ولهذا كانت السيطرة على جهاز العزابة مطلبا حيويا لجماعة الإصلاح، التي استطاعت التغلغل بواسطة يوسف بن بكير، ومحمد بن الحاج يوسف بابانو، وعبد الرحمن بن عمر بكلي، وأحمد بن الحاج موسى بابا عمي، وبانوح بن الحاج، وأحمد مصباح، وأحمد بن عيسى قزريط، وعبد الله بن داود بغباغة. انظر:دبوز. أعلام.ج٣، ص ٢٥٦

من شيء، وحُبُّ الظُّهور يقصِم الظُّهور، **لاحظّ للنظر مع وجود الأثر**، والأناشيد غناء، والجرائد هي لهو الحديث..إلخ.[٣١٨]

ومن الطبيعي أن ينعكس الصراع على صفحات الصحافة، فكان أبو اليقظان يرى في المحافظين (المتعصبين) أنهم أخطر على العامة من المنصرين، لأن العامة تنفر بطبعها من المنصرين بينما لا تعرف الخطر الحقيقي للمتعصبين،ولهذا هاجمهم شعرا ونثرا جدا وهزلا ، ومنها مسرحيته جلسة المخذولين.[٣١٩]

ومن أهم النقاط الاجتهادية الخلافية التي برزت بين الطرفين نذكر تطوير المواد الدراسية، وتجديد التفسير،والتفتح في الفتوى على المذاهب الفقهية الإسلامية، وقراءة القرءان على الأموات بأجرة، والأناشيد داخل المساجد، وتعليم البنات، وحقن الدم، وإدخال الكهرباء والتليفون إلى ميزاب، وشقُّ شبكة مياه الصرف الصحي داخل التجمعات السكانية، وتَولِّي الوظائف تحت سلطة جائرة.[٣٢٠]

ولعل من أهم النقاط الخلافية التي انتقلت من كونها قضية فقهية إلى قضية اجتماعية فكرية سياسية، هي مسألة الصوم والإفطار بالتليفون (الهاتف) التي استغرقت ثلاث سنوات، وعكست قوة الطرفين واستماتتهما في التمسك بآرائهما، وسجلت الصحافة هذا السجال بكثير من الحبر، كما ألفت الرسائل وكتب حول الموضوع، فكتب الشيخ بيوض ردا على المحافظين(الجامدين):"...فإن

---

318 سعيد. جمود العلماء وأثره في نفوس العامة. الأمة، ع ٧١، ٢١ أفريل١٩٣٦

319 انظر الأعداد ٦١. ٦٢. ٦٤. ٧٢..وادي ميزاب.وكذلك: قسوم (عبد الرزاق). خطورة التحدي وصلابة الموقف. الموافقات، عدد خاص، السنة الخامسة، ١٩٩٦، ص ٣١٩.انظر أيضا: سعيد. حرية العقل. المغرب، ع ١٤.وأيضا:فتى ميزاب. الجمود آفة النهوض. الأمة، ع ٤٩، ٥ نوفمبر١٩٣٥

320 ناصر (محمد صالح). الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما. مكتبة الريام، الدار البيضاء، الجزائر، دط، ٢٠٠٥، ص ٢١.يذكر الشيخ بالحاج (محمد الشيخ) أن العائلات الميزابية كانت لا تحبذ مقولة السلام عليكم داخل البيوت، وقد سميت عائلة باسم آت السلام استهزاء بها.شهادة الشيخ بالحاج للباحث، الاثنين ١٧ أفريل ٢٠٠٦ من ١١ إلى ١٣ بمترل الشيخ بالقرارة قرب معهد الحياة.

الموقف قد تطور، وجَدَّت خطط في الميدان إذ هاجمتم المستمسكين بالحق والعاملين بما يُوجب عليهم دينهم بالتكفير والتضليل والبراءة، وكتبتم بذلك إلى بعض البلاد فتبعكم عليه جهلة أميون وحُمُرٌ في العلم، يبدعون وليسوا منه في قبيل ولا دبر، وإنما قلّدوكم وحمَّلوا رقابَكم أعمالهم" [٣٢١]،ويرى المصلحون بأن المحافظين لم تدفعهم الغيرة على الدين لمعارضة الاجتهادات، وإنما خوفهم على مراكزهم ومِن ميل العامة للمصلحين.[٣٢٢]

ويبدو أن هذه القضية كانت فاصلا بين مرحلتين في التعامل مع المحافظين، فابتداء منها تحـــوّل المصلحون إلى التشهير بهم أمام العامة وفضحهم، بعدما كانوا يتحرجون من هذا خوفا على مكانتهم أو طمعا في جذبهم نحو الفكر الإصلاحي، كتب عبد الرحمن بن عمر (البكري):"وإذا قلنا الجمود فقد قلنا طليعة الاستعمار الغاشم، لأن الاستعمار درس نفسية هذا العنصر الأبله الهـــادم لكيانـــه جهـــلا وغباوة فاتخذه أداة لتنفيذ أغراضه...وعلى رأسهم الشيخ الحاج صالح بن عمر اليسقني خصم القطب، يشنونها غارة شعواء على الإصلاح، فمن تحرير الرسائل ضدهم ككشف اللثام (**عن أعراض بعـــض اللثام**)، وكالبراهين القاصفة (**لمتتبعي الفلاسفة**) للشيخ الحاج عمر بن صالح لعلي، إلى تقبيح خطتهم وانتقاد أسلوب تعليمهم بالباطل في مجالسهم الخاصة والعامة...،إلى التشهير بهم في دروسهم والـــبراءة منهم من أعلى منابر المساجد، إلى تصويرهم في صورة طاعون جارف...وتلقـــين ذلـــك كعقيـــدة لتلاميذهم فينشئوا على بغض الإصلاح ومعاكسته، إلى استفزاز العامة الساذجة باسم الدين وإقناعهم أن أفضل الجهاد هو معاداة هؤلاء العصريين الملاحدة".[٣٢٣]

---

321 بيوض (إبراهيم). مسألة الصوم والإفطار بالتلفون. كتاب مفتوح من بيوض إبراهيم بن عمر، الأمة، ع ٥٨، ١٤ جانفي١٩٣٦

322 بيوض (إبراهيم). ألإلى هذا الحد يبلغ بكم التنطع في الدين. الأمة، ع ٦٠، ٢٨ جانفي ١٩٣٦. وأيضا: بيوض(إبراهيم). كتاب مفتوح إلى الشيخ حمو بن باحمد حول التلفون. الأمة، ع ٦١، ٢ فيفري١٩٣٦. بيوض (إبراهيم). حول مسالة الصوم والإفطاربالتلفون وأسئلة من بيوض إلى حمو بن با حمد والشريف الأزهري. الأمة، ع ٦٢، ١١ فيفري١٩٣٦

323 البكري. مسيرة الإصلاح في جيل. ص ص ٩١، ٩٢.وأيضا : الأمة. ما هي الوسائل المبيدة لجراثيم الجمود وما هي الطرق الواقية منها. ع ٧٣، ٦ ماي١٩٣٦.وكذلك الأمة .بين الهدم والبناء أين تكون المنافسة الشريفة. ع ٦٧، ٢٤ فيفري١٩٣٦ .أما عبد الرحمن

وإذا كانت العامة ستنحاز في جزء منها لصالح الإصلاح، إلا أن المحافظين ظلوا على آرائهم إلى نهاية الفترة المدروسة، ففي سنة ١٩٤٨ كتب أحد الطلبة الميزابيين إلى **الشباب** بأن الجمود مازال يعارض الكتابة على السبورة واستعمال الكهرباء والتلفون وركوب الطائرة.[٣٢٤]

ج – القضاء:

ظل مطلب إصلاح القضاء وعدم التدخل فيه شغلا هاما لدى جميع الفئات الميزابية، وسنجد أن القضاء كان من أهم جبهات الصراع ضد الإدارة الاستعمارية، وربما يعود هذا إلى تَشدُّد العزابة وإشرافها عليه باعتبارها أهم هيئة، أو لأن معاهدة الحماية قد جعلت القضاء من شؤون ميزاب الداخلية التي لا يجوز لفرنسا التدخل فيها. وهذا ما جعل الإصلاح الميزابي يتفوق على الحركة الإصلاحية في مختلف أرجاء الوطن في هذه النقطة كما سنرى.

فطالب المصلحون فيها بعدم تقليص القضاء أو دمجه ،وإزالة عدد من المحاكم الشرعية، كما حدث لمحكمتي بريان ومليكة اللتين أُدمِجتا في محكمة غرداية، ومحكمة بونورة التي أُدمِجت في محكمة بني يزقن، فتقلّصت المحاكم من سبع محاكم إلى ثلاث فقط، كما طالبوا بعدم الاستئناف في محكمة البُليدة غير الإسلامية، بعدما كان الإباضيون يستأنفون أحكامهم في مجلس عمّي سعيد، كما طالبوا بعدم تعيين القضاة الجاهلين بالمذهب الإباضي..لأن تحطيم القضاء هو تحطيم للدين والمجتمع وسيادة الأهالي في بلادهم: "وهذه المحاكم الشرعية التي عليها المعول في حسم الخصومات وإصلاح ذات البين وإعطاء كل ذي حق حقه ، وفي بناء صرح العائلة على أساس متين من المودة والرحمة، تُقفل واحدة

بن عمر باكلي: ولد بالعطف في ١٣ أكتوبر١٩٠١،حفظ القرءان ثم انتقل إلى العاصمة ودرس على مولود الزريبي ،ثم انتقل إلى تونس والزيتونة والخلدونية،ساعد أبا اليقظان في البعثة العلمية بتونس،وحضر تأسيس جمعية العلماء بعد عودته إلى الجزائر، دخل العزابة سنة ١٩٣٤، وعاد إلى بريان في سنة ١٩٣٩ لإدارة مدرسة الفتح والوعظ بالمسجد، وترك كتبا كثيرة تتجاوز العشرين أهمها مسيرة الإصلاح، وتحقيق كتاب النيل للثميني وقواعد الإسلام للحيطالي... أغلبها مخطوط،توفي ١٤ جانفي١٩٨٦. بن بكير. تاريخ بني ميزاب. ص ص ٢٣٠، ٢٣٢

[324] الراعي (محمد). ما كل تقليد بابتداع. ج٢، الشباب، السنة ٢٢، ٥ فيفري١٩٤٨

بعد واحدة ،ويُنتزَع من باقيها أهم خصائصها، ويَتربع على منصّة الحكم فيها من لم يتلقَ في حياته درسا في الفقه الإسلامي ولا في العربية".[٣٢٥]

ومن جهة أخرى رفض المصلحون أيَّ تسامح في تعديل القضاء أو تحديد سلطات القضاة المسلمين لصالح قضاة الصلح وتبديل أحكام الإسلام بالقوانين الفرنسية، بل يجب لحماية القضاء الإسلامي تأهيل القضاة وتعيين الأكفاء منهم، فنجدهم يرفضون بشدة اقتراحا قدمه نواب من المعمرين إلى المجلس المالي في ٢٦ ماي١٩٢٦ يطالبون فيه بترع الأحكام للقضاة المسلمين وتعويضهم بقضاة الصلح وتطبيق القوانين الفرنسية، حيث رأى فيه الإصلاحيون " **تجنيسا مقنعا وتنصيرا مصنعا**"،وكتبوا ضده قائلين: " ونحن نضم صوتنا إلى صوت إخواننا الجزائريين صارخين بملء أفواهنا لدى المراجع العليا ضد ذلك الاقتراح الجارح، ولاسيما أن الميزابي شديد الغيرة على عوائده الدينية قوي التمسك بما سنّته له شريعته من الأحكام المتعلقة بشؤونه الذاتية، ولهذا يوجد على الدوام حريصا بكل قواه على أن تكون جميع أحكامه الشخصية من نكاح وطلاق وإرث مطابقة تمام الانطباق للأصول التي أسستها الشريعة الإسلامية".[٣٢٦]

ومن جهة أخرى دعا المصلحون القضاة المُعيّنِين من طرف الإدارة إلى رفض هذه التعيينات ،لأنهم ليسو أهلاً لها ، وحتى لا يكونوا حُجّة في يد السلطات الفرنسية لإلغاء القضاء الإسلامي لجهل قضاته،فُعاتَبُوهم بقولهم: "...فلو كان لهم ذرّة من الغيرة الإسلامية لملأوا الدنيا صراخا وعويلا

---

[325] دون إمضاء.حول بعثة البرلمان، ميزاب يشكو آلاما وينشد آمالا ويطالب رجاله ببثها فهل هم فـــاعلون. الأمـــة، ع ١١٤، ٢٣ مارس١٩٣٧.أيضا: المغرب. قضاء وادي ميزاب في خطر. ع ٢٧

[326] وادي ميزاب .آخر سهم من كنانة المعمرين نحو الإسلام. ع ٣٠، ٢٧ أفريل١٩٢٧

احتجاجا مع الأمة على انتزاع آخر حصن من حصون الإسلام، لا أن يكونوا مِعْولا في أيدي الهادمين لها".[٣٢٧]

وفي نهاية الفترة المدروسة توصّل الإصلاح إلى صيغة رفعها الشيخ بيوض إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية سنة ١٩٤٤ ، فاقترح فيما يخص القضاء أن: " يحكم البلاد قضائيا عالم ذو كفاءة يُعيّنه الحاكم الفرنسي مختارا له من بين ثلاثة علماء تقدمهم إليه الهيئة الدينية في القرية، وبنفس تلك الطريقة يُعيَّن الباش عدل والعادل، وتُرفَع الأحكام التي يطالب بتجديد النظر فيها إلى مجلس يتركب من القضاة أنفسهم تحت رئاسة عالم حر مستقل مبرز يُعيِّنه الحاكم الفرنسي، مختارا له من بين ثلاثة علماء يُقدِّمهم إليه المجلس الأعلى للهيئات الدينية السبعة بميزاب ، ويسمى بالمجلس الاستثنائي (لعله الاستئنافي) في عُرْف الميزابيين باسم مجلس عمّي سعيد...ومن شاء رفع الحكم إلى المطلب الأول بالبليدة فله ذلك...".[٣٢٨]

د–محاربة التنصير:

ذكرنا أن الُمنصّرين قد انتشروا في مناطق الصحراء بوسائل مختلفة، ومنها منطقة ميزاب التي أحاطوا بها من كل جانب، لكنهم ظلوا بعيدا عن المناطق السكنية، وأمامنا جدول إحصائي لأعمال المنصرين حتى ١٩٣٠ في المنطقة [٣٢٩] :

– أولا:الأخوات

---

[327] وادي ميزاب .يجب الاعتماد على المؤسسات لا الأفراد. ع ٣١، ١٣ أفريل١٩٢٧.انظر أيضا: وادي ميزاب. إلى القضاة المسلمين. ع ٣٣، ٢٧ ماي١٩٢٧

[328] البكري. مسيرة الإصلاح. ص ٢١١.وأيضا بن العقون(عبد الرحمن بن إبراهيم). الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الثانية(١٩٣٦–١٩٤٥). المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، دت، ج٢، الملاحق.

[329] Mission des peers …,p142

المركز	تأسيسه	الأخوات فيه	المعمل	الأيتام	المرضى المعالجون في المستشفى	في المستوصف	في المترل
غرداية	١٨٩٢	٨	١٠٠	٨	/	٩٦٠٠	٨٠٠
القليعة	١٩٢١	٥	٥٥	٢٥	/	١٤٤٠٠	/

- ثانيا:الآباء البيض

المركز	تأسيسه	الآباء	المعمل	المدرسة	منصرين تماما	متنصرين (في طريق التنصير)
غرداية	١٨٨٤	٣	/	٨٥	٨	١٦
القليعة	١٨٩٢	٤	١٥	٣٩	٣١	٣٦

وفي غرداية تمركز المنصِّرون في المكان الذي تحوَّل اليوم إلى مسجد بو شمجان (ماما حنّة)، أين أقاموا مركزا للأخوات البيض، وفي قصر باب الراعي، أين كُنّ يقدِّمن تعليما حرفيا للبنات الأهليات[٣٣٠]،واستطاع معمل غرداية للحِرف أن يستقطب أكثر من خمسين (٥٠) فتاة ميزابية، يتعلمن الخياطة والطرز وبلغ الاحتكاك أن أصبحت الأخوات البيض يَزُرنَ الأهليات في بيوتهن ،وفي سنة ١٩٢٤ أنشئ قسم أهلي بمعمل غرداية خاص بالمرأة الأهلية، بهدف نشر"حضارتنا في الأوساط المغلقة بميزاب " كما كتب الفرنسيون .[٣٣١]

ونظرا لمحافظة المجتمع الميزابي وتشدد مذهبه الإباضي أخذت محاربة التنصير أهمية كبيرة، خاصة عند أبي اليقظان وفي جرائده، حيث تناول القضية في مختلف أسبابها و أبعادها ونتائجها، فاعتبر أن المنصرين أداة لإفساد الدين والأخلاق وأنهم متواطئون مع الاحتلال تحت غطاء المساعدات الخيرية، وإذا كانت الحكومة لا تستطيع أن تخفي تواطئها معهم فإنه لا يسعُ المسلمين المصلحين والحال هذه

[330] شهادة السيد حدبون (صالح) تلميذ وكاتب بيوض ومدير داخلية الحياة يوم السبت ٢٢ أفريل ٢٠٠٦ من الساعة ١٨ إلى ٢٢ مساء.وأيضا شهادة الشيخ باجو للباحث بمترله في القرارة

[331] Territoire du sud. t2; pp 196,197

ودينهم مهدد إلا الدفاع عن دينهم، وكتب أبو اليقظان مقالات كثيرة لفضح المنصرين بمناسبة أو بغير مناسبة تدعو المسلمين إلى اليقظة ، ومنها مثلا :يتقمصون في تبشيرهم، تنبهوا أيها الغافلون، حركة التبشير في العالم الإسلامي، الإسلام بين شقي المقراض، ماذا يريد المبشرون بالمسلمين؟.[٣٣٢]

وحمّلت **وادي ميزاب** الإدارة الفرنسية المسؤولية في غرداية والأغواط عندما استطاع المنصرون فتح خمس مدارس في غرداية، في حين لم يفتح المسلمون ولو مدرسة واحدة لأبنائهم، وهذا لعدم مراقبة الإدارة: " أعمال المبشرين التي هي ضد ديانة الأهالي وأخلاقهم وضد سياسة الحكومة ومصلحتها".[٣٣٣]

كما فضحت طرق المنصرين مثلما أوردته في أحد أعدادها بأن أحد المنصرين في منطقة ميزاب يراسل مجلة **"في العالم الإسلامي"** التابعة للمنصرين، ويوصي بالإسراع في تنصير البربر، لسهولة ارتدادهم عن الإسلام، ومما قامت به جريدة **وادي ميزاب** فضح شخصيات وشيوخ وأئمة متواطئين مع المنصرين عن قصد أو بغير قصد [٣٣٤]،وكذلك توزيع الإنجيل المعرب .[٣٣٥]

وأمام اقتراب المنصرين من أسوار المدن الميزابية واحتكاكهم بالنساء والأطفال والمرضى أعلن المصلحون حالة التأهُّب ، وحمّلوا الحكومة هذا ،وطلبوا منها الإسراع في طردهم ،وحذَّروها من سخط الأهالي ،لأن المنصّرين لن يفيدوها بقدر ما سيورِّثُونها حقدَ الأهالي وكراهيتهم.[٣٣٦]

ومن جهة أخرى ورغم سعي المصلحين لتعليم الأهالي وتكوينهم إلا أنهم وقفوا موقفا معارضا لمدارس المنصرين، رغم توفرها على هامش من الفائدة، لأنه: " إذا أصيب أحدهم في عقيدته –

---

[332] انظر حول هذا أعداد ٨٠. ٨٣. ٨٧ من جريدة وادي ميزاب .وحول محاربة التنصير انظر فهرس جرائد أبي اليقظان في: ناصر(محمد). أبو اليقظان وجهاد الكلمة. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠

[333] وادي ميزاب .حركة التبشير في العالم الإسلامي.، ع ٨٠

[334] الفرقد. مسألة التبشير والمبشرين. وادي ميزاب، ع ٨٣، ١٨ ماي ١٩٢٨. انظر كذلك العدد ٨٥

[335] الطرابلسي. المبشرون . وادي ميزاب، ع ١١٦.وأيضا ع ١١،

[336] الفرقد. نحن والمبشرون. الشهاب، ع ١٣٣

وكثيرا ما وقع – فإننا نحن المسؤلون أمام الله " ، والأدهى عند المصلحين هو أن الأهالي: "لم يتفطنوا بأن المبشّرين لا يهنأ لهم بال ما لم يجنسوا أولئك بجنسيتهم الدينية المسيحية، ألا تراهم يحفظون لهم جُمَلا من إنجيلهم ويُدرِّبونهم على الصلاة والعبادات داخل خلواتهم في بعض الأحيان؟" ويؤكد المصلحون بأن الهدف الحقيقي غير الهدف المعلن ،وإلا فما يحملهم على الصبر على العيش في ميزاب حيث الظروف القاسية؟ فكتب أحدهم قائلا: " ولقد أُصيب وطن ميزاب المنكود بهذا الرهط... بالرغم من صعب العيش فيه وبعده، الأمر الذي ندرك منه أن الغرض الوحيد في انتشار هؤلاء في الأصقاع الإسلامية هو إفساد عقائد المسلمين ومحاربة الإسلام" .[٣٣٧]

ولمواجهة هذا الخطر المتنامي دعا المصلحون إلى جانب التشهير بالمُنصِّرين ، إلى خطوات عملية فعّالة، مثل إنشاء جمعيات دفاعية عن الإسلام ضد التنصير على غرار بعض البلدان الإسلامية والعربية [٣٣٨]،أو مناظرتهم ومنافستهم، بإنشاء معامل ومدارس وملاجئ للأيتام ونشر الإسلام في أرجاء العالم ،فكتب أحدهم:" يا للفضيحة أنقذوا أبناءكم أيها المسلمون، وأسسوا لهم مثاوي لتربيتهم وتعليمهم وأدخلوهم المدارس وافتحوا لهم المعامل وعلّموهم الصنائع، ولاتهملوهم فإنهم هُم الخَلَف، وتضييعُهم هو القضاء على الإسلام والجنسية".[٣٣٩]

وعموما يمكن القول أن الحرب على المنصِّرين قد آتت أكلها في مجتمع محافظ متشدد أيقظه الإصلاح وعرَّف له خطر المنصرين ،ويكفي أن نتبين هذه العاطفة الدينية من لجوء الأطفال الميزابيين إلى غسل أيديهم بعد تمدرسهم في المدارس الرسمية أو مدارس المنصرين قبل مصافحة الأهل لاعتقادهم بأن مجالسة ومصافحة الكفار نجاسةٌ تتوجب إزالتها بغسل اليدين. [٣٤٠]

---

337 الفرقد. دسائس المبشرين في بلاد الإسلام. وادي ميزاب، ع ٥٧، ١٧ نوفمبر١٩٢٧

338 الأمة .التعاون الاجتماعي وأثره في الأمم والجماعات. ع١، ٨ سبتمبر١٩٣٢

339 الفرقد. دسائس المبشرين في بلاد الإسلام.وادي ميزاب، ع ٥٧، ١٧ نوفمبر١٩٢٧

340 شهادة الأستاذ حدبون(صالح) للباحث في مترل السيد باجو بالقرارة

٢- وسائل الإصلاح الديني:

أ-الوعظ والإرشاد:

ساهم الترابط الاجتماعي للمجتمع الميزابي في تسهيل عملية الوعظ باستغلال جهازي العزابة والمشيخة والمناسبات الاجتماعية المختلفة كالأعراس والتأبين والحفلات...ويكفي أن نذكر دور عضوية الشيخ بيوض في العزابة في دعم عمله الوعظي، وكانت هذه العضوية باقتراح من الشيخ أبي اليقظان والحاج بكير العنق، وقد عرف الوعظ ازدهارا بعد ذلك بتزايد المصلحين داخل جهاز العزّابة.[٣٤١]

ويمكن أن نجمل مواضيع الوعظ الميزابي حسب ما يرويه لنا أحد معاصري الإصلاح وملازمي الشيخ بيوض وهو الأستاذ محمد علي دبوز في: نقاء العقيدة ومحاربة البدع كتقديس القبور ونذر النذور لها، والتزام الأخلاق ومحاربة الجهل والعودة إلى الدين ومحاربة آفات المجتمع والعصبية القبلية والجهوية والمذهبية، كما دعا إلى العلم والأعمال الخيرية الإصلاحية، والرد على الأمور المستجدة.[٣٤٢]

و ظلّ المسجد هو منبر الوعظ الأهم، وكان هذا الوعظ في شكل خُطب أو دروس بالعربية والعامية وحتى باللهجة الميزابية، تتم هذه الدروس بعد صلاة الفجر في فصلي الخريف والشتاء، وبين الظهر والعصر في فصلي الربيع والصيف، وظل بيوض متربعا على الوعظ، و لم ينقطع وعظه بين سنتي ١٩٢٣و ١٩٣٨ إلاّ في حالات نادرة.

ويتفق الكثير على أن الوعظ كان أكبر عامل في القضاء على البدع في القرارة ثم ميزاب كلها، بل إن بيوض نفسه كتب :"...أعتقد أن أكبر سبب لتركيز فكرة الإصلاح في القرارة أو كما يُعبَّر

---

[341] نذكر منهم: يوسف بن بكير، ومحمد بن الحاج يوسف بابانو، وعبد الرحمن بن عمر بكلي،وأحمد بن الحاج موسى بابا عمـــي، وبانوح بن الحاج وأحمد مصباح ، وأحمد بن عيسى قزريط، وعبد الله بن داود بغباغة، انظر دبوز.نهضة الجزائر.ج١، ص ٢٠٧

[342] دبوز. أعلام الإصلاح. ج٣، ص ص ٩١، ٩٦

عنه اليوم الضمير الديني، هذا الضمير الذي تكوَّن في جماهير القرارة ، وكان له بعد ذلك الأثر الكبير في مناصرة الإصلاح، وفي البذل والتضحية في سبيل الإصلاح، والفضل كله يرجع في هذا إلى درس المسجد".

والعمل الوعظي في ميزاب مرَّ بمرحلتين هامتين من حيث طريقة الوعظ كما يقول بيوض، اعتمدت المرحلة الأولى على عدد من الكتب بالدراسة والشرح والاقتباس، منها "**قناطر الخيرات**" للجيطالي وهو في العقيدة، وأركان الإسلام والواجبات وعلم النفس والأخلاق والتربية و"**مخمسة أبي نصر فتح بن نوح** " في الأخلاق والجزء الرابع من كتاب "**جوهر النظام**" لعبد الله بن حميد السالمي في الأخلاق و"**سير مشايخ المغرب**" لأحمد السالمي وكتاب "**النيل**" للشميني، ومنظومة "**أنوار العقول**" للسالمي.أما المرحلة الثانية التي تبدأ في الثلاثينات فقد تحرر فيها الشيخ بيوض من الالتزام بموضوع محدد من كتاب معين، بل أصبح يختار الموضوع ويشرع في شرحه وتفضيله من مختلف النواحي، معتمدا آراء متعددة مستفيدا من تجربته ومن المجلات العربية التي لم يُخْفِ تأثُّره بها ،مثل مجلة **الفتح** و**الزهراء** و**الرسالة** للزيَّات، والكتب القديمة مثل "**أطواق الذهب**" للزمخشري، و"**أطباق الذهب**" للأصفهاني، و"**تنبيه الغافلين**" للشيخ نصر بن محمد السمرقندي.[٣٤٣]

وتعد فترة آخر العشرينات وأوائل الثلاثينات فترة ذهبية للوعظ في ميزاب، حيث عرفت المساجد اكتظاظا كبيرا، وألقى الشيخ بيوض مئات الدروس، وقام بكثير من الرحلات داخل ميزاب وخارجها، وساهمت عملية النقد الذاتي وتكوين الوُّعاظ في دعمه، حيث تقوم جمعية الشباب في

343 دبوز. أعلام الإصلاح. ج٣، ص ص ١١٧، ١٢٢

ناديها وفي اجتماعاتها بتعويد طلبتها على الخطابة والارتجال مُتّخذةً الشيخ بيوض مثالا لها، وهي العملية التي استمرت طويلا وساهمت في تخريج أسماء كثيرة أفادت عملية الوعظ.[٣٤٤]

كما تدعّم الوعظ بالشعر والأناشيد الخفيفة الزجلية التي تدعو إلى العقيدة الصحيحة والأعمال الصالحة، وبالشعر الذي :"كان له في الحركة الأدبية بالجزائر الحظ الموفور، وكان له في إيقاظ الشعور وإلهاب الإحساس بالشعب الجزائري سعي مشكور سيما العهد الأخير (بعد الحرب العالمية الأولى ".[٣٤٥]

وتميّز الإصلاح الميزابي باهتمامه بالمرأة من خلال السّماح لها بل وحثّها على حضور دروس المسجد، ودعمِ دور الواعظات – اللائي يقُمْن بتفقيه وتعليم النساء أمور دينهن ودنياهن- وهنّ عادة زوجات أو بنات أو أخوات أو قريبات للمصلحين، مما يمكّنُهن من أخذ نصيب هامٍ من الفكر الإصلاحي والمستوى العلمي الديني، ومن أشهرهن نذكر عائشة بنت إبراهيم الأبريكي، وعدون فافة، وعائشة بنت الناصر محرزي، ومامة بنت سليمان، وهيبة عائشة بنت إبراهيم، وبنوح بية بنت حمو، وفخار عائشة بنت عمر، وتم استثمار مؤتمر" **لا إله إلا الله**" المعروف في محاربة ما يستجد من بدع في كلّ مرة.[٣٤٦]

ب–الرحلات الوعظية:

امتازت القرارة بكونها عاصمة الإصلاح، لذا تكفّل الشيخ بيوض بنقل هذا الفكر إلى خارجها مما عرّضه للاصطدام مع العزابة في باقي مدن ميزاب، وقد ساهم تمدرس أبناء هذه المدن في مدرسة **الحياة** بالقرارة في ظهور وعّاظ تكفلوا بنقل هذا الفكر أو تهيئة الظروف لاستقبال الشيخ بيوض في

---

344 انظر محضر جمعية الشباب. شهر ماي، جوان ١٩٤٢، كراس ١٩٤٢/١٩٤٣

345 أبو اليقظان. تونس تعانق شقيقتها الجزائر، الحركة الأدبية في الجزائر. الأمة، ع ٢،

346 الواهج (يوسف بن الحاج يحي). المرأة في المجتمع الميزابي. المطبوعات الجميلة، الجزائر، ط١، ١٩٨٢، ص ص ٦٢، ٦٨

مُدنهم، سواء في ميزاب أو في خارج ميزاب في البليدة والجزائر وباتنة وسطيف وبسكرة...الخ[٣٤٧] ،وقد ساهمت الجمعيات والمدارس والنوادي الإصلاحية المؤسَّسَة حديثا في تسهيل دخوله إليها رغم حالة الصراع الشديدة.[٣٤٨]

ففي سنة ١٩٣٥ قام الشيخ بيوض برحلة إلى بريان رفقة أقطاب الإصلاح أمثال عدون وأحمد بن الحاج إبراهيم والحاج محمد بن حمو وبكير بن عدون ومحمد بن الحاج مسعود وبكير بن مسعود والأديب محمد بم إبراهيم مرموري والتلاميذ البريانيين في معهد الحياة، قاد فيها الشيخ بيوض حملةً ضد البدع والخرافات كبناء القباب ووضع المباني والأواني على القبور وقراءة القرءان بأجرة، وهو ما أدى إلى الاصطدام بالمحافظين الذين اتّصلوا بالقصور الأخرى لميزاب للوقوف ضده. ومنها أيضاً رحلاته إلى بني يزقن ومليكة وغرداية...وإلى نادي **النهضة** بالبليدة، وإلى العلمة وسطيف وقسنطينة، أين كان يستقبله المصلحون الميزابيون إمّا في بيوتهم أو نواديهم.[٣٤٩]

ورغم كل هذا بقي الوعظ أهم وسيلة في الإصلاح الميزابي لترابط المجتمع عرقيا ومذهبيا، ولالتصاقه بالمسجد الذي راهن عليه المصلحون وقاموا بافتكاكه من يد العزابة المحافظين.

ج- التفسير:

عرفت ميزاب كغيرها من المناطق وجود عدد من التفاسير خاصة للشيخ اطفيش مثل "همیان الزاد ليوم الميعاد"، و"تيسير التفسير للقرءان الكريم" ،و"داعي العمل ليوم الأمل" ،و"القول الوجيز في كلام الله العزيز"...الخ، ورغم أهمية هذا العدد إلا أنه لا يدقق ولا يعالج الجانب الاجتماعي، فتركيزه

---

[347] انظر :بن بكير .تاريخ بني ميزاب. ص ١٦٨.وأيضا:حول مفهوم النهضة. الأمة. ع ٢، ٢٥ سبتمبر١٩٣٤. ومجلة الشباب وأعلام الإصلاح ونهضة الجزائر غنية بأخبار رحلات بيوض الوعظية، وانظر المواقف المختلفة من الإصلاح الميزابي في الفصل الخامس.

[348] منها اضطرار بيوض أمام إصرار أهالي بني يزقن على غلق الأسوار في وجهه الى إلقاء درسه خارج الأسوار في ٣٠ سبتمبر١٩٤٤

[349] الشباب .موقف الأمة إزاء الأستاذ في الحالة الراهنة. ، ١٨ جويلية ١٩٣٥

ينصب على أسباب النزول وشرح الآيات لغويا وبلاغيا ونحويا وذكر المسائل الخلافية، متأثرا بالقدامى خاصة أبي حيان التوحيدي مما يجعل منه تفسيرا شرعيا لغويا.[٣٥٠]

ومع انطلاق الحركة الإصلاحية عرف التفسير تطورا هاما من حيث مكانته وبعده وطريقة توظيفه، وكان الشيخ بيوض إمام التفسير بلا منازع، ويصف لنا الشيخ عدون أحد أهم مرافقيه في الإصلاح طريقته بقوله:"...يقرأ الآية ثم يذكر سبب النزول ويشرح معاني الألفاظ اللغوية والمعنى الإجمالي ثم التفصيلي للآية، فيستخرج ما فيها من أسرار بيانية ولطائف بلاغية ونكت عجيبة، وكثيرا ما يلهم أثناء الدرس فيقول هي بنت اللحظة يبدي ما فيها من إعجاز يفوت تناول البشر ويذكر مناسبتها لعصر النزول ومطابقتها لهذا العصر ونوازله، فنحسب أن الآية نزلت بهذه القضية أو تلك أو على هؤلاء الأقوام أو أولئك، ويستعرض عليها قضايا الإنسان الاجتماعية والسياسية الاقتصادية..".[٣٥١]

وقد انطلق تفسير بيوض بصفة فعالة في ٦ أفريل ١٩٣٦، ولم يتوقف بعد ذلك إلا في فترات قصيرة ، وكان مقره الجامع الكبير، حيث تنطلق الدروس بين صلاتي الظهر إلى العصر في فصل الصيف، أما شتاء وربيعا فمن صلاة الفجر إلى طلوع الشمس[٣٥٢].ويعتمد بيوض في تفسيره خاصة على مجلة **المنار** وبدرجة ثانية على "روح المعاني" للألوسي ،و"الكشاف" للزمخشري و"التيسير" للقطب، و"الظلال" للسيد قطب فيما بعد، فهو كما نرى لا يلتزم بالمذهب الإباضي بل يمزج بين

---

350 آعوشت(بكير بن سعيد). قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش (١٨٢٠-١٩١٤). المطبعة العربية، غرداية، ١٩٨٩، د.، ص ص ص ١٥٣، ١٦٣

351 ناصر (محمد). في رحاب القرءان مهرجان ختم تفسير القرءان. ص ١٨

352 فلوسي(مسعود). الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وتفسيره في رحاب القرءان. الملتقى الوطني الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ١٣ .١٤ أفريل ٢٠٠، جمعية الحياة، المطبعة العربية، ٢٠٠٢، ص ٢٧٧

المذاهب والتفاسير، كما أنه كان يفسر بلغة متفاصحة وأحيانا دارجة تماما أو باللهجة الميزابية وهو ما ساعده على تبليغ رسالته للعامة. [٣٥٣]

وبعد أن تمكن الإصلاح في المنطقة توفَّر له عدد هام من تلاميذ بيوض في التفسير، قاموا بالعملية كل في منطقته، وخرج التفسير من المسجد إلى تجمعات العامة والخاصة.

د–الصحافة:

تميز الإصلاح الميزابي باهتمام خاص بالصحافة، وينسب لأبي اليقظان قوله للشيخ بيوض بأنه رجل إصلاح بواسطة الصحافة ،في حين أصر بيوض على العمل التربوي والدعوي[٣٥٤]،وهو ما يؤكده العدد الهام من الجرائد التي أصدرها أبو اليقظان،ولهذا تعتبر جرائده كلها لسان الحركة الإصلاحية بميزاب بصفة خاصة[٣٥٥] ،ودافع أبو اليقظان عن أهمية الصحافة في مواضع كثيرة منها قوله :"...بناء على ذلك نقول أن الجرائد في هذا العصر من الفروض الكفائية لأن للوسائل حكم المقاصد وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[٣٥٦].وجرائد أبي اليقظان هي:

د–١) وادي ميزاب:

ظهرت في ١ أكتوبر١٩٢٦ ،ودامت سنتين دون أي توقف في صدورها، وأعلنت أن هدفها ونقاط بحثها هي تأييد الحق والحرية والعدالة والمساواة بين كل سكان الجزائر، وبعث روح التضامن والاتحاد بين المسلمين وإزالة أسباب الشقاق ومقاومة الرذائل ونشر الفضائل، بإحياء العلوم والمعارف واللغة العربية والإسلام الصحيح للوصول في النهاية لرفع مستوى الأمة المادي والأدبي [٣٥٧]،ورغم أن

---

353 نفسه. مرجع سابق. ص ٢٧٧. دبوز. أعلام الإصلاح. ج ٣، ص ١٣٦

354 شهادة الشيخ بن الشيخ بالحاج للباحث.

355 ناصر. الصحافة العربية. ص ١٦٧

356 أبو اليقظان. الصحافة والدين. وادي ميزاب، ج٤، ع٦، ٥ نوفمبر١٩٢٦

357 وادي ميزاب.ع ١، ١ أكتوبر١٩٢٦

طبعها كان يتم في تونس إلا أنها كانت توزع بطريقة سليمة منتظمة في الجزائر وتصل إلى ميزاب مع التجار الميزابيين الناشطين في الشمال ،كما أن أبا اليقظان أسس شركة تجارية لبيع الكتب مع زميليه محمد الثميني والشيخ قاسم بن عيسى وربما كانت الجريدة تطبع بها.

واصطدمت الحركة الإصلاحية الميزابية بواسطتها بالسياسة الاستعمارية في مواقف كثيرة، عندما هاجمت التجنس والإدماج وكفرت المتجنس والمتفرنس، وعارضت نيابة الأهالي في المجالس الفرنسية. كما كانت لها اهتماماتها الاجتماعية كمحاربة التعصب والتفرقة والآفات والأمراض الاجتماعية كالزنا والفجور والخمر والتسكع والتواكل والأنانية والإعجاب بالنفس والتفكير المادي...، والدينية كالتقليد والتعصب والتزمت والتنصير، إضافة إلى اهتماماتها بالميدان العربي الإسلامي والتربوي والثقافي، وقد استطاعت تجنيد طاقات شابة سيعلو صيتها في الإصلاح فيما بعد مثل مفدي زكريا وبكير بن سليمان وأحمد بن الحاج يحي ورمضان حمود ومحمد الهادي السنوسي وعثمان بلحاج.أما المساهمين بفعالية وصفة دائمة فمنهم سعيد عدون والفرقد وعبد الرحمن بن عمر(البكري) وسعيد بن بكير وقاسم بن الحاج عيسى وعيسى بن عبد الله والكاملي بوراس عبد الله والطرابلسي....[٣٥٨]

والواقع أن جريدة **وادي ميزاب** كانت تمثل في هذا الميدان لسان الحركة الإصلاحية بميزاب، مما جعلها تتزعم الصفوف، ويكون بينها وبين المحافظين معارك قلمية حامية، انزلقت في بعض الأحيان لتصبح مهاترات كلامية لا طائل تحتها كما يقول الأستاذ محمد ناصر.

---

[358] بوجناح (الفرقد)(سليمان بن يحي): ولد بغرداية في عام ١٩٠٥، انتقل إلى تونس ثم الجزائر لإتمام دراسته الثانوية، عرف بحدته وحماسه مما كلفه السجن في سنة ١٩٢٩، أسس جمعية الوفاق بالجزائر سنة١٩٢٩، دعم أبا اليقظان في صحافته، جمع مقالاته الاجتماعية والسياسية في كتاب "الفرقد". بن بكير. تاريخ بني ميزاب. ص ص١٩٦، ١٩٧

ويبدو أن الجريدة حملت في خطتها بذور فناءها، حيث عاداها محافظو ميزاب، ثم الأغنياء الذين هاجمتهم لتخلفهم عن دعم العمل الإصلاحي، فعملوا على وضع عريضة ضمت أربع مئة (٤٠٠) توقيع ضد الجريدة، وزادهم تحالفهم مع المنصرين والعسكريين في استصدار قرار توقيفها في ١٨ جانفي١٩٢٩.[٣٥٩]

د-٢) المغرب:

وهي جريدة أسبوعية ظهرت في ٢٦ ماي١٩٣٠،وبدأطبعها منذ عددها السادس في المطبعة العربية التي أسسها أبو اليقظان من ماله الخاص في فيفري ١٩٣١،ولتفادي قرارات التوقيف اسند أمر تسييرها وملكيتها للسيد تاعموت عيسى،ورغم أنها لم تذكر أهدافها أول الأمر إلا أنه سرعان ما ظهر خطها الإصلاحي اليقظاني.

وتميزت **المغرب** باستقطابها لعدد كبير من أبناء الحركة الإصلاحية بميزاب، مثل الفرقد(سليمان بوجناح) وعدون (سعيد) وعبد الرحمن بكلي وأفلح (بيوض) ولقمان وبكير بن حاج سليمان، كما استعانت بما تكتبه الصحف المشرقية والتونسية **كالنهضة** و**أم القرى** و**الصاعقة** (سوريا) و**الفتح** و**العرفان**.

وتميزت **المغرب** عن باقي جرائد أبي اليقظان باهتمام خاص بالأمور الاقتصادية، كالفلاحة والأزمة الاقتصادية وانعكاساتها والتجارة واليد العاملة، إضافة إلى مواضيع فكرية وأدبية، إلا أن هدفها الأساس ظل هو الإصلاح.

ويبدو أن المغرب دفعت حياتها- أيضا - ثمنا لحدّة مقالاتها السياسية أكثر من كونها جريدة إصلاحية خاصة مع لهجة الفرقد، فبعد تفتيشها في مارس ١٩٣١ عطلت نهائيا في عددها الثامن

[359] ناصر. الصحافة. ص ٧٨.نذكر أن أبا اليقظان قد أصدر جريدة ميزاب في ٢٥ جانفي ١٩٣٠ لكنها أوقفت. انظروادي ميزاب. ع١، .وأيضا ناصر. أبو اليقظان وجهاد الكلمة. ص ١٩٩

والثلاثين (٣٨)، وهو "حرز مرجانة"، أي عدد كامل من الخرافات والخزعبلات والتعويذات، استهزاء بالإدارة الفرنسية التي كان أبو اليقظان يعرف أنها ستوقف الجريدة بعد هذا العدد ، وقد رثاها الشيخ ابن باديس بقوله:"روعت الصحافة الإسلامية الجزائرية بنبأ تعطيل رصيفتنا المغرب فكان الأسف عليها شديدا وكيف لا تروع والتعطيل إثر التعطيل والمصرع إزاء المصرع". [٣٦٠]

د–٣) النُّور:

ظهرت في ١٥ سبتمبر١٩٣١ وطبعت بالمطبعة العربية، وقد واصلت الخط الإصلاحي الذي سارت عليه **وادي ميزاب والمغرب**، مع تحمس ظاهر للعمل الإصلاحي وركائزه، كالتركيز على الأخلاق والعلم والتربية ومعاداة مظاهر التفرنس والتفسخ والإلحاد والعمل على بعث العربية في آدابها وأفكارها [٣٦١]،ولمعاصرتها نشأة جمعية العلماء فقد مثلت وسيلة لتغطية نشاطها.

وتميزت **النور** بغزارة كتابها ومقالاتهم، مثل عدون(شريفي سعيد) في شؤون التربية والتعليم ومحاربة الجمود والتقليد الذي يعيشه أبناء ميزاب، ومثل البكري(بكلي) الذي كتب في الأمور الاقتصادية...الخ، كما أعطت اهتماما خاصا لموقف الإسلام من البلشفية والإلحاد، وهذا دفاعا منها ضد الاتهامات المتوالية على الصحافة اليقظانية وكتابها بأنهم عملاء للشيوعية.

وبسبب مقالاتها المهاجمة للإدارة تعرضت للتوقيف بحجة الإساءة للوالي العام في عددها الثامن والسبعين (٧٨)،وهذا في ٢ ماي١٩٣٣، وبهذا فقد المصلحون الميزابيون ميدانا خصبا لعملهم الإصلاحي. [٣٦٢]

د–٤) البستان:

---

360 ناصر. الصحافة العربية. ص ١٠٦.والشهاب. أفريل ١٩٣١

361 النور. النور ماله وما عليه. ع ٥٨، ٢٢ نوفمبر١٩٣٢

362 ناصر. الصحافة. ص ١١٤

اختلفت **البستان** عن غيرها من جرائد أبي اليقظان بأنها ذات طابع فكاهي هزلي خفيف هادف، وبأنها ظهرت في حياة جريدة **النور** ،مما يعطي انطباعا بأن صاحبها فعلا هو تاعموت عيسى وليس أبا اليقظان، وهو ما يجنبه الرقابة الفرنسية، وهو ما قصده أبو اليقظان في مخطوطه بقوله :"مبالغة في الحيطة".[٣٦٣]

وقد صدر عددها الأول في ٢٧ أفريل١٩٣٣، ويبدو أن أبا اليقظان وزملاءه في الإصلاح قد أدركوا أن العامة ظلت بعيدة عن فهم والتأثر بطروحاتهم المعقدة، مما دفعهم إلى التفكير في جريدة فكاهية خفيفة بلغة عامية ساخرة، لذا كتب أبو اليقظان في افتتاحية عددها الأول: "...وحيث أن طبقة كثيرة من العامة لم تستفد لاقليلا ولا كثيرا من جرائدنا العربية الجدية لعلوها عن مستواها الفكري، ولحرصنا على نيلها حقها – وهي عطشى –...بناء على ما تقدم رأينا من الواجب أن ننشئ جريدة عربية نصف شهرية".

وبرز دور **البستان** في معالجة أمراض كثيرة في الدين والمجتمع، كالبدع والتواكل والأنانية والتخلي عن المسئولية والتقليد الأعمى والجمود والبدع، خاصة أن كثيرا من عناوينها كانت عاميّة بهدف تعميم الفائدة.[٣٦٤]

وأمام مواصلتها التهكم على السلطات وعملائها والمحافظين (الجامدين) ،تعرضت للتوقيف بعد عددها العاشر في ١٢ جويلية ١٩٣٣، فكانت ميزتها هي تفطنها للبعد التهكمي في المعركة ضد المحافظين والجامدين ودفع العامة للإقلاع عن عادات منافية لما يريده الإصلاح. [٣٦٥]

---

363 نفسه. ص ١٤٢

364 البستان. ع ٦، ٦ جوان ١٩٣٣.وأيضا ناصر. الصحافة ص ١٩٣

365نفسه. ص ١٤٨

د–٥) النبراس:

صدرت بعد شهر واحد من تعطيل **البستان**، واحتفظت بالخط الإصلاحي اليقظاني، فهي ثقافية إصلاحية دينية سياسية تربوية، كما أن مقالاتها لم تخرج عن المواضيع التي تناولتها الصحف اليقظانية السابقة، كأهمية القرءان وخطر التبشير والاشتراكية والإسلام....، لكنها تعد اجتهادا فقط إذ لم تتجاوز عددها السادس في ٢٥ أوت١٩٣٣.[٣٦٦]

د–٦) الأُمَّة:

تعد **الأمة** أعلى منابر الحركة الإصلاحية الميزابية وأطولها عمرا وأقواها تأثيرا، بل إنها شكلت مع **الشهاب** منبر الحركة الإصلاحية الوطنية ككل، ظهرت في ٨ سبتمبر١٩٣٣، لكنها توقفت ليصدر عددها الثاني بعد سنة كاملة، وتشق طريقها وسط اهامات لها بالعمالة، وبالتبعية لحزب الشعب الجزائري.

وأعلن أبو اليقظان أن جريدته الجديدة ستركز على بناء الشخصية الوطنية أخلاقيا بقوله: "...فقد لمست مكان الضعف من الأمة في تلك الظروف الحرجة فوجدت أن ضعفها هو ناحية الأخلاق فاستفرغت وسعها في هذا الميدان الفسيح فنددت بمعوج الأخلاق وأعلت من شأن القويم فيها".[٣٦٧]

وخاضت **الأمة** معركتها ضد الإدارة الاستعمارية والمحافظين (الجامدين) بصفة خاصة، وبرز أبو اليقظان وعدون[٣٦٨] فيها،ورأينا كيف استغلها بيوض في الرد على معارضيه في قضية الصوم

---

366 نفسه. ص ١٦١

367 الأمة. ع ١٥٢، ١٥ مارس١٩٣٨

368 انظر مثلا: أبو اليقظان.يخربون بيوتهم بأيديهم. ع ١٢٧، ١٥١. السلطة تعتدي على كرامة الدين الإسلامي. ع ١٣٦.هل من آذان تسمع وقلوب تعي . ع ١٥٢، ١٥٣.في الصراع بين الحق والباطل، ع ١٥٦.لعبتان مفضوحتان، ع ١٥٨، ١٦٢.حديث المفلسين، ع ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩.و انظر مثلا ما كتبه عدون :من هم حماة الدين ومن هم الخاذلون. ع٣٩.موقف الأمة إزاء

والإفطار بالتليفون.[٣٦٩] ولكن لهجتها الحادة وتبنيها للطروحات الاستقلالية الوطنية خاصة بعد عددها المئة والواحد والثلاثين (١٣١) أدى إلى تعطيلها بعد عددها المئة والسبعين (١٧٠) الموافق لـــ ٦ جوان١٩٣٨، ويعد تعطيلها أخطر ضربة للإصلاح الميزابي لأهمية الجريدة وتعميرها واتساع نطاق توزيعها.[٣٧٠]

د–٧)الفرقان:

مثلت آخر جرائد أبي اليقظان والإصلاح الميزابي، وهي امتداد **للأمة** إذ ظهـــرت بعـــد شـــهر ونصف من تعطيلها أي في ٥ جويلية١٩٣٨.وتبرز أهميتها في دلالة اسمها الذي هو دعوة مباشـــرة إلى العودة إلى القرءان وتحكيمه، وفي تتبعها أعداء الإصلاح وفضح مؤامراتهم بكل جرأة، من معـــاداتهم الجرائد الإصلاحية، إلى تواطئهم مع الإدارة الاستعمارية، إلى إعداد التهم والملفـــات الجـــاهزة مثـــل العمالة لحزب الدستور التونسي وحزب الشعب الجزائري والشيوعيين والفاشستيين [٣٧١].

و نشر أبو اليقظان فيها سلسلة **حديث المفلسين** في الأعداد الثلاث الأولى، الـــتي صـــورت أعـــداء الاصلاح في ميزاب ومؤامراتهم، فسماهم أسماء مهينة استفزازية (أبو الحمام، أبو الدســـوم، الـــشيخ الأرعن، باقل، الزعنفة، الذئب، الزنديق...)، وإضافة إلى حربها ضد الجمود والبدع والإدارة تطرقت **الفرقان** إلى مواضيع سياسية وعربية... لكنها سرعان ما عطلت بحجة أنها مجرد نسخة مـــن جريـــدة **الأمة** المعطلة المتكلمة باسم حزب الشعب.[٣٧٢]

حركة الإصلاح بميزاب .ع ٦٢.ع ٦٤. ع٦٥. ع ٦٦.من منطقهم تعرفهم. ع .هذا الداء فما الدواء، .ع ٧٣.إلى قادة الإصـــلاح. ع٨٨.يجب أن يكون الدين أساس كل إصلاح. ع١٠٣

369 ع ٥٨، ٥٩، ٦٠

370 فرصوص (أحمد). أبو اليقظان كماعرفته. ص ١١٩

371

372 ناصر. الصحافة. ص ص٢٢٨، ٢٣١.وأيضا Collot.p 376

ونسجل أن الإصلاح الميزابي على عكس الإصلاح الزيباني لم ينجح في تأسيس جريدة ناطقة بالفرنسية رغم تمكن كثير من المصلحين الميزابيين من الفرنسية (الفرقد، البكري، إبراهيم غرافة، مفدي زكرياء...)، ووعيهم بخطورتها وقد دعوا في كثير من المناسبات لهذا، فكتب الفرقد داعيا إلى إنشاء صحافة إصلاحية مفرنسة بقوله :"...حتى لانفرط في أغلبية شبابنا المفرنس، كما أن الكتابة قد تنقذنا من بطش وسوء تأويلات المترجمين المعتمدين التحريف لدى السلطات" [٣٧٣]،فهل أن عميد الصحافة أبا اليقظان لم يكن يرغب في ذلك اعتزازا باللغة العربية؟ أم أنه لم يكن يعبأ بفهم الإدارة لمشروعه ؟أم أن ظروفا أخرى أحاطت بالموضوع؟.

وبالجملة يمكن القول أن جرائد أبا اليقظان كان لها فضل كبير على الإصلاح الميزابي، فكانت المدافع عنه أمام السلطات ضد تعسف صغار الموظفين من قياد وحكام عسكريين....،ووسيلة تكذيب ورد لمختلف الأكاذيب والافتراءات التي يضعها أعداء الاصلاح، ووسيلة فك للعزلة المفروضة عليه في ميزاب كما ظلت تؤدي دورها الإصلاحي الوعظي المحارب لمظاهر الجمود والبدع على نطاق واسع يشمل ميزاب الجنوب والشمال بل كل الجزائريين، وهو ما قصده البكري في قوله عنها :"...وحلت مشاكل اجتماعية وعلمية كانت أعقد من ذنب الضب يستمسك بها خصوم الإصلاح ويتخذونها ذريعة لاصطياد العامة، فاستبانت الأمة طريق الرشد ونزع الكثير رقبته من ربقة الذين يصطادون في الماء العكر".[٣٧٤]

هـ- الطبع والتأليف:

عرف الميزابيون أهمية الطبع والنشر من خلال احتكاكهم بحركة النهضة في تونس وبالأوربيين في شمال البلاد وبالمطابع الموجودة في الجزائر مثل الثعالبية ومطبعة قبطان والمطبعة الإسلامية بقسنطينة

[373] الفرقد. ملاحظات واقتراحات. الشهاب، ع ٧٧

[374] البكري. مسيرة. ص ١٠٤

ومطبعة النجاح بقسنطينة، وقد حاولوا امتلاك مطبعة منذ ٢١ أفريل ١٩٢١، عندما أقدم خمسة ميزابيين في العاصمة على شراء مطبعة "**كريسانزو**" لطبع جريدة **الصديق** التي يملكها ابن ميزاب الحاج بكير العنق.[٣٧٥]

لكن حركة الطبع ستنطلق مع إنشاء أبي اليقظان لمطبعته العربية في سنة ١٩٣١، إيمانا منه بدورها في دعم العمل الإصلاحي، يقول في هذا الصدد : "...وأما إنشاء المطبعة العربية فهي كذلك غايتنا وهي غاية الصحافة،وهي غاية أدبية صرفة لامادية ،وهي وسيلة واسعة للنشر لا للصحافة فقط،ولكن لها وللكتب وللوسائل حكم المقاصد" .[٣٧٦]

ولنا أن نتساءل عن أسباب عدم جعل المطبعة في ميزاب كما فعل العقبي في بسكرة ؟ ونجيب بأن هذا ربما يعود إلى اختلاف وجهات النظر بين بيوض وأبي اليقظان حول أولويات الوسائل الإصلاحية،فبيوض يركز على إعداد الناشئة بالتعليم حتى تستطيع أن تفهم ما تقدمه لها المطابع ، أما أبو اليقظان فيميل إلى الصحافة والسياسة،لذا لم تكن المطبعة أولوية في حسابات الاصلاح بميزاب لولا تدخل أبو اليقظان الذي استطاع إضافة بعد مهم للإصلاح.كما أن الحكم العسكري بميزاب سيعطل المطبعة حتى ولو منحت الرخصة فصحافة أبي اليقظان تعرضت للاضطهاد في عاصمة القطر حيث الحكم المدني فكيف يكون الحال في منطقة الحكم العسكري؟، كما أن السبب الاقتصادي التجاري يلعب دوره في القضية فكانت المطبعة العربية تطبع إضافة إلى جرائد أبي اليقظان الاصلاح والبصائر الكتب مثل الجزائر وقرطاجة...فماذا تطبع في الجنوب؟كما أن تجارة أبي اليقظان صاحب المطبعة

375 الأمة. تونس تعانق شقيقتها الجزائر. ع ١٥. وكذلك ناصر. الصحافة. ص ١٧٦

376 ناصر. الصحف العربية. نقلا عن أبي اليقظان. أهدافي العليا.مخطوط، ص ١٨

تتمركز في الشمال وتونس مما يفرض عليه البقاء في الجزائر(العاصمة)، ورغم كل هذا فالمطبعة العربية كانت ميزابية بكل الأشكال، فالدعم المادي والمعنوي كانت يقف وراءه تجار وأعيان ميزابيون.[٣٧٧]

وقد ظهرت محاولات للتأليف لكن الظروف أفشلتها أو الخوف من المعارضة والنقد، فقد فشل إبراهيم بن نوح امتياز في طبع رسالته الإصلاحية "**دروس الغد في الأخـــلاق**" ،وكتابـــه "**رجـــال الإباضية في الأيام الماضية**".[٣٧٨]

وسنحاول الاقتصار على المؤلفات والمطبوعات والمنشورات التي تمـــسُّ العمـــل الإصـــلاحي مباشرة في الفترة المدروسة والتي تركت أثرها فيه:

هـــ-١) بذور الحياة:

لصاحبه رمضان حمود بن سليمان، ظهر الجزء الأول في سنة ١٩٢٨، أما جزؤه الثـــاني ففـــي ١٩٢٩، وقد شكَّل مظهرا للإصلاح، ولسانا ناطقا بأدبه وفكره، وكان أكثر جرأة ووضـــوحا مـــن "ديوان أبي اليقظان"، فلو تأملنا الإهداء لوجدناه برنامجا للإصلاح القريب والبعيد فيقول فيـــه:"...إلى كل أديب يخدم لغة القرآن (العربية)،إلى كل مجدد تحت راية الإسلام (فهو يقصد الإصـــلاح وضـــد الإلحاد والتجديد على النمط الأوربي) ،إلى كل من يسعى لإنقاذ شعبه من أنياب الشقاء (فهو هدف بعيد وهو القضاء على الاستعمار)".

والكتاب مقسم إلى أبواب تعالج مواضيع متعددة نثرا – على نسق خواطر وحكم- مثل الدين والأخلاق والتربية والإرشاد، يجب أن، الشرق والشرقيون، الوطن والوطنية، التاريخ، التجديد، المرأة، الجزائر الفتاة..إلخ. [٣٧٩]

---

[377] شهادة بالحاج (الشيخ بن الشيخ محمد)من عشيرة آل جهلان في مترله قرب معهد الحياة بالقرارة يوم ١٧ أفريل٢٠٠٦، من الساعة ١٠ إلى ١٣

[378] الهادي السنوسي. شعراء... ص ١٧٨

ولِتجنُّب تضييق الإدارة أوضح المؤلف أن كتابه لايعني بالسياسة، يقول :" في كتابي هذا توجد كلمات اجتماعية نقدية أدبية تاريخية قومية حكمية إرشادية دينية أخلاقية...إلا السياسة فإني لم أطرقها لعدم حاجتنا إليها" ، وتظهر رسالة الكتاب الإصلاحية في تصوره لأسباب انحطاط المسلمين فيقول: " لسقوط الإسلام عوامل كثيرة وأسباب متشعبة أهمها التجرد عن الدين والأخلاق، والاسترسال مع الجهل والشقاق، فإنه لما انتشرت البدع والخرافات والتفرنج سلط الله على المسلمين من لا يرحمهم".[٣٨٠]

هـ–٢) ديوان أبي اليقظان:

طبع في المطبعة العربية سنة ١٣٥٠هـ، في مئة وستين (١٦٠) صفحة من القطع الصغير، وهو مجموعة قصائد إصلاحية نظمها أبو اليقظان دفاعا عن الإصلاح وتوضيحا لأهدافه، وكان ظهوره يحمل أكثر من معنى، فمؤلفه رجل إصلاحي والمؤلف ديوان إصلاحي والمطبعة مطبعة إصلاحية، مما يبشر بعمل إصلاحي مستقل بحق [٣٨١]، ومن بين العناوين فيه نجد "قُم يا محمد" (أي دعوة للنهوض)،و"الإصلاح والمصلحون"، و"العلم يُحيي كلَّ شعب ميت"،و"منهاج الحياة"،و"ذكرى الإمامة الإباضية بالمغرب"(اهتمام بالتاريخ)،المصلحون والمفسدون...إلخ.)، لكن رغم شهرة الديوان وما أثاره من ضجة في الإصلاح بالشمال وحتى في تونس إلا أننا لم نجد له أثرا في الناشئة الميزابية بمدرسة **الحياة** وجمعيتها ومجلتها، فلم تلحن أشعاره و لم تنشر في مجلة **الشباب** –حسبما اطلعنا– رغم ما للرجل من مكانة في المنطقة والمدرسة والنادي، فكلها تقع في مسقط رأسه ،رغم أن **الشهاب** و**الإصلاح** و**الدفاع** وغيرها قد هنأت أبا اليقظان على ديوانه.

---

[379] حمود (رمضان). بذور الحياة. دون دار طبع، ١٩٢٨، ج١ ،ص ص ٥، ٧٠

[380] نفسه. ص ٦

[381] النور. ع١، ١٥ سبتمبر١٩٣١

هـ–٣) الصوم بالتليفون والتلغراف:

وهو عبارة عن رسالة مختصرة طُبعت كمنشور ضد المحافظين (الجامدين) المعارضين لأفكار واجتهادات المصلحين، ألَّفها إبراهيم اطفيش في مصر سنة ١٩٣٧، حيث وقف مع رأي بيوض الذي أشاعه عبر صحف أبي اليقظان، فأفتى بجواز الصيام بالتليفون والتلغراف، وإضافة إلى هذه القضية تطرق إلى عدم جواز قراءة القرءان بأجرة، وتحديد مجالس العزابة وصلاحياتها، مما جعل الكتاب حربا على المحافظين (الجامدين) وصورة للتجديد والإصلاح.[٣٨٢]

ونجد إشارة لكتاب طبعه الفرقد (سليمان بوجناح) يحتوي على ثلاثة عشرة (١٣)صفحة من الحجم الكبير، قسمه إلى أربعة أقسام، فتناول القسم الأول الاجتماع كالأخلاق والتربية والآداب ...،وتناول القسم الثاني السياسة كالمسائل الاستعمارية ببلاد الإسلام وآثارها الظاهرية والباطنية وأعمال المبشرين ببلاد الجنوب خاصة ميزاب وفكرة تأسيس حزب إسلامي، أما القسم الثالث فتناول المؤسسات والآداب...،بينما خصص القسم الأخير لحياته الخاصة.لكننا لم نجد له أثرا بعد هذا التعريف الذي قدمته به **الشهاب**.[٣٨٣]

هـ–٤) مجلة الشباب:

رغم أن طابعها صحفي إلا أننا فضلنا إدراجها كنمط مطبوع لما تحتويه من دروس ومواعظ وبعدها عن الطابع الإخباري ومحدودية توزيعها.وقد أنشأتها جمعية الشباب وأسمتها **القرارية** في عددها الأول، ثم **الشباب الناهض** في عددها الثاني والثالث، بينما أخذت اسم **الشباب** ابتداء من العدد الرابع لتستمر إلى سنة ١٩٥٤، ولم تنقطع أو تتخلى عن مبادئها مما يجعلها تعكس نشاطا كبيرا وصبرا متناهيا وتحمسا كبيرا للفكرة الإصلاحية رغم طول المدة. وقد عرفت تطورا من حيث الشكل

---

382 ناصر. الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي. ص ٤٨

383 الشهاب. ماي ١٩٣٧

والمضمون فانتقلت من أربع صفحات إلى ست إلى ثماني إلى اثنتي عشرة صفحة، وابتداء من العدد المئة والخمس والسبعين (١٧٥)، في ٢٦ أفريل١٩٣٤ أصبح عنوانها وشعارها مرقونا (ربما في المطبعة العربية)، وأصبحت تعمل بطريقة الاشتراك، وتوزع بسرية تامة بين طلبة المعهد، كما استطاعت الوصول إلى مواضيع راقية جدا حول الأدب خاصة شعرا ونثرا (الخطابة)..والفكر والتاريخ والاجتماع، وشعارها هو شعار معهد الحياة :"مبدؤنا الدين والأدب والعلم والعمل، وشعارنا الخلق قبل الثقافة ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد "، وصدرت أسفل العنوان ببيت شعري:

شباب قُنَّع لا خير فيهم وبُورك في الشباب الطامحين

وبفضل هذه المجلة تكون طلبة سيكونون رجال الإصلاح منهم:علي يحي معمر، وأحمد بن عمر، وعبد الرحمن بكلي، وقرادي إبراهيم، وناصر بوحجام، وناصر المرموري، وداودي عمر، وإبراهيم بن أحمد، والبريَّاني محمد، وإبراهيم العساكر، وحواش يحي، واسماوي عيسى، وبليدي بن عمر، وحشحوش بكير، وكربوش داود، والراعي محمد، وقاسم حجاج، وعمر بن صالح، وعمر بن محمد، وبربوشة بن الناصر، وأحمد عشور، وعمر كراوة، والزعباطي، وصالح خرفي...إلخ.

وظل الغرض الأساس من وضع المجلة هو تمرين وإعداد طلبة المعهد على الكتابة والخطابة الإصلاحية ،فكتبت في إحدى المناسبات :"والغرض من تأسيس هذه الجريدة هو إفساح مجال تتبارى فيه أقلام الشبيبة وتتبارى فيه أفهامهم وإبراز مكنونات الضمائر..."، أما مباحثها فإنها: "...فلا تتجاوز الدين والأخلاق والأدب...أما الدين والأخلاق فتتناول منهما القسط الأكبر والحظ الأوفر وتعتني بوجه خاص بأخلاق التلامذة وسيرتهم وأحوالهم"[٣٨٤].ولعل الضعف الوحيد في هذه المجلة –

[384] الشباب. العدد الممتاز. ١ فيفري١٩٢٩

في اعتقادنا- هو ضيق نطاق تأثيرها فهي لا تتجاوز طلبة المعهد ولا تتوفر منها نسخ كافية لعدد الطلبة لأنها تكتب يدويا.[٣٨٥]

هـ-٥) المنشورات والمطويات:

وهي عبارة عن رسائل لأغراض طارئة ولتذكير الناس في مناسبات معينة كالانتخابات، أو مواعظ وتحذيرات ضد المحافظين (الجامدين)، وبما أن كثيرا من الميزابيين يتقنون مبادئ القراءة والكتابة إلى حد ما فإن هذا أمر يشجع على طبع وتوزيع المنشورات.

ومن المناشير المشهورة المنشور الذي وزعه أبو اليقظان على حوالي ست مئة (٦٠٠) شخص بواسطة البرنوس (كما تعلق السلطات الفرنسية) وبواسطة البريد، وهذا المنشور عبارة عن قصيدة بالميزابية على وزن وإيقاع قصيدة ميزابية تراثية (عنوانها بابا عيسى لغواط) لكنها إصلاحية، وأشارت التقارير الفرنسية إلى أن أصحاب المبادرة وموزعيها هم بابكر صالح وبغباغة محمد وداودي عمر محمد[٣٨٦].ومنها أيضا منشور ضد الشيخ حمو رئيس المحافظين، ودعوة الميزابيين للتخلي عنه وزعه الإصلاحيون في غرداية [٣٨٧].ولعل من العوامل التي سهلت نجاح توزيع المنشورات حركة الميزابيين في مختلف أنحاء البلاد، ولهجتهم التي يتواصلون بها بعيدا عن الرقابة الاستعمارية، لولا بعض العملاء الإداريين الذين يترجمون هذه اللهجة لصالح الإدارة الاستعمارية.

وهكذا نجد أن مظاهر الإصلاح الديني تشابهت في منطقتي الزيبان وميزاب، بينما تطابقت الوسائل، وذلك بفعل احتكاك مصلحي المنطقتين في مناسبات ومجالات كثيرة (الشمال، الصحافة، جمعية العلماء، التجارة...)، وإذا كان هم الإصلاح الديني الزيباني (الراديكالي) هو تحطيم الزوايا

---

385 انظر الملاحق رقم

386 تقرير بتاريخ ٦ جويلية١٩٣٥. دون رقم.عند السيد علي بيوض.بمنزله بالفرارة بغرداية

387 تقرير رقم 195/S بتاريخ ١ ديسمبر١٩٣٧

والطرق والنظم القائمة، فإن اهتمام الإصلاح الميزابي كان يتجه إلى تطوير وتفتح المجتمـــع والمـــذهب الإباضي باستغلال العزابة ومشيخات المساجد والهيئات الأخرى.

الفصل الثالث:

الإصلاح التربوي في المنطقتين

رغم أن العمل الإصلاحي في أول أمره لم يكن يُفرِّق في تصوّره بين ماهو ديني وما هو تربوي وما هو اجتماعي لارتباط الميادين الثلاث وجعلِها كلِّها تحت جناح الدين، إلا أنه بتطور الحركة الإصلاحية تم تخصيص وسائل وطرق ورجال لكل ميدان منها، وسنعالج في هذا الفصل الإصلاح التربوي من حيث المظاهر والوسائل في المنطقتين.

أولا:في الزيبان:

رأينا في أوضاع الزيبان التعليمية حالة الجدب العلمي التي عرفتها المنطقة، واستفحال الجهل والأمية وعدم فتح التعليم الفرنسي لجميع الأهالي، وجمود الزوايا، مما يجعل كل محاولة للنهوض بالتربية تحتل أهمية خاصة، وسنبحث في أهم الدعوات والمحاولات والمدارس التي ظهرت، ومختلف مظاهر التطوير التي أدخلت على مناهج التربية والتعليم.

١- الدعوة إلى التعليم:

لقد شكّل التعليم ركنا أساسا في العمل الإصلاحي لما له من تأثير عليه، وإذا كان العقبي من المتحمسين للإصلاح الديني فإننا نجد كثيرا من أبناء الزيبان يميلون ويتبنون التعليم كمظهر من أهم مظاهر العمل الإصلاحي ووسائله[٣٨٨]. فقد كتب الشيخ محمد خير الدين في تقريره إلى مؤتمر جمعية العلماء في سنة ١٩٣٥ مُدافعا عن فكرته :"إن الاصلاح الحقيقي الثابت الأركان المتين الدعائم هو ما تبنيه شبيبتنا المتعلمة على أساس العلم".[٣٨٩]

---

388 نذكر أن أحمد الجنيد مكي قد مارس تعليميا إصلاحيا ببسكرة في ١٩١٨ إلا أنه لم يطل به المقام. الهادي السنوسي. شعراء الجزائر. ص ٩٥

389 الإبراهيمي، السجل، ص ١٧٦

وأمام وصول عدد من أبناء الجزائر من الُمتخرجين من الزيتونة والأزهر والحجـــاز...طالـــب المصلحون السلطات بتوظيفهم، والسماح لهم بفتح مدارس عربية، ومنحهم الرُّخص، بـــل طـــالبوا بإنشاء كُلّية عربية: " تُقرّر فيها الفنون والكتب العالية " كما يقول الـــزريبي ، ويُطمـــئن الـــزريبي السلطات الفرنسية بأنها ستخدم

فرنسا لأنها واقعة تحت نظرها،يقول: "وليس في الكُلية العربية ما يمسّ بقدر الدولة العادلـــة (فرنـــسا) حليفة العلوم والمعارف، بل هذا مما يبرهن على جميل إحسانها وجليل امتنانها عن أبناء وطنها، ويكون أخفّ وطأة من تعليم الجزائريين في البلاد التونسية أو المصرية، شتان بين ما يكون تحت نظر الحكومة الجزائرية وبين ما يكون تحت نظر غيرها ".وهو ما طالب به السعيد الزاهري منذ سنة ١٩٢٧ ،عندما وجه مجموعة اقتراحات للنواب، منها السماح لخرّيجي الزيتونـــة والأزهـــر وغيرهمـــا بالتـــدريس في المساجد، وإحياء الوظائف الدينية التي ألغيت، وفتح المساجد للمتطوعين لتدريس أبناء بلدهم، وإنشاء شبه كلية دينية لتدريس الديانة الاسلامية وآدابها[٣٩٠].

و اشتدّت الدعوات إلى الاهتمام بالتعليم من خلال الـــصحف و التجمعـــات و النـــدوات والتجمعات و الشعر والنثر، انطلاقا من أن تفوق الغرب وسيطرته على الشرق إنما بسبب امتلاكـــه العلم، فيقول العقبي:

الناس في ضـــــــوء النها	روهم عُكوف في ســـواد
طاروا بآلات الصـــــــعو	د، وطاردوا الطير الصعاد
تســـــــــابقوا ببخارهم	فتقـــــدموا خيل الطراد
العـــــــلم كـــان دليلهم	ســـــعيا وضربا في البلاد

390 الزاهري (السعيد). في النيابة المالية. الشهاب، ع ١٥٤.

العـــــــــلم ملّكهم نوا صينا فـــلجُّوا فـــي عناد[٣٩١]

وعموما فصفحات جرائد تلك المرحلة في مختلف أعدادها لا تخلو من الإشارة إلى هذا الموضوع.

٢- أهم المدارس في المنطقة:

٢-١ مشروع السعيد الزاهري:

وهو من أهم المحاولات الجادة التي رصدتها جريدة **النجاح** في سنة ١٩٢٧، حيث دعـــا إليهـــا محمد السعيد الزاهري بمساعدة خاصة من العمودي والطيب العقبي والسيد محمـــد الكـــبير والـــسيد الصغير بن المشري وشيخ زاوية طولقة والحاج الشاوي، وتم الاجتماع بمـــسجد **بكّـــار**، وحـــضرته شخصيات إصلاحية وسياسية وعددٌ من أعيان بسكرة وتُجارها، وألقيت بالمناسبة ثمانية عشر (١٨) خطبة أو كلمة حول ضرورة العلم ومكافحة الجهل وإنشاء المدارس.وتَقرر في هذا الاجتماع إنـــشاء مدرسة للصغار، ووضعها تحت إشراف السعيد الزاهري.

ورغم أن هذه المدرسة قد دعا إليها الإصلاحيون وأشرفوا عليها، إلا أنهم تركـــوا الـــشؤون الإدارية للأعيان، فرئيسها الحفناوي دبابش[٣٩٢] ،ونائبه الأول محمد الكبير الحاج منصور،ونائبه الثـــاني الحاج الشاوي،ونائبه الثالث الدكتور سعدان ،وأمين المال عيسى بن عمارة خبزي...إلخ.[٣٩٣]

ولكننا لا نجد بعد هذا أثرا لهذه المدرسة التي ربما لم تُعمّر طويلا لانعدام الرخصة لهـــا، رغـــم أهمية الشخصيات التي وقفت وراءها.وقد جاءت محاولة بعدها لإحيائها في أفريل ١٩٣٠ ، بمبادرة من

---

391 الإصلاح. ع٣، ١٢ سبتمبر١٩٢٩ نقلا عن عجالي.

392 الحفناوي بن محمد بن العالم سيدي محمد دبابش البسكري، ولد ببسكرة ١٨٧٦، حفظ القرءان ودرس بزاوية سيدي علي بن عمر، عرف بثرائه الكبير ودخوله السياسة منذ العشرينات(نائب عمالي) وقف أمواله كلها خدمة للصالح العام في ١٩٤٦، كما عرف بأعماله الخيرية كترؤس جمعية الإخاء..لكنه عادى التيار الإصلاحي بعد انتخابات ١٩٣٤.توفي في ١٠ أفريل١٩٥٧.انظر الصيد(سليمان).مدرسة الإخاء في بسكرة ١٩٣١ ودورها في نشر الثقافة العربية والإسلامية في منطقة الزيبان وغيرها.دط، ٢٠٠٣، ص ٦

393 النجاح. ع ٤١١، ٢٣ فيفري١٩٢٧

الحفناوي دبابش إلا إنها قُوبلت بالرفض من عامل عمالة قسنطينة بحُجة منع الرخص عن المدارس العربية.[٣٩٤]

٢-٢ - مدرسة الإخاء:

تُعد أهم مدرسة إصلاحية في المنطقة من حيث السبق الزمني، إذْ تأسست في سنة ١٩٣١، وقد تجاذبها تياران، تيار إصلاحي رأى في ظهورها تجسيدا لتوجيهات ابن باديس للطلبة المتخرجين من الزيتونة، ومنهم محمد خير الدين الذي استطاع الإشراف عليها، وتيار الأعيان ويُمثّلهم الحفناوي دبابش الذي انتخب رئيسا لها.وقد جاء إنشاؤها بعد محاولات كثيرة، كان وراءها الحسّ الإصلاحي مع الدعم المادي لكبار تجار بسكرة ونوابها وأعيانها، وظهرت إثر اجتماع بمنزل الحفناوي دبابش في ٣ جوان١٩٣١ بحضور أربع وسبعين (٧٤) شخصا، تم فيه تحديد الهيئة الإدارية لتسيير جمعية الإخاء التي تتكفل بتأسيس مدرسة عربية هدفها: " القضاء على الجهل والتأخر الذي تعيشه الأمة الجزائرية، والعمل على تلافي هذا الخطر المنذر بالاضمحلال".[٣٩٥]

تضم هيئة الإدارة الحفناوي دبابش رئيسا، وهو نائب عمالي.والحاج الشاوي وهو نائب وتاجر.وعيسى بن عمارة خبزي.أمين مال.وهو تاجر.وبرابح بلحسن.نائب أمين المال. وهوملاك.ومحمد خير الدين.كاتب عام متطوع.وعلي دبابش بن حميدة.نائب الكاتب العام. وهو ملاك.وعبد الله المراوي.مراقب.نائب بلدي.والحاج محمد حوحو.نائب المراقب. وهو ملاك.أما الأعضاء المستشارون فهم الحاج عباس الجودي. وهو نائب بلدي.وإبراهيم بربوشة، وهو تاجر.والحاج محمد الصالح لوام.نائب بلمسعود مسعود،وهو إمام.وخطار الحاج عمر. وهوتاجر. ودبابش بلقاسم بن الصادق. وهوتاجر.وإبراهيم علي بن الحاج ساعد.والحاج يحي حدبون، والحاج

394 الصيد. مرجع سابق، ص ١٥

395 الأوراس .من علماء الأوراس الشيخ بلقاسم ميموني. ع٩، ٤ مارس١٩٩٠

محمد جديدي، وسليمان بكوش)،وقد وُضعت رئاستها الشرفية تحت رئيس بلدية بسكرة **كازنـــاف**، ربما لتسهيل حصولها على الرّخصة وموافقة الإدارة على قانونها الأساسي، وهو ما تم فعـــلاً في أوت ١٩٣١ .[٣٩٦]

انطلقت المدرسة في التدريس في أوت ١٩٣١، وتكوّنت من ثلاث طبقات أو أقسام برئاســـة محمد خير الدين، أما الطبقة الثانية فيرأسها الطرابلسي محمد بن إبراهيم، والطبقة الثالثة يرأسها بلقاسم ميموني الغسيري، إضافة إلى مدرسين آخرين مثل عمر بن البسكري...[٣٩٧]

وبالنسبة عدد التلاميذ فهو حسب جريدة **النور** مئتين (٢٠٠) تلميذا، أمـــا حـــسب محـــضر المدرسة فهو مئة وعشرة (١١٠) تلاميذ، مـــوزعين علـــى أربعـــة أقـــسام ، وهـــذا في أكتـــوبر ١٩٣٢[٣٩٨] .وشكلت "الإخاء"مظهرا من مظاهر الوحدة، حيث درّس وتمدرس فيها العرب والإباضية والشّاوية بعدما عمل الاستعمار على تفريقهم.[٣٩٩]

وبالنسبة للمقررات فيذكر محمد خبزي، وهو أحد تلاميذها، بأنها كانت تُـــدرّس برنامجـــا متطورا بالقياس إلى تلك الفترة، كالنحو والسيرة والقرءان الذي خُصص له قـــسم لوحـــده، كمـــا استعملت الكراريس والسبورات ونظام الأقسام ونظام الامتحانات والمطويات المكتوبة يدويا.[٤٠٠]

---

396 الشهاب.عدد أوت ١٩٣١

397 عمروش (لخضر). حول زيارة المدير وما وافانا به. البلاغ، ع ٢٣٧، ٤ ديسمبر١٩٣١.أما بلقاسم بن عمار ميموني، فقد انتقـــل إلى الزيتونة ١٩١٤، وبقي فيها ١١ سنة، أين حصل على العالمية في التاريخ والقراءات السبع كما درس بالمعهد الخلدوني، وهو صـــهر محمد خير الدين، انتقل من بسكرة إلى دلس واريس وبجاية فبسكرة، عضو جمعية العلماء، توفي في ١٩٦٧. رحموني(الأخضر). أضـــواء حول الشيخ بلقاسم ميموني المربي وعالم القراءات. البصائر (الجديدة)، ع١٣٧، ٣١مارس/ ٧ أفريل٢٠٠٣.وقد أكد لنا ابنـــه هـــذه المعلومات في لقاء به في منزله ببسكرة، في أفريل ٢٠٠٦

398 النور. الاحتفال العظيم بمدرسة الإخاء ببسكرة. ع ١١، ٢٤ نوفمبر١٩٣١

399 الشهاب. فيفري ١٩٣٢

400 درس بها لمدة عامين، شهادة السيد محمد خبزي للباحث في منزله بالقرارة. محمد خبزي عمارة من مواليد ١٩٢٧ ببسكرة،والده عيسى بن عمارة خبزي الميزابي المصلح والثوري المعروف،درس بمدرسة الإخاء ببسكرة ثم المدرسة الابتدائية الفرنسية،تتحصل على البكالوريا،درس بالجامعة الاقتصاد والحقوق،كما تكون طيارا،مجاهد في الثورة ،تقلد أول وزارة في الاستقلال للتجارة.

ومن خلال وصف الصحافة للحفلات التي كانت ينظمها تلاميذ المدرسة يَبرز لنا التطور الذي استطاعت تحقيقه، كتنظيم الأناشيد والمحاضرات والمسرحيات...إلخ .[٤٠١]

ويبدو أن انطلاقة **الإخاء** لم تكن كنهايتها، فسرعان ما زال الحماس لأسباب انتخابية سياسية خاصة أن المُلاّك والأعيان هم من كان وراء دعمها ماليا ومعنويا، فتوقفت بسبب الصراع السياسي بين محمد خير الدين والحفناوي دبابش خاصة.[٤٠٢]

٢-٣ - مدرسة العرفان:

وهي مدرسة إباضية أسستها الجالية الميزابية الكثيرة في بسكرة، إلا أنها فتحت أبوابها للمالكية وغيرهم، ويبدو أنها كانت متأثرة بدعوة الزاهري والحفناوي دبابش، اللذين شرعا في الإعداد لتأسيس المدارس العربية، وقامت بتدريس العربية وعلوم الشرع..وسجلت لنا **النجاح** تفاني مُدرسها في عمله، وهو الشياب علي بن صالح عمر، لكننا لا نجد بعد هذا أي ذكر لها .[٤٠٣]

٢-٤ - مدرسة عائلة خبزي:

ويذكر السيد محمد خبزي بأنه إثر توقف "**الإخاء**" عن التدريس، خصّص والده عيسى بن عمارة خبزي الطابق العلوي من مسكن له لتدريس تلاميذ أغلبهم إباضيون، وتكفّل بالتدريس فيها محمد بن إبراهيم الطرابلسي وأبو الحسن، و لم تلبث هذه المدرسة أن حُوّلت إلى مسجد الإباضية،

---

401 الشهاب. ثلاثة أيام في بسكرة. ج ٢، م٨، فيفري ١٩٣٢.وأيضا:ابن باديس.في المجتمع الجزائري دور من أدوار الجزائر الحاضرة. الشهاب، ج ٨، م٧، أوت١٩٣١.من هذه النشاطات مثلا الاحتفال بالمناسبات الدينية، ومثل الاحتفال بعودة دبابش من الحج، انظر:الصيد. مرجع سابق. ص ٢٧

402 النجاح. ٢٤جويلية ١٩٣١، وأيضا: خير الدين. المذكرات. ص ص٩٣، ٩٥

403 النجاح. ١٥ ماي١٩٣١

وعُرفت **بالوفاق** بعد ذلك، واستمرت الدراسة بها ست سنوات، ثم حُوِّل تلاميذها الإباضيون إلى معهد الحياة بالقرارة. [٤٠٤]

٢-٥ مدرسة الباشات (الستائر):

ومن جهة أخرى قام الشيخ محمد خير الدين بعد توقف مدرسة الإخاء بتأسيس مدرسة شكلية في أحد البنايات التي تملكها عائلته، وأحاط بعض أجزائها برداء (باش) لعدم اكتمال بناء جدرانها، ولاستغلال البناية كمخزن للعائلة قبل تحويلها إلى مدرسة، لذا سُمّيت بمدرسة الباشات، وقد درّس بها مؤقتا محمد بن العابد الجلالي، ومحمد الصادق المراوي، والسعيد صروطة، وأحمد الدراجي العقبي، والحاج أبوبكر.ومن أشهر من تتلمذ بها مؤقتا الشهيد محمد العربي بن مهيدي[٤٠٥] .وقد تدعمت هذه المدرسة بدروس الشيخ بلقاسم الغسيري في علم القراءات والتجويد بجامع مصطفى بن رمضان ببسكرة الذي أصبح كمعهدٍ، جلب إليه أبناء الزيبان والأوراس من مختلف المناطق، وتطوعت عائلتا خير الدين وبعدونة بضمان الإيواء والإطعام، وهو ما يوحي بمنافسة لدور الزوايا التعليمي التي تتفوق في نقطة الإطعام والإيواء.

٢-٦ مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ببسكرة:

بعد عدد من المحاولات قصيرة العمر عاد الاتحاد بين المصلحين وعدد من الأعيان لإعادة بعث مشروع على شاكلة "**الإخاء**"، فتأسست "**الجمعية الخيرية الإسلامية**"، التي جعلت هدفها إعانة الفقراء والمحتاجين وتعليم أبنائهم، وقد ترأسها عبد القادر صميدة، أما نائبه فهو محمد خير الدين، وقد دَعيا إلى اجتماع عام من أجل إعادة تجربة "الإخاء"، وتمكنا من فتح مدرسة للبنات والبنين، واستطاعت فتح أبوابها في ديسمبر ١٩٣٥ ،بعدد من المعلمين منهم أحمد بن الدراجي، والسعيد

404 شهادة محمد خبزي للباحث في منزله بالقرارة.

405 تقع المدرسة في ٢١ شارع محمد العربي بعرير.للمزيد انظر: رحموني. مرجع سابق.

بن الطاهر الزياني، والحاج أبو بكر، وربما أن مقرها هو مقر نادي الشباب التابع للجمعية الخيرية.[٤٠٦]

٣- مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المنطقة:

بتأسيس جمعية العلماء عرف إنشاء المدارس أهمية خاصة وتسارعا ملحوظا، ولو كان على المستوى الدّعوي أحيانا، لكن تُوِّج هذا في الأخير بظهور مدارس إصلاحية في المنطقة مثل:

٣-١ مدرسة الهُدى بالقنطرة:

تعود هذه المدرسة إلى سنة ١٩٣١، وقد دعا إلى تأسيسها السيد موسى بن حمّودة الذي ترأس الجمعية المحلية، ثم خلَفه موسى بن حفيظ، بمساعدة عدد من النواب والأعيان أمثال الدكتور سعدان والوجيه محمد بن المبارك رمضان، ورغم انطلاقتها إلا أنها استغلت في أول أمرها مسجد أولاد بليل للتدريس، في حين بدأ العمل على بناء مدرسة "الهدى"، واستطاعت الوصول إلى أربعة أقسام في سنة ١٩٤٧ ،وهو عام الافتتاح الرسمي بحضور رئيس جمعية العلماء محمد البشير الإبراهيمي وبعض أعضائها مثل محمد خير الدين والنعيم النعيمي وأحمد رضا حوحو ومحمد الصالح رمضان ومحمد العيد آل خليفة، والذي خلّد المناسبة بقصيدته التي مطلعها:

فتحٌ جديدٌ قد بَدا في فتح مدرسة الهدى

بُشرى لقنطرة سمت ونمت شبابا رشدا

ومِن حظِّ مدرسة "**الهدى**" توفّر أساتذة متشبعين بروح الإصلاح، ومكوَّنين في الزيتونة ومعهد ابن باديس...، أمثال:محمد الأمين سلطاني وعبد اللطيف سلطاني وعلي بن الطاهر بختاتو والشيخ المبروك هوشات (معلم قرءان) وعبد الباقي نور الدين (الذي كان تلميذا بها)، كما درّس بها مؤقتا

406 فضلاء (محمد الطاهر). المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع القسنطيني. شركة دار الأمة، ط١، ١٩٩٩، ص ١١٤

عبد الرحمن رمضان والسعيد رمضان وأحمد بن ذياب ومحمد الصالح رمضان[٤٠٧].واستطاعت تحقيق نتائج باهرة بعد إشراف جمعية العلماء عليها، فتمكنت من القضاء على مظاهر البدع والخرافات والطرقية، ومن إحياء المناسبات الدينية والعلمية ، كما استطاعت إرسال عدد من أبناء المنطقة في إطار البعثات العلمية لجمعية العلماء إلى الجامع الأخضر بقسنطينة أو إلى خارج الوطن ، وتتّجه صحافة تلك الفترة إلى أن هذا النجاح يعود بالأساس إلى دور عبد اللطيف القنطري وشقيقه الأمين، المتحصلّين على شهادة **التطويع** من الزيتونة،و اللذين بفضلهما أخذت القنطرة لقب "سيدة الصحراء" من حيث التعليم. [٤٠٨]

وتأثُّراً بمدرسة "**الهدى**" القنطرية، أسس عبد الحفيظ جلاب (١٨٩٨-١٩٥٦) بمعية ابن عمه أحمد بن فرحات جلاب مدرسة الهدى في برج بن عزوز(قرب طولقة) في سنة ١٩٣٦،ودرّسا فيها الأدب والفقه والرياضيات والتاريخ والجغرافية وعلوم الطبيعة،وتمكّنا من جمع عشرين (٢٠) تلميذٍ فيها. [٤٠٩]

٣-٢ مدرسة التربية والتعليم في بسكرة:

انتشرت المدارس الحرة في أنحاء الزيبان، لكنها كانت بعيدة عن التنسيق والدعم والاستمرار، ورغم الوعي بخطورة الأمر، وكثرة المحاولات، ونجاح مشاريع جمعية العلماء في مناطق أخرى، إلا أن ظهور مدرسة التربية والتعليم ببسكرة تأخرَ إلى زيارة الإبراهيمي للمنطقة في سنة ١٩٤٩، حيث جمع أعيان بسكرة ومصلحيها ومعلميها وبعض موظفي الحكومة واقترح عليهم إنشاء المدرسة بإشراف

---

[407] فضلاء. المسيرة الرائدة....ص ١٠٣. ١٠٤

[408] بن رواق(بلقاسم). على من تكون المسؤولية يا ترى. الأمة، ع٦٠، ٢٨ جانفي١٩٣٦.وانظر أيضا: البصائر. قائمة بأسماء المعلمين ومراكزهم. ع ٥٦، ١٥ نوفمبر١٩٤٨

[409] الخلدونية. ع ٤ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٦

جمعية العلماء، واستطاع وضع حجر الأساس رغم الصعوبات المالية القاهرة التي عرفتها، وتمّ تشكيل "جمعية التربية والتعليم الإسلامية" ببسكرة التي تولّت تأسيس المدرسة.[٤١٠]

وفي مطلع سنة ١٩٥٠ تمّ تدشين المدرسة من طرف رئيس جمعية العلماء محمد البشير الإبراهيمي، الذي جاء في خطابه الاحتفالي أن مدرسة بسكرة كانت من أهم مشاغل جمعية العلماء – ربما لنفوذ أبناء الزيبان داخل هيكل الجمعية أو للتأخر الذي عرفته– وقال في المناسبة:" الغيب شفافة عن الشعراء فأذكر أنني منذ سنوات كنت ببسكرة أخط الخطوط الأولى من التدبير لمدرستكم التي نفتحها اليوم، وكانت المعاكسات واقفة لنا في كل مسلك، ثم عرجت على مدينة باتنة على موعد لإقامة حفلتها المدرسية، فوقف شاعرنا محمد العيد في ذلك الحفل يُلقي قصيدته العينية المشهورة، ويسألني في لهفة عن بلده بسكرة وحظها في هذه المنقبة وهي بناء المدارس:

فهل نخلت أرض النخيل شؤونها وهل شرعت مشروعها المتوقعا.

وقد اعتمدت المدرسة على تبرعات الأعيان لتغطية مصاريفها المختلفة. [٤١١]

انطلقت المدرسة بسبعة (٧) أقسام، إضافة إلى ساحة ومرافق ضرورية (ربما مطبخ، وملعب، ومكتبة، ومصلى)، ووصل عدد تلاميذها ست مئة (٦٠٠) تلميذ من الجنسين، وأشرف عليها الشيخ علي المغربي ثم علي مرحوم ثم أحمد السرحاني، أما أشهر معلميها الذين تعاقبوا عليها فَهُم من رجال الإصلاح ،مثل:امحمد مغزي، وعمر نوار، وعبد الله حمودة، وصالح مدور، ومحمد عتيق، وأحمد

---

410 مجلسها الإداري منذ ١٨ ديسمبر١٩٤٩ ،ضم محمد خير الدين رئيسا، عبد الرحمن البركاتي ومعمر ميدة ومغزي عبد الرحمن نوابا للرئيس، والحفناوي هالي كاتبا عاما، علي الشاوي نائب الكاتب العام، وعبدالقادر قرفي أمين مال، ومسعود حفيان نائبه، ومداني فطناسي مراقب، والسعيد عبيد وعبد الواحد بن عمر واحشيه عبد الكريم ومباركي البوزيدي وقرفي الحاج مصطفى والحكيم قصابي رمضان ومحمد بن السايح وأحمد مغزي وأحمد مختاري والعربي بعدونة وعبد المجيد بن أحمد بن الدراجي وعاقلي علي وجغابة أحمد(أعضاء مستشارون). انظر هالي(الحفناوي). جمعية التربية والتعليم الإسلامية ببسكرة. البصائر، ع ١٠٦، ٦ فيفري١٩٥٠.

411 ممن ساهموا في صندوقها مثلا عند افتتاحها:محمد بن الحاج بن قانة ٣٠٠ ألف.والحاج الشاوي وشقيقه ٥٠٠ ألف.ومحمد خير الدين وأشقاؤه ٥٠٠ ألف.والعقبي بن عمارة ٥، ص ألف.انظر: فضلاء. المسيرة الرائدة .ص ١٠٨

معاش، ومحمد الطيب ترعة، والطيب زرايق، ومحمد الحسن الصايم، ومحمد الشريف الفلالي، وصالح مهني، والصديق بوشاشي. [٤١٢]

واستطاعت المدرسة القيام بعدة نشاطات بوسائل محدودة، فأَحْيت المناسبات الدينية والعلمية كإحياء ليالي رمضان، ويوم العلم، وبداية ونهاية الموسم الدراسي...وكوّنت فرقة صوتية للبنات بالمنطقة في سنة ١٩٥٠ أشرف عليها علي المغربي وتكونت من بنات المصلحين أساسا [٤١٣].فخلقت حركة علمية وثقافية لافتة للنظر، و حققت نتائج دراسية مقبولة، ففي امتحانات الشهادة الابتدائية سنة ١٩٥٢ نجح منها عايدة خير الدين،وزيدي خديجة، ودبابش الصادق،وجوادي الطاوس.[٤١٤]

٣-٣ المدارس الابتدائية:

تضمّ مدرسة التربية والتعليم لجمعية العلماء تكوينا ابتدائيا ثم تكوينا متوسطا، بينما هنالك مدارس انفردت بالتعليم الابتدائي، منها في سنة ١٩٤٠:

- مدرسة بسكرة بأربعة معلمين.
- مدرسة شتمة بسكرة بمعلم واحد.
- مدرسة رسوطة(طولقة) بمعلمين اثنين.
- مدرسة القنطرة بأربعة معلمين.

وفي سنة ١٩٥٠ نجدها كالتالي:

---

412 نفسه. ص ١٠٦

413 تضم مسعودة بنت جاب الله، وخيرة بنت عطاش، وأنيسة بنت غمري، وشريفة بنت مليكي، وزبيدة بنت حشية،و سليمة بنت خير الدين، وسالمة بنت خير الدين، ورقية بنت خير الدين، ومزهودة بنت بوزاهر.. انظر: هالي (الحفناوي). وصف الاحتفال الرائع بفتح مدرسة بسكرة. البصائر، ع١٤٠، ٥ فيفري١٩٥١.وأيضا: زردوم (عبد الحميد). الموسيقى والمسرح في بسكرة، ١٨٤٤-١٩٦٢. ترجمة عثماني دلباني، مطبعة المنار، بسكرة ،الجزائر، أفريل ٢٠٠٥

414 البصائر.ع ٢٠٢، ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ .وأيضا انظر هالي(الحفناوي). ذكرى يوم العلم. البصائر، ع ٣٥. وأيضا: هالي(الحفناوي)، يوم العلم بعاصمة النخيل. البصائر، ع١١٨،١ماي١٩٥٠.وأيضا: البصائر .زيارة تلاميذ وأسرة مدرسة الإرشاد بسكيكدة. ع ١٩٠، ١٩ ماي١٩٥٢

– مدرسة بسكرة بأربعة معلمين، هم محمد الصادق المراوي مديرا، ومحمد الشريف بلال القنطـــري، وبلقاسم القماري، وصالح الغسيري.

– مدرسة رسوطة (طولقة)بمعلمين اثنين، منهما عيسى معتوقي الدراجي.

– مدرسة المغير(طولقة) بثلاثة معلمين.

– مدرسة القنطرة بثلاثة معلمين.

– مدرسة مجنيش (بسكرة السفلى) ،معلموها هم سالم الشبوكي،و سعيد بن محمد السطيفي...

– مدرسة مشونش، معلموها أحمد بن عبد الحفيظ السرحاني، وخالد العقبي، وزكرياء بن حمودة

– مدرسة شتمة ،درس فيها محمد الطاهر الشليحي.[٤١٥]

ويجب أن نعرف أن إنشاء المدارس قد اصطدم بقانون ٨ مارس١٩٣٨ الذي اشترط الـــشهادة العلمية للمعلمين، وصلاحية المحل للتدريس واشتراط الرخص، فرفع هذا القانون عـــدد محاكمـــات المصلحين على المستوى الوطني إلى سبعة وعشرين (٢٧) قضية، انتهت بالسجن والتغـــريم والتغـــريم المضاعف[٤١٦] ،وهو الأمر الذي دفع بالمجلس الإداري لجمعية العلماء للتدخل في مرات كثيرة لرفع هذا الحصار الإداري،فجاء في

إحدى مرافعاته: "... يلتمس المجلس الإداري من السيد الوالي العام ويطلب منه بكل إلحاح أن يُرسل حينا إلى الحكام المحليين الأوامر والتعاليم اللازمة ليسهِّلوا فتح المكاتب القرءانية(المدارس) ويكفّوا عن ملاحقة الذين فتحوا بعض المكاتب بغير مخالفة للقوانين المتعلقة بالموضوع..". [٤١٧]

---

[415] تركي . التعليم القومي والشخصية الوطنية.ص ٣٩٢ .نقلا عن الشيخ أحمد حماني.وأيضا:البـــصائر، قائمـــة بأسمـــاء المعلمـــين ومراكزهم. ع ٥٦، ١٥ نوفمبر١٩٤٨.وأيضا: البصائر. المعلمون والمدارس. ع ١٠. ١٩٤٨

[416] البصائر. ع١٥١، ٤ فيفري١٩٣٩.وأيضا:البصائر. ع١٧ .وكذلك:البصائر. ع١٦٥، ١٠ مارس١٩٣٩

[417] البصائر. ع٧٦، ٢٣ جويلية١٩٣٧.وأيضا: البصائر .القوانين بين الوضع والتطبيق. ع١٧٤، ١٤ جويليـــة١٩٣٩. وكـــذلك : البصائر. يالله للإسلام والعربية في الجزائر. ٨ أفريل١٩٣٩

٤– إصلاح مناهج التعليم:

٤–١ نقد التعليم السائد:

قام التعليم الإصلاحي مؤقتا على مجرد نقْد التعليم التقليدي (الكلاسيكي) وإبـــراز نقائـــصه، لتتبلور مع تطور الأحداث فلسفةٌ تربوية واضحة وموحدة ومعتمدة.فتكلم المولود الزريبي في كيفيـــة تربية العقل، وبيَّن الخطأ السائد في زجره وعدم تحبيب العلوم له، كما حارب حرمان البنـــت مـــن التعليم وأثبت مشروعية تعليمها [٤١٨].

وكتب الزريبي أيضا منتقدا طريقة التدريس: "...والطامة الكبرى ما هو مشاهد من أســـاليب التعليم في أطراف البوادي وبعض الزوايا من التعليم العقيم، يأتي التلميذ كهْلا مثلا بعد ممارسة القرءان بالكيفية الآنفة (عقيم) يشرع من مبدأ المرة في مختصر خليل الذي هو ثريا الفقه المالكي (عروج بـــلا معراج).وأعجب من هذا أن من تفنّن من هؤلاء فإنه يقْرن معه الأجرومية التي هي ألف باء النحو، فيقضي التلميذ البقية من العُمر في ذينك الكتابين...فيتخرّج عندما يناهز الخمسين يتخبط فيها خـــبط عشواء "،والأخطر من هذا– عند الزريبي – أن المتعلم :"ربما طالَع كتبَ الصّوفية الذين يخوضـــون في الكَشْف وما وراء الحسّ بعبارات لو لم تُئوّل لَكان الدين في واد وهي في واد، فأخذها من غير تأويل فَضلّ بها وأضلّ وهدم قول المصلحين وأكّد قيل الملحدين ".[٤١٩]

٤–٢ الدعوة إلى الاهتمام بعلوم العصر:

---

[418] الزريبي (المولود). الصديق.ع ١٩، ٣١ جانفي١٩٢١.والعدد٢٠، ٧ فيفري١٩٢١. والعدد٢٢، ١٨ جانفي١٩٢١

[419] الزريبي. علم الأخلاق. الصديق، ع ٢٧، ٢٨ مارس١٩٢١

نادى مصلحو الزيبان كغيرهم من المصلحين بإدخال العلوم الرياضية والصناعية والإنسانية والاجتماعية وحتى اللغات في مناهج التدريس، وهذا وعيا بأهميتها، ولا يتسع المجال هنا لعرض دعوات المصلحين، لأن هذا سيتّضح في الصورة النهائية للمناهج الدراسية للإصلاح.

فَقدْ كَتب الزريبي متحدثا عن أسباب العمران ووسائل التقدم داعيا إلى إدخال العلوم العصرية، كالطب والهندسة والحقوق في المدارس العربية بلغة أبناء البلد، لأن المتمدرسين بالمدارس الفرنسية يتلقونها بالفرنسية ،ويحدد طريقة الوصول إليها بقوله:"بأن يجدّوا (الجزائريين) في تلقّي هذه العلوم ويؤسسوا جمعيات تتكفل بالقيام ببعثة عدة من التلامذة إلى أُمِّ المعارف باريس للاستزادة والتضلّع في العلوم المهمة" .[٤٢٠]

ولا يجب أن نعتقد بأن الإصلاح قد أخذه الخوف من المدارس الفرنسية فابتعد عنها، بل العكس تماما، فأشدُّ المصلحين تصلبا وهو الطيب العقبي نجده يطالب رئيس المكتب الإبتدائي الفرنسي ببسكرة بأن لا يدع أبناء الأهالي هملا في الشوارع، ويطالبه بحل مشكلة الاكتظاظ داخل هذا المكتب الذي يحشر داخله خمس مئة (٥٠٠) تلميذ أهلي.[٤٢١]

وبالنسبة لإدراج اللغة الفرنسية في المدارس العربية فقد دعا العقبي الأهالي إلى تسجيل أبنائهم في المدارس الأوربية، لأن الجهل بالفرنسية هو سبب انحطاط الجزائريين في رأيه، فكتب في سنة ١٩٢٥ عن ضياع كنير من حقوق الأهالي بسببها قائلا: "...يستحق العرب هذا وأكثر من هذا بجهلهم اللغة الفرنسية وعدم حرصهم على تعلمها، وما داموا مهملين لتعليم أبنائهم فكأنهم يرون كل يوم إهانة جديدة وغلطة فادحة ربما ذهبت بهم إلى الهاوية..."[٤٢٢].وهذا لأن الاهتمام باللغة الفرنسية يحقق

---

420 الزريبي. أسباب العمران ووسائل التقدم. الصديق، ع ١٣، ٢٠ ديسمبر١٩٣٠

421 العقبي. المكتب الأهلي. الإصلاح، ع٥، ١٧ أكتوبر١٩٢٩

422 العقبي.قضية جريدة المنتقد.المنتقد، ع ١٣، ٢٤ سبتمبر١٩٢٥

هدفين للإصلاح، فهو وسيلة تطمين للإدارة الفرنسية وتمتين العلائق معها، ووسيلة لفهم واستيعاب المتغيرات، وقد ظل هذا الموقف هو موقف الحركة الإصلاحية الوطنية، فكتب ابن باديس مثلا في سنة ١٩٣٨ :"...ولو أناً حُرمنا من حرية تعلم اللغة الفرنسية التي هي سبيلنا إلى آداب الغرب وعلومه وفنونه وفهمه من جميع جهاته كما حرمنا من حرية تعلم لغتنا لوقفنا إزاء ذلك الحرمان لو كان...كوقوفنا إزاء هذا الحرمان" .[٤٢٣]

٥- مبادرات وضع المناهج التعليمية:

٥-١ التقارير التربوية المقدمة إلى المؤتمر الثالث لجمعية العلماء (سبتمبر ١٩٣٥):

رغم أن موقف الحركة الإصلاحية عموما في بدايتها كان مُتجِها إلى جعل التعليم وسيلة لا غاية، إلا أن تطور الإصلاح وتوسعه فرض تنظيمه والتوسع فيه، فكتب الإبراهيمي في هذا المعنى: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في تربية النشء هي ألا نتوسع له في التعليم، وإنما تربيته على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل ". [٤٢٤]

وما يعكس أهمية الإصلاح التربوي لدى المصلحين هو تخصيص خمسة تقارير له من مجموع تسعة تقارير سلمت لمؤتمر جمعية العلماء في سبتمبر١٩٣٥، ولعل أهمها التقرير الذي قدّمه عميد المعلمين الإصلاحيين محمد بن العابد الجلالي حول التعليم المكتبي، والذي شكل ثورة تربوية، واتخِذ حجرَ أساس للإصلاح التربوي. لقد ذهب محمد بن العابد إلى أن تطوير التعليم عملية متكاملة تقوم على تأسيس الجمعيات العلمية، وتأليف كتب دراسية مصورة على عدد سنوات الدراسة بما يناسب مستوى وعمر التلاميذ، وضرورة مراقبة الآباء لأبنائهم، وعلى الجمعيات المسئولة عن التعليم أن تختار المكان الصحي، وتمنح الكتب والأدوات مجانا للتلاميذ، وتضع جوائز تشجيعية للنجباء.و في اعتقادنا

[423] ابن باديس (عبد الحميد). البصائر. ع ١٣٦، س٣، ٢١ نوفمبر١٩٣٨

[424] الإبراهيمي(محمد البشير). مجلة مجمع اللغة العربية، أنا، مصر،القاهرة، ع ٢١، ص ١٤٣.

أن الأهم في هذا التقرير هو السعي في إيجاد وسائل لتعليم الأولاد والبنات مختلف الصناعات والحرف اليدوية والرياضة البدنية، ووجوب تحديث المعلمين لوسائل الإيضاح واختيار أقربها لذهن التلميذ، وأن يظلّ هدف التعليم الديني هو الآداب وليس الأحكام، لأن هدف العملية التعليمية النهائي في الجزائر هو إنشاء وسط مثقف لسانا وفكرا وروحا بالثقافة العربية الإسلامية.فأهم ملامح إصلاح محمد بن العابد الجلالي نختصرها في النقاط التالية:

- ربط التربية بالتعليم لتكاملهما.
- رفض حشو المعلومات والتحفيظ الممل.
- تنمية الحوافز المعنوية والمادية.
- تقسيم التعليم إلى نظري وفني يدوي ورياضي.
- جزأرة الكتاب المدرسي والطرق البيداغوجية .
- مجانية التعليم .[٤٢٥]

٥-٢ توحيد مناهج التدريس والإسهام الزِّيباني فيه:

بهدف تكوين جيل منسجم في تفكيره وعقائده وتكوينه العلمي والقومي،تمَّت دراسة المسألة في المؤتمر الثالث للجمعية سنة ١٩٣٥، ثم في مؤتمر المعلمين الأحرار سنة ١٩٣٧ ،الذي ناقش توحيد التعليم وأسلوبه، والكتب المدرسية وضرورة تأليفها، وتعليم البنت وتربيتها. ويجب أن نلاحظ هنا الحضور الزيباني القوي داخل الجهاز التربوي في جمعية العلماء، مما انعكس إيجابا على تطوير العملية التربوية في الزيبان، فرئيسه عميد المعلمين محمد بن العابد الجلالي، و من بين أعضائه أحمد رضا

[425] الإبراهيمي . السجل. ص ١١٤.وأيضا : رمضان (محمد الصالح). من أعلام الجزائر ابن العابد الجلالي، شخصيته وجانب من تفكيره. الثقافة، ع ٨٢، أوت ١٩٨٤، ص ١٩٥

حوحو ومحمد الصالح رمضان والنعيم النعيمي[٤٢٦].وقد تميّز هذا المؤتمر بالحضور الكثير والنقاش الحاد مع الاتفاق التام على ضرورة توحيد مناهج التعليم، إلا أن التغيير الحاسم – في رأينا- كان بعد الحرب العالمية الثانية كما سيتبين لنا.

٥-٣ توحيد الامتحانات السنوية:

تُوجت الجهود الإصلاحية بتوحيد امتحانات نهاية السنة في مدارس الجمعية، وهذا منذ ٢٥ جوان١٩٤٧،وحددت مراكز وطنية لإجراء امتحان شهادة التعليم الابتدائي، وقد تم إدراج بسكرة من بين المراكز الخمسة لإجراء هذه الامتحانات .[٤٢٧]

٥-٤ دور لجنة التعليم العليا:

ظهرت في ١٣ سبتمبر١٩٤٨، برئاسة الشيخ العباس بلحسين وعبد القادر الياجوري و أحد عشر(١١) عضوا من قدماء المعلمين، منهم من منطقة الزيبان محمد الغسيري ومحمد الصالح رمضان وأحمد رضا حوحو وأحمد بن ذياب، وهذا من أجل وضع منهاج موحد للتعليم العربي، ووضع الكتب المقررة له، وتصنيف المعلمين إلى درجات حسب الكفاءة والأقدمية والثقافة، كما كُلفت بالإشراف على الامتحانات والمسابقات لقبول المعلمين في التعليم العربي، ووضع برامج لكل مادة من

---

426 شهادة محمد الصالح رمضان للباحث في منزله بالقبة.ونلاحظ أن أبناء الزيبان قد انتشروا كمعلمين في أنحاء الجزائر منهم:عبد الحفيظ الحنقي بمدرسة عين ياقوت.وعيسى الدراجي وعمار السلطاني ومحمد ابن المكي بمدرسة التربية ببريكة.وفرحات العابد نائب مدير بمدرسة التربية بعنابة سنة ١٩٣٩ ثم الطاهير.وعمر البسكري بمدرسة الفتح بسطيف سنة ١٩٣٦.ومحمد بن العابد الجلالي مدير مدرسة إحياء العلوم الإسلامية بالعلمة.وأحمد رضا حوحو مدير مدرسة التهذيب بشلغوم العيد١٩٤٥.ومحمد العيد آل خليفة مدير مدرسة العرفان بعين مليلة سنة ١٩٤٥.وأحمد بن ذياب مدير مدرسة التهذيب ببرج بوعريريج ثم سيدي بلعباس.والسعيد الزاهري مدير مدرسة تلمسان منذ سنة ١٩٢٩.محمد الغسيري بمدرسة دلس فبجاية فميلة...احمد سحنون مدير مدرسة سانت أوجين.ومحمد الصالح رمضان مدير دار الحديث بتلمسان.ومحمد بن المكي الحنقي بآريس.ومحمد بن الشيخ الحنقي مدير مدرسة بني يخلف.ومسعود صالح العقبي بسطيف.وعلي بن المكي الحنقي بالرمشي تلمسان.والطيب بن صالح البسكري بسيق..للمزيد انظر: فضلاء.المسيرة الرائدة.ص ص ١٢٧، ١٣٠. وأيضا:البصائر. ع ٥٦، ١٥ نوفمبر١٩٤٨

427 في الموسم الدراسي ١٩٥٠/١٩٥١ تقدم اثنان وثمانون (٨٢)تلميذا من بسكرة للامتحان، بإشراف نعيم النعيمي ،وقد نجح عشرون (٢٠)منهم، فاحتلت بذلك المرتبة الثالثة.انظر:البصائر.ع٤، ٢٩ أوت ١٩٥١

مواد الدراسة، وإعداد الشهادات الدراسية، وامتحانات التنقل، وتعيين المفتشين،وتنقلات المعلمين وترقيتهم وتكوينهم، فاهتمت بالمتعلم المعلم والمقررات والامتحانات من كل الجوانب، وهي التي ستعطي لتعليم الجمعية البعد البيداغوجي والقيمة الفعلية للشهادة العلمية المتحصَّل عليها.[٤٢٨]

وبفضل تأسيس لجنة التعليم العليا أصبح تكوين المعلمين يتم وفق أطر جديدة، خاصة بعد عقد عدّة لفاءات تكوينية وطبع دروس أنموذجية جاهزة للتدريس. [٤٢٩]

ومن جهة أخرى عرف تعيين المعلمين تطورا هاما تمثل في اشتراط شهادة التحصيل من الزيتونة منذ سنة ١٩٥١ ، بعدما كانت الأخلاق والولاء للإصلاح هو المقياس الوحيد في التوظيف، وفي سنة ١٩٥٣ سيُدرَج الامتحان الانتقائي لاختيار المعلمين من بين الحاصلين على شهادة التّحصيل. [٤٣٠]

٥-٥ تعديل المقررات الدراسية:

كانت المرحلة الابتدائية في مدارس جمعية العلماء ومدارس الإصلاح الميزابية تتكون من ست سنوات، وفي مدارس الجمعية تُقسّم هذه السنوات إلى قسم تحضيري في سنتين، وقسم ابتدائي وقسم متوسط في سنتين، أما المحتوى النهائي فهو يتألف من التربية الإسلامية والثقافة العربية الابتدائية والمبادئ الأولية للمعارف العلمية.

ويدرس التلاميذ في القسم التحضيري ثلاثين (٣٠) ساعة مختلف المواد، وفق التقسيم التالي:

---

[428] رمضان (محمد الصالح). جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي.الثقافة، ص ص ٣٦٦. ٣٦٧

[429] البصائر. ع ٥٧، س٢، ٢٢ نوفمبر١٩٤٨

[430] البصائر. ع١٦٨، ٣سبتمبر١٩٥١.وأيضا البصائر، ع٢٣٩، ٤ سبتمبر١٩٥٣

المواد المقررة	عدد الساعات أسبوعيا
التعليم الديني والخلقي	٢
القراءة	٧,٥
اللغة(المحادثة)	٢,٥
الخط العربي	٥
محفوظات وأناشيد	٠,٥
الحساب	٥
الرسم	٠,٥
أشغال يدوية	١
تمارين رياضية واستراحة	٥

وبالنسبة للكتب الدراسية فهي كتب مشرقية لبنانية ومصرية خصوصا، مثل مؤلفات الهراوي ومكتبة كامل الكيلاني للأطفال..إلخ.[٤٣١]

أما في القسم الابتدائي فيتم التوسع في المواد السابقة، مع إدراج التاريخ العام والمحلي والجغرافية للجزائر والعالم العربي، وهذا اعتمادا على كتابي محمد مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني.

وفي القسم المتوسط الذي هو نهاية المرحلة الدراسية، يتم التوسع في مختلف المواد كالتالي[٤٣٢]:

[431] البصائر. الكتب المقررة في مدارس جمعية العلماء. ع٥٩، ٦ ديسمبر١٩٤٨

[432] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. منهاج التعليم، القسم الابتدائي، والمتوسط. ط ٢، أكتوبر١٩٥٢، ص ص ١، ١١

المواد المقررة		الحجم الساعي
الدين والأخلاق		٢
المطالعة		٣
لغة عربية	نحو	٢,٥
	تمارين نحو	٢
	محادثة	١,٥
	محفوظات	١
	إنشاء	١
	إملاء	٠,٥
تاريخ		١
جغرافيا		١
خصائص أشياء وعلوم طبيعية		٢
حساب وهندسة		٥
تصوير ورسم		١,٥
أشغال يدوية		١
رياضة بدنية		٥

وبالنسبة للتلاميذ الذين يتمدرسون في المدارس الفرنسية فيتم التركيز لهم على اللغة والتاريخ والقرءان الكريم، وهذا لإنقاذهم من خطر التفرنج والفرنسة والإلحاد، ويتمُّ تعليمهم في المساء وفي يومي السبت والأحد (عطلة المدارس الفرنسية) ولذا يُعرفون بالتلاميذ اللَّيليين .[٤٣٣]

[433] ويحتل التاريخ أهمية خاصة، لذا يبدئ تدريسه من السنة الثالثة إلى السادسة، ونجد أنه يحتوي في التعليم المتوسط على التاريخ المأثور والتاريخ الإسلامي(الرسالة المحمدية، الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، مولد النبي، زواجه، البعثة، الوحي...، الاضطهادات، إسلام حمزة وعمر، الصلوات، الغزوات، فتح مكة، حجة الوداع، الخلافة، الملكية (الأموية، العباسية، الفتوحات، عظمة المدنية الاسلامية، الحروب الصليبية وأسبابها وآثارها، الثورة الفرنسية)، جمعية العلماء وتأسيسها وأثارها وغاياتها وفي الجغرافيا نجد خريطة

٥-٦ البعثات العلمية:

لقد عُرف أبناء الزيبان بهجرتهم إلى خارج منطقتهم طلباً للعمل والعلم، إلا أنه مع انطلاق الحركة الإصلاحية أصبح التنقل إلى قسنطينة والزيتونة يُعبّر عن موقف تربوي وإصلاحي مستقل، فقد بدأت المدارس الزيبانية أولا في إرسال طلبتها المتفوقين إلى الجامع الأخضر ثم معهد ابن باديس، وبعد شروع جمعية العلماء في إرسال طلبة مدارسها المتفوقين، أرسلت هذه المدارس عددا من أبنائها ضمن بعثات جمعية العلماء نحو تونس ومصر والمشرق العربي، فأرسلت مدرسة القنطرة كلاّ من المولود شرحبيل والأخضر إدريس وأحمد خليفي وبلعيد محمد وبوصلاح الطاهر ومحمد بلحفناوي وبلعيد الهاشمي والحسين عمران وعبد الحميد ناصري وعبد الملك عبد الباقي.[٤٣٤]

ومنذ سنة ١٩٥٢ شرعت مدرسة التربية ببسكرة في إرسال طلبتها نحو معهد ابن باديس أو إلى الخارج[٤٣٥]، بل إن شعبة جمعية العلماء في بسكرة استطاعت إرسال عدد من طلبة المدرسة إلى معهد ابن باديس والزيتونة والأزهر على حسابها الخاص [٤٣٦]. ورغم معرفتنا بأهمية عدد أبناء الزيبان في الزيتونة والجامع الأخضر ومعهد ابن باديس وحيويته إلا أننا لا نملك إحصاء ولو تقريبيا لعددهم

الجزائر منفصلة عن فرنسا، وتناول الدول الإسلامية، والاعتماد على جغرافية القطر الجزائري للمدني..انظر منهاج التعليم. ص ص ٢٦، ٢٩.وانظر:تركي. التعليم القومي .... ص ٢٧٧ نقلا عن منشور رقم ١٢ في ١٩ أكتوبر١٩٥٣ للجنة التعليم العليا.

434 منها بعثة الموسم الدراسي ١٩٥١/ ١٩٥٢ إلى مصر ٢٥ طالبا. وسورية في ١٩٥٢/١٩٥٣ .وإلى العراق (١١ طالبا)، وسورية (١٠ طلاب) انظر:فضلاء. المسيرة الرائدة. ص ١٠٤

435 نفسه. ص١١١

436 مصمودي. مرجع سابق. ص ص ١٠٧، ١٠٨ . ورغم أهمية هذه النقطة إلا أننا لم نجدها في صحافة الإصلاح ولا المصادر ولا المراجع ذات الصلة.

الإجمالي،لكننا نكتفي بسنة ١٩٥٤ حيث بلغ عددهم في معهد ابن باديس سبعا وخمسين (٥٧)، استشهِد أغلبهم بعد التحاقهم بالثورة، وهو ما يوحي بأهمية هذا العدد. [٤٣٧]

٥-٧ الإجازات والعقوبات التربوية:

بدعمٍ واضح من الجمعيات المحلية تم رصد التحفيزات للمعلمين والتلاميذ في حفلات نهاية السنة أو في الحفلات الفصلية، كما ساهم الانتقال من الطابع التطوعي المثالي للتعليم إلى كونه عملا بيداغوجيا في تفعيله، حيث وضعت عقوبات كثيرة للتلاميذ المخالفين، كالتوبيخ وإعادة كتابة الدروس، بل وحتى الفصل بعد تقرير المجلس العلمي للمدرسة ذلك، كما حُددت تعاليم للمعلمين والمدراء لإلزامهم بالعمل التربوي واحترام المنهاج العام للجمعية والسهر على تحقيق الهدف النهائي لتعليمها، كتحضير الدروس والتعامل باللغة العربية والتزام المقرر وعدم استغلال التلاميذ خارج إطار التعليم ومنع ضربهم أو إهانتهم[٤٣٨].

ووَضعت لهذا الغرض مفتشين عامين وجهويين، منهم محمد الغسيري ومحمد الصالح رمضان وأحمد بن ذياب،مما انعكس إيجابا على مدارس منطقة الزيبان بحكم ارتباط مصليحها بمختلف التطورات الحاصلة على مستوى التعليم العربي.[٤٣٩]

٥-٨ تطوير الإدارة والتمويل:

توصّلت مدارس الإصلاح في الزيبان و في غيرها من المناطق التابعة لجمعية العلماء إلى تقاسم عملية إدارة التعليم مع الجمعيات المحلية المتواجدة في منطقة المدرسة، حيث تتكفل الجمعية المحلية

---

437 تركي (رابح). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ورؤساؤها الثلاثة١٩٣١-١٩٥٦. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط١، ٢٠٠٤ ص ص ٣٧٥، ٣٧٨.

438 جمعية العلماء المسلمين. اللائحة الداخلية لمدارس الجمعية، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة

439 تركي. التعليم، ص ٢٩٧

بالأمور المادية كبناء المدرسة وتأثيثها بالسبورات والمقاعد...والإنفاق عليها ودفع رواتب المعلمين والموظفين والحراس وتكلفة الكهرباء والماء... ،في حين تطلب من جمعية العلماء التكفل بالأمور العلمية البيداغوجية كالكتب والمعلمين والمدير...وقبولها في نظامها التعليمي.[٤٤٠]

وقد رأينا في مدرسة التربية والتعليم ببسكرة كيف أشرف محمد البشير الإبراهيمي على تأسيس جمعية التربية والتعليم الإسلامية، وبفضل عبد الرحمن بركات استعملت السبورات والطاولات، وتمكن من شراء بنايات كثيرة حولها إلى مدرسة التربية والتعليم ،واستطاع إقناع مشايخ كُثر بالتدريس فيها، أمثال وجدي عبد الواحد الحيدوسي، وعبد الرحيم الزاهري، ومحمد الصادق بلعراس..إلخ.[٤٤١]

وأمام نقص التمويل دعت جمعية العلماء الجمعيات المحلية المتعاونة معها في إدارة مدارسها إلى تنويع مواردها وتجديدها وتوسيعها وعدم الاكتفاء بالتبرعات والزكاة والعشور وواردات النوادي والمهرجانات، لأن الجمعية كثيرا ما تدخلت لتغطية عجز جمعيات محلية،فكتبت في **البصائر** :" تعاني المدارس الحرة أزمات مالية شديدة، وقل أن تسلم منها مدرسة اللهم إلا تلك المدارس التي كفل حياتها مشروع عمومي تتغذى من ريعه...،فإذا أردنا أن نخرج بمدارسنا من ذلك الجو الراكد...فعلينا أن نفكر جماعات وأفرادا في مشاريع اقتصادية يعود ربحها على المدارس حتى لا تبقى في سجنها الحديدي العتيق، ففي استطاعة أية جمعية محلية لأي مدرسة حرة أن تجمع رأس مال – ولو تأخذه قرضا – وتجعل بذلك المال دارا للسينما أو ناديا أو مقهى أو حماما أو نزلا أو محلا تجاريا أو سيارات نقل أو

---

[440] البصائر.ع ٦٧، ١٤ فيفري١٩٤٩

[441] عبد الرحمن بركات، ولد في٢١ فيفري١٩٠١ ببسكرة، ودرس بجمورة، تأثر بالطيب العقبي وبلقاسم ميموني وعبد الرحيم الزاهري، ترأس شعبة جمعية العلماء ببسكرة مرتين، انخرط في الثورة مع مصطفى بن بولعيد، اغتيل أواخر ١٩٥٧ بالمغرب الأقصى.انظر: مصمودي. مرجع سابق. ص ص ١١١، ١١٢

أي مشروع من شأنه أن يعود بالفائدة على المدرسة، وبمثل هذه المشاريع الحية تنتعش حالة المدرسة المادية، وبانتعاش الحالة المادية تزدهر حياة المدرسة الفنية والعلمية"، ومن جهة أخرى دعا الشيخ العربي التبسي إلى إحياء عادة الأوقاف لتغذية المدارس، لكن يبدو أن هذه الدعوات لم تجد طريقها إلى التحقيق رغم التحمس الكبير لها من مختلف الأطراف.[٤٤٢]

وعموما نجد أن الإصلاح التربوي في الزيبان قد حقق نتائج هامة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وهو مَدينٌ كما رأينا للإشراف المركزي أي لجمعية العلماء، كما رأينا إسهام أبناء الزيبان في إنعاش حركة التعليم العربي في الجزائر، مما انعكس إيجابا على حركة التعليم في المنطقة، وإذا علمنا بأن الزوايا ومدارس المساجد لم تُوحد مناهجها ولا تنظيمها الإداري رغم تقاربها في الخط العام و لم تُعر تطور الإصلاح التربوي اهتماما كافيا خَلصنا إلى القول بتفوق الإصلاح في هذه المعركة.

442 البصائر. ع٩٣، أكتوبر ١٩٤٩. وأيضا تركي. التعليم.ص ٣٠٩

ثانيا – في ميزاب:

١– الدعوة إلى الاهتمام بالتعليم وإصلاح مناهجه:

رغم اختلاف ظروف منطقتي الزيبان وميزاب إلا أن الدعوة إلى إصلاح التعليم كانت متقاربة زمنيا وشكليّا، مما يؤكد لنا مرة أخرى دور العوامل الخارجية في الإصـــلاح. فَمنـــذُ العـــشرينات – واستفادةً من الحركة العلمية المزدهرة بتونس– دعا المصلحون الميزابيون إلى الاهتمام بالتعليم، وإعداد برنامج علمي تربوي علمي وحديث.

ويذهب عبد الرحمن بن عمر (البكري) إلى أن الوعي بالإصلاح التربوي متوفرٌ إلا أن المعارضة هي التي كانت تُفشل المشاريع، فكتب: "...كيف يزدهر(التعليم) وغالب من يزعم أنه المتعاطي لـــه يسلك طريقة عقيمة لا تنتج نتيجة ولو استمرت عُمر نوح؟، أم كيف يزدهر؟ والأفراد الذين توفقوا إلى طريقة من طرقه المنتجة تُشن عليهم الغارات ليلا ونهارا، أم كيف يزدهر؟ ومجموع تينك الطريقتين لا تبلغ واحدا في المئة..." .[٤٤٣]

وكتب أحد المصلحين أنه قبل إصلاح المناهج يجب القضاء على إهمال العلم وظاهرة التـــسرب المدرسي لأن: "...المصيبة فيها ليست مصيبة التلميذ وحده أو أبيه أو وليه أو أستاذه فقط، ولكنـــها مصيبة مستقبل الأمة ومآل الدين ومصير البلاد ومصيبة شعب بل مصيبة الإنسانية جمعاء"[٤٤٤] ،وكتب عدُّون (سعيد) :"...فما دامت الأمة على ما نرى من الإدبار على العلم والتهاون بـــشأنه فالجريـــدة (أي الأُمة) لا تنفك عن خطتها، ولا تتحول عن سبيلها في موالاة الكتابة بمختلف الأساليب في هذا

[443] البكري. حالتنا التعليمية. وادي ميزاب، ع٢، ٨أكتوبر١٩٢٦

[444] الأمة .في الصف الأمامي أين تقاس رغبة الأمة في العلم والتعليم. ع٧٢، ٢٨ أفريل١٩٣٦.والعدد٧٤، ١٢ ماي١٩٣٦

الموضوع(العلم)" .[٤٤٥] واشتدت الدعوة إلى إنشاء المدارس على صفحات الجرائد الإصلاحية، و لم تفتر هذه الدعوات حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.[٤٤٦]

وفيما يتعلق بإصلاح مناهج وطرائق التعليم دعا أبو اليقظان منذ سنة ١٩٢٦ إلى تحسين حالة المعاهد المادية والأدبية والجمالية وزيادة عددها، وإدخال نظم جديدة، بالاقتباس من مناهج التعليم الرسمي، وانتقاء الكتب التربوية الحديثة، وإجبارية الاختبارات، وتأسيس المكتبات، ودعم الأولياء لأبنائهم، ورعاية الأغنياء للمشاريع التربوية...إلخ.[٤٤٧]

وفي نفس السنة أجمل محمد إبراهيم الطرابلسي المواد التربوية التي يحتاجها الإصلاح التربوي الناجح، مُعارضا الجامدين الداعين للاكتفاء بالعلوم الدينية، فأجملها في قوله: " علم التوحيد والأخلاق والتفسير وعلم الحديث وأصول الفقه والعلوم العربية (نحو وصرف وبلاغة ولغة وأدب واشتقاق) وفقه العبادات والمعاملات والتاريخ والجغرافية والطبيعية والكيمياء والطب والحقوق والعلوم الرياضية (كالحساب والهندسة والجبر والمكاييل والمقاييس) والاقتصاد السياسي والعملي ومسك الدفاتر وسائر النظامات المالية واللغات الأجنبية الحية وفي مقدمتها اللغة الفرنسية التي لنا بها علاقة متينة لقضاء المصالح الخطيرة ".[٤٤٨]

---

445 سعيد. حول التعليم، هاهو موسم الدراسة على الأبواب فماذا أعددنا له. الأمة، ع٩٠، ١٥ سبتمبر١٩٣٦

446 مثل: الأمة. ماذا أعددنا لموسم العقول، فهل نحن متهيئون. ع٤٤، ١ أكتوبر١٩٣٥.وأيضا: الأمة. قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. ع٤٨، ٢٩ أكتوبر١٩٣٥ .وانظر هذه الدعوات في فهرس مقالات جرائد أبي اليقظان في: أبو اليقظان وجهاد الكلمة ،والشهاب ومجلة الشباب..إلخ.

447 أبو اليقظان. كيف الوصول إلى العلم النافع. وادي ميزاب، ع٩، ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦.وأيضا: وادي ميزاب. العلم والتعليم الصحيحان.ع٦، ٥ نوفمبر١٩٢٦

448 الطرابلسي (محمد إبراهيم). المثبطون والعلوم العصرية. وادي ميزاب، ع٢٣، ١١ مارس١٩٢٧

وكانت النية لإصلاح التعليم وتحديد هياكله وأطواره ووضع الكتب له متوفرةً، لكن يبدو أن الظروف لم تسمح بذلك، رغم الوعي الميزابي الكبير بأمر التعليم، ففي سنة ١٩٣٠ نجد اقتراحات هامة لإصلاح التعليم انطلقت من مدرسة الحياة نفسها، أهم هذه المقترحات:

- إنشاء ثلاث مدارس غير الكليات الجامعة (ابتدائية، ثانوية، عليا)، الابتدائية تكون بتوحيد كل الكتاتيب بالمنطقة (القرارة) ، فإن رفضت يتوحد الكتابان (المدرستان) التابعان للإصلاح (الشرقي والغربي) فينضم الباقون، أما المدرسة فتقسم إلى ثلاثة أقسام لكل قسم مدرس، مع توفير مختلف الحاجيات له.

- تأثيث المدرسة تأثيثا عصريا بالكراريس والسبورات والمناضد والكتب والخرائط.

- وضع منهاج عصري من حيث الأوقات، وكيفية إلقاء الدروس، ووضع التمارين، ورصد الجوائز والتحفيزات للناجحين، ومعاقبة المخالفين عقابا يليق بكرامتهم.

- جعل التعليم إجباريا في المرحلة الأولى إلا للضرورة .

- تنويع المواد وعدم الاقتصار على تحفيظ القرءان وحده،بل :" يكون المقام الأول لغير القرءان من تعليم الكتابة ومبادئ العربية والأخلاق ومبادئ الحساب وحفظ المحفوظات من نثرية وشعرية".

- تخصيص لجنة لها اضطلاع بالتعليم، تتولى بالاشتراك مع المدرسين إدارة المدرسة وتعيين الكتب التي تدرس لكل طبقة والسنوات المدرجة في كل كتاب، وبرمجة الامتحانات السنوية .

- تأسيس جمعية تتكفل بالتدريس وجمع التبرعات. [٤٤٩]

ورغم تحمس أبي اليقظان للإصلاح التربوي إلا أنه ظل مُصرّاً على إعطاء الأولوية للتربية والتعليم الديني، لأن غاية التعليم عنده هي تخريج جيل متدين وقومي متحكم في شؤونه، فالتربية

[449] الشباب. حول إصلاح التعليم. ع٩٤، ٢٤ جانفي ١٩٣٠.والعدد ٩٥، ٣١ جانفي١٩٣٠

حسبَه: " هي التطبيق العملي الذي يُربّي النفس بالتمرن ويقوم الأخلاق بالتعوّد"، لذا دعا إلى إصلاح مناهج التعليم الديني بتوسيع أبوابه، وشمولية برامجه للمحاور الأساسية الواجب التعرف عليها، والالتزام بحقائقها، وتطبيق مبادئها من عقائد وعبادات وأخلاق.[٤٥٠]

وفي مناسبة أخرى يلفت نظر المربِّين إلى العناية بالتلاميذ في سن المراهقة، طالما أن هدفه هو شخصية المتعلم وليس نصيبه من العلم،فيقول: "...ويجب توجيه عناية ممتازة إلى الطلاب والطالبات في سِن المراهقة لأن هذا الدور هو أخطر الأدوار في حياة الناشئين والناشئات بشهادة رجال التربية وعلم النفس، إذ هي دور الانتقال في حياة الإنسان، وأدوار الانتقال هي أخطر ما يكون في حياة الأفراد والأمم ". [٤٥١]

ويبدو أن روح النقد الداخلي هي التي سمحت للإصلاح بتجديد مناهجه التي أثمرت في الأربعينيات، فقد اقترح طلبة معهد الحياة في سنة ١٩٤٣ اقتراحات رأوها كفيلة بتطوير معهدهم، مثل إدراج حفظ القرءان في الامتحانات، وضرورة إلقاء رسالة شفويا لاجتياز الطبقة الأولى الممتازة، وإضافة دروس في التاريخ..إلخ.[٤٥٢]

٢- الدعوة إلى الانفتاح على علوم العصر:

تَصرَّف المصلحون الميزابيون ببراغماتية أكبر مع موضوع التعليم الحرفي، وربما يعود هذا إلى طبيعة نشاطهم الاقتصادي القائم على اشتغالهم في الورشات الحِرفية والتجارة، وتمركز عدد كبير منهم في المدن الكبرى في الشمال.

---

[450] الأمة. ع ٢٧ ،١٩٣٥

[451] أبو اليقظان. الأمة، ع٤٤، ١٩٣٥. وأيضا سلامي (عزيز). قراءة تربوية في فكر أبي اليقظان. الموافقات، جامعة الجزائر، عدد خاص، السنة الخامسة، ١٩٩٦،ص ٤٤٥

[452] محضر جلسة ٢٧ ماي ١٩٤٣، رقم ٥٥٩، كراسة ١٩٤٣/١٩٤٢

فدعا الشيخ بيوض إلى اغتنام فرصة فتح فرنسا للمدارس الحرفية للتسجيل بها، وهذا من أجل بناء مجتمع قوي ومتكامل وقادر على التصدي للأوربيين واليهود، فكتب مُعاتبا الميزابيين على تهاونهم في هذا الجانب:"...وأما في الميدان الثقافي فقد فتحت مدرسة في غرداية للصناعة اليدوية،وستفتح في أكتوبر الآتي مدرسة تجارية،ستتلوها بعد قليل مدرسة فلاحية،فهل من سداد الرأي أن يتركها أبناء الوطن (ميزاب) ليحتلها الأجانب؟". [٤٥٣]

وهو الأمر نفسه الذي استغربه أحد المصلحين كيف أن الميزابيين يتحملون تكاليف فتح وتسيير المدارس الحرفية بميزاب ثم لا يسجلون أبناءهم بها، ليستفيد منها اليهود والأوربيون في الأخير مثلما حدث في مدرسة غرداية الصناعية. [٤٥٤]

وهو الموقف نفسه مع تدريس اللغة الفرنسية، فدعا الشيخ إبراهيم اطفيش في كتابه "الدعاية إلى سبيل المؤمنين" إلى تعلم اللغة الفرنسية، وشكّلت مجلة **الشباب** بدورها مجالا فسيحا للدعوة للاهتمام باللغات الأجنبية خاصة الفرنسية التي كان الشيخ بيوض يسميها لغة "الوظيف والرغيف" كِنايةً عن أهميتها. [٤٥٥]

٣- مدرسة الحياة أنموذج المدرسة الإصلاحية الميزابية:

تُعدُّ مدرسة الحياة بالقرارة أهم مدرسة إصلاحية استطاع الإصلاح الإباضي تحقيقها، ونجحت في أن تعكس أهم أفكاره ومبادئه وفلسفته عبر مختلف مراحلها العلمية الطويلة.

---

453 ناصر. الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض . ص ٣٢٣

454 الأمة.اللي ما عندو شاهد كذاب. ع٧٦، ٢٦ ماي١٩٣٦

455 الشباب .اللغات الأجنبية دعوة لتعلمها لما فيها من فائدة. ع١٩، ٢٩ جويلية ١٩٤٣.وأيضا: بن صالح(أحليفة). اللغة الأجنبية(جزءان)، الشباب. ع٣٧٠، ١٦ جويلية ١٩٤٢

وظهرت المدرسة في سنة (١٩٢٦) تحت اسم **الشباب**، وأسسها الشيخ بيوض في معهد شيخه الحاج عمر بن يحي، ثم انتقل إلى دار وَقَفَها والده للعلم،وكان المعهد يقع قرب المسجد،ويتبع طريقة تقليدية، لكن مع تطور فكره الإصلاحي استطاع تطبيق أفكار جريئة،ولكن المدرسة لم تلبث أن توقفت إثر مغادرة صاحب اعتمادها **القرارة** إلى **مليكة** ممّا عرّضها للغلق،فكانت هذه المرحلة مرحلة تحمس عاطفي، كما أنها لم تمتلك برنامجا أو تسييرا كافيا كالمحاسبة والميزانية، وظلت تعتمد على المعلمين المتطوعين الذين كانوا يلجأون إلى التجارة والفلاحة لكسب قوتهم مما أثّر على آدائهم في العملية التعليمية[٤٥٦].

وبعد توقف المدرسة بمدة وجيزة، أعيد فتحها بتدخل من السيد عيسى بن عمارة خبزي (١٨٨٦-١٩٥٥)، تابعة لجمعية **الشباب** التي حصلت على اعتمادها في ٢١ أكتوبر١٩٣٧، وبهذا دخلت المدرسة مرحلتها الذهبية بفضل نشاطات مجلتها **الشباب** وإصلاحاتها التربوية الهامة التي تجسدت في المحاور التالية: - تطوير البرنامج الدراسي:وهذا منذ انطلاق الدراسة عام ١٩٢٦ ، عندما تكونت لجنة من تسعة أشخاص لوضع البرنامج الدراسي، أمّا أعضاؤها فهم بيوض، وعدون (شريفي بالحاج)، وبوحجام، وعمار بن حاج محمد، وابسيس صالح بن يوسف، وادلال عبد الله بن إبراهيم،و قاسم بن الحاج عيسى، ومحمد بن حمو، وبلحاج بن محمد، وأبو اليقظان كاتبا عاما. وأصبحت المواد الدراسية هي النحو والأدب العربي والفقه وقواعد الفقه والتوحيد وتاريخ الإسلام، ليضاف فيما بعد الحساب والجغرافيا وعلم النفس عام ١٩٤٨.كما يوضحه الجدول[٤٥٧]:

---

[456] Ben drissou.op cit,p39

[457] تركي. التعليم القومي. ص ٢٨٨ .نقلا عن تقرير الشيخ بيوض إلى المؤلف.

ابتدائي	متوسط	ثانوي
علم التوحيد	//	//
الفقه	//	//
المواريث	//	//
الأخلاق	//	//
النحو والصرف	//	//
مبادئ الحساب	الحساب	الحساب والهندسة
الأدب والنصوص	//	//
السيرة النبوية	التاريخ الإسلامي	تاريخ الجزائر
أصول الفقه	البلاغة والبيان	البلاغة والبيان
التفسير والحديث	التفسير والحديث	التفسير والحديث
/	علم المنطق	أصول الفقه

– التكفل بالطلبة الخارجيين بواسطة تبرعات العشائر ففي الموسم الدراسي ١٩٢٦/١٩٢٧ تكفّلت عشيرة آت لاهوم بالإيواء، وهو ما جعل عدد الطلبة الداخليين يصل إلى تسعين (٩٠) طالبا في سنة ١٩٤٣.

– تحديد العطل السنوية بعدما كان لا وجود لها، حيث كان المعهد يكتفي بالأيام الحرة ونهاية الأسبوع فقط، فأُدرجت العطلة السنوية التي تدوم ثلاثة أشهر صيفا، وهذا ابتداء من سنة ١٩٤٠[٤٥٨].

[458] الشباب. ع ٤١، ١٩٢٨

- رفع عدد سنوات الدراسة إلى خمس سنوات بعدما كان ثلاثا، فأصبحت سنتان تحضيريتان (في الطور المتوسط)، وثلاث سنوات ثانوية مقسمة لطورين، وهذا ابتداء من سنة ١٩٤٠، وهذا طبعا دون احتساب السنوات الست بالمدرسة قبل الدخول للمعهد، وفي سنة ١٩٥١ تمّ توسيع عدد سنوات الدراسة من خمس (٥)سنوات إلى ست (٦)سنوات، ثلاثة منها ثلاثة سنوات (٣) للمتوسط (التحضيري)، وثلاثة سنوات الأخرى(٣) للتعليم الثانوي. كما تمّ إدراج الامتحانات في مختلف المراحل،بعدما كانت تقتصر على المرحلة العليا، وهذا منذ سنة ١٩٤٠ .

- تجديد التكوين والتأطير، بفضل تخرج طلبة من المعهد أنهوا دراستهم، أمثال عمار علي (١٩١٩-١٩٨٠) إلى سنة ١٩٤٤،والداود إبراهيم،والداود عمار إلى غاية سنة ١٩٤٥،وقرادي إبراهيم (ت ١٩٨٩) الذي درس بالمعهد مابين سنتي ١٩٤٤ و١٩٤٦،إضافة إلى معلمين مؤقتين مثل بيوض بكير(١٩٠٩-١٩٨٦)، وناصر مرموري منذ سنة ١٩٤٧،مما سمح بالالتزام بالتخصص لحد ما، فتخصّص علي يحي معمر في الأدب العربي،وبكير بيوض في المواريث والتشريع،وداود إبراهيم في الحديث وقواعد الفقه والمنطق،أما علي دبوز ففي التاريخ .[٤٥٩]

- تطوير هياكل التعليم، فابتداء من سنة ١٩٤١ تحوّل المعهد إلى التدريس في القاعات قرب المسجد بدل المحل الذي كان فيه، واستقدمت تجهيزات عصرية ضرورية للأقسام كالطاولات والسبورات والكراريس...إلخ.

- الانفتاح على العالم الخارجي، من خلال الاعتماد على كتب سُنّية كثيرة جدا وأخرى مشرقية (مصرية ولبنانية وتونسية...)، ومن خلال استقبال الطلبة من مختلف المدن الميزابية وحتى الجزائرية،

[459] ..Ben drissou. p39 . أمامحمد علي دبو، فولد ببريان سنة ١٩١٩، تتلمذ على بيوض وعدون، ثم تنقل إلى الزيتونة في سنة ١٩٤٤ ،ثم مصر، درس التاريخ والأدب بمعهد الحياة، له عدة مؤلفات مثل:تاريخ المغرب الكبير، ونهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، وأعلام الإصلاح، توفي في ١٣ نوفمبر١٩٨١. بن بكير. تاريخ بني ميزاب. ص ص ٢٢٩، ٢٣٠

رغم اختلاف المذهب الإباضي عن المذهب السائد في الجزائر، فكان الشيخ بيوض يعتمد في دروسه على كثير من الكتب السُنيَّة[٤٦٠].

وقد وصل عدد طلبة المعهد بين سنتي ١٩٢٥و ١٩٦٢ حوالي سبع مئة (٧٠٠) طالب،مُوزَّعين كالتالي: مئتين (٢٠٠) طالب من القرارة، ومئة وثلاثا وعشرين (١٢٣) طالبا من غرداية، وثمان وسبعين (٧٨) طالبا من بريان.و خمسا وستين (٦٥) طالبا من العطف، وثمان وثلاثين (٣٨) طالبا من بونورة، وثلاثا وعشرين(٢٣) طالبا من بني يزقن، وتسع عشر(١٩) طالبا من مليكة،١٣ من ورقلة، والعشرات من واد سوف.وأحد عشر(١١) طالبا من ليبيا،وثمانية(٨) طلبة من جربة.[٤٦١]

– دعم تعليم البنت داخل المعهد رغم المعارضة الشديدة،ويعود هذا الاهتمام إلى سنة ١٩٣٩،وتعكس لنا مجلة **الشباب** جانبا من الصراع بين الإصلاح والجمود حول هذا الموضوع الذي تجدد بين سنتي ١٩٤٣ و ١٩٤٦ .[٤٦٢]

وبدأت المبادرة فعليا عندما أقدمت أربع بنات على الحضور إلى المعهد لأخذ دروس مع التلاميذ الذكور، رغم ما أثاره هذا من معارضة شديدة، لذا كان يجب الانتظار إلى الخمسينات حتى تصبح القضية ملموسة أكثر، وهذا بقيام السيد راس النعامة عمار في ١٠سبتمبر١٩٥٠ باستقبال ستين (٦٠) بنتا، بمنزل والده لتدرسيهن، وكانت أعمارهن تتراوح بين سبع سنوات واثني عشرة سنة. ليأخذ عدد البنات في المعهد في التزايد حتى بلغ مئتين (٢٠٠) بنتا بالقرارة في سنة ١٩٥٩ ،و الشيء نفسه في غرداية وبريان.

---

460 انظر الملحق رقم١

461 Ben drissou.opcit,p50

462 الشباب. ع٣٤١. ٣٧٠. ٤٠٣. ٤٠٨ سنة، ١٩٣٩.والعدد٥ . سنة ١٩٤٣

– توحيد مناهج وبرامج التدريس في المدارس الإصلاحية بميزاب، بإشراف السيد عـــدون في ســـنة ١٩٤٥،كما قام بتأسيس جمعية قدماء التلاميذ في سنة ١٩٤٨ ، وهذا بهدف مساعدة معهد **الحياة** في تأدية دوره، وتدعم هذا بظهور أول مجلس إداري وبيداغوجي مكون من المعلمين، بعدما كان يـــضم في السابق المديرين فقط (إداري)، ولكننا نجد من جهة أخرى أن منح الشهادة العلمية قد تـــأخر إلى سنة ١٩٦٠، رغم وجود نظام الإجازة من طرف معلم كل فن أو مادة علمية، كما أن وضع الكتب المقررة لم يتم رغم توفر المطبعة العربية لأبي اليقظان ووفرة المتطوعين ووجود كثير مـــن المـــصلحين المتخصصين في مختلف العلوم وبشهادات من الزيتونة[٤٦٣].

– مواصلة نهج البعثات العلمية التي هي أساس ازدهار الإصلاح في ميزاب، فنجد أن مختلف المـــدارس الإصلاحية في ميزاب قد اعتمدتها في وقت مبكر كإحدى وسائلها في التغيير، رغم ما كانت تتطلبـــه من أموال وتأطير.

ومن بين الدعوات إلى مواصلة طريقة البعثات العلمية ما نجده في مجلة **الشباب** في وصف أحـــد اجتماعات الشيخ بيوض في معهد الحياة، حيث تَقرَّر فيها إرسال نخبة من الطلبة إلى تونس وبـــاريس لتعلم الصنائع والعلوم والمهن والفنون، وتمَّ تحديد عدد الطلبة وهو ثلاث عشر (١٣) طالبـــا للعلـــوم العربية (إلى تونس)، وخمس عشر(١٥)طالبا لتعلم الصنايع بتونس، وثمانية(٨) طلبة إلى باريس، يقول بيوض في هذا:"...أما الأمور التي يلزمنا خدمتها قبل كل شيء هي إرسال بعثة لتونس تطلب العلـــم فتخدم العربية، والثانية لتعلم الصنايع في مختلف طبقاتها سواء في التجارة والفلاحة والسيارات وغـــير

463 تركي. التعليم القومي.ص ٢٨٨ نقلا عن تقرير الشيخ بيوض إلى المؤلف

ذلك، وبعثة أخرى لباريس تطلب العلوم العصرية فيخرج منها الأطباء والوكلاء والجغرافيون وغـــير ذلك"، ولضمان دعم المشروع فقد تكفل عشر ميزابيين بدعم البعثة ماليا.[٤٦٤]

وقامت مدرسة **الإصلاح** عن طريق جمعيتها، وبإشراف الشيخ بنوح بن الحاج أحمد مـــصباح بتكوين بعثة نحو تونس ،بعد انحلال بعثة أبي اليقظان، وعادت هذه البعثـــة إثـــر الحـــرب العالميـــة الثانية .[٤٦٥]

وأشهر البعثات الميزابية هي البعثة البيُّوضية في سنة ١٩٤٢ ، والتي نجحت في الوصول إلى تونس رغم العراقيل الإدارية التي وقفت دونها، فوصل أعضاؤها متفرقين وهم:محمد علي دبوز، فعيسى بـــن الحاج عمر بوحجام، فمحمد بن إبراهيم المرموري، وفي وسط الأربعينات لحق بهم محمد بن الناصـــر ملالي، وعلي بن يحي امعمر النفوسي وبالحاج بن عدون شريفي، وفي آخر الأربعينات لحق بهم أيضا محمد بن عمر العساكر وإبراهيم بن علي الأطرش وبكير بن محمد آرشوم ومحمد بن إبراهيم كعبـــاش ومحمد بن الحاج الراعي، واستطاعت الاستقرار في شارع ابن خلدون الشهير ،الذي ضـــمّ بعثـــة أبي اليقظان في سنة ١٩١٤ .[٤٦٦]

ومنها بعثة جمعية الفتح ببريان التي استقرت بنهج العبري قُرب البعثة البيُّوضية في تونس، حيث أتم طلبتها دراستهم بالزيتونة.وهذا إضافة إلى بعثة الثميني المستقلة والتي ضمت مثلا محمد بن الحـــاج يوسف اطفيش وصالح بن الحاج عيسى بزملال وأبناء الثميني.

وقد انتعشت هذه البعثات بفضل النظام الداخلي الذي ورثته عـــن تقاليـــد البعثـــات الأولى، وبفضل نظامها الداخلي الصارم، واحتكاكها بالجمعيات التونسية، وبفضل النـــشاطات والمجـــلات

---

464 الشباب .ليلة مباركة. ع ١٤١، ٧ محرم ١٣٥١ هـــ/١٩٣٢م

465 انظر صورة البعثة في :دبوز. أعلام الإصلاح. ج٣، ص ص ٢٥٣، ٢٥٤. أما الشيخ بنوح بن الحاج أحمد مصباح من تلاميذ ابن باديس، تولى والده القضاء بقسنطينة، سافر إلى تونس في إطار بعثة أبي اليقظان.

466 شهادة صالح باجو والشيخ بن الشيخ اللذين كان ضمنها، وأيضا دبوز. أعلام.ص٢٦٤

(**كمرآة الأسبوع، المنبر الحر**..إلخ.)، وبفضل الحفلات التي كانت تنظمها، والجمعيات التي استطاعت تأسيسها، مثل الجمعية الأدبية لكبار الطلبة الزيتونيين والجمعية الأدبية لصغار الطلبة. [٤٦٧]

– تأمين الموارد المالية للمعهد بواسطة جمعية المعهد (**الشباب**)، أو بواسطة تبرعات المحسنين، التي استطاع الشيخ بيوض انطلاقا من مكانته كزعيم للإصلاح وشيخ للعزابة أن يحوِّلها إلى أوقاف تغذي المعهد، وحسْب الكاتب الفرنسي **كارو قاشرو** في كتابه "الحزب الإصلاحي في ميزاب، الإصلاح البلدي"، فإن الشيخ بيوض قد فرض نظاما محكما وصارما من أجل إنقاص تكاليف المؤسسة الوقفية، فكان يقوم باستدعاء كل شخص مكلف في دوره، ويظهر له بعض النصوص التي تفرضها الشريعة، ويطالبه بتطبيقها بطريقة محكمة وسريعة ونهائية...،وفي حال توفر الأموال يقوم الشيخ بالتخطيط لمشروع ما والإشراف عليه، بينما يقوم شيخ البلد بالتنفيذ فقط، ويكفي أن نعرف أن ميزانية المعهد بلغت مليونا وثلاث مئة وثماني عشر ألف وخمس مئة وعشر(١٣١٨٥١٠) فرنكا فرنسيا سنة ١٩٤٥ حسب أحد التقارير، جُمعت أساساً من الأوقاف من أراضي ونخيل..إلخ.[٤٦٨]

٣–١ جمعية الشباب ودورها التربوي في معهد الحياة:

ظهرت جمعية الشباب في عام ١٩٢٦ ،من طرف الشيخ عدُّون وطلبة المدرسة الكبار، بهدف الإشراف على نشاطات المدرسة في أول الأمر،وكان يرأسها الحاج بكير العنق وعمر بن يحي، ثم تطور دورها إلى التدريب على الخطابة وإحياء الحفلات وإعداد الأناشيد والتمثيليات ومناقشة مستجدات المدرسة،وأسست مجلة لها لإبداعات الطلبة في نفس السنة، عرفت **بالشباب**[469] ،كما

---

[467] نفسه. ص ٢٦٦

[468] Ben drissou.pp40,44

[469] Bendrissou.p39 .أما أعضاء جمعية الشباب فهم إبراهيم بيوض،وشريفي عدون،وخبزي عيسى بن عمارة،وجهلان قاسم بن ناصر،وأبو العلا عبد الله،ونجار حمو،والحاج مسعود بكير بن مسعود،وبن صالح إبراهيم،وسليماني يحي،وبوحجام عمار،وحاجي محمد،وسعيدي محمد،ومجاهد حمو،وشريفي بكير عدو.انظر صورة إدارة الحياة سنة ١٩٣٧ في الملحق في: دبوز .نهضة.ج٢،ص ٢٥٧.

استطاعت تأسيس فرقة أناشيد وفرقة رياضية سنة ١٩٣٦ ،واقترحت إنشاء كشافة للمعهد في عام ١٩٤٥ ،وحظيت هذه الجمعية باهتمام خاص من بيوض رئيسها الروحي، ومن رجال الإصلاح الآخرين أيضا.[٤٧٠]

ومنذ سنة ١٩٤١ بدأ التفكير في تقسيم الجمعية إلى قسمين لتسهيل عملها، فظهرت الجمعية الصغرى في جلسة ١١ نوفمبر١٩٤٣ بست وعشرين (٢٦) عضوا، مستقلين في تحديد مكان وتوقيت اجتماعهم، وفي الحقيقة هي فرقة عمل وليست جمعية لتبعيتها للجمعية الكبرى، رغم تمتعها بهياكل الجمعية من رئيس وأمين مال وكاتب وعامل، وقد ترأسها فخار المرموري، واستطاعت أن تنشط أكثر من الكبرى ذاتها.[٤٧١]

وإذا أخذنا سنة ١٩٤٣ باعتبارها سنة جيدة في حياة الجمعية، فإننا نجد أن عدد جلساتها فيها هو واحد وثلاثون (٣١) جلسة، وواحد وعشرون (٢١)محاضرة، وثمانون وثلاثون (٣٨) خطبة، كما حررت فيها أربعة عشرة (١٤) رسالة، وألقيت فيها أربعة عشرة (١٤) قصيدة، وصدر فيها سبع وعشرون(٢٧) عددا من **الشباب**، و لم يتعطَّل منها سوى أربعة أعداد، وهذا إضافة إلى الروايات، والحفلات التي أقيمت ثلاث (٣) مرات.[٤٧٢]

وعُموما يمكن القول بأن جمعية **الشباب** رغم انقسامها إلى صغرى وكبرى سنة ١٩٤٣ ،إلا أنها ظلت ورشة لتكوين الخطباء وإعداد المناظرات والمحاضرات والأناشيد والروايات بدرجة أقل، وتحضير مجلة **الشباب** ونقدها، وتنظيم الحفلات واقتراح تغييرات وتعديلات في البرنامج الدراسي، كما نجد أنها وَسَّعت محاضراتها من دينية إلى تاريخية وجغرافية وتربوية تعليمية، لكن رغم أهمية عدد أعداد

---

[470] محضر جلسة ٦٣١، ٢٧ ديسمبر١٩٤٥

[471] انظر محاضر جلسات ٥٤٨، ١١فيفري١٩٤٣.و جلسة ٥٧٤ ،٣٠ ديسمبر١٩٤٣،كراسة ١٩٤٣/١٩٤٤. ومحضر ٥٧٦، ١٢ جانفي١٩٤٤، كراسة ١٩٤٣/١٩٤٤ للجمعية الكبرى.

[472] محضر جلسة٥٧٤، ٣٠ ديسمبر١٩٤٣.

مجلتها **الشباب** وحفلاتها الداخلية والخارجية، إلا أنها لم تؤثر تأثيرا كبيرا في المجتمع الميزابي، كما أنها ظلت سِرّيّة، و لم تستطع إنشاء فروع لها، إلا إذا استثنينا فرعي العطف والوادي بغرداية سنة ١٩٤٥ ،الذي استطاع استقطاب أساتذة جمعية الإصلاح وتلاميذها، رغم أنهم في الحقيقة تلاميذ قدماء لمدرسة **الشباب** وجمعيتها.[٤٧٣]

وكخلاصة لدور معهد **الحياة** الذي أخذ هذا الاسم منذ ١٩٥٤ ، نقول أنه أقدم مدرسة إصلاحية في الجزائر، وأهم مؤسسة إصلاحية في ميزاب، كما كان سبّاقا لمختلف التطويرات التربوية، واستطاع أن يؤطر في موسم ١٩٤٨/١٩٤٧ حوالي مئتين (٢٠٠) طالبا، في حين أطَّرت جمعية العلماء على المستوى الوطني حوالي سبعة آلاف إلى عشرة آلاف طالب في هذه السنة (علما أن نسبة الميزابيين إلى عموم الشعب الجزائري هي ٠,٥%) .

أمّا بالنسبة للحركة الإصلاحية في بسكرة فنجد أنها قد تأثرت بظروف الحرب العالمية الثانية، ووفاة رئيس جمعية العلماء، وتوقف صحافتها، واعتقال رئيسها الإبراهيمي، بينما نجد العكس في ميزاب، حيث استفادت **القرارة** من فَرْض الإقامة الجبرية على الشيخ بيوض فيها في النهوض بمجال التربية والتعليم، فكانت سنوات الأربعينات هي السنوات الذهبيّة لمعهد الحياة وللإصلاح التربوي بميزاب.

٤- المدارس الإصلاحية في ميزاب وجمعياتها:

١- مدرسة بريان:

يعود تأسيسها إلى طلب أعيان بريان من الشيخ بيوض إرسال معلم لأولادهم أمام نجاح معهده في القرارة، فقام بإرسال صالح بن يوسف ابسيس، لتنطلق في ١٥ جويلية ١٩٢٨ بجمعيتها

473 محضر جلسة ٦٣١، ٢٧ ديسمبر١٩٤٥، الجمعية الصغرى.

الخيرية (السرية) بعشر تلاميذ، واستطاعت في الموسم الدراسي ١٩٣٣/١٩٣٤ الوصول إلى مستوى مقبول، عكسه إرسالها بعثة علمية نحو معهد **الحياة** في سنة ١٩٣٤. ومنذ سنة ١٩٣٩- وهي سنة وصول عبد الرحمن البكري للتدريس بها- عرفت المدرسة تطويرها من حيث المناهج والهياكل، حيث استعملت فيها الطاولات والكراسي والسبورات، وتمّ استعمال الحبر بدل الصمغ التقليدي والورق بدل اللوح، كما أدرجت مواد جديدة هي الفقه (تلقين الصبيان)، والأخلاق (مواضيع وخلاصات من وضع البكري)، والتاريخ (نور اليقين للخياط)، والجغرافيا (جغرافية العالم الإسلامي)، والحديث (كتاب مئة حديث وحديث)، والقراءة (القراءة الرشيدة)، والنحو (النحو الواضح للجارم)، والمحفوظات، والحساب، والإنشاء، والقرءان الكريم.[٤٧٤]

وفي سنة ١٩٤٦ تشكّلت جمعيتها المُشرفة عليها وهي **الفتح**، التي قامت بتشكيل بعثة منها نحو تونس سنة ١٩٤٧ وهي البعثة التي ستعود في سنة ١٩٥٣ ،وستساهم في دعم مدرسة **الفتح** وهو الاسم الذي عرفت به المدرسة منذ سنة ١٩٤٦.[٤٧٥]

- مدرسة العطف:

تعود إلى سنة ١٩٢٤ ،عندما عاد أبناء العطف من البعثة العلمية بتونس فقاموا بفتح المدرسة العلمية العصرية، وهم داود بن بكير وأحمد بن الحاج يحي بكلي، ويذهب الأستاذ محمد علي دبوز إلى أنها أحسن مدرسة في الجنوب في تلك الفترة، لسبقها ولكفاءة معلميها. وفي سنة ١٩٣١ ظهرت

---

474 دبوز. نهضة. ج٣، ص٢٥٦.تم التدشين بحضور الشيخ بيوض وكبار المصلحين، وانظر أيضا : يطو. مرجع سابق. ص ١٨٧ .نقلا عن تقارير جمعية الفتح، و مخطوط سليمان بن ناصر حسني، تاريخ الحركة الإصلاحية في بريان.

475 . يذكر البكري(بكلي) أن البعثة نحو تونس كانت في سنة ١٩٤٧ ،بينما تذكر عائشة يطو - من خلال التقارير الأدبية لجمعية الفتح- أن البعثة كانت في سنة ١٩٤٩.انظر باجو (مصطفى صالح) .محاضرات البكري في العلم والعلماء للشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي رحمه الله.مكتبة البكري،العطف،دط،دت،ص ١١٠. وأيضا: يطو. مرجع سابق. ص ٢٠٠

مدرسة الشبيبة بمبادرة من عمر بن عيسى الحاج أحمد، وهي التي ستعرف فيما بعد سنة ١٩٤٥ باسم **النهضة** نسبة إلى جمعيتها التي ستشرف عليها وتضمن لها الاعتماد والتمويل، واستطاعت أن تؤطر مئة (١٠٠) طالب، يشرف عليهم ستة (٦) معلمين. وإلى جانبها كانت مدرسة الشيخ محمد بن بوهون الحاج إبراهيم.[476]

١- مدرسة بونورة:

تأسست يوم الأربعاء ٢ رمضان ١٣٤٤هـ/ ١٥ مارس ١٩٢٦ ، بإدارة الشيخ عيسى بن الحاج صالح إدريس اليزقني (بني يزقن)، وقامت بتدريس القرءان والتوحيد والفقه والكتابة والقراءة والحديث والأمثال والحكم والشعر والأناشيد ومبادئ الحساب والأدب، كما أضافت التاريخ فيما بعد[٤٧٧]،ويبدو أن هذه المواد لم تدرس كلها، كما أن تدريسها كان سطحيا خلال هذه الفترة، لأن معهد الحياة – رغم تطوره – لم يستطع بلوغ هذا المستوى من المواد الدراسية،كما أن طلبة بونورة استمروا في هجرتهم نحو القرارة إلى الخمسينيات لضعف المستوى العلمي بمدارسهم –كما رأينا–.

وقد استفادت المدرسة من إشراف جمعية **النور** عليها منذ عام ١٩٤٥، فوصل عدد طلبتها في نهاية الفترة المدروسة إلى أربع وثلاثين (٣٤) تلميذا، يؤطرهم ثلاثة (٣) معلمين.

٢- مدرسة القرارة الابتدائية:

تأسست في سنة ١٩٣١، وعرفت باسم العصرية، وأشرف عليها في التدريس علي بن صالح أبو الحسن، وقاسم بن الحاج سعيد ابسيس، ومحمد بن باحمد بن منصور سعيدي، ومحمد بن يحي

---

[476] دبوز. أعلام. ج٣، ص٢٥٦. وانظر:باجو.محاضرات.ص١٧١.

[477] الشهاب. مدرسة بونورة. ع٢١، ٨ أفريل١٩٢٦

سليماني، وهي خاصة بالصغار الذين سينتقلون فيما بعد إلى معهد الحياة، ولقربها من المعهد نعتقد أنها استفادت من حركة الإصلاح داخله. [478]

٤-مدرسة الإصلاح الجديدة بغرداية:

أسستها جمعية **الإصلاح** التي حصلت على اعتمادها، وقد جعلت هدفها هو:"السعي في تحسين حالة السكان الأدبية، وإصلاح ما تداعى منها، بإنشاء مكتبة علمية، وناد أدبي، وتأسيس مدرسة علمية على الطراز الحديث" ،أما شعارها فهو الاتحاد والعلم والبعثات العلمية. وقد فتحت الإصلاح مدرسة لها بغرداية واستطاعت القيام بدروس لَيليّة مخصصة للكبار.

ولعل من مظاهر نشاطها الحفلات والاجتماعات الكثيرة التي كانت تقوم بها، وبلوغ عدد تلاميذها ثلاث مئة وخمس وخمسين (٣٥٥) تلميذا، يدرسهم سبعة (٧) معلمين، وهو عدد مهم في تلك الفترة. [٤٧٩]

٥- مدرسة بني يزقن:

رغم سيطرة جوِّ المحافظة (الجمود) إلا أنه ظهرت مدرسة في بني يزقن تحت إشراف جمعية **الاستقامة** التي طهرت منذ سنة ١٩٤٦، أما المدرسة ففي سنة ١٩٤٧ ، بينما لم يعترف بالجمعية إلا في سنة ١٩٤٨، وإلى جانبها ظهرت جمعية **التوفيق** التي منحت لها الرخصة في ٢٥ جانفي١٩٤٧ ،برئاسة إبراهيم بانوح امتياز ، واستطاعت فتح مدرسة إصلاحية تابعة لها.

---

[478] دبوز. نهضة.ج٣. ص ٢٥٦

[479] حول جمعية الإصلاح انظر: وادي ميزاب .أنباء ميزاب، جمعية الإصلاح بغرداية، ، ع١٠٣، ٥ أكتوبر١٩٢٨.وأيضا:الفرقد. جمعية الإصلاح في غرداية. الشهاب، ع١٥٨. وادي ميزاب.جمعية الإصلاح. ع١٠٩، ٩ فيفري١٩٣٧. الأمة. جمعية الإصلاح تحتفل بالمولد النبوي. ع١٢٦، ٢٢ جوان١٩٣٧

وهناك مدارس أخرى في مليكة وغرداية وغيرهما ،وقد استفادت كلها من الجمعيات التي تشرف عليها.[٤٨٠]

٦- المدارس الإصلاحية الإباضية خارج ميزاب:

و لم يَكتفِ الإصلاح بإنشاء المدارس داخل ميزاب، بل شرع في إيصال الفكر والمنهج الإصلاحي إلى الجالية الميزابية في مختلف أنحاء الجزائر، رعاية وصيانة للمذهب الإباضي من الاندثار والذوبان، وكذلك لربط أبناء ميزاب بلغتهم وعاداتهم وتاريخهم، وقد أسست لهذا الغرض جمعية لكل مدرسة، تتولى الإشراف والإنفاق عليها وجلب المدرسين للتدريس بها، والجدول التالي يرصد لنا هذه المدارس في الفترة المدروسة[٤٨١]:

المدينة	تاريخ الافتتاح	عدد التلاميذ ١٩٥٤	عدد الاقسام١٩٥٥	المعلمون ١٩٥٥
الجزائر	/	٣١	٥	فخار ونور الدين قاسم
عنابة	/	٤٠	/	/
بلكور	/	٢٨	٧	داودي عمر وبن محمد نوري
غليزان	١٩٢٩	٢٣	/	/
بسكرة	١٩٣٩/١/٤	٥٤	٥	بوحجام إبراهيم وبلحاج يحي الشيخ
البليدة	/	٤٣	٥	طباخ نوح بن بكير
بوسعادة	١٩٥٤	١٩	٣	بولرواح إبراهيم بن علي
قسنطينة	١٩٣٥	٨٠	٧	بخوش يحي وبوصعدة يحي
مستغانم	١٩٣٧	٢٨	٥	رمضان محمد بن عمر
سانت آرنو(العلمة)	/	٣٥	٦	اطفيش محمد بن إبراهيم
سوق أهراس	/	٣٠	/	/

480 إبراهيم بانوح:مؤسس جمعية التوفيق، ولد ببني يزقن، من تلاميذ القطب، علم في بونورة سنة ١٩٢٤، وأسس بالجزائر العاصمة مدرسة تعليمية عصرية، ساعد أبا اليقظان في صحافته، ساهم في تأسيس نادي الترقي وجمعية العلماء المسلمين. دبوز. نهضة . ج٢، ص٢٢٢

481 تركي. التعليم القومي. ص، نقلا عن تقرير أرسله بيوض للمؤلف.

تبسة	/	١٩	٤	كربوش سعيد بن موسى
تيارت	/	٤١	٥	عدون وسليمان

وهكذا نجد أن ما عُرف بالثورة التربوية داخل المنطقتين كان متعاصرا – زمنيا– لحد ما، مع سَبقٍ خاصّ للإصلاح الميزابي الذي استفاد فعليا وهيكليا من الحركة العلمية الإصلاحية في تونس،وقد لعبت الجمعيات التربوية الدور الأساس في الحكم على بقاء وفاعلية هذه المدارس التربوية، خاصة مع وجود نخبة إصلاحية كانت تسعى إلى ترجمة أفكارها الإصلاحية بواسطة الأسلوب التربوي.

الفصل الرابع:

الإصلاح الاجتماعي في المنطقتين

ينعكس الإصلاح بمختلف مجالاته في الأخير في الميدان الاجتماعي، لذا آثرنا أن ندرجه بعد كل من الإصلاح الديني والتربوي، ويعد الاحتكاك والاصطدام بالمجتمع من أخطر أنواع الإصلاح، وأعقدها وأبطئها من حيث التماس النتائج،كما يعد – من جهة أخرى- امتحاناً لمدى ملائمة الجانب النظري من الإصلاح للتطبيق في أرض الواقع، وسنحاول في هذا الفصل تتبّعه في كلتا المنطقتين.

أولا– في الزيبان:

١–المظاهر:

١– ١ محاربة الآفات الاجتماعية:

– استنكار إهمال تربية الأبناء:

دعا المصلحون في الزيبان إلى عدم الاستسلام للظروف القاسية التي يحياها الأهالي، وإلى عدم التفريط في إعداد أبنائهم للمستقبل، خاصة مع توفر آليات تضمن تجنيبهم الانحراف والحرمان من التعليم ، وهي المدارس الحرة والمساجد والنوادي، وقد لفت انتباه الهادي السنوسي عدم اعتناء الآباء بأبنائهم في الزيبان خاصة[٤٨٢]،فدعا إلى تدخل الأغنياء والأعيان للمساعدة في إنقاذهم، وعدم تركهم يستغلون في السكك والمحطات يحملون الأثقال ويرقعون النِّعال،فيقول : " يجب النظر في أمر هؤلاء ، وعلى أولي الأمر والأغنياء تحرّي طريقة يعيشون بها عيشا هنيئا محمودا مع سائر الأطفال مع إخوانهم الوطنيين من أبناء الأغنياء ليكونوا يدا واحدة في خدمة الوطن والقيام بواجبات الأمة"[٤٨٣].

ولجأت جريدة **صدى الصحراء** إلى المقارنة بين أطفال المسلمين والأوربيين، في صورة استفزازية لمشاعر المسلمين، علَّهم يتداركون إهمالهم لأبنائهم، فكتبت مثلا: "...حيث أن الأوربـاي (كذا) يستيقظ من نومه باكرا يتأبط محفظة كتبه ويؤمُّ المدرسة حيث يتلقى دروسه عن أساتذته، فإذا

---

[482] الهادي السنوسي .شعراء الجزائر. ص١٠٠

[483] الزريبي (المولود). أليس أطفال اليوم رجال الغد. الصديق، ع٤٤، ١٩ سبتمبر١٩٢١

ما عاد إلى داره يجد أمَّه وأباه في انتظاره يثقفانه بدروس أخرى، أما الأهلي المسكين فإنه يستيقظ من نومه باكرا يتأبط صندوق السِراج (اللمّاع) ويجوب النهج والشوارع علَّه يظفر بمن يمسح له حذاءه....،وهذه مرآة مصغرة وضعتُها لتعرف الفرق بيننا وبينهم وبين أبنائهم وأبنائنا، هُم تعلّموا ونحن جهلنا، هم اتحدوا ونحن افترقنا، هم اخترعوا ونحن دهشنا".[٤٨٤]

كما نادى المصلحون بعدم ترك الأبناء في الشوارع عرضة للرذيلة والفساد وحملات التنصير، وتمتلأ صفحات الصحافة الإصلاحية بهذه الدعوات. ولكن يبدو أن الطابع الريفي للمجتمع الزيباني قد عرقل تكفّل المصلحين بالأبناء المحرومين من الدراسة، كما أن الأهالي كانوا يعتمدون على أبناءهم في العمل اليومي بصفة كبيرة، وهذا لدعم المعيشة القاسية للأسر الجزائرية ككل، ومنها الزيبانية، لكن المصلحين عملوا على تجاوز هذا المشكل بتحميل الآباء المسؤولية بهدف الخروج من هذه الحالة الخطيرة.

– محاربة المفاسد الاجتماعية:

كتب أحد الكتاب الفرنسيين قائلا :لقد مزّقْنا الشباب الجزائري بين حضارتين، وكتب آخر بأننا (الفرنسيين) أدخلنا إلى المجتمع المسلم كل أنواع الفساد، وهذا ما ظهر جليا في المجتمع الزيباني، خاصة في المدن التي عرفت احتكاكا أكبر مع الأوربيين وقدماء المحاربين من الأهالي ...وهو ما دعا المصلحين إلى التحذير من عواقبه، فكتبت **النجاح** عن استفحال الفساد الأخلاقي والاجتماعي ببسكرة، ودعت السلطات إلى التدخل[٤٨٥]،وخصص الهادي السنوسي لآفة الخمر قصيدة نشرها في

[484] صدى الصحراء. رجال الغد. ع١٥، ٢٥ سبتمبر١٩٣٤

[485] النجاح. بسكرة. ع١٧٩، ٢٤ أكتوبر١٩٢٤

كتابه" شعراء الجزائر"، وهي بعنوان "قصيدة السُّكْر" بيَّن فيها أخطار الخمر وأضرارها على الفـــرد والمجتمع[٤٨٦].

وشَكّلت ظاهرة القمار معركة طويلة بين المصلحين والمدمنين على القمار، فكتبت كثير مـــن الصحف مبينةً أضرارها وخطرها على المجتمع المـــسلم، كتـــشجيع الكـــسل والـــسرقة والبطالـــة والجرائم..إلخ.

وبعد سلسلة من المقالات جاء التحرك العملي، عندما استعان المصلحون بالنائـــب العَمـــالي سيسبان ليقدم طلبهم إلى الولاية العامة بمنع المسلمين من دخول الملهى (الكازينو)، حيث لعبُ القمار وشربُ الخمر وإضاعةُ المال، وهذا الإجراء جاء بعد أن قام أعضاء المجلس البلدي (الأهالي) بالتصويت بمنع المسلمين من دخول الملهى لكن الأوربيين رفضوا هذا، لأنه يَحرِم صاحب الملـــهى الأوربي مـــن زبائن كثر ومداخيل هامة، ورغم أن الولاية العامة قد أصدرت قرارا يؤيِّد مطلب الإصلاح في هـــذا في أكتوبر سنة ١٩٢٧ لكن السلطات البلدية لبسكرة ظلت تتهرب من تطبيقه، مما دعـــا العقـــبي إلى تجديد طلبه بتفعيل قرار الولاية العامة سابق الذكر.[٤٨٧]

كما عالج المصلحون أيضا ظاهرة انتشار بيوت الدعارة في الزيبان خاصة بسكرة، التي انتشرت فيها بتشجيع من الأوربيين، الذين تفنّنوا في مفاسدهم، وطبع بعضهم كُتبا بأكملها تُصوّر مغـــامراتهم وتهين كرامة الأهالي[٤٨٨]. فرأى المصلحون أنها هَالة على جبين الشرف والدين، وكتب العقبي قائلا :" لا يزال كل مؤمن وكل ذي مروءة وعفّة وكل من يحمل بين جنبيه قلبا حساسا وشرفا إنسانيا مـــن

---

486 الهادي السنوسي. شعراء. ج١،ص ص ١٤٤، ١٤٥.

487 العقبي. القمار ومظاهره. الإصلاح، ع٦، ٢٤ أكتوبر١٩٢٩

488 انظـــر مـــثلا: Thuphemus (A) .Les khouan du Lion Noire ,scenes de la vie a Biskra .ed P etG ,Soubiron,Alger 1931. الذي يغطي مختلف مناطق الزيبان ويعيش في أماكن الفساد والفوضى..ويـــصور جانبـــا أسودا من الحياة الأهلية هناك.

سكان بسكرة أو زوارها الوافدين عليها يتألم شديد التألم للمنظر المحزن الذي يراه بمظهر هذه البلاد العمومي الذي اجتمعت به كل أنواع المفاسد وأعظمها انتصابها في وسط البلاد، بحيث يضطر كل ذي حاجة في السوق إلى مشاهدة الفجور المباح والفسق العلني، حبّ أم كره " ،ولا يكتفي العقبي بوصف الظاهرة والتنديد بها، بل يدعو المخلصين إلى:" أن يطلبوا المبادرة بتحويل هذا المعهر العمومي والمفسق المزيل للشرف والمذهب للمال والأخلاق والمروءة، فيطهروا البلاد من هذا البغاء المستمر والشر المنتشر".[٤٨٩]

ووجد المصلحون فرصتَهم في مخالفة أصحاب الطرق والزوايا للتعاليم الشرعية، عندما يسمحون بالاختلاط بين النساء والرجال والرقص معا والخلوة في المقابر والأضرحة، خاصة في المناسبات كالوَعْدة والزيارات...فشنُّوا عليهم هجوما من خلال المنابر والصحافة، ولم يستطع أصحاب الطُّرق الصّوفية منعَ الاختلاط نهائيا، لارتباطه بالزيارة والوعدة اللتين تُعدان من ركائز الولاء للطريقة أو المُقدَّم...،ولهذا تناوله المصلحون خاصة محمد السعيد الزاهري، مُحمِّلين الطُّرقية والزوايا المسؤولية في ذلك.[٤٩٠]

– محاربة السفور والتبرج:

عُرفت منطقة الزيبان بمحافظتها التي أساسها التزام المرأة ومكوثها في المنزل منذ صغرها، لكن أمام وصول الأوربيين والتيارات الفكرية المتحررة، ونتيجة توغل المدارس الأوربية، والاستقرار في المدن انتشرت ظاهرة السفور والتبرُّج، التي عارضها المصلحون والمحافظون على حد سواء، لكن المصلحين أخذوا المبادرة كما سمحوا للمرأة بالخروج للتعلم، في حين منع المحافظون خروج المرأة أصلا، وتغاضوا عن خروجها للمقابر والقباب والأضرحة.

---

[489] العقبي. الإصلاح. ع٣، ١٩ سبتمبر١٩٢٩.وأيضا عبدا لله. المنازل. الشهاب، ع٣٠، ١٠جوان ١٩٢٦

[490] العروصي (زغيب). حول تبرج النساء بالمقابر. البرق، ع٨، ٢٥ أفريل١٩٢٧

فندّد الهادي السنوسي بخروج المرأة إلى الأسواق والأماكن العامة بقوله : "ومالَنا وللأخـــلاق وقد اختلط الحابل بالنابل، والنساء المومسات يشققن الأسواق شقا، وما من فجّ إلا وهُن به سافرات غير متعجِّرات(متلثمات)فيه،وليس لهن من حد محدود يقفن عند حماه "[٤٩١]،ولهذا أيّـــد المـــصلحون المجلس البلدي الذي استجاب لدعواهم بمنع النساء من دخول المقابر والتبرج فيها،وتخصيص أوقـــات لهن، وتحديد مواقيت دخولهن إلى الحمامات العمومية، وليس في كل أيام الأسبوع كما كـــان عليـــه الأمر.[٤٩٢]

ويبدو أن العقبي العائد من الحجاز حديثا، قد فاجأه استفحال الأمر في بسكرة، حيث أرســـل بقصيدة له إلى **البرق** في أسلوب تهكمي ساخر حول آفة التبرج والسّفور وما تؤدي إليه من إهـــدار للشباب وإفساد للمرأة جاء في بعض أبياتها :

حيثما تلتفت تجد قمرا يز هو وشمسا بديعة الإشراق

وجميلا تَلا جميلا ومعشو قا،غدا في جماعة العشاق

هذا الجزائر كـــلها فانظر فاتنات وفـــاتن في الزقاق[٤٩٣]

وكتب محمد العيد آل خليفة في السفور، معتبرا أنه خطر على المجتمع وعلى المرأة ذاتهـــا، منـــه قوله مثلا:

كيف ينجو من الشرور نساء لا يواري وجوههن لثام

عصمة المرأة احتجاب وصون وإبـــاء وعفّة واحتشام[٤٩٤]

---

491 الهادي السنوسي. بسكرة. البرق، ع١٥، ٤ ماي١٩٢٧

492 العروصي. البرق. ع١١، ١٦ ماي١٩٢٧

493 العقبي. البرق. ع١، ٧ مارس ١٩٢٠

494 سعد الله. محمد العيد رائد الشعر . ص١١١

ونُسجّل هنا موقفين أكثر ايجابية في معالجة قضية السفور والتبرج وهما:

- موقف السعيد الزاهري الذي نظر إلى الموضوع كقضية صراع بين حضارتين، وفضّل الردَّ على مستوى عالٍ، عندما رأى أن التجديد في الجزائر -كما في المشرق - لم يؤد إلا إلى هتك ستر المرأة وكشف عورتها، كما ذكَّر المسلمات والأوربيين المهاجمين للإسلام بعدد الأوربيات اللائي يتوافدن على الإسلام والحجاب في وهران لِما رأين فيه من عفّة وكرامة لها، فيقول: "...ولو أنه رأى (يقصد جان ميليا المُنادي بسفور المسلمة) نساءَ الإسبان في عمالة وهران يدخلن في الإسلام حبّا في الحجاب، وما فيه من صيانة وعفاف، وضجرا من السفور وما فيه من إسراف، لما تمنّى للمسلمات أن يهتكن الحجاب بدعوى أنه يسعى لهن في الحرية والخلاص"[٤٩٥].ويُورد السعيد الزاهري في هذا الصدد شهادة أوربيين معتدلين بفضل الحجاب، ومنهم صحفيٌّ فرنسي أُوفِد إلى بسكرة بهدف تسجيل مآخذه على وضعية المرأة المسلمة، لكنه — في نهاية مهمته - اعترف بالحقيقة وكتب مخاطبا المسلمين: "...إياكم أيها المسلمون أن تغتروا بأكاذيب هؤلاء الفرنسيين الذين لم يعترفوا من شدة تعصبهم بكرامة المسلمة، ولم يقدروها حق قدرها،فهم يسمون حجابها سجنا، وحياءها جمودا، وطاعتها لزوجها حيوانية وجهلا".[٤٩٦]

- موقف العمودي الذي تجنب وصف الظاهرة إلى اقتراح حلولها، فرأى أن أفضل وسيلة للتصدي للسفور هي تعليم المرأة وتربيتها وفق برنامج منظم مدروس وإنباتها على العوائد الحسنة، وبعد تكوينها وفق هذا البرنامج يكون الوقت ملائما للمصلحين وأهل العلوم الدينية والأخلاقية لتقرير مسألة توسيع حريتها من عدمه، وفائدة المجتمع من ذلك، وهل الضرر أكبر أم الفائدة؟ وأيهما أفضل ؟ "بقاؤها في خدرها ربة منزل ورئيسة عائلة، أم خروجها سافرة ومشاركة للرجل في غوغاء

---

[495] الزاهري. الإسلام في حاجة إلى تبشير ودعاية. ص٦١

[496] نفسه. ص٤٧

الشوارع وازدحام الأسواق".[٤٩٧] فهو يفضل تأجيل دراسة الموضوع إلى غاية الانتهاء من تكوين المرأة المسلمة،كما نجد أنه يميل إلى مكوث المسلمة في بيتها عندما صوّر خروجها إلى الميدان بالغوغاء والازدحام .

٢ – النهوض بالمرأة:

لم تكن قضية المرأة في الجزائر سوى صدى وانعكاسا لما حصل من تطور في المواقف منها في عدة بلدان إسلامية مثل تونس ومصر ولبنان وسوريا (كتابا المرأة الجديدة، وتحرير المرأة لقاسم أمين) فيما عُرف بتيار الحَداثة ،وكذلك دعوات محمد عبده ومحمد رشيد رضا من جهة حركة الإصلاح.

ونلاحظ أن الإصلاح الجزائري عموما تبنّى نظرة الشيخ محمد رشيد رضا لقضية المرأة، حيث تمسّك بالأصول، ورفض مناقشة مسألة الحجاب، وجعل النهوض بها يكمن في تعليمها وتربيتها تربية إسلامية، من خلال نموذج السيرة النبوية وتعامل الرسول(ص)مع زوجاته، وسيرة السلف، إضافة إلى اعتماد القياس لحل المسائل الطارئة.[٤٩٨]

وشكّل التعليم والتربية الحل المثالي لدى المصلحين للنهوض بالمرأة، في حين غاب لديهم وضع حلٍّ فعّال للعدد الكبير من النساء الأُمّيات المنتشرات في المنطقة، فلم ينجح المصلحون في إقامة نوادٍ أو مدارسَ نسوية، كما لم يستطيعوا فتح أجنحة في المساجد لحضور النساء للدروس والمواعظ، و لم نجد حتى دعوات شكلية لمثل هذه المشاريع، مما يؤكد لنا قوة المجتمع الزيباني وتقاليده في مسألة عدم خروج المرأة من بيتها، لذا اكتفى المصلحون بالدعوة لتعليم البنات لإعدادهن للمستقبل، فكتب العقبي في سنة ١٩٢٦ :

ما حياة المرأة مع زوج له ليست أديبة

[497] العمودي. كلمة عن السفور. الإصلاح، ع١١، ٢٣ جانفي١٩٣٠

[498] Merad .op cit.pp272,278

غير سجن أبديّ عظمت فيه المصيبة[٤٩٩]

بينما حذّر العمودي بأن الاستمرار في ظلم المرأة وإجحافها في حقوقها المادية (الإنفاق والميراث...) والأدبية (التربية والتعليم..)، سينعكس سلبا على أسرتها وأبنائها فيما بعد، وينعكس على تأخر المجتمع أيضا، فكتب قائلا: "...لاريب أن- الإجحاف بحقوقها الأدبية أشد ضراوة على المرأة من عدم اقتضائها حقوقها المدنية، ولا يقتصر ذلك الضرر عليها فقط، بل يمس كل من يوجد بينها وبينه أقل علاقة أو تربطها وإياه أدنى رابطة، وبالأخص البعل والأولاد". [٥٠٠]

و من جهته دعا محمد العابد الجلالي في قصصه الاجتماعية التي نشرها على صفحات مجلة **الشهاب** منذ سنة ١٩٣٦ إلى الاهتمام بالمرأة وإعطائها حريتها .[٥٠١]

واتجهت **صدى الصحراء** إلى إثبات مكانة المرأة الجزائرية، وإمكانية النهوض بها داخل الإطار الإصلاحي، مُقترحة الحلول من خلال نشرها مقتطفات كاملة حول المرأة المسلمة من كتاب "كتاب الجزائر" لأحمد توفيق المدني، ومن بحثٍ وضعته إحدى الكاتبات المصريات حول المرأة الجزائرية .[٥٠٢]

ورغم تحمس العمودي لتعليم المرأة، إلا أنه ظل مُتحفظا من تعلمها في المدارس الفرنسية، ولو كانت صغيرة السن ومتمسكة بعوائد البلد. [٥٠٣]

---

499 العقبي. يقولون وأقول. الشهاب، ع١٧، ٤ مارس١٩٢٦

500 العمودي. المرأة المسلمة. الإصلاح، ع٨، ١٤ نوفمبر١٩٢٩.وأيضا: Elamoudi. La femme musulmane. La défense, N36, 2 Novembre1934

501 حرفي (صالح). صفحات من الجزائر، دراسات ومقالات. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، دت، ص ٢١١

502 صدى الصحراء. المرأة المسلمة. ع١٧، ١/ أكتوبر١٩٣٤.و صدى الصحراء .عيشة الحريم في الجزائر. ع١٧,١٨، ٥/ أكتوبر١٩٣٤

503 الفتى الزيباني. ما هي الثمرة المرغوبة والفائدة المطلوبة من تعليم البنت المسلمة الفرنسوية. الأمة، ع٥٥

ونلاحظ عموما أن الإصلاح لم يعرف منافسة تذكر من طرف تيار التجديد في هـــذه البيئـــة المحافظة، خاصة إذا علمنا سطحية المطالب الاجتماعية التي ظلت تنادي بها مختلف الحركات النـــسائية الاشتراكية، النصير الوحيد لمثل هذه المطالب في الجزائر، وتخوف المجتمع الجزائري المسلم من الانتماء الشيوعي لها المهدد لعقيدته الإسلامية.[٥٠٤]

٣- محاربة التجنيس التفرنج والإلحاد:

تعود ظاهرة الإلحاد في الدين إلى انتشار الثقافة الغربية بين أوساط الـــشباب المتـــأثر للتعلـــيم اللاديني والمحروم من الرعاية الدينية الكافية، وفي رأي المصلحين فقـــد ســـاهم العلمـــاء الجامـــدون والطّرقيون في ارتماء أطفال المسلمين في أحضان الإلحاد.

و لم يخرج الزيبانيون عن المنهج الذي وضعته جمعية العلماء لمحاربة الإلحاد، وهو الشرح للعامة مطابقة الدين مع العلم والعقل والمدنية، وطرق تحبيب الدين للأبنـــاء وأســـس التربيـــة الـــصحيحة الناجحة[٥٠٥]

ورغم عُزلة المنطقة إلا أننا نجد أن جرائدها الإصلاحية كانت تترصّد كـــل طـــارئ علـــى مستوى الأفكار، فتصدّت **صدى الصحراء** للهجوم الذي شنّه المستشرقون علـــى الإســـلام أمثـــال **آشيل**، وردَّت عليه بكتابات مُستشرقين مثله. كما قامت **البرق** بالرد على جريدة **لاديباش دالجـــي**، التي نشرت مزاعمها حول حرية وسعادة إحدى السيدات التونسيات، تمرّدت على القوانين العُرفيـــة

[23] - Aouimer (Mouloud). Le militarisme féminin dans l`Algérie des années 30, les fédérations Algériennes des femmes socialistes. Revue historique maghrébine, N97, 98, pp22, 23

[505] الإبراهيمي. السجل. ص ٧١

والدينية الإسلامية، ففنّدت **البرق** رأيها، وحذّرت من تأثر بنات المسلمين بمثل هذه الأفكار الخطيرة.[٥٠٦]

و لم يتوانَ الزاهري في كشف خطط المستشرقين الهادفة لضرب الإسلام، وتلفيق النقائص له. ولعل قصة الصحفي الفرنسي الذي أُوفِد إلى بسكرة مثال على ذلك لذا عجَّ كتاب الزاهري "الإسلام في حاجة إلى دعاية" بفضح خططهم، وإبراز فضل الإسلام على أوربا وعلى الإنسانية كلها.

وأنجعُ حلٍّ في نظر المصلحين، وعلى رأسهم الزاهري الذي تخصص في الموضوع هو نشر الإسلام بواسطة النخبة المتفرنسة، وذلك بتعليمها دينها، وإنشاء معهد إسلامي لها، وبمحاربة الطرقيَّة ومظاهر الدروشة التي تدفع بأبناء المسلمين للهروب إلى الحضارة الغربية.[٥٠٧]

واستطاع التفرنج والتجنس أن يُظهِرا أهداف الإصلاح على حقيقتها، ويدفعاه للإبانة عن موقفه من الوجود الفرنسي في الجزائر ومن المتعاونين معه والمتحمسين له، فالمولود الزريبي – مثلاً– يُندِّد في إحدى قصائده بالنخبة الجزائرية المتفرنجة المتعاونة مع الإدارة الفرنسية ،ويهددها ببراءة الدين الإسلامي من أفعالها ومن انتمائها للدين أصلا، فيقول في أبيات منها :

قومٌ أعاروا للسياسة جانبا ولكن أمام الدين أضحوا عواريا

وإن عرفوا كل اللغات وجاوروا فرنسا وزاروا لندنا وايطاليا

وكذلك الهادي السنوسي الذي ردّ على المتأثرين بالحضارة الأوربية الراغبين في التجنس بقوله:"وفاتهم أننا إذا ما انسلخنا عن جنسيتنا احتضر الباقي من لغتنا التي لا حياة لنا بغيرها، وودّعنا

---

[506] صدى الصحراء .مهمة الإسلام، إفلاس الحضارة الغربية. ع١٠، ٨ فيفري١٩٢٦.و كذلك : البرق .التفرنج الآثم. ع٤، ٢٨ مارس١٩٢٧.وأيضا ع٧، ١٨ أفريل١٩٢٧

[507] الزاهري. الإسلام في حاجة... ص ص٣٢ و١١٧

الإسلام وداعه الأخير وقطعنا الصلة بيننا وبين أبنائنا وأجدادنا الأكرمين، ودون هذه الاشياء الـــثلاث راضين الموت الزُّوءام" .[508]

وعلى صفحات **الإصلاح** أُثير نقاش رفيع المستوى حول التجنس والتفرنج، شارك فيه كبـــار المصلحين الباحثين من الزيبان وغيرها (أمثال العمـــودي، والميلـــي، والعقـــبي، والمـــدني، وعيـــسى الزهار(ترجمان)) ،وقد أثار ردود فعل مختلفة لأنه نقاش تمتع بتحليل قانوني وديني وحضاري.

فدعا العمودي – مثلا– إلى فتح نقاش جدي حول التجنيس الجماعي، لأن التجنيس الفـــردي – حسبه–:" لا يعود بالخير العاجل ولا الآجل على الأمة، وإني من ألد أعداء التجنيس الفردي لأنِّـــي أُسيء الظن بكل من التجأ إليه، وأحسبه خادما لأغراضه الشخصية، صارفاً نظره تماما عـــن مـــصالح إخوانه في الدين والوطن". فالعمودي يميز بين نوعين من التفرنج، التفرنج العام الذي هـــو إقتـــداء الشرقي بالغربي في عدد من أمور الحياة، أما التفرنج الخاص فهو تخلّـــق المـــسلم العـــربي بـــالأخلاق الإفرنجية، وتقليده الفرنجة في العوائد واللباس والمعاش، لا فرق بين حسن ذلـــك وقبيحـــه. ويظهـــر العمودي معتدلا عندما يميل إلى أن التفرنج العام أحسن وأنفع من التفرنج الخاص، وهذا لما لـــه مـــن علاقة بوسائل الرقي والنهوض والسير في جادة الخير والسعادة ولاستحالة منع الاحتكاك بين الأجناس (التفاعل الحضاري) خاصة إذا كان التفاوت كبيرا، ولهذا يدعو العمودي كل مصلح إلى أن: " يميـــز بين الحسن النافع من أمور المقتدى به ليَحُثّ على اكتسابه، وبين القبيح السيئ منها ليأمر باجتنابـــه"، فَهو– كما نرى– يقف موقفا وسطا بين الجامدين الرافضين لكل جديد بدعوى أنه بدعـــة، وبـــين المتفرنجين القائلين بأن :" المدنية العربية ماتت موتا حقيقا وأنّ من العبث محاولة إحياء الموتى". [509]

---

[508] الهادي السنوسي. شعراء الجزائر. ص١١٣

[509] العمودي. الإصلاح وقضية التجنيس. الإصلاح، ع٦، ٢٤ أكتوبر١٩٢٩.و أيضا:الميلي. الاصلاح. ٦ فيفري١٩٣٠ .وأيـــضا: (المنصور) المدني. بين الموت والحياة. الإصلاح، ع١٣، ٢٧ فيفـــري١٩٣٠، و كـــذلك الزهـــار(عيـــسى). الإصـــلاح. ع٧، ٧ نوفمبر١٩٢٩

وانطلاقا من القاعدة الفقهية "سدّ الذرائع" حارب المصلحون ظاهرة الزواج بالفرنسيات رغم جواز ذلك شرعا، وهذا لاعتبار هذه الظاهرة منفذا للحضارة الأوربية والتفسخ والجناية على الأبناء فيما بعد، وإن كان هذا خاصا بالنخبة والعمال الجزائريين في فرنسا، وظل زواج الدكتور سعدان من سيّدة فرنسية حديثَ العامّ والخاص في الزيبان، ثم في الجزائر كلها، ولخص العمودي هذا الموقف الإصلاحي في شعر هزلي، تحوّل إلى سلاح فعّال ضد سعدان وجماعة النخبة والنواب فيما بعد، يقول العمودي:

حيّي الطبيب ولا تنسَ قرينتَه فهُو سليمان والمدامُ بلقيس
له غلامٌ أطال الله مدتَه تخاصم فيه العربُ والفرنسيس
لا تعذلوه إذا ما خان مِلَّته فنصفُه صالحٌ والنصفُ موريس[٥١٠]

ومن جهة أخرى كتب العقبي في افتتاحية **البصائر** في سنة ١٩٣٧ محرما التجنس وكل أشكاله، بقوله: " التّجنيس بمعناه المعروف في شمال إفريقيا حرام، والإقدام عليه غير جائز بأي وجه من الوجوه....،ومن استحلّ استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من أحكام الشرع الإسلامي فهو كافر مرتدٌّ عن دينه بإجماع المسلمين".[٥١١]

وقد تدعمت محاربة المصلحين للتجنيس بصدور فتوى جمعية العلماء الرسمية بتحريم التجنس بالجنسية الفرنسية وسد كل الطرق المؤدية إليه في سنة ١٩٣٨،فقد حرمت الزواج بالفرنسيات رغم أنهن كتابِيَّات، بحجة أن أبناءهن يأخذون الجنسية الفرنسية بمقتضى القانون الفرنسي.[٥١٢]

---

[510] يذكر محمد الصالح رمضان أن العمودي وسعدان كانا صديقين حميمين وإنشاء هذه الأبيات كان للمداعبة لكنها أخذ مجرى آخر بعد اشتهارها على كل لسان، شهادة الشيخ للباحث في مترل الشيخ بالقبة.الجزائر.

[511] العقبي. مكمن الصرعية في التجنيس والمتجنسين. البصائر، ع٧٧، ٣٠ جويلية١٩٣٧

[512] رمضان.جمعية العلماء ودورها. ص٣٦٠.و أيضا:البصائر. ع٩٥، ١٤ جانفي١٩٣٨

٤- الاهتمام باللغة العربية والتاريخ:

رأى المصلحون أن النهوض باللغة العربية والتاريخ هو الحل لحماية المجتمع من التفرنج والتجنيس، فشرع العقبي منذ وصوله في تدريس كتاب "الجوهر المكنون" للأخضري ،وهو في البلاغة، وشرع في تكوين الشعراء أمثال محمد العيد، ومحمد السعيد الزاهري، والأمين العمودي، وعلي بن عمارة البرجي.، كما عقد ندوة أسبوعية للشعراء في بسكرة.[٥١٣]

واستغل المصلحون مختلف المناسبات من أعراس ومآتم...إلخ، لعقدِ المناظرات الشعرية في مجال الإصلاح،كما تمّ تكريم الهادي السنوسي في سنة ١٩٢٧ بمناسبة طبعه كتابه الأدبي " شعراء الجزائر".وقام محمد خير الدين بتنظيم مسابقة شعرية في جريدة **الإصلاح**.كما تمّ تخصيص ركن "**مجاني الأدب**" في جريدة **الإصلاح** للمحاولات الشعرية.

وكلُّ الجرائد الإصلاحية كتبت في أهمية اللغة وقدسيتها باعتبارها حاملة للدين وحافظة للتاريخ. وكل هذا كان بهدف حماية المجتمع من التفرنج، وربطه بالأمة العربية والإسلامية. [٥١٤]

أما التاريخ فمثّل وسيلة نفسية وعملية للنهوض والارتباط بالمشرق بدل الغرب، لأن رجال الإصلاح –ككلٍّ- كانوا لا يرون تقدما للمجتمع بغير المقومات الأساسية، من دين ولغة وتاريخ، فكان التركيز – شعرا ونثرا- على فكرة الإحياء والحنين للماضي المجيد للأمة.[٥١٥]

---

[513] فضلاء (محمد الطاهر). الطيب العقبي. ص ص ١٤٠، ١٤١.ومريوش. مرجع سابق... ص٦٥. أما علي بن عمارة البرجي (١٨٩٥-١٩٣٣) .فهو مصلح من برج بن عزوز قرب طولقة، حاصل على التطويع من الزيتونة عام١٩٢٥ ،تكون على يد العقبي ومحمد خير الدين في بسكرة.

[514] انظر: الإصلاح. جائزة محمد خير الدين لشعراء الإصلاح. ع٢، ٥ سبتمبر١٩٢٩. وأيضا: الإصلاح. ركن في سبيل الأدب وحب العرب. ع٧، ٧ نوفمبر١٩٢٩.وكذلك آل خليفة(محمد العيد). صدى الصحراء. ع ٧، ٤ أكتوبر١٩٢٠.وأيضا: العقبي (عبد الغني بن رابح). رفقا بفتاة يعرب وقحطان. البرق، ع٥، ٤ أفريل١٩٢٧

[515] الركيبي(عبد الله). الشعر الديني الجزائري الحديث. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، ١٩٨١، ص٥١٦

ومن مظاهر الإحياء في الزيبان المخطوط الذي كتبه عبد المجيد حبّة "قيدُ الأوابد من حياة خالد" أي خالد بن سنان العبسي. ويكفي أن نعرف الترحيب الذي خَصّت به **الإصلاح** كُتبَ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر،وقرطاجنة ،وتاريخ شمال إفريقيا ،وكذلك كتاب الميلي "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"،والإطناب في وصف هذه الكتب وأبوابها وتوفيرها بمقر جريدة **الإصلاح**،والقضية ليست تجارية فحسب،كما أن رابطة جمعية العلماء لم تكن تجمعهم في هذه الفترة بعد، مما يؤكد أهمية التاريخ في التصور الإصلاحي لزعماء الإصلاح بالزيبان[٥١٦]،ولهذا ينصح السنوسي أبناء قومه بدراسة التاريخ في قوله :

ربّوا صغاركم على تاريخهم ذكراهم تشفي الفتى المفؤودا

وتُريكم تلك العصور وأهلها وتُريكم مجدا هناك مجيدا

تاريخكم هو الذي يُعطيكم درسا بليغا صالحا ومفيدا

فاستخرجوه ولا تقولوا قد عَفا فالتبرُ تِبرٌ لا يحُور صديدا

والمتأمِّل في قصيدة السعيد الزاهري"ويح الجزائر" التي نظمها بمناسبة طبع السنوسي لكتابه "شعراء الجزائر"، يُدرك قوة الشعر في إبراز الوطنية والغيرة على الأمجاد:

هل كان في هذي الجزائر شاعر يبكي على الآباء والأجداد

فيهيج شجوا في القلوب وعبرة تهمي على أبناء عبد الواد

وعلى تلمسان التي كانت تتيه بعلمها تيهاً على بغداد

ويُذكّر النشء الجديد بما مضى للناصرية من هدى ورشاد

فتهُز فتيان الجزائر نخوةٌ للمجد من ذكرى بني حماد

---

[516] انظر العدد ٣ من الإصلاح. ١٢ سبتمبر١٩٢٩

إني لأذكر آل رستم والذي كانوا به من سؤدد وسداد[٥١٧]

٥- الدعوة إلى الوحدة:

٥-١ على مستوى المجتمع:

بفعل الظروف الاقتصادية والاجتماعية القاسية استفحل الولاء للقبيلة، وزادت الأنانية، فانتشر السلب والنهب والعداوة، خاصة حول الأراضي الفلاحية لقلة الماء والكلأ وضيق فرص العمل وانتشار الجهل.[٥١٨]

كما عملت الإدارة الاستعمارية على إفساد العلاقة بين الإباضية (الميزاب) والعرب المالكية والشّاوية (بربر الأوراس) ببسكرة في عدة مناسبات حول قضايا تجارية أو زراعية أو مذهبية...إلخ، ولكن التدخل الدائم للشيخ محمد خير الدين عن العرب، وعيسى بن عمارة خبزي عن الإباضية الميزاب، إضافة إلى عبد الرحمن بَرْكات وفطناسي مداني وبركات العراقي..، كان يفشل هذه المؤامرات بفضل تشكيلهم جماعات للصُّلح تتولى حل المشاكل الطارئة.[٥١٩]

وإذا كان كتاب الهادي السنوسي "شعراء الجزائر" إنجازا أدبيا، فقد رأى فيه الميلي وجها من وجوه الوحدة الوطنية بين مختلف أبناء الوطن الواحد، فقدَّمه للقراء بقوله:"...لقد كان قبل اليوم الجزائري الميزابي لا يمد يده إلى الجزائري غير الميزابي، والجزائري غير الميزابي لا يصافح أخاه الميزابي، وكلٌّ يسبح في فلك خاص به، أما اليوم فقد تعارف أدباؤنا جميعا واتحدوا –ولله الحمد- تحت اسم الجزائر".[٥٢٠]

---

[517] الهادي السنوسي. شعراء. ج٢، ص ص١٧٤، ١٩٨

[518] La défense .Sidi Okba pays de soif.n163,10 Septembre1937

[519] شهادة محمد خبزي للباحث في منزل خبزي بالفرارة.

[520] انظر مقدمة الجزء الثاني من شعراء الجزائر.

وتركيز المصلحين وتشبثهم بالوحدة الوطنية يعود –ربما– إلى إدراكهم المخططات الفرنسية لتقسيم البلاد، فيذكر السعيد الزاهري أنه تجادل مع أحد الفرنسيين حول قضية الانتماء وأن العرب غير البربر أهل البلاد الأصليين، فردّ عليه الزاهري بأن له أربع عشر(١٤) جدا، وُلدوا ودفنوا كلهم بالجزائر، بينما هذا المعمر الفرنسي له جدٌّ واحد هاجر من ألمانيا إلى فرنسا ومنها إلى الجزائر، وهُم يُطالبون بالجزائر الفرنسية :"فأيُّهما أحق بالوطن من له أربع عشر (١٤) جدّا أم من له جدّ واحد؟ ".وكتب الهادي السنوسي إلى أبي اليقظان بمناسبة صدور جريدته **وادي ميزاب** سنة ١٩٢٦:

وليس لنا إلا الجزائر موطن ترابك فيها واحد وترابي [٥٢١]

كما عالج المصلحون ظاهرة استفحال القتل والمشاجرات، وأبرزوا أسبابها الحقيقية التي لا تخرج عن الظروف الاقتصادية القاسية، وعدم تمكّن الإيمان من نفوس الفاعلين، وذكّروا الأهالي بردْع الشرع لها، لما تُسبّبه من مخاطر على الفرد والمجتمع من خلافات شخصية وقبلية، فكتبت **الإصلاح** : "..وما سبب ذلك إلا الجهل والفقر، ولو كانت الأكثرية في الأمة عالمة عاملة بفهم قوله تعالى: "ومن يقتل مؤمنا..." لو فهموا معنى هذا في دينهم الذي ينتسبون إليه لما حصل التساهل في قتل الأنفس البريئة بغير حق، واستحلال ما حرم الله لمجرد الطمع في استيلاب قليل من المال...".[٥٢٢]

وعموما فقد ساعد الإصلاحَ في هذه النقطة عاملان اثنان، هما قوة زوايا المنطقة التي ساهمت في حلّ كثير من المشاكل الطارئة، والطابعُ القبلي الموحد –لحدٍّ ما– في المنطقة مما أسهم في التحكم فيها.

٥–٢ على مستوى الوحدة العربية والإسلامية:

[521] الزاهري.الإسلام. ص، ص ١١٣.و خرفي. صفحات من الجزائر. ص١٠٠

[522] الإصلاح. جرائم القتل. ع٣، ١٩ سبتمبر١٩٢٩.وأيضا: بن رويحة (السعيد). حادثة قتل بأولاد جلال.البرق، ع٥، ٤ أفريل١٩٢٧

من حسن حظ الإصلاح الزيباني أنه لا يوجد تعارض بين ماهو عربي وما هو إسلامي مثلما هو الحال في لبنان ومصر وسوريا، خاصة أن فترة العشرينات والثلاثينات عرفت وصول موجة القومية إلى باقي البلاد العربية بعد ظهورها في نهاية القرن التاسع عشر في المشرق العربي.

وقد أثّر العقبي بفكره القومي في المنطقة، خاصة أنه من روُّاد الفكر القومي الذي كلفه النفيَّ وعائلته من الحجاز إلى الأناضول، وجعله يؤيد الشريف حسين بعد ذلك، ويتولى تحرير جريدة **القبلة**، وبهذا ربط المجتمع الزيباني والجزائري ككل بأحداث العالم العربي، وهو ما يذهب إليه الأستاذ أبو القاسم سعد الله بقوله: "...والواقع أن الإصلاح قد خدم الاتجاه العربي في الجزائر من عدة جوانب، وكلها تصب في النهاية في مصب واحد هو خدمة الأمة العربية، وعلى المدى البعيد خدمة الحضارة الإسلامية...،فنشر التعليم العربي والصحافة العربية وإحياء التاريخ والدفاع عن العروبة وربط الجزائري بأحداث المشرق كلها تدخل تحت هذا الإطار".[٥٢٣]

وتزعّمَ السعيد الزاهري الكتابة في الوحدة المغاربية، فكتب في **الوزير** التونسية سنة ١٩٢٩ مقاله "إلى الوحدة المغربية" الذي أكّد فيه أن وحدة المغرب لن تتحقق سوى بالإصلاح الإسلامي،فكتب: "...أليس ذلك كلُّه كافٍ في أن يكون من هذه الأمم المتناثرة (تونس والجزائر ومراكش) أمة مغربية ملتئمة، تدين بدين الإسلام وتتخلق بخلق القرءان وتهتدي بهدي الرسول(ص)، ذلك الأمر يسير غير عسير لو أن الكتاب والشعراء والقادة والصحفيين يعالجون الأمراض الاجتماعية في هذا المغرب بالإصلاح الإسلامي"، وإلحاحا منه في توحيد الصفوف كتب بحثا مُطوّلا حول عروبة البربر نشره على صفحات **المقتطف** المصرية. [٥٢٤]

---

523 سعد الله. الاتجاه العربي في الحركة الوطنية الجزائرية. ص ص ٢٧، ٢٨

524 خرفي. محمد السعيد. ص ص١٢، ١٤

ومن مظاهر تقوية البعد العربي الإسلامي ربط الصلات والمراسلات مع زعماء التيار العربي وتبادل الجرائد والمقالات معهم، وأهم هذه المظاهر على الإطلاق قضية فلسطين، التي أخذت حصة الأسد من حيث الكتابات والتفاعل مع أحداثها.[٥٢٥]

٦- النهوض بالمجتمع اقتصاديا:

تَفرّدت **البرق** بين الصحف الإصلاحية الزيبانية بإدراج مواضيع اقتصادية تهمّ المجتمع وتطوره وتشجعه لاقتحام العالم الاقتصادي، فنشرت سلسلة للمولود الحافظي الأزهري بعنوان **فوائد الاقتصاد**، كتب في إحداها:" ونحن إذا راجعنا برنامج هذه الصحف الخمسة نجدها متقاربة في أغراضها التي يجمعها أمر الإصلاح الداخلي السياسي والوطني والديني غير أن الأخيرة (أي **البرق**) امتازت عنها بإدخالها المباحث الاقتصادية في برنامجها كما جاء في المقالة الافتتاحية، وهذه خطوة من خطوات الحياة الصحافية الجزائرية جادت بها التجارب الفنية في سير الصحافة في تقديم الأهم على المهم".[٥٢٦]

وفيما عدا هذا لا نجد تحمسا كبيرا لهذه الفكرة باستثناء إشارات مناسباتية، رغم الأثر الذي تركه الميزابيون في المولود الزريبي أثناء ترأسه تحرير جريدة **الصديق**، حيث كتب عدة مواضيع حول البعد الاقتصادي وإصلاحه ودوره في رقي الأمة، وردَّ على من يدعون للكسل والاعتكاف في المساجد والقنوع بالقليل بأن الزهد الحقيقي هو:"طمأنينة في القلب لا كسل في الجوارح". [٥٢٧]

---

[525] Ali Merad.opcit.pp313,314.وأيضا: الإصلاح. فظائع الصهيونية في فلسطين،الاكتتاب الاكتتاب الغوث الغوث. ع٩، ١٢ ديسمبر١٩٢٩

[526] الحافظي(المولود). فوائد الاقتصاد (ج٢). البرق، ع٨، ٢٥ أفريل١٩٢٧.انظر: أيضا ع٧، ١٨ أفريل١٩٢٧.وع ١٠، ٩ ماي١٩٢٧.وع ١١

[527] انظر الزريبي (المولود). الحالة الراهنة. الأمة، ع ٩، ٨ نوفمبر١٩٢٠.وأيضا: الأمة .تقدم الأمة بتقدم تجارها. ع٤٣، ١ سبتمبر١٩٢١

وكان الهادي السنوسي جريئا عندما نادى بكسر احتكار الأوربيين لتجارة التمـــور(الدقلـــة) بإنشاء الزيبانيين شركات وجمعيات مُنوِّها في هذا المقام بالميزاب الذين استطاعوا منافسة الأوربـــيين اقتصاديا. [٥٢٨]

٢- وسائل الإصلاح الاجتماعي:

١- شُعب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

تُعتبر شُعب جمعية العلماء مظهرا متقدما ورسميا من الإصلاح،ووسيلة فعالة تتمتع بالاعتماد مما يجنبها المضايقات التي يتعرض لها إنشاء الجمعيات والنوادي وغيرها.

أ- شعبة بسكرة:

ظهرت شعبة بسكرة بعد أقل من سنة من ظهور جمعية العلماء وظهور توجههـــا الإصـــلاحي الحقيقي، وهذا في جانفي ١٩٣٢، بإشراف رئيس الجمعية، الذي أدّى زيارة مجاملة لنائب رئيس بلدية بسكرة وشيخ العرب بوعزيز بن قانة والشيخ بن عزوز بن الشيخ المختار شيخ زاوية أولاد جـــلال، وهذا لتذليل الصعوبات أمامها وشرح أهدافها ومبادئها.ويجب أن نلاحظ أن أغلب أعـــضائها هـــم مُدرِّسون بمدرسة الإخاء كالشيخ محمـــد خـــير الـــدين ومحمـــد إبـــراهيم الطرابلـــسي وبلقاســـم الغسيري...بينما كانت رئاستها للأمين العمودي كاتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. [٥٢٩]

[528] الهادي السنوسي. بسكرة. الشهاب، ع١٤.وقد قام هو بتأسيس شركة لتجارة التمور بالجزائر.

[529] الشهاب .ثلاثة أيام ببسكرة. فيفري ١٩٣٨

وهكذا ربطت الشعبة منطقة الزيبان بحركة جمعية العلماء ونسّقت العمل معها، وعرّفت بها **وبالشهاب والبصائر** والجامع الأخضر...،وعكست تبرعاتُ الزيبانيين في مناسبات مختلفة دورَ هذه الشعبة ونشاطاتها المختلفة.[٥٣٠]

وبحكم وقوعها في عاصمة الزيبان ظلت هذه الشعبة تشكل أهمَّ شعبة في الزيبان، حيث تمارس تأثيرها على المدارس والكشافة والنوادي..في المنطقة،وقد تولّى رئاستها في الأربعينات عبد الرحمن بركات.

ب- شعبة برج بن عزوز:

تأخر ظهور شعبة برج بن عزوز إلى سنة ١٩٤٨، بسبب العراقيل الإدارية ومضايقتها، وربما يعود هذا لقوة الطّرقية وقربها من زاوية طولقة، أو لقلة عدد السكان بها أصلا، وقد تأسست برئاسة الطاهر بن المولود، وبإسهامٍ خاصٍّ من نائبه المراقب العام عبد الحفيظ جلاب، وعُرفت بعلاقتها الوطيدة مع الكشافة (**فوج الرجاء**) التي تأخر ظهورها أيضا بسبب تداعيات مجازر ماي ١٩٤٥ .[٥٣١]

ج- شعبة طولقة:

ترأس شعبة طولقة مدير مدرسة طولقة الإصلاحية عيسى معتوقي، بمساعدة أحمد فرحات جلاب كاتبا، وأحمد بن تمام عضوا، ولعل تأخر ظهورها من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٥٢ يعود إلى

---

530 انظر: الشهاب. عدد خاص بجمعية العلماء المسلمين أوت ١٩٣٤.وأيضا:الشهاب. جويلية ١٩٣٤.وكذلك:الشهاب. نوفمبر ١٩٣٤

531 الكاتب العام هو أحمد بن جلاب، ونائبه أحمد بن عمارة، وأمين المال الحسين بن الشكري، ونائبه المبروك بن الأحرش، أماالأعضاء المستشارون فهم مصطفى بن خنفر، وأحمد بن عطية، والعربي بن أحمد بن الأعجال، ومحمد العقون بن خنفر، وأحمد بن الجنيدي.انظر العزوزي(الحفناوي). تأسيس شعبة برج بن عزوز. البصائر، ع٦٣، ١٠ جانفي١٩٤٩. أما عبد الحفيظ جلاب(١٨٩٨-١٩٥٦) فدرس بالزاوية العثمانية، وتأثر بالعقبي والزريبي وابن باديس وعلي بن عمارة البرجي، كما عرف بأناشيده الوطنية الإصلاحية.للمزيد انظر:الخلدونية. ع٤، مارس ٢٠٠٥، ص ص ٢٦، ٢٧

وجودها قُرب زاوية طولقة "قلعة الرحمانية"، التي تمثل وزنا كبيرا في المنطقة وخارجها، ولكن تأسيسها -رغم عدم فعاليته- إلا أنه يمثِّل انتصارا كبيرا للإصلاح في منطقة طولقة المحافظة .[٥٣٢]

٢- الجمعيات والنوادي:

عَرفت الزيبان وجود بعض الجمعيات إلا أنها كانت فاقدةً للفعالية، مثل "الجمعية الإحسانية الإسلامية" ببسكرة التي ترأسها بوعزيز بن قانة، وقد دخَلها المصلحون طمعاً في أن تُؤدي دورها المطلوب، كإعانة الفقراء والأيتام والأرامل وتجهيز الموتى، وكان من أعضائها العمودي كاتبا عاما، والحاج الشاوي، وعبد الله المراوي..إلخ.[٥٣٣]

ويمكن القول أن الدعوة إلى إنشاء الجمعيات كانت محتشمة وغير واضحة ولا ناضجة سياسيا، رغم انطلاق عدد من الدعوات نحو تشكيل حزب أو جمعية دينية إصلاحية، مثلما فعل العمودي والعقبى، وكذا الزاهري الذي عرض برنامج عمله على الشيخ عمر راسم، أما العقبي فقد كتب في ركن "متمنياتي" **في الشهاب** داعيا الأدباء إلى إنشاء اتصالات علمية بينهم، لتقوية الروابط العلمية والتصدي لوشايات المفسدين ونمائم المغرضين.[٥٣٤]

ومن أهم الجمعيات جمعية "**مدرسة الشبيبة والتعليم ببسكرة**" [٥٣٥]، وجمعية "**إعانة الفقراء** "التي تأسست في سنة ١٩٣٦ بإشراف وتوجيه من سعدان، ورئاسة خير الدين ونائبه عبد الرحمن مليكي، قد استطاعت القيام بنشاطات عديدة كتمثيل المسرحيات وتنشيط الحفلات، مثل حفلها بمناسبة ليلة السابع والعشرين من رمضان، في ١١ديسمبر ١٩٣٦ . [٥٣٦]

---

[532] البصائر. ع١٨٤.والعدد١٩١.والعدد١٢٢

[533] الصديق.الجمعية الإحسانية الإسلامية (بسكرة). ع١٥، ٣ جانفي١٩٢١

[534] العقبي.متمنياتي، الإصلاح الديني. الشهاب، ع٦، ١٧ ديسمبر١٩٢٦.وأيضا:العقبي. متمنياتيي. المنتقد، ع١٦، ١٥ أكتوبر١٩٢٥

[535] انظر الفصل السابق.

[536] La defense.n129,18 Decembre1936

ورغم أن العقبي كان يشرف في العاصمة على "**الجمعية الخيرية الإسلامية**" منذ سنة ١٩٣٣ إلا أنه لم ينقل هذه التجربة الرائدة إلى مسقط رأسه الزيبان، رغم بقائه مدة طويلة على رأسها؟ وكذا محمد العيد آل خليفة في مدرسة **الشبيبة الإسلامية**، وأبوبكر جابر الجزائري في منظمة "**شباب المُوحِّدين**"، ولهذا برزت النوادي أكثر من الجمعيات ربما لصعوبة الحصول على الرُّخَص والدعم المالي اللازم لها.[٥٣٧]

ويوضِّح الإبراهيمي دور النادي في العمل الإصلاحي في قوله: " النوادي الإسلامية التي نؤسسها أو نشرف عليها هي وسطٌ بين المدرسة وبين الجامع، لأن هناك طائفة عظيمة من شباب الأمة لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغهم دعوة الدين والعلم إلا في تلك النوادي".[٥٣٨]

ويذهب الأستاذ علي مرّاد إلى أن ازدهار النوادي ونجاحها يعود إلى أنها تنشئ الشباب في جو اجتماعي وثقافي وأخلاقي، وفي فضاء حر خاضع لسلطة روحية، كما أن تعدد هياكلها يجذب عددا أكبر من الشباب (توفر قاعة الاجتماعات، والمكتبة، والتمثيليات، والندوات.والمقهى،والملعب..)،كما أن طابع الحرية هو الذي جعلها أكثر تحررا من الأحكام والضوابط عكس المدارس والجمعيات[٥٣٩].ومن أهم النوادي في الزيبان:

- **في القنطرة**: اشتهر نادي **الهدى** الذي تأسس في نوفمبر ١٩٣٢، مع مدرسة **الهدى**، وأيضا نادي **السعادة** في سنة ١٩٣٤ ، والذي أُغلق في ماي ١٩٣٧، وعُوض بنادي **الثبات** الذي وقع تحت رقابة وتأثير المصلحين في المنطقة.

---

[537] Zouzou. L`Aures. t2, p960. .وحول دور العقبي في "الجمعية الخيرية" بالعاصمة ودور محمد العيد في مدرسة "الشبيبة". انظر مريوش، مرجع سابق. ص٤١٠. وحول دور أبي بكر جابر الجزائري انظر عويمر(مولود). حركة شباب الموحدين من خلال جريدة القبس. البصائر (الجديدة)، ع٨٦، ٤-١١مارس٢٠٠٢

[538] محمد البشير الإبراهيمي. البصائر. ع١٠، ٢٥ جويلية١٩٤٧

[539] Merad.opcit.p267

وهذا إضافة إلى نادي **التوفيق** في دوار جمورة الذي تأسس في نوفمبر ١٩٣٧، ونادي **التقدم** في منعة في نوفمبر ١٩٣٧ ونادي **الاهتداء** في غسيرة..إلخ. [٥٤٠]

ونجد في المنطقة نوادٍ متعاطفة مع المصلحين وجمعية العلماء، مِثل نادي الشباب الذي تأسس في جانفي ١٩٣٥ والذي دعّمه المصلحون بمعلمين لتدريس التلاميذ فيه،حتى بلغ عددهم سبعين (٧٠) تلميذا، وكذلك نادي الشبان المسلمين الذي تأسس في مارس ١٩٣٧ ، والجمعية الثقافية الإسلامية ببسكرة المدعَّمين والمتعاطِفين مع الإصلاح في المنطقة.[٥٤١]

٣- الكشّافة:

بتأثيرٍ من أبناء الزيبان الناشطين في قسنطينة والجزائر...(أمثال محمد الصالح رمضان، الحفناوي هالي، محمد العيد، بلقاسم الغسيري...)،وتحدِّيا للكشافة اليهودية والفرنسية واللائكية تأسس ببسكرة فوج كشفي مسلم سنة ١٩٣٩ ، وهو تابع لفوج **"الرجاء"** بقسنطينة، وقد حصل على اعتماده في ٢ جانفي ١٩٤١ ،تحت الرئاسة الشرفية للدكتور سعدان، أما مُرشده فهو علي مرحوم،وقد انضمّت إليه أسماء إصلاحية فيما بعد، أهمها محمد العابد السماتي.[٥٤٢]

وساهمت الكشافة في تكوين الشباب تكوينا دينيا وتربويا هاما ،ثم اتجهت إلى العامة بالأناشيد

---

[540] Zouzou .L`Aures. t2, pp957. نقلا عن ٩٥٨ ..9H16AOM.9H46

[541] ibid. p960.

[542] عرفت الجزائر الكشافة الأوربية اللائكية، والكشافة الفرنسية الكاثوليكية، والكشافة الاتحادية الفرنسية(الإصلاحية)والكشافة الإسرائيلية الفرنسية.وبتأثير منها ومن الكشافة المشرقية والمغربية والتونسية، وبرعاية خاصة من الإصلاح ظهرت الكشافة الإسلامية الجزائرية على يد محمد بوراس في ١٩٣٥ انظر: Merad.opcit,p267 .وأيضا:بوعمران (الشيخ) و الشيخ(محمد).الكشافة الإسلامية الجزائرية ١٩٣٥-١٩٥٥ .دار الأمة،الجزائر،ط١ ،١٩٩٩ .،.وكذلك: رمضان (محمد الصالح).إسهاماتي في الكشافة الإسلامية.المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية،العصر،الجزائر، ٢٠٠٣ ، ص٢٣.وحول كشافة الزيبان انظر أيضا: زردوم(عبد الحميد). الكشافة في بسكرة(١٩٣٠-١٩٦٢). ترجمة عثمان دلباني، مطبعة المنار، بسكرة الجزائر، دط، مارس ٢٠٠٥، ص٣١

الوطنية والدينية والمسرحيات في القاعات والمخيمات وحتى الشوارع، لنشر الوعي التاريخي ولمعالجة طرابلس، والزواج المحتّم،والسوق السوداء،والطب،والتجارة..إلخ.[٥٤٣]

وأخذت الكشافة في التوسع في مختلف مناطق الزيبان منذ سنة ١٩٤٨ ،مثل تأسيس فوج سيدي عقبة ، بقيادة محمد يزيد، وفوج شتمة،بقيادة مداني بوزاهر، وفوج ليانة ،بقيادة مداني بوزاهر أيضا، وفوج طولقة ،بقيادة حواجلية بلقاسم، وفوج أولاد جلال، بقيادة السماتي عبد الوهاب، وفوج فلياش، بقيادة بن رحمون.

ورغم أن الكشافة الجزائرية انقسمت في سنة ١٩٥١ بين كشافة مُناصرة لجمعية العلماء ، أو مُناصرة لحزب الشعب الجزائري، إلا أن نشاطها الإصلاحي والوطني استمر على وتيرته، خاصة إذا علمنا أن كلّ فوج كشفي كان يضم حوالي مئة وخمس (١٠٥) أعضاء في الظروف العادية.[٥٤٤]

٤- المسرح:

يعود ظهور أول فرقة مسرحية أهلية في منطقة الزيبان إلى سنة ١٩٢٩ ،وهي جمعية "**المستقبل الفني**"، وكانت برئاسة الدكتور سعدان ومساعدةِ وجوه إصلاحية مثل الشيخ محمد العابد السماتي وبركات العرافي..إلخ.،وقد ضمّت خمسا وعشرين(٢٥) عضوا من أبناء المنطقة.

وشكّل إحياء اللغة العربية عامل ترابط بين مختلف الفرق المسرحية على اختلاف إيديولوجياتها ،لذا شاع تقديم المساعدات المتبادلة فيما بينها، كما أن أغلب مسرحيات هذه الفرق هي مسرحيات تاريخية، مما جعل المصلحين يوظفونها في إصلاحهم رغم اختلاف الانتماء كما ذكرنا، ومن أشهر هذه الفرق فرقة "**الشباب العقبي**" لشباح المكي (شيوعي)، وفرقة "**الحياة**" التي قدّمت مسرحية بلال بن

---

[543] شهادة الطاهر القصوري للباحث في منزله ببسكرة نقلا عن مخطوط كتبه سنة ١٩٦٣.والطاهر القصوري من مواليد بسكرة ١٩٣٢،انخرط في كشافة الرجاء ١٩٤٤، شارك في كثير من هذه المسرحيات ،وهو في فرع العمداء حاليا.

[544] زر دوم. الكشافة... ص٣٥

رباح" ،ومسرحية "حنبعل الإفريقي" التي كلّفتها سجنَ أحد أعضائها ستة شهور، وفرقة "**الاتحـــاد**" لعلي مرحوم ومحمد العابد السماتي، وفرقة "**الأمل**" التي ضمت مصلحين كثر، وقـــدّمت مـــسرحية "صلاح الدين الأيوبي" التي حققت انتشارا واسعا. [٥٤٥]

واستفادت الحركة الإصلاحية من المسرحيات التي ألَّفها الأديب المصلح أحمد رضا حوحـــو مثل "غادة أم القرى" سنة ١٩٤٧ ،ومسرحية "مع حمار الحكيم" ســـنة ١٩٥٣...،وهـــي قـــصص اجتماعية هادفة، نال صاحبها – بفضلها– شهرة واسعة في الحجاز والجزائر.[٥٤٦]

ويذكر السيد محمد خبزي أنه حضر مسرحية إصلاحية ببسكرة بمناسبة المولد النبوي، تناولت محاربة مظاهر الطرقية بأسلوب ساخر ،حيث استعمل ضرب الدف وإحـــراق البخـــور والطـــواف والرايات الملونة، مما أدى إلى نشوب شجار بين الطرقيين الحاضرين والمصلحين.[٥٤٧]

٥–الأناشيد:

مثَّلت الأناشيد وعاءً إيديولوجيا، تُبثُّ من خلاله أفكار الوطنية والقومية واللغة والدين في نفوس الناشئة، ولسهولة حفظ المنظومات الشعرية عظمت أهميتها كرد فعل بدورها، فيبيِّن السنوسي دورها بقوله:"... وللأناشيد في الأمم شأن يذكر، فهي الوتر الذي تهيج به وطنية الوطني، وهي المزمار الذي تخشع له النفوس وترقص له الألباب، وهي التي تحمل الجندي على اقتحام الموت الأحمر في يوم الهـــول الأكبر تفانيا في الدفاع عن الشرف والحوزة"[٥٤٨]،وقد انتعشت الأناشيد في بدايـــة الثلاثينـــات مـــع الكشافة والمدارس التعليمية متأثرة في هذا بتونس ومصر...،وهذا بعدما ملأت الأناشـــيد الفرنـــسية

---

[545] زر دوم. الموسيقى والمسرح في بسكرة. ص ص٣٢، ٤٠

[546] خرفي. شهيد الثورة..... ص ٤٦

[547] شهادة محمد خزي بمنزله بالفرارة،غرداية

[548] الهادي السنوسي. شعراء. ص١٠٥

الساحة، ويبرز لنا هنا كتاب محمد بن العابد الجلالي "الأناشيد المدرسية لأبنـــاء وبنـــات المـــدارس الجزائرية" الذي لعب دورا هاما، خاصة بعد طبعه وتوزيعه في سنة ١٩٣٩،واشـــتهار قـــصة تـــأليف الكتاب بأنها جاءت بعد تأليف محمد بن العابد الجلالي أنشودة عربية لتلميذاته بعدما وَجدَهن يرُددن أناشيد فرنسية.[٥٤٩]

كما قلّد محمدا العابد الجلالي في وضع الأناشيد لتلاميذه الشاعرُ المصلح أبوبكر مصطفى بـــن رحمون مع بداية الخمسينات، وأيضا محمد الصالح رمضان ،وعبد الحفيظ جلاب..إلخ.ومـــن أشـــهر الأناشيد المتداولة في هذه الفترة الأناشيد المصرية والتونسية واللبنانية ،وكذا الإصلاحية الوطنية مثـــل: من جبالنا ،موطني، بلادي بلادي،حيوا إفريقيا، رغم أنف العدا نحن قوم عرب. [٥٥٠]

وهكذا نجد أن الإصلاح الزيباني قد استفاد من حركة جمعية العلماء على المـــستوى المركـــزي، كما أنه لم يخرج في وسائله عن الوسائل التي صاغتها إدارة جمعية العلماء، وإذا كانـــت المحافظـــة في المنطقة عاملا سلبيا في الإصلاح الديني ،فإنها كانت إيجابية في جوانـــب كـــثيرة منـــها الإصـــلاح الاجتماعي، والأمر ذاته ينطبق على البناء القبلي والطابع الريفي اللذين ساعدا على تمكن الإصلاح في حال تبني منطقة ما له، وهذا لما للعلاقات الاجتماعية من قوة في المنطقة، كما أن الجرأة في التجديد لم تكن ملموسة بدليل ما رأينا من عجز فعليٍ أمام تطوير المرأة والنهوض بها، وعدم استثمار قوة أبنـــاء الزيبان في جمعيات وهياكل ونوادي وصحافة جمعية العلماء في تأسيس فروع لها بالمنطقـــة بالقـــدر الكافي.

---

549 ونيسي(زهور). شهادة تلميذة من مدرسة حرة. الشهاب الجديد، مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس،قسنطينة،الجزائر، العدد٣، أفريل ٢٠٠٤

550 برز محمد الصالح رمضان في وضع الأناشيد الكشفية والوطنية والهزلية الخفيفة،للمزيد انظر كتابه :إسهاماتي في الكشافة الإسلامية. وأيضا شهادته للباحث.

ثانيا– في ميزاب:

١– المظاهر:

١– محاربة الآفات الاجتماعية:

– محاربة إهمال تربية الأبناء:

برزت الجرائد اليقظانية بعنايتها عنايةً خاصة بالمسائل الاجتماعية ، ومنها تربية الأبناء ، فألقت اللوم على الآباء وحدهم في هذه الآفة المنتشرة في ميـــزاب وغيرهـــا، لأنهـــم منـــشغلين بالمقـــاهي والمجالس...، وسلكت في معالجتها للموضوع طريقة المقارنة بالمجتمع الأوربي واليهـــودي، فكتبـــت **وادي ميزاب** في أحد أعدادها:"...ترى شبان المسلمين جموعـــا جموعـــا يتلاعبـــون ويتلاكمـــون ويتطارحون ويتسابقون في مسح الأحذية، وشبان الأوربين والإسرائيليين يتخطون المناهج (الشوارع) ذهابا وإيابا، متأبطين محافظهم من الديار إلى المدارس أو العكس" ،وهذا في مقابل أنك ترى :" كهول المسلمين وشيوخهم قد اكتظت بهم المقاهي ومجالس اللهو واللعب يقتلون فيها وقتهم الثمين في أبخس شيء وأخسه، من لعب القمار والانهماك في التدخين وثلب أعراض النـــاس، في حـــين أن كهـــول الآخرين وشيوخهم مشتغلون بإدارة المعامل و المصانع وشؤون البلاد".[٥٥١]

ورأى أبو اليقظان الظاهرة بأنها جناية كبرى تتطلب العلاج، حيث شرعت **وادي ميـــزاب** في نشر مواضيع حول تربية الأبناء ومخاطر إهمالهم في ركن "تربية " ،وأضافت أن الإهمال لايعني فقـــط تركهم دون دراسة ومراقبة، بل وضعهم في يد المُربِّيات الفاسدات هو خطأ فادح لا يغتفر[٥٥٢]،كمـــا

---

[551] وادي ميزاب .الأمل داعية العمل. ع٤١، ٢٢جويلية ١٩٢٧

[552] واجب الآباء نحو الأبناء.وادي ميزاب. ع١٩، ع٢٠. وأيضا:أسماوي (حم بن صالح). ما على الآباء نحو أنفسهم وأهليهم. وادي ميزاب، ع١١، ١٠ ديسمبر ١٩٢٦

رأت أن التربية تعني عملية مركبة تتناول التربية الصحية والنفسية والفيزيولوجية والأخلاقية،وأخذت في نقل المقالات العالمية حول الموضوع ونشرها.[٥٥٣]

ومن جهتها قامت مجلة **الشباب** بالكتابة حول تربية الأبناء، والاهتمام بهم من خلال الاهتمام بالأم، وتنشئتهم وفق خطة مدروسة أساسها تعاليم الشريعة الإسلامية.[٥٥٤]

ويبدو أن المصلحين قد استفادوا من الكتب التربوية المشرقية التي وصلت المدارس الإصلاحية فوظفوها ونشروا أفكارها على الجرائد وفي المدارس الإصلاحية.

– محاربة المفاسد الاجتماعية:

شكّل البغاء والخمر والقمار أساس المفاسد المنتشرة في ميزاب ،والوافدة عليه بحكم الاحتكاك بالأوربيين في شمال البلاد، لذا نجد كما هائلا من المقالات التي تتكلم عن الموضوع. وهو ما قصده عبد الرحمن بكلي (البكري) عندما كتب محذرا من هذه الآفات بقوله :"...أَمْ بأنهار الخمور التي تتدفق على أوطانكم دراكا؟ فتزرع فيها الجنون والمجون وتفسد العقول والفطر، وتُفقر القلوب من التقوى والجيوب من المال...أم بجيوش المُومسات التي تَرِد على بلادكم زرافات ووحدانا لتنشف ماء شبابكم وتقصف أعماركم وتزرع جراثيم السفليس (الزهري) في دمائكم والتفليس في جيوبكم؟ وتُقرض نسلكم وتجر بناتكم الطاهرات إلى مستنقعات الرذيلة وتجرِّدكم من الدين والشرف

---

553 أ، مليكة. جناية الآباء على الآباء. الأمة، الأعداد ٣٣.و ٣٤.و ٣٩.و ٤٠.و ٤١.وأيضا: إنما الأمم الأخلاق. الأمة. نقلا عن صوت الحجاز. وأيضا: الأمة. نبوغنا الضائع وكيف يجب حفظه واستثماره. ع٤٠.وأيضا: الأمة.عوائق جديدة لأعباء جديدة. ع ٤٠.وكذلك: الأمة .إذا أردنا أن نكون رجالا علينا أن نعتني بأبنائنا. ع٣٩ نقلا عن صوت الحجاز.وكذلك: الأمة.أحسنوا رعاية الشبان أيها الرعاة. ع٥٢،ع ٥٣ .٢ ديسمبر١٩٣٥

554 إبراهيم (تاعموت). نشأة الطفل الميزابي. الشباب، ع١٢، دون تاريخ، ١٩٥٠.وأيضا: بافلح (محمد بن عيسى). الأم مدرسة إذا أعددها. الشباب، ع٤، ١٧ مارس١٩٤٧.وكذلك:صغير (محمد)، ما هي التربية. الشباب، فيفري ١٩٤٧

والرذيلة؟...تأتي الواحدة منهن فقيرة في رعابيل، ثم لا تلبث أن تملك من المصوغ ما تقصر عنه ثروات كثير من أغنيائكم الذين أفنوا أعمارهم في الاغتراب والاكتساب". [٥٥٥]

رأى الإصلاح الميزابي أن سبب الفقر والجوع والانحطاط السائد هو الخمر والفجور والقمار، لذا ابتكر طريقته لعلاج هذه المظاهر، وهذا بإنشاء :"...الجمعيات لمقاومة ما كان هو السبب الرئيسي للفقر والجوع ألا وهو الخمور والفجور والقمار وسائر أنواع الإسراف والبدع"، ورغم إشادة جريدة **وادي ميزاب** بتجربة "الجمعية الإسلامية لمقاومة الكحول" بالجزائر العاصمة، إلا إنها لم تستطع تأسيس فرعٍ لها بميزاب رغم إقرارها بذلك:"...ولكن إلى حد الآن لم نسمع بتأسيس جمعية واحدة لمقاومة إحدى الموبقات المذكورة، المُخلة بالدين والشرف والآداب المُهلكة للحرث والنسل". [٥٥٦]

وإضافة إلى إبراز المآثم الشرعية والأخطار الاجتماعية لشرب الخمر شرعت الجرائد الإصلاحية في تبيين أضراره الصحية ورَأي العلم فيه مما أكسب بحوثها مصداقيةً أكبر لدى الشباب المُتأثر بالحضارة الأوربية التي عايشها في تجارته بالشمال. [٥٥٧]

ونظرا لتشدّد المذهب الإباضي فقد ابتهج المصلحون بمنع السلطات الفرنسية للعسكريين الأهالي من شرب الخمر وطالبوا بتعميمه، كما أخذ شرب التبغ نصيبَه من الدراسة والمحاربة بواسطة آراء العلماء والفقهاء. [٥٥٨]

---

555 بكلي (البكري). مسيرة..، ص ٣٦٠

556 وادي ميزاب. نظرة في تأسيس الجمعيات الخيرية. ع٢٥، ٢٥ مارس١٩٢٧.وأيضا العدد ١٩

557 بنوري (محمد).الشباب في ميزاب. الشباب، س١، ع٧، ٢١ أفريل١٩٤٣.بابا عيسى. الشباب الميزابي. الشباب، س٢٠، ٢ أفريل١٩٤٦.كراوة (عمر). شرب الخمر. وادي ميزاب، ع٩، ١٢ ماي١٩٤٣.قاسم بن الحاج عيسى. الاعتناء بالصحة واجب. وادي ميزاب

558 النور. فعل محمود لو يقع تعميمه. ع٧، ٢٧ أكتوبر١٩٣١. وأيضا: وادي ميزاب .التبغ وفائدته ومضاره.. ع٦٨ (نقلا عن العرفان).وكذلك: وادي ميزاب. أنا والمدخنون. العدد ٦٣، ٣٠ ديسمبر١٩٢٧

وبالنسبة لظاهرة البغاء فقد عرفت تركيزا وتشديدا كبيرين عليها من خلال الوعظ والمناسبات والصحافة التي تناولتها بأسلوب علمي واجتماعي، فدرست أسبابها ومظاهرها ونتائجها وبحثت في حلولها ومخاطرها.

وندّد مصلحو القرارة بانتشار البغاء بين مُسلِميها، فإذا كان الأمر منتظرا من الحي اليهودي بالبلدة، فكيف يكُون في البيوت المسلمة؟ لذا كتب أحدهم مُستغرِبا: " ...وكيف تكُون الخافية المواخير ملأى بنساء الأحرار الميزابيات يهواهن الأجانب والمستعمرون"، لذا لجأ المصلحون بواسطة العزابة إلى تعزير كل ميزابي يتواجد بالحي اليهودي، كما اقترحوا تسليط سلاح " البراءة " بصرامة على الفاعلات من الميزابيات. [٥٥٩]

واستعان المصلحون بما كانت تنشره جمعية "**الهداية الإسلامية**" بمصر، والتي قدّمَت – في إحدى المرّات –طلبا للسلطات المصرية بمنع البغاء "الفاتك بالأمة المنافي للأخلاق والشرع"، و أيدت جريدة **الأمة** مقترحاتها بالقضاء عليه، بواسطة تشجيع الزواج المبكر وتيسيره للشباب وتشجيع الموظفين المتزوجين وتحديد المهور، وفي المقابل تشديد الرقابة على الأماكن المشبوهة، وتأسيس ما يعرف بشرطة الأخلاق [٥٦٠]،كما نقلت **الأمة** اجتماع ومداولات وفد "الاتحاد النسائي" في مصر ضد ظاهرة البغاء. [٥٦١]

ومن الحلول التي نادى بها المصلحون ضرورة القضاء على العزوبية وخفض المهور والسماح للمرأة الميزابية بالسفر مع زوجها إلى خارج ميزاب، وإبطال قراري العزابة في سنة ١٨٩٩ و في ٢٨

---

559 طباخ (نوح). البغاء وأثره في الأمة. الشباب، ع٢٧٩، ٢١ جويلية ١٩٣٨.وأيضا شهادة الشيخ بالحاج بن الشيخ للباحث.

560 الأمة. البغاء، مضاره وأخطاره. ع٣٤. وأيضا:العدد ٣٥.انظر كذلك: الأعظمي(نعمان). البغاء. الأمة، ع٣٠.وكذلك:الأمة.كلمات في البغاء.ع٣١.وكذلك:الأمة.أضرار البغاء. ع٣٢.وأيضا: الأمة.مشروع قانون مكافحة البغاء في القطر المصري(نصه). ع٣٨

561 الأمة، ع٣٤.وكذلك: وادي ميزاب. الرقص والبغاء من بقايا التوحش والهمجية. ع١٢، ١٧ ديسمبر١٩٢٦

مارس ١٩٢٨ الذي يحرم عليها السفر[٥٦٢].كما خصصت **الشباب** عددا كاملا خاصا للزواج[٥٦٣]،وتكلمت **المغرب ووادي ميزاب** في خفض المهور وفوائده، وتبنّت اقتراح معاقبة الداعين لرفع المهور أوّلا، ثم معاقبة المخالفين للالتزام بخفضها.[٥٦٤]

ولعل إدراج الشيخ بيوض هذه القضية في مذكرته إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية سنة ١٩٤٤ يُعبر عن مدى خطورتها في نظر الإصلاح الميزابي، حيث طالب فيها بإلغاء دُور البغاء ومنع الميسر وبيع الخمور وفتح الحانات. [٥٦٥]

٢-الدعوة إلى الاهتمام بالمرأة:

تميّزت الحركة الإصلاحية في ميزاب بإشراك المرأة بشكل أكبر من غيرها من المناطق رغم المحافظة الشديدة، فكانت المرأة الميزابية تحضر دروس المسجد، وصلاة التراويح والأعياد.

وتعكس لنا مجلة **الشباب** صراعا محتدما بين تيارين من الأفكار، تيار يدعو إلى تحرير المرأة وتعليمها لكن بتحفظ ظاهر، فيدعو إلى أن تكتفي بأخذ ما يهمها من أمور دينها وتربية أولادها[٥٦٦].بينما يدعو تيار آخر إلى الاقتداء بالأوربيين، الذين علموا المرأة الطب والفلسفة

---

562 معمر (علي يحي). الإباضية في الجزائر. ج٢، ص٥٦.و آعوشت .تاريخ بني ميزاب.ص١٦٠

563 ابن أفلح. الزواج وأثره في الفرد والمجتمع.الشباب. ع٨، جويلية١٩٤٥.وأيضا:الزعباطي محمد بن أحمد. في سفر المرأة الميزابية. الشباب، عدد٢٥ أفريل وعدد ٩ ماي ١٩٤٦.الشباب .العازب. عدد٢٨جوان ١٩٤٦

564 الميلي.عادة التجارة في مهور الجنس اللطيف في جل القرى الجزائرية وبيان علاجها.المغرب، ع٢٢. وأيضا:وادي ميزاب. ع١٠٨، ٢٨ نوفمبر١٩٢٨

565 بن العقون (عبد الرحمن بن إبراهيم). الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الثانية(١٩٣٦-١٩٤٥). المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، دت)، ج٢. وأيضا: بكلي (البكري). مسيرة. ص ٢١٢

566 هلالي (عمر).تعليم المرأة. الشباب، ع٣٧٠، ١٦ جويلية١٩٤٢

والهندسة،فكتب أحدهم :" أما فتاتنا اليوم فهي جثة هامدة وصخرة جامدة لا تدرك للحياة معنى...كأنها ما خلقت إلا لينتفع بها على ماهيتها كآلة تديرها الأيدي..". [٥٦٧]

وصوّر المتحمسون للنهوض بالمرأة أوضاعَ المرأة الميزابية في صورة قاتمة، فهي – برأيهم- في حالتها هذه ، لا تصلح إلا لأن: "تمسك المغزل وتكون عن المدرسة بمعزل"، لذا توجب الاهتمام بها وإعادة تربيتها، وتخويفها بسلاح البراءة أمام جهلها لأمور الدين ،جهلا وتهاونا وخجلا، وانخراطها في البدع والخرافات والتقليد ،حتى إنها عجزت عن تطوير آلات النسيج التي ورثتها عن جداتها. [٥٦٨]

وظلّ تعليم البنات يعتمد على التلقين في منازل المصلحين، وهو الذي استفادت منه قريبات المصلحين،أو كان يتم في منازل المصلحات- وهو الأقل- أمثال زوجة الشيخ عمر بن يحي..إلخ.وبدأ بعض المُربين بتعليم البنات بشكل فردي، وتثقيفهن بأسلوب حديث (صرف، نحو، فقه)، أمثال راس النعامة عمار، والشيخ أحمد بن الحاج موسى بابا عمي، وإبراهيم بن علي العساكر الذي فتح مترله منذ ٢٢ جوان١٩٤٧ لعدد من البنات في بريان إلى سنة ١٩٥٣ ،لينتقل إلى جمعية الفتح التي واصلت هذا المشروع. [٥٦٩]

ومن جهة أخرى لم يتقبل مصلحو ميزاب الإشاعات التي كانت تُروّج حول المرأة الميزابية، من أنها حبيسة ومضطهدة ومنغلقة، لذا فهي تعيش في جو الخرافات والمفاسد. فبيّنوا أنها تحيا في تشريعات الإسلام ونقائه من السفور والتبرج...،وهذا بعدما كتبت إحدى الأوربيات حول هذا الموضوع، وأيضا الكاتب الفرنسي قواشون، فبيّن أبو اليقظان أن من حقوق المرأة الميزابية أن تشترط على من

---

[567] الناصري. تعليم البنات. ٢ أفريل١٩٤٦. وأيضا:الزعباطي (حسان). تعليم البنت. الشباب، عدد ٢٨ جوان١٩٤٥.وكذلك:خطارة (إبراهيم). نتائج وأضرار تعليم البنت. الشباب، ع١٨، ٢٨ جويلية١٩٤٣

[568] ابن أفلح. المرأة الميزابية. الشباب، ع٢٨ مارس١٩٤٦ .وكذلك :ابن أفلح. المرأة الميزابية في طفولتها. الشباب، ع٢٨ مارس١٩٤٦.أيضا: الشباب.إليك أيتها الفتاة. ٢٠ جانفي١٩٣٦.وبيوض (بن بكير بن عم). حول المرأة الميزابية. الشباب. ع٣١٧، مارس ١٩٤٠

[569] الواهج. المرأة في المجتمع الميزابي. ص ص ٦٣، ٦٨

ترضاه زوجا لها أن لا يتزوج عليها ضرَّة أو سرية، وأن لا يغيب عنها أكثر من عامين، وأن لا يزني، وأن لا يشرب الخمر والتبغ، وأن لا يترك الصلاة.[٥٧٠]

ورفض المصلحون أيضا دعوات سفور المرأة، فكتب أبو اليقظان – ردًّا على سيّدةٍ أوربيةٍ تدعو المرأة المسلمة إلى نزع حجابها – بأن مسألة السفور: " ليست مسألة جمود وحركة...وإنما هي مسألة تديُّن وتجرد، عفاف وهتك، عقل وطيش، وحملة هذه فتنة من فتن أوربا خدعت بها أغرار المسلمين لينصرفوا عن واجباتهم الدينية والوطنية الحقيقية".[٥٧١]

كما تصدى لدعوة الطاهر الحداد في كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" الذي يدعو فيه إلى تحرير المرأة قائلا عنه أنه :"مَحشوا سما وإلحادا في الإسلام وتزييفا وضلالا في الدين".[٥٧٢]

– الحجاب:

ظلت الصرامة والتشدد الميزتان السائدتان في الإصلاح الإباضي، حيث لم يذهب به الحماس إلى أن يتنازل ويأخذ بما ذهب إليه الإصلاح في الشمال، فموقفه من الحجاب (التقليدي) ظل على حاله، فَردًّا على تساهل أحد المصلحين في موضوع الحجاب، وأنه يعود لتربية المرأة ومناعتها وقناعتها، رفض مصلحو ميزاب ربط الحجاب – الذي هو فرض – بقضية التقدم أو التخلف.[٥٧٣]

وكتب عبد الرحمن بكلي (البكري) في هذا الصّدد: " أما الحجاب الساري المفعول في الشمال سيما في هذا العهد الأخير، إذ انتشرت الروح الإسلامية من ستر الجسم كلِّه إلا الوجه

---

570 الأمة. محمومة تهذي حول ساحة المرأة الميزابية. ع٤٤، ١ أكتوبر١٩٣٥.والعدد ٤٥، ٨ أكتوبر١٩٣٥.وكذلك:أبو اليقظان. احترام العوائد المحلية. وادي ميزاب، ع١٠٠، ١٤ سبتمبر١٩٢٨

571 وادي ميزاب.ع٤٢، ٢ مارس١٩٢٨

572 أبو اليقظان. المغرب. ع٢٥، ٢٨ نوفمبر ١٩٣٠.ع٣٣، ١٢ فيفري١٩٣١

573 وادي ميزاب .ما هكذا الدفاع عن الحجاب. ع١١٩. ١ فيفري ١٩٢٩ . تأبط شرا. أردنا نصيحة فأراد فضيحة .ج١.وادي ميزاب، ع ٧٠، ١٧ فيفري١٩٢٨

والكفين، فلا أقول أنه حجاب غير شرعي، ولكن شكل ميزاب أسْتر وأبْعد عن الفتنة، والوقاية خير من العلاج" [٥٧٤]

ويختصر لنا البكري فلسفة الإصلاح الميزابي في الاهتمام بالمرأة وهدفه في قوله: "لولا وظيفة الأمومة التي تصرفهن عن مواصلة التعليم لتكونت منهن أيضا بعثات، وحسْبنا من تعليمها أنها إذا أصبحت أما قامت بدور الزوجة الصالحة، وأحسنت تربية ولدها وشجعته على التعليم، وراقبت سيرة أُولى مراحل حياته". [٥٧٥]

فالإصلاح الميزابي يميل إلى تكوين البنت بما يخدمها في دينها، ويُعدّها لتكوين أسرة مسلمة ومجتمع قوي باعتنائها بزوجها وتربيتها لأبنائها تربية سليمة.

٣- محاربة التجنيس والإدماج:

ظل الميزابيون على موقفهم من عدم الاختلاط بالفرنسيين سواء في ذلك المحافظين أو المصلحين، بل إن المحافظين رفضوا دعوة المصلحين بانضمام ميزاب للمجلس الجزائري الذي يؤدي- في رأيهم- إلى فقدان ميزاب لأحواله الشخصية .

ورغم تطابق الإصلاح الميزابي مع جمعية العلماء، وعضوية أبي اليقظان في جمعية العلماء، إلا أننا نجد أن جريدة **الأمة** قد بقيت حذِرةً من مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان ١٩٣٦ ،الذي طالب بإلحاق الجزائر رأسا بفرنسا، وذكَّرت الوفد المسافر إلى باريس بافتتاحية عنوانها :"حذار من الانحدار في هُوّة الاندماج"،ووضحت خطر مطلب الإلحاق بفرنسا، مُحذِّرة الوفد من أن: "يُقدِّم ماحقُّه التأخير، ويؤخِّر ما حقُّه التقديم، ويعظّم ما حقه التصغير، ويصغّر ما حقه التعظيم...، ولا يعلم

[574] الواهج. مرجع سابق. ص٦٨

[575] يطو. مرجع سابق. ص٢٠٢

ماذا يقصد ولا ماذا يريد؟، ففي أمثال هذه الظروف تظهر الحنكة وقِيَمُ الرجال من أشباه الرجال"[٥٧٦]،وكان أبو اليقظان قد كتب منذ سنة ١٩٢٨ بأن المسلم المتجنس بالجنسية الفرنسية هو مرتدٌّ عن الدين،وهي الفتوى التي لم تصدر عن العقبي وجمعية العلماء إلا في آخر سنة ١٩٣٧ .[٥٧٧]

٤- محاربة التفرنج والإلحاد:

وبالنسبة للموقف من التفرنج والإلحاد فقد برزت الشيوعية كجبهة من أهم جبهات الصراع ،وهذا بحكم دفاعها عن الشعوب المضطهدة، واعتلاء "**الجبهة الشعبية**" سدَّة الحكم في فرنسا سنة ١٩٣٦ ،مما أدى إلى إعجاب الشباب الجزائري بها، ومِنه الشباب الميزابي في شمال البلاد، وهو الأمر الذي جعل إبراهيم اطفيش يُبدِي تخوُّفه منها، خاصة عندما علِم بتحمس أحد مترجمي ميزاب الشباب للشيوعية، فراسل أبا اليقظان بكثير من الرسائل في الأمر، داعيا إياه إلى مراقبة هذا الشاب وزجرِه، لأن اليسار(الشيوعية) مهما دافع عن المسلمين، فهو حركة إباحية،يقول اطفيش: "إن المسلم – مُطلقا- يستحيل أن يعتنق الفكرة الشيوعية، فكيف بالإباضية وهم من أشد الناس تعلّقا بالإسلام وأرسخهم فيه، فمما لا يقبله العقل أن يجمع المسلم الراسخ بين عقيدة الإسلام وعقيدة الإباحيّة "[٥٧٨].وكتب آخرون مع انتشار الشيوعية خلال الحرب العالمية الثانية مبينين مخاطرها، وزيف ادعاءاتها "العدالة" و"المساواة"، وسمَّوها "المادية" و"الإباحية"، وحذَّروا الشباب الميزابي منها سواء في شمال البلاد،أو حتى في جنوبها، لذا كتبت مجلة **الشباب** كثيرا في الموضوع.[٥٧٩]

---

576 الأمة. حذار من الانحدار في هوة الاندماج. ع ٨٢.وأيضا: الأمة. العلماء أعداء الاندماج وأنصار وحدة إفريقيا الشمالية. ١٩ جانفي١٩٣٧

577 أبو اليقظان. وادي ميزاب. ع٧٠، ١٧ فيفري ١٩٢٨

578 ناصر. الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي. ص ص ١١٥، ١١٧

579 ابن سعيد. الشيوعية في الجزائر. الشباب، س١٩، ع٤١٧، ٥ مارس١٩٤٥.وكذلك: الشباب. الحزب الشيوعي. عددان، ٢٤ ماي ١٩٤٦.وأيضا:مسلم صميم. الشيوعية هي العدو فاحذروها. الحياة، ع١، ١ أفريل١٩٣٣

وبالنسبة لمحاربة مظاهر التفرنج وادعاء التجديد، فقد فجَّرت كلمة الشيخ بيوض التي انتقد فيها الشباب الجزائري المتأثر بالحضارة الأوربية بقوله: "يسبحون بحمد أوربا" نقاشا حادا، فاعتبرها المؤرخ الفرنسي جوزيف ديبارمي المتخصص في الإصلاح الجزائري بأنها تُعبر عن تطور فكري هام داخل الحركة الإصلاحية الجزائرية، وبأنها دعوة صريحة للشباب الجزائري للتحول من الطابع الغربي إلى الأصول المشرقية (أي العربية الإسلامية).[٥٨٠]

ورغم ما لقيته شخصية مصطفى كمال أتاتورك من تأييد من قبل المصلحين الجزائريين في أول الأمر، إلا أن أبا اليقظان والشيخ بيوض لم يُخفيا معارضتهما لطريقة تجديده، ولتحمس الشباب الجزائري له، فكتب أبو اليقظان في **وادي ميزاب** في سنة ١٩٢٨ قائلا: " وقد تولى قيادة الكتائب مصطفى كمال وأشياعه في الأناضول، فبدأ أولا بإلغاء الخلافة الإسلامية من أصلها، ثم ثنّى بإعلان اللاتينية، وتبديل أحكام الإسلام بأحكام سويسرية، ثم هبَّت هذه الزوبعة في مصر يثيرها علي عبد الرزاق وطه حسين وسلامة موسى...وأصبح دعاة التجديد يُحدِثون كل يوم حدثا في الإسلام، من عدد الزوجات إلى الطلاق إلى الحجاب إلى الإرث إلى التجنيس إلى الطعن في القرءان واللغة العربية"[٥٨١]

والتجديد المقبول عند المصلحين هو التجديد الذي: "يُعنَى بطريق وسط في التجديد للتوفيق بين الشريعة الإسلامية وضروريات العصر الحاضر"[٥٨٢] ، وليس التمدن الممسوخ القائم على تقليد الأجنبي في كل شيء ،وهو ما استنكروه بشدة ،فكتب عبد الرحمن بكلي(البكري) :"خاضوا غمار هذا المعترك الجب المملوء بقتام المفاسد قبل أن يعدوا للكفاح عدته، فالتفعوا بالتمدن الممسوخ بمباراة

580 أفلح.عبرة وذكرى في الأزمة الوزارية.المغرب، ع٣٠، ٢٣ ديسمبر١٩٣٠. ناصر. رحاب القرءان. ص١٠

581 أبو اليقظان. وادي ميزاب، ع٣٢.وأيضاع٨٨، ٢٢ جوان١٩٢٨.وكذلك:المغرب، ع٣٢، ١٣ جانفي١٩٣١

582 رشدي. الإسلام وأنصار التجديد. وادي ميزاب، ع٨٦، ٨ جوان١٩٢٩

الملتفعين به،فاستباحوا حمى الدين وهتكوا ستره،قلدوا الأجنبي في كل شيء فاسد وعادة سافلة من أنواع الترف والسرف والتهتك والاستهتار والانغماس في حمأة الفجور والخمور، وعموا عن تقليده في الأمور وفي الأسباب التي جعلته مسيطرا عليهم قابضا على زمام أهوائهم يقودهم إلى مواطن الذل والهوان". [٥٨٣]

كما تصدوا لما كتبه الطاهر الحداد في كتابه "**امرأتنا**" بشراسة كبيرة، ربما لارتباط الميزابيين بتونس أكثر من غيرهم من الجزائريين، فأجمعوا على اعتباره قُنبلةَ إلحادٍ. [٥٨٤]

والإلحاد في نظر المصلحين الميزابيين يعود إلى المدارس الفرنسية لهذا حذّروا من مناهجها، ودَعَوا إلى ضرورة مراقبة الأبناء وما يدرَّس لهم، كإنكار وجود الخالق والتشكيك في القرءان، وتهوين عدم صوم رمضان... فيشبُّ الشباب على رؤية الإسلام : "دينا خرافيا خياليا شرقيا، دينا قديما لا يلتقي والمدنية الصحيحة في طريق ولا يجتمع معها في مضيق، فأصبحت (الناشئة) ترفع عقيرتها بالزيغ والإلحاد وتدعو بملء فيها إلى الاندماج والفناء "، أما موقف الناشئة المعرَّضة للإلحاد من اللغة العربية: " فتتباهى بجهل لغتها، وترى الإدمان على دراستها جمودا وغباوة والتخاطب بها حطة ودناءة "، كما أنها جهلت تاريخها المجيد :" فإذا جهل الناشئ تاريخ أجداده ودينهم وأخلاقهم وعاداتهم ماتت من نفسه روح الوطنية والقومية وهجر دينه...،وتلك أقصى غاية يسعى إليها الاستعمار بكل طاقة وجهد، وقد نال بغيته من ذلك في القطر الجزائري حيث ترى كثيرا ممن تخرّج من تلك المدارس و لم

---

583 سعيد. نظرة في حالة شبابنا المتمدنين. وادي ميزاب، ع١٩، ١١ فيفري١٩٢٧.أبو اليقظان. رحلتي إلى الجنوب.وادي ميزاب، ع٢٣، ١١ مارس١٩٢٧

584 المغرب. قنبلة الإلحاد في تونس وانفجارها في الفضاء أو كتاب امرأتنا لسي الطاهر الحداد. ع ٢٥. ١٨ نوفمبر١٩٣٠. دون إمضاء، صفعة جديدة على قفا الحداد وأشياعه وأتباعه. المغرب. ع٣٢. ١٣ جانفي١٩٣١

تسبغهم الثقافة الإسلامية....أصبحوا فرنسيي النزعة والخلق والثقافة، فلما قضى وطره من الجزائر التفت إلى ميزاب وأراد أن يسير فيها على السنن التي سار بها في الجزائر وينحو ذلك المنحى".[٥٨٥]

٥- الاهتمام باللغة العربية:

ربط الميزابيون بين اللغة العربية والإسلام وتاريخهما، باعتبار هذه العوامل هي وسيلة الوقوف أمام محاولات تغريب أو مسخ المجتمع المسلم، و لم يخدعهم عمل السلطات الاستعمارية والمستشرقين وجمعياتهم على بعث لغتهم المحلية (البربرية) وتاريخهم القديم.[٥٨٦]

واهتمام الميزابيين باللغة العربية يعود إلى اعتبارها مفتاح العقيدة، وانطلقوا من المناداة بالنهوض بها إلى وضع وسائل هذا النهوض، من نشر المقالات حولها ونقل التراث العربي المنشور في الصحف المشرقية كأعمال الرافعي وأحمد محرم وأحمد شوقي..إلخ.، ثم شجعوا كل إنتاج فكري وأدبي (شعري ونثري) باللغة العربية، وطالبوا بالمساواة بين اللغتين العربية والفرنسية.

ومثّل إنشاء "المطبعة العربية" أهم دليل على هذا الاهتمام، طالما أن الهدف الأساس من تأسيسها هو: "إحياء اللغة العربية ونشرها بين الأوساط الأهلية التي على سعتها وكثرتها كاد يتقلص ظل هذه اللغة منها " كما يقول صاحبها.[٥٨٧]

وفي سنة ١٩٣٦ طالب أبو اليقظان من لجنة البحث البرلمانية التي زارت الجزائر بترسيم اللغة العربية ومساواتها بالفرنسية وحرية الصحافة العربية.[٥٨٨]

---

585 الشباب. الخطر بالباب يهددنا ونحن نائمون. ع٧٧، ١٦ أوت١٩٢٩.والعدد ٧٨، ٢٣ أوت١٩٢٩. والعدد ٨٠،٥ سبتمبر١٩٢٩

586 اتجهت كثير من الجمعيات إلى البحث في تاريخ المنطقة في العهد الروماني وربطها بأوربا مثل جمعيات معلمي أهالي الجزائر ورابطة الفرنسيين والجمعية الكاثوليكية ومجلة صوت المستضعفين وصوت الأهالي..انظر: Ageron.histoire de l`Algerie.pp318/319.وأيضا يسلي (مقران).الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (١٩٢٠-١٩٥٤.ماجستير (مخطوطة)،معهد الفلسفة،الجزائر،إشراف بوعمران (الشيخ)،١٩٩١

587 المغرب. بشرى لكم يا عشاق العربية. ع٣٣، ١٢ فيفري١٩٣١.والأمة، ع٣٣،وكذلك: العمراوي (المكي بن إدريس). تطور اللغة العربية وأسباب نموها. الأمة، ع٧٥، ١٩ ماي١٩٣٦

كما كرّس المصلحون الاهتمام بالعربية كوسيلة لفهم الدين والحفاظ على القـــرءان وحمايـــة المجتمع، وطالما أن للوسيلة حكم المقصد فقد وجب – في نظر المصلحين - علـــى البربـــر (ومنـــهم الميزاب) اعتبار اللغة العربية كاعتبارهم للإسلام. [٥٨٩]

ويبدو أن الميزاب قد وُفِّقوا في التعامل مع لغتهم العرقية إلى جانب لغتهم الدينية، وهو نجاح يتشابه والنجاح اللغوي لدى الفُرس، بل إنه يتفوّق عليه كثيرا، وقد عكست لنا مجلة **الشباب** - التي تحرر وتوزَّع في قلب ميزاب- صراعا حقيقيا بين تيارين من الطلبة الناشئين، تيار يطالب بتجاهل لهجة ميزاب، والارتماء في أحضان اللغة العربية وحدها، وتيار ثان يطالب بالاهتمام بهما مـــع بعـــض كلغتي قومية ودين، فكتب أحدهم: "...لئن كانت لغة ميزاب الجنسية هي اللغة البربرية تجب المحافظة عليها كلغة داخلية، فمن الواجب عليه وهو ذلك الشعب الشديد التمسك بدينه أن يحافظ كـــذلك على لغة دينه، لا كمحافظته على لغته الجنسية فقط ولكن كمحافظته على دينه، لأنه لا يتـــدين إلا بها، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب"، وبلغ التحمس بأحدهم أن كتب مقالا عنونـــه بقولـــه: "هكذا إحياء اللغة العربية وإفناء اللغة الميزابية"، فَردَّ عليه آخر بمقال عنوانه:"إحياء اللغـــة الميزابيـــة وتعليم اللغة العربية ".[٥٩٠]

وإذا تأملنا مقررات ومناهج المدارس الإصلاحية في ميزاب ونشاطات جمعية الحياة (الشباب) ،رأينـــا الاهتمام الخاص والمتزايد للغة العربية، حتى بلغ التحمس بطلبة معهد الحياة أن اتخذوا أسمـــاء الأدبـــاء العرب الكبار أسماءً لهم داخل المدرسة (شوقي، الرافعي، العقاد..إلخ.).

٦- الاهتمام بالتاريخ:

---

588 الأمة. عريضة أبي اليقظان إلى لجنة البحث البرلمانية.ع١٢٠، ١١ ماي١٩٣٧

589 وادي ميزاب. اللغة العربية غريبة في دارها. ع٥٥، ٣ نوفمبر١٩٢٧

590 الشباب. اللغة العربية . ع٣١، ديسمبر ١٩٣١.وأيضا:بدر الكمال. هكذا إحياء اللغة العربية وإفناء اللغة الميزابية. الـــشباب، ع٢٤ فيفري ١٩٤٦.عيشور أحمد. إحياء اللغة الميزابية وتعليم اللغة العربية. الشباب، ع١٣ مارس١٩٤٦

شكّل التاريخ بُعدا هاما من أبعاد الإصلاح الميزابي ، وهذا من خـــلال النـــهوض بالتـــاريخ الإسلامي و تاريخ المذهب الإباضي في المشرق والمغرب والتاريخ الوطني، وهو رد فعل ضد المـــسخ والفسخ الذي أعلنه الفرنسيون ضد تاريخ الجزائر لأن دور التاريخ هو دور إحيائي بعثي.

فدعا المصلحون أول ما دعوا إلى طبع الكتب التاريخية الإسلامية، لأنها تؤجِّج الغـــيرة الدينيـــة وتحفِّز على النضال،فكتب أحدهم :"...فمن الواجب على الأمة الإســـلامية أن تتفقـــه في التـــاريخ الإسلامي، وأن تحفِّظَه أولادها وشبابها، وتعتني بجمعه وتسهيل الطرق إلى التوصل إليه، فإنه من العلوم التي يجب الاعتناء بها قبل العلوم التي يكون تعلمها مباحا".[٥٩١]

كما نادوا بكتابة تاريخ الجزائر مُنبهين إلى الحاجة الماسة لكتابة تاريخ جزائريٍّ بأقلام وأفكـــار جزائرية،فدعا أحد المصلحين إلى ذلك بقوله بأننا: " ... بحاجة إلى إنشاء تاريخ لبلادنا التي لا تـــاريخ لها ويا للعار غير ما كتبه عنها الإفرنج". [٥٩٢]

ونشر أبو اليقظان في ديوانه قصيدته "ذكرى الإمامة الإباضـــية بـــالمغرب " في مئـــة وأربعـــا وثمانين(١٨٤) بيتا شعريا، حول مراحل التاريخ الإباضي والميزابي، وكذا قصيدته "صـــحيفة ميـــزاب الخالدة"، التي وصل فيها إلى فترة الاحتلال الفرنسي وتدهور المجتمع الميزابي، وهي قصائد تـــدخل في إطار التذكير بالأمجاد والدعوة إلى النهوض .[٥٩٣]

كما ساهم الشيخ إبراهيم اطفيش في بعث التاريخ الإباضي عندما ألّف مخطوطا حول مُدوَّنة أبي غانم "تاريخ الإباضية في الصدر الأول وأعمالهم" ورسالة حول تاريخ الرستميين، وأخرى في تـــاريخ نفوسة(ليبيا)، وأخرى في تاريخ المذهب الإباضي..إلخ. [٥٩٤]

---

591 أبو الحسن. التاريخ. الشباب، ع١٣١، ٢٥شعبان١٣٥٠(١٩٣٢).والعدد ١٣٢

592 الشباب. اللغة العربية بميزاب. ع٣١، ديسمبر١٩٣١

593 أبو اليقظان. ديوان أبي اليقظان. ص ص ٦٦، ٨٣

594 ناصر. الشيخ إبراهيم. ص ص ٤٥، ٤٦

ويأتي التاريخ في الرتبة الثانية من حيث الاهتمام في مجلة **الشباب** خاصة في الأربعينات، وقد تنوع بين تاريخ محلي، مثل من نفحات تاهرت،وتاريخ القرارة (أجزاء)[٥٩٥]،والتاريخ الإسلامي، كإحياء المولد النبوي، وسيرة الرسول (ص) وصحابته مثل أم المؤمنين خديجة،وخالد بن الوليد فاقئ عين الردة، والأندلس[٥٩٦] .ومن التاريخ الوطني :الجزائر في عهد عظمتها، والاحتلال الفرنسي للجزائر، والمقاومات الشعبية، خاصة مقاومة الأمير عبد القادر..[٥٩٧]وعلى صفحات الجرائد اليقظانية مقالات كثيرة حول ذكرى المولد النبوي والتاريخ الميزابي الإباضي وتاريخ الرستميين وإسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، هدفت من ورائها الجريدة إلى إبراز حضارة المسلمين وعراقتهم في التاريخ الإنساني.[٥٩٨]

ولمدة أربع سنوات كاملة، قام الشيخ بيوض بتدريس كتاب "سير مشايخ المغرب" للسّالمي للعامّة في المسجد كل ليلة ،مما يؤكد أهمية التاريخ في الإصلاح الإباضي وسيلة ومظهرا.[٥٩٩]

٧- الدعوة إلى الوحدة:

٧-١ الوحدة الوطنية:

بدأ الإصلاح يقطف ثمار دعواته المتواصلة إلى وحدة الصف عندما استطاع الشيخ بيوض المصالحة بين الكتلتين الكبيرتين في القرارة، وهما الشّراقة (آت كاسي والناصر وآت مرزوق

---

595 دبوز. من نفحات تيهرت.الشباب، ع٣٣٦ .٢٩ أفريل١٩٤١.و العدد٣٣٧

596 صالح (عمر الشيخ). خديجة أم المؤمنين . الشباب، س٣(دون معلومات أخرى).وكذلك: الشباب. خالد بن الوليد فاقئ عين الردة. ع٢٤٢، ٢٨ ماي١٩٣٦.والعدد ٢٤٣.وأيضا:أسماوي (أيوب). آثار العرب في الأندلس. الشباب، ع٢٦ فيفري١٩٤٨.وكذلك: أسماوي (صالح). طارق بن زياد. الشباب، ع١١، مارس ١٩٤٨

597 الشباب. الجزائر في عهد عظمتها. ع٧٠، ٣ ماي١٩٢٩.وكذلك:السعودي (عيسى). سبب احتلال الفرنسيين للجزائر. الشباب، ع٩، ١١ جوان١٩٤٧.وكذلك: الشباب. دولة الأمير عبد القادر الهاشمي. ع١٤٠، ٢٠ ذو الحجة ١٣٥٠ هـ، ١٩٣٢

598 المغرب. الدرة الأندلسية. ع٢٣.،وأيضا: الأمة.العلوم الحديثة عند العرب.الأعداد ٦٠.و ٦٢.و ٦٣.و ٦٤ .و٦٦.و ٦٧.و ٧٠.و ٧٢.و ٧٣.وأيضا: الأمة. الهجرة النبوية الحادث التاريخي العظيم. ع٦٨، ٣١/ مارس١٩٣٦.والعدد٦٩، ٧ أفريل١٩٣٦.وكذلك: الأمة. الذكرى النبوية العالمية الكبرى. ع٧٧.ع٧٩

599 دبوز. نهضة. ص١١٧

والعطاطشة والمالكية العرب) ،وَالْغَرابة (آت لاهوم و آت أوبالة وآت بولحية وآت حمو بن إبراهيم)، ووصل إلى هذه المصالحة بعد محاربته للتعصب للعشيرة بالباطل، ومناداته بمشروعه "المجتمع المَسجِدي" الذي بفضله تكوّن جيلٌ ميزابي يُدِين بالولاء للإصلاح والوطن، وليس للقبيلة والعشيرة، فكتب أحد تلامذته مُحذِّرا من داء التعصب بقوله: "حدُّ هذه العصبية الجاهلية هو الفناء الدائم، وعلى هذا يجب على الشباب أول عمل يبتدئون لخدمته هو علاج داء العصبية الساحقة وهذه الخرافات القبائلية والعائلية وإزالتها".[٦٠٠]

ووقف الشيخ بيوض أمام كل طارئ يهدد المجتمع، ففي حادثة اختطاف إحدى الميزابيات وإحراق جثتها ثارت عشيرتها، مما أدى بالشيخ بيوض لعقد اجتماع عام بالمسجد، استدعى له كل الطوائف الموجودة بالقرارة من عشائر ميزاب والعرب والشَّعَانِبَة، وتمكن من تهدئة العواطف وتطييب الخواطر ،وقضى على مظاهر هذه الفتنة، كما أنه كان يستغل الأعياد والمناسبات لتمتين الروابط بين مختلف الطوائف، ولعل انتشار الشراكات الاقتصادية في حياة الشيخ بيوض بين الميزاب والمالكية، وتواجد عدد من أبناء المالكية في مدرسة "الحياة" يعكس دور الشيخ بيوض في هذه الوحدة.[٦٠١]

ورفض المصلحون توظيف العشائرية والمذهبية وتشجيع الانقسامات في كل المناسبات خاصة الانتخابات، ففي انتخابات سنة ١٩٤٨ خطب حمو بن عمر فخار(ممثل عن الإصلاح) منتقدا قول العامة: "...فمالكيٌ و إباضيٌ في المذهب، وتابعٌ للزعيم وتابعٌ للبشير في الحزب، وسبتيٌ وجمعيٌ في

[600] ناصر. بيوض مصلحا ... . ص٢١.وكذلك:أحمد بن الحاج حم. التعصب والفرقة. الشباب، ع١٥، ٢٣ جويلية١٩٤٣

[601] الميزابي (محمد علي). الشهيدة فاطمة. البصائر، ع٢٠. ٢١، جانفي ١٩٤٨.و شهادة الشيخ بن الشيخ بالحاج للباحث

الصوم، وقديمٌ وحديثٌ في المدرسة، وعربيٌ وميزابيٌ في الانتخابات..وهكذا في كـــلّ شـــيء لهـــم أو عليهم".[٦٠٢]

وقد ضرب الشيخ بيوض مثالا للزعيم المصلح الساعي إلى وحدة الصف عندما قبـــل انـــضمام زعيم المحافظين (الجامدين) إلى لجنة المطالب، وفي جوان ١٩٤٧ عندما وسَّع النيابة الدائمة لِتضُم مختلف القوى الفاعلة في ميزاب.[٦٠٣]

وتبنَّت الجرائد اليقظانية بدورها الحرب على أنصار الفتنة الطائفية التي تفجـــرت في غردايـــة، بسبب عمل المالكية على تأسيس مسجد خاص بهم يُرفَع فيه الآذان، لكن الميزابيين رفـــضوا ذلـــك، فاستغلت أطراف كثيرة الحادثة لتفجير الصراع، فنشرت **المغرب** مقالا للحافظي يُنادي فيه للوفاق بين الطرفين،بينما كتبت **وادي ميزاب**: " كفى كفى من قولكم هذا مالكي، هذا حنفي، هذا إباضـــي، هذا تيجاني، هذا قادري، هذا عربي، هذا قبايلي، هذا شمالي، هذا جنوبي، هذا من أهل البلد الفلاني، هذا من العشيرة الفلانية،فقد فتح هذا بين صفوفنا المتراصة للغير ثغرات واسعة نفذ منها إلى نفوســـنا، فأجج نارها على بعضنا، وإلى قلوبنا فأفعمها حقدا وبغضا على بغض، و إلى جميع مواهبنا فعطلها أو استخدمها ضدنا، وإلى جموعنا فشتت شملها، وإلى أموالنا فبدّدها، وإلى أخلاقنا فأفسدها، وإلى قوميتنا فأهانها، وإلى بلادنا فَجَاس خلالها، وإلى ديننا فهتك حرمته".[٦٠٤]

---

602 فخار(حمو بن عمر). كان حديثا حسنا، مناقب القائد المربي الشيخ بيوض إبراهيم. تقديم محمد ناصر، جمعية التراث، القرارة، فيفري ٢٠٠٢، ص٢٩

603 بكلي (البكري). مسيرة.ص٢٢١

604 الحافظي (المولود) . نداء إلى الوفاق بين الإباضية والمالكية. المغرب، ع٩.نحن وأنتم، وادي ميزاب، ع٢٦، ٢١ أفريل١٩٢٧

وكتبت **الأمة** حول القضية، مُذكرة بالوحدة التي تجمع الطرفين :" ألا إنّ بني ميزاب والجزائريين أصبحوا يقولون بكل لسان بأن وحدتهم وامتزاجهم هي وحدة عرق ودين ولغة وامتزاج دم وروح، وهيهات أن تفرق يد العبد ما جمعته يد الله".[٦٠٥]

ويتفق كثير من الباحثين وأيضا التقارير الفرنسية بأن الإصلاح الإباضي وإصلاح جمعية العلماء نسخة واحدة من حيث الأهداف والمبادئ والوسائل والغايات، وقد تكاملا طيلة نضالهما الإصلاحي من خلال الصحافة والعضوية في جمعية العلماء (عضوية إبراهيم بيوض وأبو اليقظان وسليمان بوجناح (الفرقد) وإبراهيم الطرابلسي..إلخ.)، والدفاع عن بعضيهما في كل مرة يتعرض أحدهما فيها إلى اعتداءات الإدارة الفرنسية والمحافظين والطرقيين والملحدين، ويُورِد الأستاذ علي مراد العوامل التي دعمت هذه الوحدة،وهي اعتناق المصلحين الجزائريين لروح التسامح من الفكر الأزهري، وتأثُّرهم بالحنبلية الجديدة التي تقوم على التسامح مع الخوارج، فإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية قد عدَّل من هذا الموقف، فالشيخ محمد رشيد رضا قام بتعديلٍ أكبر عند تناوله موضوع الخوارج وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما أنه لبّى دعوة سلطان سلطنة عمان الذي عيَّنه مستشارا دينيا له. وهذا إضافة إلى اتفاق المصلحين في الحرب على المرابطية والبدع.ومن جهته وجد الإصلاح الإباضي في الإصلاح السني مدافعا ونصيرا له ضد الاحتقار التاريخي الذي تعرَّضت له هذه الطائفة، لكن يجب أن نقول بأن هذا التقارب قد حصل بعيدا عن قِلاع المحافظة (غرداية وبني يسقن..إلخ.) و لم تُمثِّله سوى جماعة صغيرة جدّا في تيارت والجزائر وقسنطينة وبسكرة والقرارة، وتعرّض لحرب من طرفي الجمود

[605] الأمة. خرقة الليالي، مسلم زي الزفت.ع٨٠

السني والإباضي، هذا الأخير الذي تخوف من أن يؤدي التقارب بينهما إلى تحطيم الخصوصية الدينية والعرقية لميزاب.[٦٠٦]

وهذا ما جعل التقارير الفرنسية تُحذِّر من تقارب الإصلاحين، ومن نشاط بيوض الذي يدعو الشباب الميزابي في الشمال إلى الانضمام لجمعية العلماء ومساعدتها.

ويختصر الشيخ بيوض تصوُّره للوحدة الوطنية في قوله: "إننا وطنيون جزائريون، لسنا أجانب كما يدّعي بعض المتهوسين، فلا يمكننا أن ننفصل عن إخواننا في النظم العامة المشتركة، ولا أن نتحلل ونذوب ونتنازل عن الخصائص والمميزات، على أن للوطن حقوقا مشتركة يتساوى فيها أبناؤه، وإن اختلفت مذاهبهم".[٦٠٧]

٧-٢ الوحدة العربية والإسلامية:

ارتبط الإصلاح الميزابي فيما يخص تصوُّره للوحدة العربية والإسلامية بمحطات هامة أكدت أن منطقة ميزاب النائية (جغرافيا) تنبض بالعروبة والإسلام، وهذه المحطات هي الجامعة الإسلامية وسقوط الخلافة وقضية فلسطين وسلطنة عمان، حيث نالت الحظوة من حيث الكتابة حولها والتفاعل معها.

وقد كان الشاعر المصلح رمضان حمود صريحا عندما دعا علماء الدين إلى الكفِّ عن تكفير الفرق والمذاهب لأن ذلك لا يخدم الوحدة فكتب :" المسلمون اليوم يحبون الاتحاد ويسعون للحصول عليه بما عزَّ وهان، غير أن الجُلّ من علمائهم الدينيين لازالوا وأخجلتاه يعتقدون أن الدين معناه التكفير والتضليل والتفريق".[٦٠٨]

---

606 .١٩٦ .pp195. Merad. Opcit .وكذلك:تقرير رقم 64/S حول نشاط جمعية العلماء في مختلف مناطق القطر الجزائري(مرقون دون تاريخ عند علي بيوض).وأيضا:تقرير S/67 بتاريخ ١ أكتوبر ١٩٣٤

607 ناصر. بيوض مصلحا. ص ٣٢٧

608 رمضان (حمود) .مصدر سابق. ج١، ص١٧

وقد كان أبو اليقظان من دُعاة "الجامعة الإسلامية"، ومن المتأثرين بها في تونس، وقد امتلأت جرائده حسرة على ضعفها وعدم تحققها، فكتب مثلا "الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون" في العدد السابع عشر من وادي ميزاب، و"الإسلام بين شقي المقراض" في العدد الثامن والثمانين (٨٨) من وادي ميزاب، و"أمات الرجال أم رفع القرءان؟" في العدد مئة وتسعة عشر (١١٩) من وادي ميزاب، و"إنما المؤمنون إخوة" في العدد مئة وست وستين (١٦٦) من وادي ميزاب. كما تتبَّع زعماء ها وأخبارهم من شكيب أرسلان إلى الثعالبي، إلى وفاة الشيخ محمد رشيد رضا ...إلخ.[٦٠٩]

كما تابع الميزابيون قضية فلسطين من وعد بلفور إلى آخر تطوراتها، فكانت صحف أبي اليقظان تنشر كل أخبارها، وكل ما يصلها من منشورات تصدرها "اللجنة الفلسطينية العربية" التي يترأسها صديق أبي اليقظان الشيخ محمد علي الطاهر صاحب جريدة **الشورى**، وحتى مجلة **الشباب** تفاعلت معها منذ وقت مبكر[٦١٠].و تعليقُ أبي اليقظان على حادثة البُراق يُعبِّر عن وعيٍّ كبيرٍ وتعلُّقٍ بالقضية ومتابعةٍ دقيقةٍ لها ،فكتب:"وإنما حقيقة المسألة ليست مسألة المبكى والبراق، وإنما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني الناشب مخالبَه في غلصمة العالم، الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الإسلام وجنته الأرضية ومقر أنبياء الله فلسطين".ومن جهة أخرى ابتهج المصلحون لاتحاد الأحزاب الفلسطينية وباركوه. [٦١١]

---

609 الأمة.ع١٣٠، ٢٠ جويلية١٩٣٧.وكذلك: الأعداد ٤١.و ٤٥.و ٤٧.و ٤٩.و ٦٢

610 الشباب.حوادث فلسطين وموقف الجزائر منها. ع٩٢، ٢٧ ديسمبر١٩٢٩. وأيضا: الشباب. قصيدة في فلسطين المجاهدة. ع١٧ جوان١٩٤٨

611 انظر مثلا:الأمة. من الفرقة والخصام إلى الألفة والوئام. ع٤٧، ٢٢ أكتوبر١٩٣٥

وبتوقف الصحافة اليقظانية انتقل المصلحون من الصحافة إلى المشاركة الفعلية، فانضم الشيخ بيوض وأبو اليقظان إلى لجنة إغاثة فلسطين التي أُسست سنة ١٩٤٨ لدعم القضية وجمع التبرعات لها، ويذكر أحمد توفيق المدني أن نصف التبرعات التي جمعتها اللجنة جمعها أبو اليقظان وحده.[٦١٢]

وجاء الموقف من أزمة "الظهير البربري" ليؤكِّد لنا الحرص الكبير على الوحدة الإسلامية،فقد استنكر مصلحو ميزاب-كغيرهم من مصلحي الجزائر- مؤامرة تنصير البربر في المغرب، وكتبت **الأمة** داعية المغاربة للمطالبة بإلغاء التشريع البربري العُرفي الذي هدفه هو: " التفريق بينك وبين أخيك، وتصيِّرُكما عنصرين متباينين لا تجمعكما صلة ولا يربط بينكما قانون، بعد أن كنتما تتحاكمان إلى قانون واحد هو قانون الإسلام"[٦١٣].

كما رفض الميزابيون فكرة القومية مهما كان شكلها إذا ما تعارضت مع الإسلام، ومثالُ تركيا دفع أحد كتاب مجلة **الشباب** إلى القول: "فقد كان آخر من دعا الشعوب الإسلامية إلى ذلك نفرٌ من شباب الأتراك أعرضوا عن جامعة الإسلام العامة،ودَعوا إلى جنسيتهم الخاصة، فقابلهم بمثل دعوتهم نفرٌ من شبان العرب..فتفرّقت الأمة إلى أمتين..".[٦١٤]

وفي إطار الوحدة العربية والإسلامية نجد اهتماما خاصا بسلطنة عمان، وأخبارها وتطوراتها وأخبار سليمان الباروني وعلماء البلد، وهذا لما يربط بين الإباضية في الجزائر وفي سلطنة عمان من قرابة، ولوحدة المذهب الديني.

وبدرجة أقل نجد الاهتمام بأخبار زنجبار (تانزانيا) وجبل نفوسة وجربة.[٦١٥]

---

612 ناصر. أبو اليقظان وجهاد الكلمة...، ص١٤١. وأحمد توفيق المدني. حياة كفاح.ج٢

613 المغرب. العالم الإسلامي، مسألة البربر. ع٣٤، ٢٦ فيفري١٩٣١.وأيضا: الأمة. الظهير البربري وذكرى ١٦ماي. ع١٢٣

614 طباخ (نوح). جامعتنا وقوميتهم. الشباب، ع٤٠٤. ١٨ ماي١٩٤٤

615 انظر مثلا: بن سليمان(زكرياء). ته يا عمان بنصر الله.وادي ميزاب، ع١٢، ١٧ ديسمبر١٩٢٦.وكذلك: الكندي(أبو سلام). تهنئة سعادة الشيخ الباروني باشا. وادي ميزاب، ع١٥، ٧ جانفي١٩٢٧.وأيضا:دون إمضاء. عمان نبأ عظيم. واد ميزاب، ع ١٧،

وفيما يتعلق بالوحدة العربية استبشر المصلحون الإباضيون كغيرهم من أبناء الجزائر بتأسيس "الرابطة العربية" لأن غايتها في النهاية هي:"تكوين إمبراطورية عربية تتّحد عمليا –بعد أن اتحدت نظريا- في مصالحها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتُجدِّد عصرَ الإسلام الذهبي، وتبعثُ مجدَه الخالد"[٦١٦]،ونقلت **وادي ميزاب** احتفالات تتويج الشاعر أحمد شوقي بإمارة الشعر العربي،كما قامت بالإشادة بمجلة **الفتح** في عامها الثامن عشر.[٦١٧]

وتميَّزت الأمة بنقل المقالات المشرقية التي تناقش الوحدة العربية وسبُل تحقيقها، مثل مقال "هل الوحدة العربية حلمٌ بعيدُ التحقيق"، الذي نشرته **الزهرة**، لتنشره **الأمة** بدورها تأكيدا على أهميته.[٦١٨]

ولهذا اهتمت التقارير الفرنسية أبا اليقظان وبيوض بالتشيع والدعاية للحركة العربية التي تُمثِّلها جمعية العلماء وحركة طلاب شمال إفريقيا وأعضاء الوفد بعمالة قسنطينة .[٦١٩]

٨- النهوض بالمجتمع اقتصاديا:

عَرف الميزابيون أهمية الاقتصاد في حياة المجتمعات من خلال ممارستهم التجارة في كل أنحاء الجزائر، واحتكاكهم بالأوربيين ومنافستهم لليهود تجاريا، فامتلأت الجرائد اليقظانية و**الشباب** وغيرها بكتابات دَاعيةٍ للاهتمام بمختلف الأنشطة الاقتصادية، من تعليم فني وصناعي، وإنشاء الشركات، والنقابات، والجمعيات التجارية، وربط الأبناء بالتجارة، وتعويدهم الكد والكسب، وتجنيبهم الكسل

---

٢١ جانفي١٩٢٧.وكذلك: ابني الزعيمائيي (عيسى ومحمد) . وادي ميزاب في عمان.ع ٢٨، ٢٢ أفريل١٩٢٧.وانظر: بن الصديق(المولود). الزعيم الطرابلسي سليمان الباروني واقتراحاته والمؤتمر الإسلامي العام.ع ٢٦، ٢٢ مارس١٩٣٢.وانظر كذلك: وادي ميزاب عدد ١،و ١٧٧،و ١٣،و ٥٥،و ٢٩.... وللمزيد انظر:فهرس موضوع جرائد أبي اليقظان في :ناصر. أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص ص ٣٠١، ٤٦٤

[616] سعيد. مصر العربية تحمل لواء العروبة وتقدم ركبها حكومة وشعبا، فعلى الجزائر أن تلحق بهذا الركب الميمون. الأمة، ع ١٠٧، ٢٦ جانفي١٩٣٧

[617] الأمة. العدد١٢٤، والعدد ١٢٥

[618] الأمة. ع٣٧

[619] تقرير لوموان القائد العسكري لمقاطعة غرداية بتاريخ ١٧ نوفمبر١٩٣٤ .رقم٥٥٤، موجود عند علي بيوض في مترله بالفرارة.

والاعتماد على القمار، فكتبت **وادي ميزاب** في الموضوعات الفيزيائيـــة والفلاحيـــة والمخترعـــات، وفتَّحت عيون الأهالي على النظريات الاقتصادية العالمية، وَدَعَتهم إلى تحـــسين أســـاليبهم التجاريـــة وتطويرها...ودعتهم إلى تأسيس بنك وطني أهلي لكسر احتكارات المعمرين واليهود.خاصة أن عدد التجار الميزابيين خارج ميزاب يصل إلى ستة آلاف (٦٠٠٠) تاجر، وعدد الدكاكين ألفا وأربع مئة وثمانية عشر(١٤١٨) دكانا عام ١٩٥٣.[٦٢٠]

كما عملت **وادي ميزاب** على تثقيف الميزابيين اقتصاديا فنشرت دراسة مطولة في شكل مقارنة بعنوان "تجارتنا وتجارهم"، خَلُصت إلى أن الحل لمنافسة اليهود هو العلم والاتحاد والمال [٦٢١]،ودعـــت إلى إقامة المَعارضَ الاقتصادية، وتفعيل التعليم الفني والصناعي.[٦٢٢]

كما أن الشيخ بيوض قد دعا في دروسه إلى الاهتمام بالتجارة والصناعة وإنشاء الـــشركات لتعمير ميزاب، وحقق تلاميذه هذا في نهاية الأربعينات، و قام بالاشتراك مع عيسى بن عمارة خبـــزي بإنشاء شركة نقل للبضائع بين غرداية وبسكرة، منافسة لأحد أعداء الإصلاح وهو بوكامل، وتطوّر الأمر إلى رفض الميزابيين لاستغلال إحدى الشركات الأوربيـــة (REFSSA) للميـــاه في ميـــزاب، وطالبوا بالإشراف عليها بأنفسهم.[٦٢٣]

وعموما فقد نجح الإصلاح الميزابي في ترجمة دعواته المتواصلة للاهتمام بالاقتـــصاد في ظهـــور شركات اقتصادية مثل شركة نقل بسكرة- غرداية، وشركة "فتح النور" بالجزائر لتجارة الجُمْلـــة في

---

620 آعوشت. تاريخ بني ميزاب. ص ٢١٠

621 وادي ميزاب. تجارتنا وتجارهم. ع ١ إلى ع٨، (٦ أجزاء)

622 ميزاب. ما هي فوائد المعرض. ع ٣٥، ١١ جوان١٩٢٧.وأيضا:بكلي(عبد الرحمن) . الحيـــاة الـــصناعية والزراعيـــة في القطـــر الجزائري. وادي ميزاب، ع٦٤، وأيضا: وادي ميزاب. حول التعليم الفني بالقطر الجزائري. ع ٦٤.وكذلك: الفرقد. تعلـــيم أهـــالي الجزائر المدرسي والصناعي. وادي ميزاب، ع٦٢. وأيضا: حمزة. المسلمون والحياة. المغرب، ع٣٣,١٢ فيفري١٩٣١.ح، والمغـــرب، ع٢،و ع٤.و ع٥. ع٨.و ع١٣

623 تقرير من عمالة قسنطينة، ٢٤ أكتوبر١٩٣٨ رقم 189AIR14/5.وكذلك دبوز.أعلام الإصلاح.ج٥،ص ص ٦٠، ٦١

سنة ١٩٤٨ ، مما جعله يتفوَّق كثيرا عن الإصلاح الزيباني من حيث الدعوات، ومن حيث طريق هذه الدعوات إلى التطبيق.

٢- وسائل الإصلاح الاجتماعي:

لقد تعددت الوسائل الإصلاحية وتداخلت مع بعضها البعض، خاصة الصحافة التي أدرجناها في وسائل الإصلاح الديني، لذا لن نُكرِّرها في وسائل الإصلاح الاجتماعي، وقد اكتفينا بالاستشهاد بها في مظاهر هذا الإصلاح كمرآة عاكسة للجهد الإصلاحي الاجتماعي.

١- الجمعيات والنوادي:

جمعت الجمعيات الخيرية بين أمور التربية، وبين الانفتاح على مشاكل المجتمع، انطلاقا من أن التعليم الإصلاحي هدفه إعداد شباب صالح لمجتمع صالح. وعلى عكس الزيبان فإنّ الإصلاح الميزابي وجد أمامه العزابة وهيئاتها الاجتماعية المهيكلة متحكمة في الأوضاع، وتحظى باحترامٍ وطاعةٍ ودعم شديدٍ.

ورُغم ذلك استطاعت جمعية **الشباب** إحياء الحفلات والمناسبات الاجتماعية في القرارة، وقضت على مظاهر الجمود والفرقة والخرافة إلى حد كبير، ودعت إلى التربية والعلم والتعاون...، كما أسست جمعية رياضية داخل المدرسة تولَّت تكوين الشباب رياضيا ورعايتهم منذ سنة ١٩٢٦، كما استطاعت تأسيس نادي **الشباب** في سنة ١٩٣٨ ،بإشراف بوحجام عيسى الذي استطاع دفع نشاطات الجمعية دفعا قويا.[٦٢٤]

كما استطاعت الجمعية الخيرية يبرِّيان التي ستصبح تحمل اسم **الفتح** تأسيس ناد رياضي حمل اسم **الشباب**، واستطاع تثقيف شباب منطقة بريان، و إنقاذه من الفساد الاجتماعي بواسطة تمثيله

---

624 وأيضا بن عمر(أحمد). جمعية الحياة تحتفل بافتتاح نادي الحياة. الشباب، ع٢٨٢، جانفي ١٩٣٩، وأيضا:الشباب. ع٢٩٩، ١٣ أفريل١٩٣٩

الروايات والمسرحيات وتنظيم الأناشيد والمحاضرات، كما استطاع توزيع أدوار عمله ونشاطه من خلال تقسيم لجانه وشعبه، كشعبة الإسعاف الشعبي (مساعدة الفقراء والأيتام...، جمعية الرياضة، الكشافة الوطنية.[٦٢٥]

والتأمُّل في القانون الأساسي لإحدى الجمعيات الميزابية الإصلاحية يُعطِينا فكرة عن وسائل الجمعيات الإصلاحية آنذاك وأهدافها، فمِن بين فصول القانون الأساسي لجمعية التوفيق- مثلا- ببني يزقن، والتي ظهرت في ٢٥ جانفي١٩٤٧:

ف٣- وظيفة الجمعية الدعوة والإرشاد إلى الدين، وصون المصالح الدينية والاجتماعية على وجه الخصوص، وعدم التدخل في الشؤون السياسية، وتأييد المساجد والعوائد الدينية والقومية، وإصلاح ذات البين، والسعي وراء الأمن العام.

ف١٥ - للجمعية فتح معاهد لتعليم القرءان وحفظه والمبادئ الدينية بميزاب وخارج ميزاب حيث يوجد الميزابيون.

ف١٦- تعتني الجمعية بالأولاد المولودين من الميزابيين في بلاد الشمال وخارج ميزاب بتقييد أسمائهم وعشائرهم وتثقيفهم وحفظهم على قدر الإمكان والاستطاعة، وبالفقراء والمساكين والعاجزين بمساعدتهم على قدر الإمكان.

ف١٧ - الاعتناء بمساعدة ومد أيد لكل تلميذ فيه ذكاء واستعداد لتحصيل العلم أدبيا واقتصاديا حتى لا ينقطع حملة الدين ورجاله من هذا الوطن.

ف١٨ - إيجاد مكتبة على نفقة الجمعية تجمع فيها كتب الإباضية وغيرهم مما تمس الحاجة إليه، كالتاريخ وغيره وتحفظ في خزائن خاصة لمن أراد البحث والمطالعة والنسخ.[٦٢٦]

---

[625] من أعضائه باسليمان بن إبراهيم لمنور،ومحرزي حمو بن محمد،وموسى المال، وسليمان بن قاسم لزعل،والسوفي حمو بن محمد،قواس قاسم بن باحمد،وابن عبد الله عبد الله بن صال..انظر بكلي (البكري). محاضرات. ص ص ١١٣، ١١٤

ومن الملاحظ أن التجمعات الميزابية على سريِّتها يمكن أن نُعطيها صفة النـــادي مـــن حيـــث تشكيلتها وأهدافها، رغم أن ما غلب عليها هو الطابع الأدبي، ولعل ثقافة النوادي كانت بتأثير مـــن تونس أيضا، فنذكر في سنة ١٩١٥ نادي أبي اليقظان في القرارة، كما أنه عند عودته في صيف ســـنة ١٩٢٤ أسس ناديا أدبيا بالقرارة لكبار الطلبة للمطالعة والشعر وإحياء التراث الأدبي.

كما عملت جمعية **الإصلاح** بغرداية على الحصول على رخصة لناديها (**الهدى**)، لكن الإدارة الفرنسية حذّرت في تقاريرها من اعتماده، بسبب عدائه الإدارة الفرنسية، ولهذا اســـتمر ناشـــطا في السِّرية.[٦٢٧]

وإذا كان في كل مدينة من ميزاب جمعية ترعى الشباب الميزابي وتتعهّده، فإن الشباب الميـــزابي بالشمال يبقى دون مراقبة وتوعية، وهو الأمر الذي ركَّزت عليه كتابات المصلحين، لـــذا استبـــشر المصلحون بظهور جمعية **الوفاق** الواقعة تحت التأثير الإصلاحي، وهذا رغم سيطرة التيار الاســـتقلالي عليها، وقد جاء تأسيسها لتضم شتات الشباب الميزابي، وتجمعه لخدمة مصالحه الأدبية والاقتصادية، ولنشر الثقافة والتهذيب في أوساطه عن طريق الوعظ والإرشاد، ورغم تعرُّض كاتبها العـــام الفرقـــد (سليمان بوجناح) للنفي إلا أنها عاودت الظهور في سنة ١٩٣٣.[٦٢٨]

---

626 آعوشت. تاريخ ميزاب. ص ١٥٦

627 ترأسه نجار صالح بن موسى ونائبه فخار أحمد، موسى، أما أعضائه فمنهم بدليس عيسى بن حمو والحاج موسى بن صالح بن يوب وبغباغة الحاج بكير بن داود وبكوش سعيد بن حمو وبكوش موسى بن الحاج داود ورمضان أحمد بن الحاج وحمودة رأس النعامة.انظر تقرير حول جمعية الإصلاح ونادي الهدى، رقم ١٣/S، ٢٩ جانفي١٩٣٦ (موجود عند السيد علـــي بيـــوض في منزلـــه بـــالقرارة ،غرداية).

628 . رئيسها سعيد بكير خالدي، وكاتبها العام الفرقد سليمان بوجناح(إصلاحي)، ومن أبرز أعضائها مفدي زكريا وإبراهيم غرافة (ابن خالة بيوض، استقلالي).للمزيد انظر الحاج سعيد. تاريخ بني ميزاب. ص١٥٥

٢- الكشافة:

تأثر المصلحون الميزابيون بكل من الكشافة الفرنسية والتونسية على المستوى التنظيمي، وحاول الشيخ عدون (شريفي) تأسيس تنظيم شبيه بالكشافة في نظامه، أصبح يعرف في سنة ١٩٣٦ باسم "جمعية كشافة الجنوب" . وفي سنة ١٩٤٥ ازداد الوعي بأهمية الكشافة، فظهرت دعوات كثيرة في مجلة **الشباب** وجمعيتها، مما أدى إلى ظهور نواة لها، برز دورها في تمثيل الروايات التاريخية والاجتماعية وتأليف وتلحين وأداء الأناشيد.[٦٢٩]

وقد كان عليها الانتظار إلى ٢٤ أكتوبر١٩٤٩ ، أين ظهر أول تنظيم كشفي مُعترف به وبفروعه الثلاثة، وانتُدِب له مُدرب فرنسي يؤطر ستين (٦٠) شابا ميزابيا، يتدربون على مختلف الفنون بمراقبة من المصلحين، ومع الخمسينات عرفت توسعا واستقطابا أكبر وشاركت في الأعياد والمناسبات والاستعراضات المختلفة، بإشراف أسماء إصلاحية كبيرة مثل عدون،وأوراش أحمد،ودحمان سعيد،وولد بابهون إبراهيم،وحاج ناصر محمد الصغير،وحميد أوجانة محمد.ومن جهة أخرى شكّلت المخيّمات وسيلة تربوية وإصلاحية هامة، يختبر فيها المصلحون مدى تمكُّن أفكارهم في تلاميذهم. [٦٣٠]

ولعل ما يُوضِّح تبعيّة الكشافة للإصلاح - مثلا- هو ما قامت به كشافة القرارة في استقبال الشيخ بيوض من استعراض واحتفاء وأناشيد وأهازيج عند عودته من الجزائر، ويُصوّر لنا أحد الطلبة هذه الصورة بقوله: "...يحقُّ للشباب البيوضي أن يُقيم ذلك المهرجان العظيم في استقبال زعيمهم

---

[629] محضر جلسة ٦٣١. ٢٧ ديسمبر١٩٤٥.الجمعية الصغرى. وكذلك: دبوز.أعلام.ج٣

[630] يذكر الشيخ بن الشيخ بالحاج أن أول مخيم تم في إحدى واحات واد ميزاب، بإشراف الممرن الفرنسي (جوني مايير)، الذي استقدمه الإصلاحيون، ويذكر أن من مؤسسي الكشافة في القرارة: عشور أحمد وقايد أوراغ أحمد (توفي سنة ٢٠٠٤). شهادة محمد الشيخ بن الشيخ بالحاج للباحث.

الجليل، ويحق ذلك لهم وبأن ينظموا تلك الفرق الكشافة لتُحيِّي قائدها الذي ربَّاها وهذَّبها...ويحـــقّ لهم أن يُنشدوا له تلك الأناشيد الرنانة...".[٦٣١]

٣- المسرح:

لقد أدت محافظة المجتمع الميزابي إلى عدم وصول الملاهي والمسارح الأوربية إلى المنطقة، وهو ما شجع على تأسيس فرق مسرحية تمثيلية، متأثرة بالجو الذي عاشت فيه في تونس وفي الشمال، كمـــا أن إتقان اللغة العربية مُشافهةً شجع على بروز مسرحيات ناجحة في شكلها ومضمونها، وهذا بفضل سهر المصلحين على ذلك، خاصة مع وجود جمعية **الحياة** (الشباب) التي شجعت على هـــذا عنـــدما أسست فرقة مسرحية داخلية تتولى إحياء المناسبات المختلفة.[٦٣٢]

ومن أشهر المسرحيات التي أُلِّفت نجد: مسرحية "في سبيل التاج" التي مثّل فيها يوسف خـــرفي وحمو فخار وإبراهيم الأطرش وإبراهيم رمضان، و مسرحية "شيطان البرج"، أمّا الفِرق المـــسرحية في الخمسينات فأشهرها فرقة محمد علي دبوز بين سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٢.[٦٣٣]

وفي مَعرِض ردِّه على المحافظين (الجامدين) المنادين بِبدعِيّة المسرح كتب بيوض إلى صـــديقه أبي اليقظان، معتبرا المسرح أهم الوسائل الإصلاحية على الإطلاق للنشء والعامة ،فكتب: "إنني ما رأيت مظهرا من مظاهر نهضتنا ومجلى من مجالي أعمالنا أثر على الدهماء والعامة، واجتذبها بقوة وعنـــف إلى حظيرة الإصلاح مثلما فعل بها التمثيل (المسرح)...ذلك إلى ما في التمثيل من سلوة ولذة ومتعـــة في

631 عاشور. يحق للشباب البيوضي أن..، الشباب. عدد ٨ جويلية ١٩٤٨

632 كثير من محاضر الجمعية الصغرى والكبرى مملوءة بأخبارها ونشاطاتها.

633 شهادة الشيخ بن الشيخ بالحاج. وهو من أعضاء فرقة دبوز المسرحية بالقرارة في سنة ١٩٥٣

بلاد فُقِدت فيها المسليات...ولئن نسي الناس خطب الخطباء وقصائد الشعراء فإنهم لا ينسون منظرا مما شاهدوا".[٦٣٤]

واستطاعت الفرق المسرحية أن تترك عددا كبيرا جدا من التمثيليات في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتربوي، ونقد السلوكات المخالفة لما يطمح إليه المصلحون.

٤- الأناشيد:

استطاعت الأنشودة أن تجد لها مكانا في وسائل الإصلاح في ميزاب ، خاصة بعد معارضة المحافظين لها، فعمل المصلحون على تقويتها من حيث الشكل والمضمون، وانتقاء الأناشيد الجزائرية والمشرقية المتميزة بدعمها للإصلاح. ويمكن القول أنه ابتداء من الأربعينات قد حَلّ العصر الذهبي للأنشودة —كما في الزيبان-.

وتناولت الأناشيد كل مجالات العمل الإصلاحي، فكانت مناسباتية ووظيفية معاً، كإحياء ذكرى المولد النبوي (أكثر من خمسين (٥٠) قصيدة)، والدعوة إلى تأسيس المدارس والجمعيات (مثل جمعية قدماء التلاميذ، يا شباب القدماء) وبعثة تونس (يا بعثة الخضراء)والإشادة بالمعهد (يا معهدي)، ورحلات بيوض، والكشافة (الحياة)، وتشجيع الاقتصاد لمنافسة اليهود، ولشرح مبادئ الحركة الإصلاحية ونادي الحياة، وهناك الأناشيد الحماسية الوطنية مثل: شباب الحياة، أنت ميزاب بلادي، نور الإصلاح، بني الإسلام إقداما، شباب الشرق انهض، لذة العيش، أيها الشعب ترنح، وطني الغالي، جند الله، يا سائلي في المجد والحرية...، وهذا إضافة إلى قصائد مشرقية، وأخرى لأبي اليقظان (مثل أنت ميزاب بلادي)، وأيضا محمد العيد آل خليفة (مثل قُم على صوت بلادي، إلى الأمام..إلخ.[٦٣٥]

---

634 ناصر. بيوض مصلحا. ص ص٢٧٤، ٢٧٥

635 انظر دفتر أناشيد الإصلاح. مرقون عند السيد أوجانة ملالي مدير معهد الحياة وكان من فرقة الإنشاد في المعهد في الخمسينات.وكذلك شهادة الأستاذ صالح باجو للباحث في منزله بالفرارة.

ويبدو أن عدد الأناشيد المؤلَّف قد تضاعف، وهذا بفعل روح المنافسة السائدة ،وقد أُلِّف بمناسبة المولد النبوي وحدها في إحدى السنوات خمسون (٥٠) نشيدا، إلا أن المشهور المتداول من كل هذه الأناشيد لا يتعدى خمسين (٥٠) نشيدا من بين مئتين (٢٠٠) نشيد، وهو العدد الكلي للأناشيد السائدة في المنطقة آنذاك ،وأما بالنسبة لأشهر كتاب هذه الأناشيد فنذكر منهم:صالح خباشة،وأبو اليقظان،وإبراهيم القرادي،وحمو فخار،وصالح خرفي،وصالح باجو،وعلي يحي معمر،ويحي حواش،وداودي...إلخ.[٦٣٦]

ولِجَلب الشباب نحو الأناشيد الهادفة لجأ المصلحون إلى تقليد لحن أغانٍ شهيرةٍ، لكن بتغيير ألفاظها وأفكارها، مع إبقاء ألحانها مثل: أنشودة "بساط الريح"، و"بالنهضة"، و"نشيد أوطاننا هي الغواني"...إلخ، هذا الأخير الذي وُضِع وِفقَ لحن النشيد الوطني الفرنسي "لامارسياز"، ولكن مُعارِضا له في المحتوى، وقد كان تلاميذ الإصلاح يستقبلون به القايد العسكري لغرداية دون أن يتنبه له، وهو مِن وضعِ وابتكار إبراهيم القرادي.[٦٣٧]

وهكذا نخلص إلى أن الإصلاح الاجتماعي في ميزاب قد تميّز باتساع الرؤية رغم عزلة المنطقة،فقد عالج الإلحاد والتجنس والتفرنج والسفور ووحدة المجتمع....،كما أنه قد وظّف وسائل جريئة وفعَّالة،مثل الكشافة والجمعيات والنوادي والأناشيد... مما أكسبه فاعلية أكبر، كما استفاد من عُزلة المنطقة من جهة، وحركة أبنائها المصلحين في الشمال، الذين احتكُّوا بمختلف التأثيرات الإيجابية، ووظّفوها لصالح أبناء منطقتهم عند عودتهم أو بواسطة الصحافة مباشرة.

---

[636] دفتر أناشيد الإصلاح .(مرقون في معهد الحياة)

[637] شهادة باجو والشيخ بن الشيخ وصالح حدبون للباحث

الفصل الخامس:

المواقف المختلفة من الحركة الإصلاحية في المنطقتين

لم تكن الحركة الإصلاحية في المنطقتين بعيدة عن الاصطدام بمختلف التيارات والهيئات القائمة، لأن هدفها أصلا هو الوصول إليها إما لدعمها أو إزالتها أو تعديلها. وعبر نمو هذه الحركة في كلتا المنطقتين تبلورت مواقف كثيرة وتطورت مع مرور الأحداث لتصبح مواقف نهائية ثابتة، وهو ما سنعالجه في هذا الفصل.

١) في الزيبان:

أولا: موقف الطرق الصوفية والزوايا:

لعل ما كتبه في وقت مبكر الشيخ محمد مبارك الميلي يكشف بكل صراحة على أن الطّرقيين هم المستهدَفون قبل غيرهم من الفئات من طرف حركة الإصلاح، فكتب قائلا: " المشاغبون في الدين هم الطّرقيون والقبوريّون والمرابطون"، وهو ما عكسه الصراع معهم في المنطقة أيضا.[٦٣٨]

وقد بدأت المواقف تتبلور بالتحذير من الحركة الجديدة التي ظهرت لتستهدف الدين، فبدأ التحذير أفقيا ليصل إلى اتجاهات أخرى، وبما أن مولود الزريبي كان من أوائل المصلحين في منطقة الزيبان فقد روى لنا أحد المعاصرين له ما كان يشاع حوله، فيقول الهادي السنوسي :"...ولست أنسى ما يطرق آذاني من أنه مُعتزِليٌّ، وفي بعض الأحيان مُلحِدٌ وزِنديقٌ معاً، ولقد كان أمثالي إذ ذاك يتجنبونه خوفا من أن يمسَّهم بإلحاده وزندقته فيمسهم عذاب لأجل ذلك من عند الله، حتى عرفنا الحقيقة...ولقد ثارت عليه ثائرة الدجّالين في ذلك الوسط من أبناء الزوايا، وافتروا عليه الأقاويل، ونصبوا ما نصبوا من حبائلهم التي لا تزال أيدي المصلحين المؤمنين تعمل بإذن الله في تمزيقها" [٦٣٩].

ومن بين الإشاعات التي تبناها الطرقيّون قولُهم للعامة بأن المصلحين وهّابيين ومارقين وعصريين.وقاموا بتحفيظ النساء الجاهلات والدراويش أدعية مسجوعة ضد المصلحين، وتراتيل

---

638 الميلي.مصدر سابق.ص٣٦

639 الهادي السنوسي. شعراء الجزائر. ص٨٨

وأهازيج مثل قول إحداهن:" يا بنات شيخ، يا بنات الميمونة، يا بنات فكيكة، اَجْعل لكم وعدة وأقيم لكم زردة اذبح فيها الأكباش (أي الكباش)، وأدعو إليها الأعراش، وتعزف القصبة (أي المزمار)، ويدفُّ فيها البندير (أي الدف) رغم أنف العَصْرية الذين أفسدوا فينا النيّة"[٦٤٠].

ويذكر العقبي أمثلة من الدعاية التي يبثّها الطّرقيون ضد المصلحين لتنفير العامة منهم، مثل إشاعة إنكارهم للكَرامة وللولاية ولرسالة النبي (ص)،فيقول:"يقولون علينا أننا لا نحبُّ الأولياء والصالحين، وأننا تنكر الكَرامة، وأننا لا نحترم الرسول (ص)، وأننا نُسمِّيه موزع بريد (فكتور)، ومنهم من يقول عنا أننا لا نؤمن إلا بنصف الشهادة، فنقول لا إله إلا الله فقط." ، ولا يُفوِّت العقبي الفرصة في كل مناسبة ليُبيّن أن سبب هذا العداء هو خوف الطّرقيين على مصالحهم ليس إلا، وهذا لأنهم :(...رأوا أن سيادتهم على الأمة لا تكون إلا بتجهيلها، وإعطائها من عقائد الباطل وأعمال الضلال ما يميت شعورها، ويسلُب منها كل قوة استقلالية في الرأي أو استدلالية في الفكر...) .

وبقدر ما يعتب العقبي على الدوائر الإدارية التي تسمع لهذه الإشاعات، إلا أنه يأمل في الحكومة "صديقة الإنسانية" أن لا تستمع لوشاياتهم في مستقبل الأيام ،لأنهم: "...إنْ وجدوا من يستمع لها اليوم فإنهم لن يجدوا من يستمع لها غدا أو بعد غد..." ،لأن هدف المصلحين وفرنسا واحد، وهو نشر الفضيلة واحترام الإنسانية،في حين أن هدف أصحاب الطّرق لا يُراعي مصالح الأطراف الأخرى،فهم: "...لا يهمُّهم مصلحة الأمة ولا الحكومة ولا مصلحة أيٍّ كان، وإنما همُّهم الوحيد أن يملأ الرجل منهم بطنه وجيوبه ويجمع الدراهم بأي واسطة...".[٦٤١]

وبما أن جريدة **البلاغ** كان من أول وأهم وأطول جرائد الطّرقية عمرا، فقد اصطدمت بالحركة الإصلاحية ورموزها في الزبيان منذ وقت مبكر، وازداد الصراع بعد ظهور جمعية العلماء

640 شهادة مغزي محمد لكمال عجالي، انظر:عجالي. مرجع سابق.ص ٣٩

641 العقبي. الإصلاح.ع ٣

المسلمين، وجمعية علماء السنة (سنة ١٩٣٢) ، فكانت **البلاغ** تَصل المنطقة وتَحظى بمشتركين ومراسلين، ولعل أهم طريقة نافست بها الإصلاح وجرائد جمعية العلماء هي محاربتها للتجنيس والإلحاد صراحة، واتهامها جريدة الإصلاح بالمداهنة وعدم اتخاذ مواقف صريحة من هذه القضية الخطيرة.

ونلاحظ أن الانقسام الذي أدى إلى بروز جمعية علماء السنة من داخل جمعية العلماء، قد أدى إلى صراع واضح في الزيبان أيضا، خاصة وأنه قد صار لكل جناح صحافته، فجريدتا **الإخلاص والمعيار** انضم إليهما ممثلو الزوايا الرحمانية والتيجانية والشاذلية والطيبية والقادرية والعليوية، وهي ضد الإصلاح مُمثَّلا في جريدتي **المرصاد والنور**، مما جعل الصراع يتحول إلى صفحات هذه الجرائد .

وبدورها تعرَّضت الصحافة الإصلاحية إلى دعاية مضادة، فحرَّمَت الزوايا والطرقُ قراءتَها والاشتراك فيها، حتى أن شيخ زاوية طولقة دعا أتباعه ،إلى عدم قراءة الصحف الإصلاحية لأنها من لهو الحديث، وتحجَّجوا بأن الرسول (ص) لم يقرأ الجرائد، وقد أثمر موقفُهم عندما تعاونوا مع العُمال الصغار وموزعي البريد لرفض هذه الجرائد وعدم توزيعها. [٦٤٢]

وإذا كانت الرَّحمانية قد حاربت **الإصلاح** نظريا ودعائيا، فإن العليوية ترجمت موقفها بالفعل، فتعرَّض أحد كتاب **الإصلاح** للضرب المبرح عندما نشر بيتين شعريين مُعاكسةً للعليويين. [٦٤٣]

ولا شك أن قرار ميشال في ١٦ .و١٨ فيفري١٩٣٣ الذي كان بِوحيٍ من الطّرقيين والموظفين ، قد نزل بَرْداً على أصحاب الطُّرق وموظفي المساجد بالمنطقة أيضا بعد توسيع دائرة شموله، وقد عبَّر

---

642 العقبي. ماذا ينتقدون علي؟.الإصلاح، ع ٧ ،٧ نوفمبر١٩٢٩.وأيضا: العقبي. أصحيح ما قيل؟. الإصلاح، ع ٧ ،٧ نوفمبر١٩٢٩

643 اشتهرت زاوية طولقة وتوابعها(زاوية متوسة، وزاوية الخنقة،وسيدي ناجي بليانة،..بعداوتها للإصلاح في المنطقة انظر:
- Zouzou.Aures.t2,pp ٩٨٩،٩٩٠

- الإصلاح.ع ٦، ٢٤ أكتوبر١٩٢٩. وانظر أيضا: العقبي . صلّت سُجاح وأمَّها مسيلمة .الإصلاح، ع ١٢، ٦ فيفري١٩٣٠

المرابط سي علي مبارك الممثل المالي- بكل صراحة - عن قلق الطُّرقيين وتخوفهم المتزايد من خطر الإصلاحيين في المساجد التي أخذوا يسيطرون عليها.

ويمكن أن نُقسّم تكتل الطُّرقيين ضد الحركة الإصلاحية إلى مراحل أو أشكال، بدءا "بجمعية علماء السنة"، ثم "مؤتمر رؤساء الطّرق الإسلامية" الذي انعقد في نوفمبر١٩٣٣ بنادي الإخلاص برئاسة مصطفى القاسمي، ثم "الجمعية الطّرقية الدينية الإسلامية" التي جاءت كرد فعل على انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان ١٩٣٦، و ضمت أربعين (٤٠) ممثلا في مجلسها الإداري[٦٤٤]. ثم "جامعة اتحاد الزوايا" التي ظهرت في أفريل ١٩٣٨ ، وحضر فيها رجال زوايا وطرق من منطقة الزيبان (مثل طولقة وعمّيش).[٦٤٥]

ويجب أن نلفت النظر الى سياسةٍ اعتمدها الطرفان (الطرقيون والإصلاحيون) لجرِّ أحدهما إلى الآخر أو اجتناب نفوذه، وهي سياسة المجاملة والزيارات والبحث عن نقاط التفاهم، ومن أهم مظاهرها:

- زيارة أحمد التيجاني شيخ زاوية تماسين لمقر جريدة **الإصلاح**، وقد قرّظته الجريدة بقولها:"...حضرة السري الماجد صاحب الأخلاق الجليلة عين أعيان رجال الطريقة التيجانية...بل كبير القوم وسيدهم.."، وتُشير الجريدة إلى التفاهم التام معه حول موضوعات كثيرة، كالجهل والفقر وضرورة نقاء الدين، وألقت باللوم على العامة وبعض الخاصة أما الرؤساء فهم يثُّون أفكار المصلحين (سياسة احتواء)،فكتبت: "...وما غادرنا إلا ونحن معه على وفاقٍ تامٍّ، وهكذا كل عظيم نجتمع به لا نجد بيننا وبينه في النظرية والغاية كبيرَ خلافٍ، ولكن الأمر الذي أعجزنا ولا يزال يُعجزنا هو إفهام العامة ومن على شاكلتهم من بعض الخاصة...أما العلماء المنصفون والأذكياء المتنوِّرون أمثال

644 البصائر. عدد٣١ جانفي١٩٣٩

645 البصائر.ع ١١١، ٢٩ أفريل ١٩٣٨.وكذلك: سعدالله. تاريخ الجزائر الثقافي.ج ٤،ص ص ٣٣٢،٣٣٥

هذا الشيخ الذي نُجلُّه ونحترمه ونُكْبِر مقامه فالتفاهم معه يسير غير عسير، وهو وإن عُدَّ من رجال الزوايا والطّرق مصلحٌ من المصلحين ومُفكّرٌ مع العالمين العاملين، أكثر اللهُ في الأمة من أمثاله، وأعانَه على تنفيذ برنامج إصلاحه حتى نجتمع وهو في طريق واحد". [٦٤٦]

- زيارة وكيل زاوية الهامل لمقر جريدة **الإصلاح**، ووصفت هذا الشيخ بقولها، "...الناسك الأبي الحاج ابن السنوسي....فألفيناه من محبي النهوض ومؤازري الإصلاح والمصلحين...".

- وفي مناسبة أخرى كتب السعيد الزاهري مُعزِّياً عائلة الشيخ العيد التيجاني فيه، وكذا فعل عبابسة الأخضري في **الشهاب**، فذكر الزاهري بأن الفقيد أبطل جمع الزْيارَة، ومظاهر الخرافات: "..والمرحوم هو الذي أضفى على المسلمين شيئا كثيرا من سورة التيجانية فسهلوا وأصلحوا بعدما كانوا أشداء متعصبين، ونجد آثار تربيته في حاشيته الخاصة وفي أبناء زاوية تماسين، ولاسيما خليفته الجديد الشاب السيد أحمد التيجاني فإنه مولع بالإصلاح والتجديد. "، بينما ذكر عبابسة بأن هذا الشيخ لم يناوئ الحركة الإصلاحية رغم الضغوط المفروضة عليه والإغراءات التي تعرَّض لها. [٦٤٧]

ويبدو أن الإصلاح قد نجح في التأثير على بعض مُريدي الطُّرق، وحتى أبنائها، وبعض رؤوسها، بعد أن يتعاملوا مع المصلحين، فيتبنَّونه أو على الأقل يتخلَّصون من كثير من تعقيدات والتزامات وخرافات الطّرقية، ولعل شيخ زاوية بن عباس القادرية بمنعة (شمال الزيبان) من هؤلاء، حيث انقسم ولاء زاويته للسلطات الفرنسية والإصلاح، وقام شيخُها بتوجيهها نحو الإصلاح مُستغِلا رئاسته لدُوَّار **منعة** لدعوة الناس للإصلاح، وقد انتهى الأمر باستقالته وتفرُّغه للإصلاح نهائيا[648].

---

[646] الإصلاح.زيارة عظيم. ع ٧، ٧ نوفمبر١٩٢٩

[647] الزاهري (السعيد).المرحوم الشيخ العيد رئيس زاوية تماسين.الشهاب،ع١٢٤.و عبابسة (الأخضري). الموت أسرع بخياركم. الشهاب،ع ١٢١

[648] Zouzou .L`Aures.t2,p988. نقلا عن AOM9H16.

وفي آخر الفترة المدروسة نجد موقفا غريبا لأحد مُقدَّمي الزوايا بالمنطقة، حيث تبرَّأ من طُرقيته وأشاد بالمصلحين، ورفض دعوةً من زاوية بطيوة بوهران لحضور **زَرْدَة** فيها،باعتباره مُقدَّم الطريقة الرحمانية بطولقة، فكتب حولها قائلا "...أيها الإخوان كنا نحسب الطّرقية تجديدا للرثِّ، ونَخَالُها إصلاحا للغثِّ، ولكن بعد طول التجربة تبين لنا أن إثمها أكبر من نفعها...لاسيما وقد انتهت بنا الى انحطاط في الهمم وفي العزائم وفساد في الأذواق واضطراب في الأخلاق وتشاكس في الرأي وتباعد في الغاية.."،وبيَّن فضل جمعية العلماء على الشعب الجزائري، بقوله:"...لَمَّت شعثَه وجمعت شتاتَه وانقطعَت لتمريضه حتى شُفي من سُباته وغَفوته..."[٦٤٩].

وفي نهاية الفترة المدروسة انعكس التنافس بين الطرفين بالإيجاب على العامة، بعد فترة طويلة من المُهاترات والمجادلات، فتحوَّل التنافس إلى الدفاع عن مصالح الناس، والنهوض بالتعليم، ونشر اللغة العربية، ومعارضة التجنيس ومظاهر التفرنس، والدفاع عن الإسلام. ولهذا قام الأمين الحفيظي (١٩١٠-؟) - ردًّا على نشاط المصلحين - بإنشاء "جمعية القرءان" ببسكرة، لتدريس القرءان والنهوض بمستوى المعلمين الثقافي والديني، ففتحت هذه الجمعية خمسا وعشرين (٢٥) قسما، وأدرجت تعليم اللغة الفرنسية إلى جانب العربية في مرحلتها الثانوية، وابتداء من سنة ١٩٤٨ توسعت إلى خنشلة وبريكة، ووصل عدد أقسامها الخمسين قسما.وفي سنة ١٩٥٠ أنشأ هذا الشيخ المدرسة الحديثة (المحمدية)، التي بلغ عدد تلاميذها الأربع مئة (٤٠٠)، منهم ثمانون (٨٠) بنتا. ويبدو أن منافسة الشيخ الأمين الحفيظي كانت تستهدف مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، وليس لبسكرة فَحَسبْ، خاصة أن عَدوَّه الانتخابي محمد خير الدين الذي كان يُنافسه كلَّما ترشَّح كعميلٍ للإدارة، هو مديرُ مدرسة التربية والتعليم في قسنطينة.[٦٥٠]

---

649 بن نعمان (أحمد) (مقدم الزاوية الرحمانية بطولقة). جواب عن استدعاء من زاوية قرية بطيوة بوهران. البصائر، ع ١٦٦

650 Zouzou.l`Aures.t2,p998

وهكذا خُتمت الفترة المدروسة بسياسة تعايشٍ سلميٍ، استفاد منه الإصلاحيون على العموم، وانعكس إيجابا على العامة من حيث دِفاع الطرفين عن أهم مطالبها الدينية والثقافية.

ثانيا: موقف النخبة والنواب والمنتخبين وتيارات الحركة الوطنية:

لم يصبح للنخبة الجزائرية صوت قويٌّ ومعروفٌ إلا ابتداء من ثلاثينات القرن العشرين، وقد اختلف وضعُهم في الزيبان عن العواصم الكبرى، لذا فإن تحالفهم مع الإصلاحيين كان مُنتظرا لعوامل كثيرة، فأمام حكم عسكري تعسفي، وتآمر استعماري مع رجال الطُّرق العملاء الجامدين، وَجَد الطرفان (النخبة والإصلاحيون) في تحالفهما الوسيلة الوحيدة لتقوية نفوذهم، كما أن كثيرا من المواقف كانت مجرد ظِلٍّ وتقليدٍ لمواقف تبنّاها الطرفان في العواصم الكبرى كسياسة عامة.

فابتهج المصلحون أمام اتحاد النواب المسلمين في المجلس البلدي لبسكرة، ودَعَوْهم للدفاع عن الشعب، وكتب محمد عبابسة الأخضري داعيا إلى الاتحاد بقوله: "الاتحاد الاتحاد أيها النواب، فإلى متى تشاهدون هذا الذل والاحتقار، فَاعْطُوا مأموريتَكم حقَّها، فإنكم نوابُ شعب كامل يسعد باتحادكم ويشقى بافتراقكم، فالإخلاص الإخلاص".[٦٥١]

وبِحُكْم تمكُّن العمودي من اللغتين العربية والفرنسية، فقد كان عين ولسان المصلحين إلى الجانب المفرنَّس، لذا نجده يكتب في سنة ١٩٢٩ مناديا إلى ضرورة وحتمية التعاون، بل وتوحيد برنامج المصلحين والنخبة لتحقيق الأهداف بسرعة، لأن سير الإصلاح في رأي العمودي:"... يكون سريعا إذا أمكن توحيد برنامج يشتمل على أهم نقط التعليم والعربية والمطالبة بالحقوق وغير ذلك.... فإذا كان في وسع أحد أن يُوفِّق بين فكرتي باديس والزناتي، وبين مذهبي العقبي وآيت قاسي، وبين رأيي الزاهري وساطور فلا يستحيل عليَّ أن أكون كفيلا للحركة بمستقبل زاهر".[٦٥٢]

---

651 عبابسة (الأخضري محمد). هل يفيد الاتحاد ضد القوة.ع ١٥، ٢٠ جوان١٩٣٧

652 العمودي (محمد الأمين).الحركة الإصلاحية، سيرها ونتيجتها ومستقبلها.الإصلاح،ع٤، ٣ أكتوبر١٩٢٩

ومن أهم مظاهر التحالف – أيضا – محطة التعامل مع مقررات اللجنة الوزارية المشتركة للشؤون الإسلامية التي زارت الجزائر، ففي بسكرة نُظم تجمع بتاريخ ١٨ماي ١٩٣٤ ،حضره ست مئة(٦٠٠) شخص يمثّلون مختلف الأطياف في الزيبان (الجالية الميزابية، والمستشارين الأهليين (عبد الله المراوي، والحاج عباس الجودي، والحاج عبد الله جواد، والدكتور سعدان، ومحمد خير الدين، وأعضاء شعبة جمعية العلماء المسلمين، وصفر العربي، وحاج عمار لاموشي (ملاّك)،وحاج إبراهيم بهيمي(من الأعيان)،وبوسعيد محمد(ملاّك)،ودياب النوي(ملاّك)،وسي محمد سلال لوام(نائب عَمالي قديم...إلخ))، وطالب كل من خير الدين وسعدان في هذا التجمع بحرية الديانة (المساجد لله)، وحرية الصحافة الأهلية، كما انتهى التجمع بتحرير رسالة إلى السلطات المركزية تطالب بحرية الديانة واللغة العربية وتعليمها وحرية الصحافة، وتذكير السلطات الفرنسية بأن ست مئة (٦٠٠) شخص الذين حضروا التجمع – على اختلاف انتماءاتهم – هُم من يمثّلون الأهالي تمثيلا حقيقيا، وليس الممثلون غير الشرعيين الذين وضعتهم الإدارة الفرنسية.[٦٥٣]

و لم يكن زعماء الإصلاح في الزيبان بعيدين عن الأحداث الجارية في الشمال، فنجدهم – مثلا– حاضرين في اللقاء الذي عُقد في قسنطينة لإزالة الخلاف بين النخبة ورجال جمعية العلماء في ٢٦ أكتوبر١٩٣٤ حيث ضم ابن باديس والعقبي وخير الدين والعمودي وفرحات عباس وابن حلول وسعدان..إلخ.،وتطرَّق لقضية حرية الديانة.[٦٥٤]

و لم يكن التقارب الحاصل بين الطرفين يخضع لتنظير فكري واضحٍ، بقدر ما تحكَّمت فيه المناسبات والظروف الطارئة والعلاقات الشخصية، فكانت الوساطة بين المصلحين والنخبة

---

[653]La defense. Notre people se defend.N 18,25 Mai1934

[654] انظر:الأمة.تطور العلائق بين جمعية العلماء المسلمين وأعضاء حزب الوفد. ع٨، ٨ نوفمبر ١٩٣٤.وأيضا: La défense 36,2Novembre1934

والأعيان.. في الزيبان تتم اعتمادا على العمودي وخير الدين، فالعمودي يكتب في صحافته (الدفاع)، وخير الدين يحلُّ المشاكل بواسطة علاقاته القوية والمتشعبة والمرنة، فكثيرا ما نجد العمودي يُنبِّه النواب والمنتخبين إلى واجباتهم ودورهم، بين شكرٍ وذمٍّ أحيانا، فكتب في سنة ١٩٣٤ بـــأنَّ: "...المقاصـــد الحقيقية للإدارة أصبحت معروفة الآن، لذا فعلى مُنتخبينا في كل الدرجات وممثِّلينا العَماليين في كـــل الفروع مضاعفة نشاطهم ويقظتهم إذا أردنا أن نُحافظ على الحرية الضيِّقة والكرامـــة الـــتي تبقَّـــت لنا".[٦٥٥]

وظهر التحالف أكثر في الصحافة حيث دعَّم الطرفان بعضهما البعض بقوة، ففي الانتخابات كان الإصلاحيون يتجنَّدون لإنجاح حلفائهم من النواب والمنتخبين، فدعَّمت **صدى الصحراء** محمد الشريف سيسبان في انتخابات النيابة المالية لقسم "باتنة –بسكرة"، وقام هو بدوره بزيارة مقر جريدة الإصلاح ببسكرة تعبيرا عن هذا التحالف.[٦٥٦]

وقامت جريدة **الدفاع** بحملة انتخابية واسعة – مجَّانا – لصالح النواب المترشحين، وتوعية المنتخبين وكيفية الانتخاب ووجوب اختيار الأكفاء، في إشارة إلى انتخاب سعدان، خاصة في الانتخابات العَمالية حيث نشرت برنامجه وخطاباته الموجهة لأهالي الزيبان.[٦٥٧]

وشكَّلت النوادي التي كان يشرف عليها كِلا الطرفين نقطة التقاء بين الإصلاحيين والنخبة، وكذا النوادي التي وضعها جماعة النخبة والنواب تحت تصرف الإصلاحيين في فترة الانتخابات، فقاموا بدعوة أنصارهم لانتخاب جماعة النخبة الموالِين للإصلاح.[٦٥٨]

---

655 Elamoudi. La défense. n19 ,10juin 1934.et Aboulhak..Aux délégation financiers,stupides et vieillesse plasantries reprenant. La défense ;n22.

656 صدى الصحراء.لقد أحسنوا صنعا(انتخاب النيابة المالية لقسم باتنة وبسكرة.ع ٦، ١١ أكتوبر١٩٢٦.وكذلك:الإصلاح .زيارات الأفاضل.ع ١٢، ٦ فيفري ١٩٣٠

657 Voir:La défense.n32,5 October1934.et n33,14 October 1934.et n34,19 October 1934.et n84, 15 Novembre1935

658 Zouzou. Aures.t2,p965

وقد رأينا كيف قاد المصلحون حركة احتجاج كبيرة وواسعة ضد تزوير الانتخابات في بسكرة، وضد خسارة سعدان بسبب تواطؤ رئيس بلدية بسكرة مع ابن قانة ضدَّه.

ولا يفوننا هنا أن نشير إلى دور النواب والنخبة والأعيان في التضامن مع الإصلاح، عندما اتُّهِم بالمشاغبة، ومُنع من الوعظ في المساجد، ومنها مثلاً العرائض التي وقِّعت في قسنطينة والزيبان وواد سوف مُؤيدةً للإصلاح، كشهادة لصالحه.[٦٥٩]

وجاءت قضية شباح المكي[٦٦٠] المناضل الشيوعي الذي تعرّض للاضطهاد على يد ابن قانة لتُمتِّن التحالف بين الإصلاح (شعب جمعية العلماء) والنخبة (سعدان،الشيوعيون)، فنشرت له جريدة **الدفاع** الكثير من احتجاجاته، ودافعت عنه ضد ابن قانة شيخ العرب.[٦٦١]

– المؤتمر الإسلامي الجزائري، هيكلة التحالف:

لقد ساهم المؤتمر الإسلامي الجزائري (جوان ١٩٣٦) في دعم شعبية الإصلاح وتوسيعها،وتعزيز التحالف القائم، خاصة أن خير الدين والعقبي وسعدان والعمودي كانوا من أهم مُنشِّطيه على المستوى المركزي، وفي الذكرى الأولى للمؤتمر(٧ جوان١٩٣٧) عُقد اجتماع ضمَّ الطرفين وأنصارهما، وتمَّ تحديد مطالبهما (كإلغاء القطاع الجنوبي في بسكرة وترقية اللغة العربية...إلخ.)، كما أُعيد انتخاب اللجنة المحلية للمؤتمر التي جمعتهما من جديد.[٦٦٢]

---

659 صاري(جيلالي).عبد العزيز الهاشمي والإصلاح.المجلة التاريخية المغربية،ع٩٩، ١٠٠،ماي ٢٠٠٠ ،ص ٥٦٤، نقلا عن AOM. Propagond de l`association des Oulamas"Eloued,5 Mai1934"

660 ولد بسيدي عقبة ١٨٩٤،هاجر إلى فرنسا وانخرط في النجم، عاد في سنة ١٩٢٩ إلى سيدي عقبة وأسس فرقة الشباب العقبي للمسرح...انظر الشباح (المكي). مساهمة في تاريخ الحركة الوطنية مذكرات مناضل أوراسي.مطبعة الكاتب ،دط ،١٩٧٦ ،ص ص ١٥،٤

661 Limam .Au camarade Bengana dit chacal Arab.La defense,n149,14Mai1937-

662 الرئيس سعدان،ونائبه بشير العمودي،والأمين العام علي كباس ،ونائبه رشيد دبابش، أما الأمين العام للمال فهو سي عبد الواحد، ونائبه جولاي حاج بشير،وممثل الدعاية محمد غربي، ولوام الصادق. أما الأعضاء الأعوان:فهم محمد خير الدين، وسعيد جودي،ومحمود

وربما نستطيع أن نستنتج فيما يخص علاقة الإصلاح بأطياف الحركة الوطنية تردِّي العلاقة مع التيار الاستقلالي وممثِّليه في المنطقة خاصة بعد المؤتمر الإسلامي، ومحاربةِ حزب الشَّعب لهذا المؤتمر، وقد تولَّى محمد الأمين العمودي الردَّ على التيار الاستقلالي ،خاصة وقد تولَّى رئاسة منظمة شباب المؤتمر.[٦٦٣]

وقد لعبت التطورات السياسية بعد المؤتمر الإسلامي دورا في تقارب الاستقلال مع الإصلاح، فشهدت بسكرة أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها مخاضا سياسيا حاسما، خاصة أن سعدان قد كلف دباغين (الطبيب المتربص عنده ببسكرة) بتأسيس فوج سري يهيئ لثورة ضد شيوخ البلديات المعمرين سنة ١٩٤٤، فكان هذا الفوج يضم إصلاحيين أمثال غريب أحمد بده، وغريب مكي، والعربي بن مهيدي، ومعمر ميدة، والعربي بعدونة، وبركات العرافي، وأحمد زيد، وخليفة بومدين..إلخ.[٦٦٤]

وهكذا نجد أن التقارب والتفاهم هو الذي غلب على علاقة الإصلاح بالنخبة والنواب، خاصة إذا عرفنا أن إلغاء قانون الأهالي، وحماية اللغة العربية والدين الإسلامي، والمساواة في الحقوق والواجبات، هي النقاط التي تجمع هذه الأطراف، بل إنّ فرحات عباس كان يرى أن تزويرَ انتخابات بسكرة سنة ١٩٣٥، واغتيالَ ثلاثة محاربين قدامى مناصرين لسعدان في سنة ١٩٣٨ ،إنما كان جزاء سعدان لدفاعه عن القومية الذي ظهر من خلال احتكاكه بالإصلاح.[٦٦٥]

=بسام،وأحمد بلوز،وعبد الكريم حاشية،وعبد الرحمن بركات،ومحمد لخضر بركات،ومحمد سويدي،ومحمد غرمي،وسعيد حوحو،وأحمد بن الدراجي،وميلود خالد،وأحمد قادري،وأحمد بوعاش.انظر:

- Kabas (Ali) .le people musulman fête l`anniversaire de congres,Biskra.. La défense ;N 155,25 Juin1937

663 ELamoudi.Dernier avertisment au (Nationaliste)Messali et appelle au PPA. La défense, n158 ,10 Juilliet 1937

664 زردوم (عبد الحميد). شاهد من البداية .حاوره الطيب لسلوس،الزيبان،ع ٦ ، من٩ إلى ١٥ أفريل٢٠٠٦

665 عباس(فرحات). ليل الاستعمار.ص ١٥١،ANEP،الوكالة الوطنية للنشر والإشهار.دط،دت،ص١٥١

ونختِم برسالةٍ نشرها عبد الرحمن بركات، رئيس شعبة جمعية العلماء المسلمين ببسكرة ، بعد وفاة الدكتور سعدان، وهذه الرسالة كان قد أرسلها إليه سعدان من باريس، وهي تُعبر عن قوة هذه العلاقة من جهة، وأن الطرفين كانا في خندق واحد ضد الإدارة الاستعمارية من جهة أخرى.وهذا نص الرسالة: (في رمضان ١٣٦٥ ،" بعد السلام إننا كلنا في الكفاح والجِد لإخراج الجزائر من حالتها الحاضرة، ولا ريب أنكم في انتظار كل خبر يأتي من باريس....ونحن عازمون على بذل كل الجهد لتحصيل النتيجة لاسيما فيما يتعلق بِلُغَتنا الشريفة، يمكن إن اضطرتنا الحالة أن نتنازل عن بعض النقط من برنامجنا السياسي مع المحافظة على المبدأ، ولكن لا يمكن أن نُساوم أو نتنازل في مسألة اللغة العربية، لأنه إذا رفض المجلس التشريعي طلبنا وصوَّت ضد الاعتراف باللغة العربية بكونها لغة رسمية فَقَد برهن بالطبع بأنه ضد الشخصية الجزائرية.....بلِّغوا سلامي لجميع أعضاء الشعبة ولجميع إخواننا ببسكرة وغيرهم.من أخيكم سعدان".[٦٦٦]

ثالثا– موقف الإدارة الاستعمارية وموظفيها:

لقد بدأ التصادم بين الإصلاح والإدارة الاستعمارية بصفة واضحة بعد سنة ١٩٣٣، أما قَبْلها فقد كان الإصلاح مشغولا بصراعه مع الطُّرقية، وبانطلاقه في الوعظ المسجدي، وفتحِ مدارس التعليم العربي بدأ الاحتكاك مع الإدارة الاستعمارية، التي أظهرت معارضتها لتنامي الخطر الإصلاحي، ومن نافلة القول أن نذكر أن المواقف كانت تتبلور ضد جمعية العلماء في الجزائر (العاصمة)، ثم تنسحب على أنصارها وشُعَبها في باقي المناطق، فمن أوائل التُّهم الموجَّهة للمصلحين نَذْكر الشيُّوعية والعَمالة للأجانب وللجامعة الاسلامية والجامعة العربية والوهابية.[٦٦٧]

---

[666] البركاتي (عبد الرحمن).ذكرى الأربعين لفقيد الجزائرالحكيم سعدان رحمه الله.البصائر، ع ٦٣

[667] الإبراهيمي.السجل .ص ٧٥

وإقتداء بسياسة الشيخ عبد الحميد بن باديس المهادنة والمطمئنة للإدارة الفرنسية، والذي كان لا يتوانى في إرسال التهاني وزيارة الحكام الفرنسيين عند زياراته لمختلف مناطق البلاد، شرع المصلحون في توضيح أهدافهم الإصلاحية التي لا تتعارض – في نظرهم- مع حضارة وعدالة فرنسا ورغبتها في تطوير القطر الجزائري، كما تبنَّوا الإشادة برجال فرنسا وحُسنَ الظن بهم، وهذه هي الخدعة التي كان يستنجد بها المصلحون ضد تعسف الإدارة وموظفيها كتحالف مؤقت مع الإدارة ضد الطُّرقية، رغم معرفتهم بفشل وقِصر عُمر هذا التحالف الهشِّ.

فكتب العقبي في مناسبة وغير ما مناسبة مُبرِزا مهادنتَه للإدارة وولاءه لها، ردّاً على من يتهمه بالوهابية والجامعة الاسلامية والقومية، فيقول مثلا:"...نريد العلم ونحب رجاله ونرغب في نشر الأخلاق الكاملة بين شعبنا الذي لبث كل هذه المدة فقيرا منها، ونودُّ العمل على إسعاده...ويتم لنا في كل زمن بمساعدة فرنسا نفسها ومناصرة الأحرار من أبنائها المنصفين" [٦٦٨]،كما كتب في مقاله "هل أنا عدوٌّ فرنسا؟" قائلا :"...كما أني لا أُعادي أي فرد من أفراد أية أمة وأي حكومة ما دام لا يُعاديني هو نفسه، ولا يعادي الإنسانية ذلك الإنسان "[٦٦٩]، وكتب أيضا:"... فَلْتعلَم الحكومة وهي التي تَغَارُ على الإنسانية، وتُشفق على المستعبدين، وتحاول إخراجهم من رقِّهم إلى فسيح الحرية والعدالة أننا نحن أنصارها وأعوانها والعاملون بحقٍّ على تأييد هذا المبدأ الحق ونشر مذهب الفضيلة الإنسانية والحرية بين عباد الله..."[٦٧٠]، واستمر العقبي على هذه السياسة بعد ذلك، ففي زيارته لبسكرة في جانفي١٩٣٧كرَّر هذا الموقف أيضا.

668 العقبي.صدى الصحراء.ع٣، ٧ ديسمبر١٩٢٥

669 العقبي.عيد الحرية الفرنسي .الشهاب،ع١٠٥، ١٤ جويلية ١٩٢٧

670 العقبي.الإصلاح ع٣

ومن ناحية أخرى باركت **البرق**- في أحد المواقف- وُقوفَ شيخ العرب ابن قانة ضد البدع والخرافات، وأيَّدت قرارَ حاكم ملحقة بسكرة منع جميع المضار والمفاسد المنافية للأخلاق .[٦٧١]

لكن رغم هذه المهادنة بدأت الإدارة المركزية في محاربة الإصلاح، بغلق المدارس واشتراط الرخصة على المعلمين الأهالي عملاً بقانون سنة ١٨٩٢، مما أفسح المجال للسجن والعقوبات والغرامات، وجاءت كثير من المقالات والاحتجاجات ضد قانون اشتراط الرخصة الذي كَلَّف كثيرا من المدارس الغلق [٦٧٢]، وفي مدينة القنطرة مثلا أدى اشتراط الرخص إلى انخفاض عدد المدارس إلى أربع، بعدما كان عددها عشرة مدارس.[٦٧٣]

وردًّا على قرار ٨ مارس ١٩٣٨ الذي اقترح السجن أو الغرامة أو كِليهما لِمَن يفتح مدرسة دون رخصة، شاركت شعبة جمعية العلماء ببسكرة في الاجتماع الذي دعا إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس بنادي الترقي في ٢٧ مارس ١٩٣٩ للاحتجاج ضده، وخرج المجتمعون بأنَّ منعَ الرخص عن المصلحين ومنحَها للطُّرقيين ليس إلاّ:" ترخيصٌ مؤقتٌ يُراد به تفريقُ كلمة الشعب الى إصلاحي وطرقي...فلو تمَّ - لا قدر الله - الفوز للطُّرقية والفشل للإصلاح لَعُومِلت الطُّرقية بما يُعَامل به الإصلاح اليوم، ولما استطاعت الطُّرقية أن تثبت ثباتَ الإصلاح".[٦٧٤]

ومن الوسائل الإدارية التي حُورب بها الإصلاح التضييقُ على النوادي، وعدمُ منح رخص إنشائها، وحتّى بَعد السماح لعدد قليل منها بالنشاط، وبعدما رأت الإدارة تحرُّكَ الشباب نحوها،

---

671 العقبي مع بن قانة ضد الخرافات .من هو الجاني؟. البرق، ع ١٢

672 من المواقف المبكرة استدعاء شيخ العرب بن قانة لخير الدين وتعبيره عن غضبه من نشاطه الإصلاحي، لذا انتقل خير الدين من فرفار ذات الحكم العسكري إلى بسكرة .انظر خير الدين.مذكرات. ص ص ٧٧، ٧٨ . وأيضا البصائر ع١٦٥، س ٤، ١٠ مارس١٩٣٩.وأيضا:البصائر ع٧٦، ٢٣ أوت١٩٣٧.والبصائرع ١٥١ ،٤ فيفري١٩٣٩.البصائر ع١٥٧ ،١٧ مارس١٩٣٩

673 سلطاني(عبد اللطيف). الصراط السوي.ع١٦،وع١٧، 8 جانفي ١٩٣٤. بن سلطان (الأمين).لماذا نمنع من تعليم أولادنا.الصراط، ع ٢، ١٨ سبتمبر١٩٣٣.وكذلك البصائر، ع ٦٤ ،١٤ جانفي١٩٤٨

674 البصائر، ع٧، ١٦٠ أفريل١٩٣٩

عادت و اشترطت رخصة ثانية خاصة ببيع المشروبات المباحة داخل هذه النوادي، وهذا في ٢٠ جانفي ١٩٣٨ مِمَّا يُعرِّض النادي إذا حصل على هذه الرخصة لتفتيش المراقبة البوليسية والمحاسبة الجبائية، وفي حال تخلّى عن الرخصة والمشروبات ضَعُف ارتياد الشباب له، مما يعطِّل دورَه الإصلاحي الذي أُنشِئ من أجله أصلا.[٦٧٥]

– عبد العزيز الهاشمي، القطرة التي أفاضت الكأس:

لقد وَجدت الإدارة الاستعمارية فرصةَ الانتقام من الإصلاح الزيباني داخل التراب العسكري بعد الانتعاش الإصلاحي الذي عرفته مناطق الزيبان ومنطقة واد سوف سنتي ١٩٣٤ ،و١٩٣٥، بتأثير من عبد العزيز الهاشمي المُتأثر بدوره بالزيتونة، وبمرافقته للشيخ محمد مبارك الميلي، حيث انخرط في جمعية العلماء ،ونال عضوية مجلسها الإداري، مما دفع بالسلطات الفرنسية لاعتقاله إثر احتجاجه على قرار ٨ مارس ١٩٣٨ وعلى الحالة الاقتصادية لمنطقة واد سوف، مما دفع الحركة الإصلاحية في الزيبان للتجند للدفاع عنه، حيث تكفَّل محمد خير الدين بتعيين محامين للدفاع عنه، وهذا لأنَّ عبد العزيز الهاشمي كانت له إقامة دائمة ببسكرة واتصالات قوية مع رجال الإصلاح فيها.[676]

وتدخَّل الشيخ عبد الحميد بن باديس عدة مرات ليُندِّد بالإجراءات التعسُّفية ضد المصلحين في الجنوب، فكتب مقاله "ماذا في الجنوب؟انديجينا جديدة بعد ١٠٨ سنوات" في **البصائر**، في ١٣ ماي١٩٣٨، وهو مقال ضد منشور الحاكم العام إلى حُكَّام الجنوب، الذي دعاهم فيه إلى سجْن والقبضِ على كل مُنتسبٍ إلى جمعية العلماء، وهو نسخة من قرار الولاية العامة سنة ١٩٣٤.[٦٧٧]

---

675 انظر ترجمة هذا القرار في البصائر ع ١٠٨، ١٥ أفريل١٩٣٨.وكذلك :تركي.جمعية العلماء... . ص ٩٤

676 حيلالي صاري، مرجع سابق، ص ٥٦٩

677 خطاب الرئيس في الاجتماع العام لجمعية العلماء بنادي الترقي،البصائر، ج٦،ع ١٤٥، أكتوبر ١٩٣٤

وظلت الإدارة الاستعمارية في الجنوب تعتبر أن نشاط الإصلاح هو رأس المخاطر التي تهـــددها هناك، ففي مراسلة منها إلى الحكومة العامة بالجزائر جاء فيها:" إذا كان نشاط ابن جلول لا يُـــشكِّل في الوقت الحالي خطرا كبيرا فيما يتعلق بالجنوب، فإن نشاط العلماء المصلحين السرِّي يجب أن يَلقى كلَّ العناية".[٦٧٨]

أما في شمال الزيبان إلى الأوراس فقد شاعت ظاهرة العداء للإصلاح من طرف السلطات التي جنَّدت قُوَّادها وعُملاءها، ووسَّعت صلاحياتهم، حتى أنها لاحَقَت ثلاثة إصلاحيين في مَنْعَة، ولم ينجُوا مِن المُلاحقة حتى بلغوا باتنة، كما زُوِّرت التقارير بأن المصلحين يقومون بتحريض السكان على العصيان وعلى عدم دفع الضرائب، وتعسَّفَ عملاءُ الإدارة – أيضا– في تطبيق قانوني ميشال (فيفري١٩٣٤) وشوطان (مارس ١٩٣٨).[٦٧٩]

– موقف الموظفين الدينيين:

من خلال عدد من المعطيات يبدو لنا أن الموظفين الدينيين لم يكونوا هدفا رئيسا للمصلحين ، وإنما الظروف والمناسبات هي التي كانت تجعلهم يحتكون ببعضهم البعض بصفة مباشرة، خاصة إذا عرفنا اعتدال الموظفين الدينيين مقارنة بالطرقيين، إضافة إلى ضعف مركزهم الاجتماعي والديني، فمجموع عدد الأئمة والمفتين لم يتجاوز مئة وثمانين (١٨٠) إماما في كل القطر.

وجعل المصلحون من عمل الأئمة تحت إشراف فرنسا نوعا من العمالة، وتقاضي الأجرة عملا لم يقم به السلف، لذا رفض العقبي مثلا قبل خروجه من الزيبان إلى الجزائر العاصمة الصلاة وراءهم ،كما أن إنشاء مساجد حرة للمصلحين أنهى التصادم مع رجال الدين الرسميين الذين فقدوا جزءا

---

[678] activité islamique dans les tiritoires du sud .AOM.9h14- في : صاري .مرجع سابق .ص٥٦٤

[679] جمعية أول نوفمبر في الأوراس. تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من ١٩٣٧-١٩٥٤.دار الشهاب، باتنة ،الجزائر،دط،دت ،ص ص ٢٥٢، ٢٥٣

هاما من مناصريهم لصالح الإصلاح، و لم يتعد هذا الاحتكاك في الأخير المناداة بمراقبة أعمالهم، وحثّهم على تأدية أدوارهم ورفع مستواهم، فنجد في **صدى الصحراء** إشارة الى تهاون بعض الأئمة والمؤذنين ببسكرة السفلى في أداء دورهم الديني رغم أنهم يتقاضون أجورَهم عليه.[٦٨٠]

فموقف الإدارة الاستعمارية إذاً قد تطور من إظهار عدم الاكتراث به، إلى تكليف الطُّرقية بمقاومته بالنيابة، فالقياد والموظفين الصغار، إلى أن وصلت في الثلاثينات إلى محاربة الإصلاح بكلِّ الطُّرق، بالقوانين، وبعدم منح الرخص، وبالاعتقال، وهذا بصفة سَافرةٍ مُلصقةً البعد السياسي بنشاط الإصلاح لتبرير وتسهيل عملية القضاء عليه.

680 العقبي. الأمة في حاجة إلى الإصلاح. السنة، ع٥، ٨ ماي١٩٣٣.وكذلك:صدى الصحراء .عبرة وذكرى لقوم يعقلون.ع ١٣، ٢٩ مارس١٩٢٦.وأيضا:Merad.opcit.p354 .

٢- في ميزاب:

أولا: موقف المحافظين:

١- الصراع داخل العزابة:

لقد تميزت سنة ١٩٢٢ في ميزاب بأنها بداية الصراع بين الإصلاح والمحافظة، ففيها اشتد الجدال والمعارضة حول جدوى إرسال البعثات العلمية نحو تونس، وفيها بدأ أول انقلاب عندما دخل بيوض هيئة العزابة (١٩٢٢) ولكنه اكتفى بالعضوية فقط دون رئاستها، ولكن نمو الإصلاح سرع وتيرة ما أسماه الشيخ عبد الرحمن بكلي (البكري) حركات التطهير داخل هيئة العزابة في بعض مُدن ميزاب خاصة بعد سنة ١٩٣٨.

وقد عارضت العزابة هيئات ونظم المصلحين المشكلة حديثا، بدعوى أن ميزاب لم يعرف في تاريخه سوى جماعة **العزابة** للأمور الدينية، وجماعة **الضمان** للأمور المخزنية، وبين أيدينا شكوى حررها شيخ ميزاب الشيخ حمو بن أحمد ضد الشيخ بيوض في ٢٥ فيفري ١٩٣٩، وقد وقعها مئة وأربعة عشر (١١٤) شخصا من أعيان ميزاب، منهم تسعة من العزابة، جاء فيها:"...حضرة المحترم رئيس دائرة غرداية...نخبركم أننا قدَّمْنا إليكم شكاياتٍ مرة بعد مرة بيوض الحاج إبراهيم بن اعمر القراري فيما أحدث ببلدنا غرداية خصوصا وفي مدن ميزاب عموما...فإن كانت تلك الجماعة (الإصلاح) لإصلاح الدين، فالجماعة الدينية تكفي عنها، وإن كانت لإصلاح أمور البلد العامة، فالجماعة المخزنية تكفي عنها، وعلى كل حال لسنا محتاجين إليها، فقد أوقعت أخلاطا وأمورا خطيرة على البلاد والعباد..."، ثم تُبيِّن العريضة خطرَ بيوض :"...إن ما يفعله بيوض من إلقاء خطب ومحاضرات في العامة البسطاء، وفي أذهان عربان غرداية وعُربان القرارة وبريَّان بعد إحكام الروابط

بينهم وبينه، سيُحدث لنا وللنفوذ الفرنسوي بلا شك ضررا كبيرا من الناحية الأدبية والاقتصادية..."."[٦٨١]

كما قدَّم عزابة بريان المحافظين شكاية ضد المصلحين الذي استطاعوا السيطرة على هيئة العزَّابة و ممارسة دعاية لم تعرفها ميزاب حتى مع البُلشفية:"... لَّما فشلت تلك الدعاية نشأت عقبها دعاية جديدة هي أشد خطرا علينا وعلى نفوذ دولتنا، فيجدر بولاَّة فرنسا أن يعيروا لها جانبا من الاهتمام وأن يعتبروها أعظم خطر على سياستهم المحلية."."[٦٨٢] ،كما نبَّه العزابة إلى خطر تحالف الإصلاح مع القياد كما حدث في بريان...بل وصل الأمر بعزابة بني يزقن إلى إعلان " البراءة " من بيوض عام ١٩٣١.

ولكن المصلحين سيتمكنون من التغلغل داخل جهاز العزَّابة، والتنازع على رئاستها مع المحافظين، مثلما حدث لبيوض في ٥ أفريل ١٩٣٨، وفي عزابة بريان سنة ١٩٣٨، وفي عزابة العطف في ٢٣ نوفمبر ١٩٤٥.[٦٨٣]

واشتهرت غرداية ببقائها في صفِّ المحافظين: "عقبةً كَأْدَاء في طريق كلِّ مشروع قام به رجال الإصلاح"[٦٨٤]مثلما وصفها أحد المصلحين،وكذا بني يزقن رغم أنها كانت سبَّاقة للإصلاح على يد القطب، لكن بوفاة القطب وتشتُّت طلبته زالت مظاهر الإصلاح فيها ،كما أن قُربَها من قيادة الملحقة جعل نفوذ أعيانها يزداد، وأنصارهم يكثرون، ومعارضتهم لنفوذ بيوض تزداد ،لذا ظلت على جمودها.

---

681 بكلي (البكري).مسيرة....ص ١٤٧

682 بكلي(البكري).مسيرة...ص ص ١٥٦، ١٥٩

683 بن بكير.مرجع سابق .ص ص ١٦٧، ١٦٨

684 بن صالح (عفو بالحاج). رأي صريح في أسباب انحطاط مدينة غرداية من الناحية العلمية.الأمة،ع٥، ١٢ جانفي١٩٣٧. وأيضا:الأمة.بعد الحرب والموعظة يجب أن يكون الحرب والتجريد من كل سلاح. ع ٣٧، ١٣ أوت١٩٣٥

ويُمْكِن أن نُجمِل نقاط الخلاف بين الجناحين في عدد من القضايا، من أهمها قضية الصوم والإفطار بالتيلفون، وتطوير المواد الدراسية، والتفتُّح في الفتوى على المذاهب الإسلامية، وقراءة القرءان على الموتى بأجرة، وتلحين وترديد الأناشيد، وتحية السلام عليكم داخل الأسر، وتعليم البنات، وإدخال الكهرباء، وتَولي الوظائف تحت سلطة جائرة، وحقن الدم، وحفر القنوات الصحية...إلخ.[٦٨٥]

٢-الصراع في مجال التعليم:

كَردٍّ على اهتمام الإصلاح بالتعليم قام الشيخ لعلي صالح (١٨٧١-١٩٢٨) بتأسيس المعهد الجابري سنة ١٩٢٧ ببني يزقن، كما ظهرت مدارس أخرى مثل التوفيق والاستقامة ومدرسة بوكامل بليدي [٦٨٦]،كما عمل المحافظون على إدخال نوع من التطوير على تعليمهم لِسدِّ الطريق أمام الإصلاح، ولكن القناعة بالقليل منه ظلت الميزة اللصيقة بمحافظي ميزاب ،ففي سنة ١٩٢١ بدأ تطوير المدرسة القرآنية بمليكة، وفي سنة ١٩٢٧ تم توسيع مدرسة بني يزقن كتعبير عن هذا التجديد والمنافسة.[٦٨٧]

كما قام المحافظون بمقاطعة التعليم في معهد **الحياة**، ولهذا كانت نسبة أبناء المدن الميزابية المحافظة (بونورة، مليكة، بني يزقن) إلى باقي أبناء مدن ميزاب من الطلبة ضعيفة، خاصة بني يزقن التي لم يأتي منها من الطلبة سنة ١٩٤٦ سوى ستة طلبة.

وأمام توحيد الإصلاح لمناهجه الدراسية قام المحافظون بتوحيد مناهجهم أيضا، تحت لجنة سمَّوها "جمعية توحيد المعارف" سنة ١٩٥١ ، ضمَّت المعهد الجابري و(بني يزقن) ومدارس الثبات

685 ناصر.الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما. ص ٢١

686 Ben Drisou.opcit.p51

687 آعوشت.تاريخ بني ميزاب.ص ١٥٥

(بونورة)، وأبي سالم(العطف)، والرشاد(مليكة) ومدرسة آت بولحية (القرارة) ومدرسة المسجد (غرداية).[٦٨٨]

٣- سياسة غلق الأبواب:

أمام نجاح الإصلاح المتنامي في القرارة لجأ المحافظون إلى محاصرته فيها، وعدم تَرْكه يتوغل في مدنهم الأخرى، وهذا بالتعاون مع الإدارة الاستعمارية، فجاء في إحدى العرائض مثلا: "...فالمطلوب من حضرتكم يا سيدي الرئيس بهذه الشكاية أن تُؤيِّدونا، فتأمر بيوض الحاج إبراهيم أن يمكث هو وحزبه من القرارة في بلدهم ولا يقدموا إلى بلادنا..."، أما في بني يزقن فقد أُغلِقت الأبواب أمام بعثة كشفية من معهد **الحياة** كانت تطوف أرجاء ميزاب، وظلت خارج أسوار بني يزقن.[٦٨٩]

أما شيخ عزابة غرداية فقد تدخَّل بنفسه أمام السلطات لمنع بيوض من حضور احتفال تدشين مدرسة الإصلاح، وهو ما تمَّ له فعلا.[٦٩٠]

وانتقل هذا الحصار حيثما حلَّ بيوض وجماعةُ الإصلاح، فأُغلِقت المساجد الإباضية والنوادي في وجهه، ونُفِّر منه الجمهورُ، وأبدت الإدارة الفرنسية اغتباطَها بهذا التوتر.[٦٩١]

وقد تطور الصراع بين الطرفين إلى استعمال العنف في عدة مناسبات، مثل طرْد شباب إصلاحيين من المساجد المُحافِظة كما حدَث في بريان، أو الاعتداء على بيوض في سنتي ١٩٣٨و

---

688 Ben Drisou.p42

689 بكلي (البكري).مسيرة..ص ١٥٩.وأيضا:شهادة الشيخ بن الشيخ بالحاج محمد بن بابا(عشيرة آل جهلان).

690 تقرير من رئيس ملحقة غرداية إلى القطاع العسكري،دون تاريخ،S/١٩٣. عند السيد علي بيوض في منزله بالقرارة.غرداية

691 انظر مثلا بعض العراقيل التي كانت تصادف بيوض في سطيف والعلمة والبليدة (كطرده من نادي النهضة في تقرير رقمS37 من بينو رئيس ملحقة غرداية إلى قائد القطاع العسكري في ناصر.بيوض مصلحا..،ص ٢٨٧.وأيضا: سعيد.عبث المنافقين بكرامة بيوت الله .الأمة، ع٩٩، ١٧ نوفمبر ١٩٣٦

١٩٤٢[٦٩٢].وأيضا في ١٤ أوت ١٩٤٦ عندما عقد بيوض اجتماعا عند رئيس جمعية الإصلاح حيث تعرض لاعتداء بالعِصِي من طرف مُحافِظي غرداية.[٦٩٣]

وليس غريباً أن يتَّجِه المحافظون في ميزاب — أمام هجمات الصحافة الإصلاحية – إلى إنشاء صحافة ناطقة باسمهم تُبين أهدافهم، وتنشر أفكارهم، وتَردُّ على خصومهم، بعدما اعتمدوا مؤقتا على جريدة **النجاح**. فأنشأوا صحيفة **الرُّوح** في ١٥ أكتوبر١٩٣٧ ،بإشراف أحد المحافظين (الجامدين) وهو أبو العلاء بكير بن الحاج سليمان في البليدة، وهي جريدة نصف شهرية، جاءت في حجم متوسط، وكان توزيعها يتم في البليدة، ومنها تأخذ طريقها إلى قرائها، وعموما فقد تميزت بحربها على الأشخاص، خاصة أبي اليقظان وبيوض وإبراز أخطائهما وضعف علمهما، بل وحتى مصلحي الشمال مثل الشيخ ابن باديس والميلي...إلخ.، كما اشتهرت أكثر بِردِّها الحاد على جريدة الأمة منبر الإصلاح الميزابي.[٦٩٤]

ورغم عمل المحافظين على نشرها وتوزيعها، إلا أنها حسب الأستاذ محمد ناصر لم تكن ذات شهرة واسعة، بل رفضها الجمهور مما أدّى بصاحبها الى التوقف عن طبعها في أوائل سنة ١٩٣٩ ،بعدما صدر منها ثلاثون (٣٠) عددا.[٦٩٥]

ورغم أن الإصلاح هو من انتصر سياسيا – على الأقل- في الأخير، إلا أن المحافظين ظلُّوا محافظين على شيء من نفوذهم، ففي سنة ١٩٤٨ جاء في مجلة **الشباب** أن الجمود (المحافظين) مازال يُعارِض الكتابة على اللَّوح (السبورات) وإدخال الكهرباء والتيلفون وركوب الطائرة...إلخ.[٦٩٦]

---

692 شهادة الشيخ بن الشيخ بالحاج وأيضا محضر جلسة ٢جويلية١٩٤٢ ، كراسة ١٩٤٣/١٩٤٢

693 شهادة باجو للباحث ،وكذلك في تقرير فرنسي اطلعنا عليه عند السيد علي بيوض نجل الشيخ إبراهيم بيوض بمنزله بالقرارة

694 انظر الروح.ع ٢٠، وغ٢١.وكذلك:البصائر. ع١٤٠

695 اطلعنا على أعداد منها في مكتبة عشيرة البلات بالقرارة،غرداية

696 الراعي (محمد).ما كل تقليد ابتداع.الشباب،ج٢، ٢٢ فيفري ١٩٤٨

٢- موقف النخبة والنواب والمنتخبين:

عُرفت النخبة الميزابية باستقرارها في الشمال، ورغم دراستها بالمدارس الأوربية إلا أنها لم تتأثر في عمومها بتياراتها ،[٦٩٧]وقد ظلت ميزاب عموما في الجنوب بعيدة عن التيارات السياسية، لعدم وجود المجال الانتخابي لها، لكن ابتداء من سنة ١٩٤٨ بدأت تظهر بعض الأسماء والبرامج الانتخابية.

أمَّا خارج ميزاب فكانت العلاقة علاقة مصلحية بحتة، فالنواب يستطيعون تبليغ المطالب التي تهمُّ الجميع، لذا نجد التقارير الفرنسية تتَّهم بيوض وأبا اليقظان بدعم كتلة أعضاء الوفد بعمالة قسنطينة معنويا وماديا...،وهذا التقارب عادة ما يكون حول إلغاء قانون الانديجينا والضرائب والتعليم والمساواة والعدالة، وإدراكاً لأهمية النِّيابة في دعم الإصلاح دخل الإصلاح السياسة منذ سنة ١٩٤٨ ،وأصبح الشيخ بيوض ناطقا رسميا ومباشرا باسم ميزاب كلها، بعدما كان ناطقا باسم الإصلاح فقط.

ولعلَّ عريضة بيوض الموجهة إلى الوالي العام شاتينيون في ١٤ أفريل ١٩٤٦ تختصر مطالب الإصلاح، التي منها إرجاع المحاكم الملغاة في بونورة ومليكة، والعودة للعمل بمجلس الاستئناف عمي سعيد، وحرية الاجتماع والنشر والتعليم العربي، وتوسيع نطاق التعليم الفرنسي وترقيته، وإلغاء دور البغاء ومنع الميسر وبيع الخمر وفتح الحانات.

ونظرا لتبنِّي الإصلاح الميزابي السياسة وسيلة، فقد دخل المصلحون مع المحافظين في صراع داخل جماعة الضمان المسيرة لشؤون ميزاب المخزنية، واستطاعوا منافستهم في أغلب مدن ميزاب، ما

[697] دارت مراسلات كثيرة بين أبي اليقظان وإسحاق اطفيش حول أحد الميزابيين العاملين في صحافة أبي اليقظان في الجزائر لتجنيبه الانزلاق وراء التيار الشيوعي لكنه تراجع، وهو الفرقد (سليمان بو جناح).

عدا بني يزقن حيث سيطرة المحافظين التامة، مثلما يُوضحه جدول انتخابات الضَّمَان في ٢٢ أفريل١٩٥٣.[٦٩٨]

المدينة	ضمان الإصلاح	ضمان المحافظين	المالكية(العرب)
غرداية	١٣	٠٦	٠٣
القرارة	٠٧	٠٢	٠٥
بريان	٠٧	٠١	٠٣
بني يزقن	٠٠	٢٦	٠٠
بونورة	٠٢	٠٤	٠٠
مليكة	٠١	٠٤	٠٠
العطف	٠٤	٠٣	٠٠
المجموع	٣٤	٤٦	١١

ويُمثِّل عيسى بن عمارة خبزي الرَّاعيَ والُممولَ الدائم للإصلاح سواء بميزاب أو حتى في بسكرة، فقد دعَّم بيوض في انتخابات المجلس الجزائري، ودخل معه في مشروع نقل "بسكرة-غرداية" ضد بوكامل، لهذا حذَّرت منه التقارير الفرنسية، وأوصت بمنعِه من تسجيل نفسه بقائمة الانتخابات بالقرارة لأنه مُسجَّل ببسكرة.[٦٩٩]

[698] آعوشت.تاريخ بني ميزاب. ص ٢١١

[699] تقرير 64/S وأيضا تقرير عمالة قسنطينة،189AIR14/5، ٢٤ أكتوبر١٩٣٨. أما الشيخ عبد الله بن الحاج صالح البليدي(بوكامل) ١٨٦٠-١٩٥٦،فقد ولد ببني يزقن،وهو تاجر في العاصمة،تعرف على الإدارة الاستعمارية وموظفيها،عارض الإصلاح وأسس معهدا للشيخ إبراهيم بن بكير حفار ببني يزقن. انظر: بن بكير.تاريخ بني ميزاب...،ص ص١٨٢، ١٨٣

وإذا تكلمنا عن علاقة المصلحين بأعيان ميزاب برز لنا اسم محمد بوكامل بصفة خاصة، كأحد الوجوه الكبيرة في ميزاب المعارضة للإصلاح، لذا نافسه المصلحون ماديا واقتصاديا وانتخابيا وحاولوا إبعاده من طريقهم.[٧٠٠]

ولعل ما يؤكد لنا مكانة النواب لدى جماعة الإصلاح الميزابي ما حدث من احتفاء بابن جلول عند زيارته لغرداية، حيث التقى ببيوض وخبزي عيسى بمنزل هذا الأخير، وقيام بيوض بزيارة نادي **الإصلاح** بباتنة، حيث استقبله رئيسه الدكتور بن خليل، وألقى بيوض محاضرة فيه بالمناسبة.[٧٠١]

وفي محطة أخرى نجد أن المصلحين قد وقفوا مع ممثل ميزاب السيد عمر بن عيسى الذي رفض المحافظون تجديد النيابة له رغم ما عُرف به من معارضة للتجنيد الإجباري، وهذا عقابا له على تبنِّيه أفكار المصلحين ومطالبهم، فقام رجال الإصلاح بجمع التوقيعات له [٧٠٢]،هذا في الوقت الذي كان فيه نواب آخرون يتهرَّبون من لقاء الإصلاح، وتُسجل لنا جريدة **الأمة** مناسبات كثيرة تخلفوا فيها عن الحضور.[٧٠٣]

وإذا عرفنا مدى تشدُّد المذهب الإباضي لم يبقَ ما نقوله حول موقف الإصلاح مع التيار الشيوعي وممثليه حيث رفضه رفضا مطلقا.

وبالنسبة لعلاقة مفدي زكريا بالإصلاح في ميزاب، فيمكن أن نختصر تطوره السياسي ومواقفه المختلفة في قول الدكتور محمد ناصر عنه:"...فَعَمِل بادئ ذي بدء في صفوف الحركة الإصلاحية وساند جمعية العلماء وخلَّد أعمالها بقصائد رائعة غير أن مفدي زكريا لم يجد بُغيته في منهج هذه

---

700 من هذه المحاولات اتصال بيوض بابن خالته إبراهيم غرافة بالجزائر للاتصال بمصالي الحاج للتصالح مع بوكامل،انظر:تقريرا مؤرخا في ١٩٤٧/٦/٢٩،دون رقم.عند السيد علي بيوض في منزله بالقرارة.غرداية

701 الأمة.ع١٢٢، ٢٥ ماي١٩٣٧.وأيضا تقرير ٢٠ أفريل١٩٣٧، صادر عن عين التوتة .وانظر: بن عبد الله(عيسى).نادي الإصلاح بباتنة.الأمة، ع٧، ٣٠ أكتوبر١٩٣٤

702 تقرير حول عمر بن عيسى،٨ فيفري ١٩٣٦. وكذلك:تقرير حول عمر بن عيسى، بتاريخ٢٧ مارس١٩٣٦

703 الأمة،ع ١٢٥، ١٥جوان ١٩٣٧.وأيضا: العدد ١٢٧، ١٩ جوان١٩٣٧

الجمعية (والإصلاح ككل) التي كانت في أول أمرها عن تخطيطٍ وبُعْدِ نظرٍ تتعمَّد الابتعاد عن السياسة"[٧٠٤]،ولعلَّه وجد في فكر أبي اليقظان المتحمس الاستقلالي مجالا أفضل من منهج بيوض ،لذا نجد التقارب بينهما كبيرا،فكتب كثيرا في جرائد أبي اليقظان ودافع عن الإصلاح، وكتب ضد مشروع **بلوم فيوليت**، لكنه ترشَّح ضد الشيخ بيوض في نهاية الفترة المدروسة وانحاز لصفوف المحافظين في الانتخابات سنة ١٩٤٨.

فنجد بأن الإصلاح الميزابي انطلق من البحث عن التحالف مع النخبة والنواب، ليصل إلى تكوين نخبة ونواب يمثلونه، خاصة عندما اقتحم السياسة بصفة معلنة، مما وسَّع نفوذه وأَسْمَع مطالبه للسلطات الفرنسية خارج ميزاب، بل وخارج الجزائر (الميتربول).

٣-موقف الإدارة و موظفيها:

٣-١ .القياد:

تبدو علاقة القياد بالإصلاح بين مد وجزر تتحكم فيها الأحداث وظروف العمل، فالتقارير تُكتب إلى السلطات مُحذِّرة ومُنذرة، والمجاملاتُ يتكلَّفُها القياد أمام المصلحين، ويمكن أن نقول أن القياد قد دخلوا في تحالفٍ مع العزَّابة ضد المصلحين، وفي حال تبنَّى العزَّابة أفكارَ الإصلاح فالجزاء هو العداء، مما يجعل رد فعل الإصلاح هو العمل على تنحية القياد، لهذا كُتِبت أكثر الرسائل ضدهم.

[704] مفدي زكريا:ولد ببني يزقن سنة ١٩٠٨،حفظ القرءان بغنابة، ترعرع على يد عمه في تونس(صالح بن يحي المتأثر بالتعالبي، وأحد مؤسسي حزب الدستور، درس بالبعثة على يد أبي اليقظان وإسحاق اطفيش والثميني، كتب بمجلة الوفاق، والنهضة، والزهرة،وتونس،وتونس الفتاة،وصبرة،ووادي ميزاب،والشهاب..تولى الأمانة العامة لحزب الشعب ،ورئاسة اللجنة التنفيذية، ورئاسة تحرير **الشعب** لسان حال حزب الشعب،اعتقل عدة مرات،توفي سنة ١٩٧٧ .انظر: ناصر.مفدي زكريا شاعر النضال والثورة.المطبعة العربية،غرداية،دط،١٩٨٤،،ص ص ٧، ٣٦

وإذا كان الميزابيون لا يلومون الفرنسي (الرُّومي) على عمله لأنه يخدم وطنه، فإنهم يلومون القياد الذين يعملون لأنانيتهم، ولأنه لا ذمة لهم فشعارهم هو "يَنْصُرْ مَنْ صَبَحَ" أي نَنصُر من بيده القوة.[٧٠٥]

ومما يوحي بسوء علاقة الإصلاح بالقياد ما شاع حول دور الشيخ بيوض في عزل قايد بريان (قَلُّو)، خاصة أن هذا القايد كان قد قدَّم بعض طلبة بيوض للمحاكمة والسجن عند إقدامهم على تحطيم بعض القباب في بريّان، وأيضا وشاية قايد مليكة ببيوض عند لقائه بالحاكم العام.[٧٠٦]

ويبدو أن الإصلاح استطاع مهادنة بعض القياد مثل الآغا عفاري بن إبراهيم في القرارة الذي كان يتغاضى عن نشاط المصلحين لحد ما[٧٠٧]،وقبله عمارة إبراهيم بن يوسف بالقرارة أيضا ،والذي تواطأ مع الإصلاح، وكلَّفه هذا العزل من منصبه في سنة ١٩٣١ ،وأيضا رفض قايد بني يزقن أوامر ملحقة غرداية بالتجسس على المصلحين بقوله: " إن الجوسسة على الأشخاص والبحث عن نزعاتهم السياسية ليست من خصوصيات وظيفتنا ".[٧٠٨]

ولهذا طالب المصلحون بانتخاب القياد، وليس تعيينهم، وهذا بسبب تورطهم في محاربة الإصلاح وأخذ الضرائب وإهانة العزابة[٧٠٩]، ويبدو أن فرض الإقامة الجبرية على بيوض هو العامل الذي دفعه للاحتكاك أكثر بقايدها، والتصالح معه في الأخير.[٧١٠]

---

705 شهادة الشيخ بن الشيخ بالحاج للباحث.

706 تقرير رقم S/64 من القائد العسكري لغرداية إلى الحاكم العام،دت.انظر: ناصر.بيوض مصلحا.ص ٢٨٨

707 شهادة الشيخ بن الشيخ للباحث .رغم أن تقريرا فرنسيا بعنوان الوضعية الأمنية في ملحقة غرداية يجعله من الموالين لفرنسا.والتقرير بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٣٨

708 آعوشت. تاريخ....ص ١٦٨

709 عمر بن عيسى بن (إبراهيم).منصب القادة بميزاب وما تعاني الأمة من أضراره،الأمة، ع ١٠٤، ٥ جانفي١٩٣٥

710 محضر الجمعية الصغرى،جلسة رقم ٥٩٩،جويلية ١٩٤٤.ومحضر الجمعية الصغرى ،جلسة ٦٠٢ ، ٢٤ ديسمبر١٩٤٤

– الإدارة الفرنسية:

عُرفت الإدارة الفرنسية بالصرامة ضد الإصلاح مع اضطرارها أحيانا لمسايرة الأوضاع حَذَرَ تَمرُّد محتمل، وسنحاول تتبُّعَ عدد من التقارير الفرنسية التي تميزت بكثرتها، وتعدد مصادرها، وتتبعها العناصر الإصلاحية وتنقلاتها في القرارة ومدن ميزاب الأخرى وباتنة وقسنطينة وسطيف والأغواط والبليدة والعاصمة...). ففي أحد التقارير يطلب رئيس ملحقة غرداية **فيقوروس** تسجيلَ بيوض كمتمرد، ويُحذر من تشبُّعه مع أبي اليقظان بأفكار الحركة العربية وجمعية العلماء المسلمين ، ويُضيف التقرير بأن بيوض يعمل على تحطيم مكانة القايد، ويصف رئيس الملحقة استراتيجية بيوض بقوله بأنها: "اختيار شيوخ الجماعة من حزبه وبالتحديد حفيد أبي اليقظان، الذي رَفَضْتُ (فيقوروس) ترشحَه في رسالتي المؤرخة بـــ٧ ديسمبر١٩٣٤، إنِّي أعمل على مراقبة بيوض، وأرجو أن يُصبح تسجيل هذا الأهلي في دفتر **ب**(B) ضروريا"[٧١١] ،أما القائد العسكري لغرداية لوموان (Lemoin) فيذكر بأن ارتباط بيوض بالحركة العربية الناشطة في الشمال صار مؤكدا، وأن الاضطرابات التي حصلت في قسنطينة في أوت ١٩٣٤ هي بتحريض منه أيضا لأن: "..هدفه فيما يبدو هو إخراج الميزابيين من حيادهم الذي بقوا عليه إلى حد الساعة، ودعْوَتُهم إلى مساعدة المثقفين المسلمين وكتلة أعضاء الوفد بعمالة قسنطينة معنويا وماليا "، لهذا يُوصي بضرورة تسجيله في الدفتر **ب** (B)،الخاص بالمشاغبين ضد الحكم الفرنسي.[٧١٢]

ويكشف لنا أحد التقارير نشاط بيوض في العاصمة والبليدة، ولقائه بأبي اليقظان، وخطةَ الإدارة في مواجهته، وذلك بواسطة تحذير الميزابيين في شمال البلاد من أفكاره ومشاغباته.[٧١٣]

---

711 تقرير من رئيس ملحقة غرداية فيقورس إلى قايد القطاع العسكري لغرداية ،S3، ٥ جانفي١٩٣٥

712 تقرير قائد القطاع العسكري لقطاع غرداية لوموان ، رقم ٥٥٤، ١٧ نوفمبر ١٩٣٤

713 تقرير رقم ٥٧٨، ٣٠ جانفي ١٩٣٦

وأمّا تقرير آخر فيعالج توجُّه بيوض السياسي، ويخلُص إلى أنه غير واضح قبل سنة ١٩٤٣ ،ولكن مع ذلك: "فإنه قريب الشَّبه باتجاه جمعية العلماء التي له بها علاقات عميقة أكثر من الأحزاب التي اتصل بها".[٧١٤]

وأمام التقارير المتواصلة من غرداية وغيرها من المناطق تدخَّل الحاكم العام وأَمَرَ بتسجيل بيوض وعدد من المصلحين في الدفتر **ب** (B).[٧١٥]

ومِن مواقف الإدارة الشرسة ما تعرَّض له الفرقد (سليمان بوجناح) ومفدى زكريا، عندما قامت السلطات الاستعمارية بتفتيش مترليهما في غرداية وبني يزقن، وذلك في الوقت نفسه الذي فُتِشت فيه المطبعة العربية بالجزائر،وقد انتهى الأمر بالزجِّ بالفُرقد في السجن.[٧١٦]

وبالإضافة إلى تتبع التقارير للشيخ بيوض، نجد التحذير والمتابعة أيضا لنشاط أبي اليقظان، وجمعية الإصلاح، وأسماء أخرى فيها، منهم طلبة أجانب يتمدرسون في معهد **الحياة**.[٧١٧]

وبالنسبة لنشاط الجمعيات فالموقف منه يظهر لنا في زرع العراقيل أمامها، وتأييد أعدائها، ومنع الرخص عنها، أو المطالبة بإغلاقها، وسجن أنصارها وتغريمهم، فكتب رئيس ملحقة غرداية في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٢ إلى قائد القطاع العسكري مقترحا عليه حلَّ جمعيتي **الإصلاح** و**الحياة** عملا بقانون ٢٠ نوفمبر القاضي بحل الأحزاب السياسية في الجزائر، لأن جمعية **الحياة** لها هدف معلن هو تعليم

---

714 ملاحظة رئيس الأمن الولائي على تقرير رقم ٥٧٨ ، ٣٠ جانفي ١٩٣٦. بتاريخ ١٢ ماي ١٩٤٥.

715 تقرير رقم S6، ١٠ جانفي ١٩٣٥.

716 انظر:المغرب.ع ٣٧.وأيضا:الشهاب. أفريل ١٩٣١

717 منها في غرداية:قاسم بابكر،وبغباغة،وسعيد بن بكير آعوشت،وداودي عمر،وصالح بن صالح حدبون،وبابكر حاج إبراهيم،وحواش إبراهيم، وكركاشة.ومن القرارة: لقمان حمو،وتاعموت عيسى،والحاج أحمد بن الحاج إبراهيم،وعبد الله بن إبراهيم،وحشحوش يحي، وجهلان قاسم بن حاج ناصر، وبكير مسعود.ومن بريان: ابسيس صالح، والمنور إبراهيم ،وموسى بن بالحاج،وقلو إبراهيم،وقلو محمد .ومن العطف:عمر بن عيسى،وعبد الرحمن بن عمر (البكري)،و الحاج صالح قباض. ومن مليكة: نجار بكير بن سليمان، ونجار إبراهيم،وبلولو سليمان بن عبد الرحمن.أما الطلبة الأجانب فمثل: علي يحي معمر،وسليمان بن الحاج مسعود،وخليفة بن صالح....انظر الوضعية الأمنية .ملحقة غرداية،٢٨ سبتمبر ١٩٣٨،دون رقم.

الأطفال وتهذيب المجتمع، بينما هي في الحقيقة تجمع سياسي ضد السلطة القائمة، والنضال ضد أعوانها خاصة القياد والقضاة، ويذهب رئيس الملحقة إلى القول بأن كل الجمعيات الإصلاحية تعمل تحت تحريض بيوض [٧١٨]، ولذلك مُنعت جمعية **الإصلاح** من رخصة إنشاء نادي **الهدى** لأنه ليس ببعيد ولا غريب عن فكر بيوض التحريضي.[٧١٩]

وأمام هذه المواقف تبلورت سياسة الإصلاح تجاه الإدارة، فكانت الهدوء والمداهنة لها، حتى كلَّفت هذه السياسة بيوض تُهمة العمالة للإدارة، وكثيرا ما كان الإصلاحيون يُوصُون بهذه السياسة، وقد جاء في خطاب بيوض في الجلسة الثانية لافتتاح مؤتمر قدماء التلاميذ في ١٠ أوت ١٩٤٨ :"...لو كنَّا حُصفاء حكماء لسلكنا مع ذوي السلطان سياسة المراوغة واللّف والدوران، وأعملنا موازين القسط من العقول الراجحة، فعرفنا خير الخيرين وشرّ الشريرين...وقنعنا بالبعض إن تيقنا أن الكل ذاهب...والتبصر وحسن التصرف والمرونة السياسية وحسن استغلال الظروف والأشخاص والمناسبات هي أحكم سياسة للضعيف الأعزل مع القوي المدجج"[٧٢٠].ولم يجد أبو اليقظان حرجا في تهنئة الحكام الفرنسيين في مناسبات كثيرة رغم ما عرف عنه من عناد وعداوة لهم، وذلك طبعا بهدف تحقيق مكاسب وتسهيلات لصالح الإصلاح.[٧٢١]

كما لجأ بيوض إلى تجاوز الحكام المحليين ورفع شكاواه إلى مراجع أعلى، وهذا بالاعتماد على الثري الميزابي الإصلاحي عيسى بن عمارة خبزي، الذي رتب له اللقاءات مع مدير الشؤون الأهلية، ورئيس بلدية بسكرة **كازناف**...[٧٢٢]

---

[718] تقرير رقم ٥٧٢،GH12، ٢٩ نوفمبر ١٩٤٢

[719] تقرير حول جمعية الإصلاح ونادي الهدى ، رقم 13/C. 29 جانفي ١٩٣٦. وكذلك: الأمة.ميزاب شؤون وشجون .ع١١٠، ١٦ فيفري١٩٣٧

[720] ناصر.بيوض مصلحا.ص ٣٢١

[721] الأمة.ع ٣٩، ٢٧ أوت١٩٣٥.وأيضا: الأمة .أهلا بكم يا جناب الوالي العام وسهلا ومرحبا.ع٤٦، ١٦ أكتوبر ١٩٣٥

[722] تقرير من رئيس الكتيبة بينو Pinon رئيس ملحقة غرداية إلى قائد القطاع العسكري بغرداية، رقمS37، دون تاريخ.

ورغم هذه الحرب المعلنة إلا أن الإدارة اضطرت للاعتراف بتمثيل المصلحين للأهالي، فاستمعت لجنة **لاغروزيلر** لرأي المصلحين في غرداية في عام ١٩٣٧، كما استقبلتهم لجنة الإصلاحات الإسلامية في سنة ١٩٤٤ ،واعتبرت أن الشيخ بيوض هو الممثل الوحيد لمطالب ميزاب، رغم أن المحافظين قد عيَّنوا الآغا باعمارة سليمان بن بكير كممثل للأمة الميزابية إليها.

وختمت الإدارة مواقفها من الإصلاح بتزوير الانتخابات، وترشيح عملائها، وتغيير القوانين لصالحهم، لكن ذلك لم يُفد شيئا أمام دخول الإصلاح للمجال السياسي، ونجاحه في انتخابات المجلس الجزائري في عام ١٩٤٨.[٧٢٣]

وهكذا نجد أن الإصلاح في المنطقتين قد تعرَّض إلى نفس المواقف من أطراف الصراع، فكان الاصطدام مع الجمود والطُّرقية والزوايا ثم سياسة التعايش المفروض، وكان التحالف المصلحي الحذِر مع النواب والنخبة وأصحاب النفوذ، وكان الصراع مع الإدارة الفرنسية وموظفيها تارة بالتنديد وتارة بالاستنجاد بفرنسا الحضارية الجمهورية ضد فرنسا الاستعمارية المتعسفة في قوانينها، خاصة الإصلاح الميزابي الذي مَنحه اقتحامه السياسةَ شرعيةً أكبر ومن جهة أخرى مُضايقات أشدّ.

[723] بكلي(البكري). مسيرة الإصلاح..ص ص ٢٠٦، ٢٠٧. ومن إجراءات التزوير جعل النسبة بحساب عدد العشائر وليس عدد الأفراد .أو تخويف المنتخبين من مناصرة الإصلاح الذي يجرهم إلى فقدان شخصيتهم المستقلة عرقيا ومذهبيا، مثل نص استفتاء دخول ميزاب إلى المجلس الجزائري الذي سعى الإصلاحيون للدخول إليه:هل تريدون تبديل عاداتكم فيما يخص مادة الانتخاب للجماعات وتلجأون إلى الأساليب الديمقراطية.انظر المصدر السابق.ص ٢٣٢

الخاتـــــــــــــــــــــــــمة

خـــــــــــاتمــة:

خلُصنا في هذا البحث إلى مجموعة من النتائج التي استندت إلى تحليلنا ومعالجتنا لمجموعة من الوثائق لذا فهي رهينةٌ بها وقائمةٌ عليها.

فكانت الحركة الإصلاحية بمنطقتي الزيبان وميزاب كغيرها من الحركات الإصلاحية المحلية داخل الحركة الإصلاحية الوطنية الكلية تعبيرا عن تململ ومعارضة للسياسة الاستعمارية التي حاربت الشخصية الجزائرية ومقوماتها اللغة والدين والتاريخ مستعملةً التقتيل والتهجير والنفي والتفقير والتجهيل والتنصير، فكانت الحركة الإصلاحية مرحلة أخرى ولونا مغايرا من ألوان مقاومة هذه السياسة التي استطاعت قهر المقاومات المسلحة طيلة القرن التاسع عشر الميلادي.

ومن جهة أخرى قامت هاتان الحركتان بلملمة ما تبقى من رصيد تاريخي لمنطقتيهما مستغلَّتين روح النهضة والإصلاح التي أخذت تدبُّ في أوصال العالم العربي والإسلامي منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، فانتعشت بفضل هذه التيارات الفكرية التجديدية التي استطاعت الانتشار والتأثير بواسطة الصحافة والمطبوعات والمهاجرين الجزائريين في تونس والزيتونة وفي مصر والأزهر وفي الحجاز وفي فرنسا، وزادت رسوخا بفضل وجود نخبة جزائرية قادت النهضة الحديثة اعتمادا على النهضة الشاملة التي عرفها العالم الإسلامي ككل.

ولعبت الحرب العالمية الأولى دورا نفسيا وقانونيا في تشجيع وبعث روح المقاومة، خاصة لدى النخبة التي انقلبت على الإيديولوجية الاستعمارية التي هدفت المدرسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إلى غرسها فيها ،وساهمت هذه النخبة في دعم الحركة الإصلاحية بشكل واضح رغم نقاط الاختلاف المعروفة بين الطرفين.

ورغم ما يبدو من صورة قاتمة رسمتها السياسة الاستعمارية في الجزائر، إلا أن المنطقتين حافظتا على نصيب كبير من هويتهما وظلت روح المحافظة والتمايز حيَّة فيهما، فكانت الزيبان تجِدُ في سيدي عقبة وسيدي خالد وزوايا طولقة وأولاد جلال والخنقة...وإرْثَ عبد الرحمن الأخضري عاملَ قوة ونقاطَ استناد جَمْعِية دائما، كما أن المحافظة على البناء القبلي العشائري، والارتباط بالأرض من خلال الفلاحة والرعي، ساهم في مقاومة المنطقة لسياسة التفتيت والتغلغل والمسخ الفرنسي الذي طال مناطق كثيرة لفقدانها هذه العناصر (المدن مثلا).

وفي ميزاب حافظت العزابة – باعتبارها أعلى هيئة دينية وسياسية– على دورها الفعال، ومن وراءها مشيخات المساجد والهيئات المشرفة على المرأة (امصوردان)، والمشرفة على التعليم (اروان).كما لعبت القُصور الميزابية المنغلقة في وجه التأثيرات الخارجية (الاحتلال) وارتباطها عشائريا ولغويا ومذهبيا، دورها في الحفاظ على بُنية المجتمع الميزابي أمام التغلغل والمسخ الفرنسي نحوها.كما لعبت المدارس المنتشرة (المحاضر) والمكتبات، والاحتكاك بالنهضة العلمية في تونس (جربة والزيتونة)، وفي مصر(الأزهر)، وجبل نفوسة (ليبيا)، وسلطنة عمان، دورها في بروز علماء مجددين مهدوا للإصلاح (أمثال محمد اطفيش و عمر بن يحي وإبراهيم الأبريكي...)

لقد انطلق الإصلاح الديني في الزيبان قبل العشرينات، واصطدم بالزوايا والطُّرق الصُّوفية والبدع السائدة، وعكست مجالس الوعظ والصحافة آنذاك هذه التصادمات، وظلت أسماء مولود الزريبي والطيب العقبي ومحمد السعيد الزاهري ومحمد العزوزي حوحو..إلخ.تتكرر في المعارك الإصلاحية ضد البدع والطرقية.

وإذا كان الإصلاح قد استطاع التأثير في العامة بصورة مقبولة، فإنه فشل فشلا ذريعا في التغلغل والسيطرة على الزوايا وأبنائها، وظلت سلطة القرار الديني بعيدة عن متناوله، كما ظلت قضايا الاجتهاد والتنصير مقارنة بقضية البدع والطرقية قضايا ثانوية في تصور الإصلاح الزيباني.

أما في ميزاب فإن الإصلاح الديني قد اتجه إلى محاربة البدع والخرافات، والتي لم تكن مصدرَ ثروةٍ ولا سلطةِ العزابة، عكس ما كان عليه الأمر في الزيبان، ورغم ذلك فإن الاصطدام تكرَّر كثيرا، لكن استراتيجية الإصلاح التي استطاع بفضلها الدخول والاستفادة من جهاز العزابة، خفَّفت من هذه التصادمات على المستوى الديني، وسهلت التأثير في العامة من منابر أعلى.

ونظرا لتشدُّد المذهب الإباضي فإنَّ مسألة الاجتهاد ومحاربة الجمود نالت حظَّها من المناقشات، بل احتلت أهمية أكبر من الحرب على البدع والخرافات نفسها، ورغم أن الإصلاح استطاع التأثير في العامة، إلا أن هذا الأمر كان بدرجات مختلفة أيضا، فبني يزقن و غرداية ومليكة ظلَّت قِلاعا للمحافظة أمام حركة الإصلاح التي ازدهرت في المدن الميزابية الأخرى.

وإذا كان المصلحون في الزيبان قد وجدوا في تحالف الإدارة الاستعمارية وبعض زعماء الطُّرق الصُّوفية والُمنصِّرين جدارا أمام حربهم على التنصير، فإن الميزابيين اتحدوا جميعا ضد حركة التنصير، و لم يتبادلوا التُّهم كما هو الحال في الزيبان مثلما رأينا.

أما على صعيد الإصلاح التربوي فقد واجه الإصلاح في الزيبان مشكل الدعم المادي، وتسلط الحكم العسكري المتحالف مع الطُّرقية، والطابع البدوي الريفي لغالبية أهاليه، مما عرقل دعوات الإصلاح للنهوض بالتعليم وإصلاح مناهجه، وإذا كانت حركة التعليم ستنتعش مع الثلاثينيات والأربعينيات، فهو انتعاش تمَّ فضل جمعية العلماء التي مثَّلت غطاء إيديولوجيا وقانونيا للعمل الإصلاحي في المنطقة.

ومن جهة أخرى فقد ساهم تغلغل أبناء الزيبان في جهاز جمعية العلماء في دعم الإصلاح التربوي في المنطقة، من حيث المناهج والمقررات وغيرها، ومن جهة أخرى في حرمانها من أبنائها الذين هاجروا إلى قسنطينة والجزائر للعمل في جمعية العلماء وشُعَبِها ومدارسها في الشمال.ولهذا فالإصلاح التربوي في الزيبان مَدِينٌ لدعم وإشراف جمعية العلماء على المستوى المركزي، وهي بدورها مَدِينةٌ لأبناء الزيبان الذين دعَّموها بشكل كبير في مختلف المجالات.

أما في ميزاب فإن تأثير البعثات العلمية المتعاقبة من وإلى تونس انعكس إيجابا في تحطيم المناهج التعليمية التقليدية، وفتح مدارس إصلاحية عصرية، تتغذى ماديا من جمعياتها المشرفة عليها، وعلميا من الطلبة المتخرجين من تونس، ومن معهد **الحياة** فيما بعد.

ومثّل تأسيس وازدهار معهد الحياة أُولى ثمار هذا الإصلاح التربوي، من حيث الهيكلة والمناهج المطبقة، والتأطير العلمي، وجمعيته **الشباب**، وضمان الدعم المادي لها، وظلت "**الحياة**" أهم مدرسة إصلاحية في المنطقة على الإطلاق، و لم تلبث أن ظهرت مدارس إصلاحية – كما رأينا – في كل مدن ميزاب، وحيثما تتركز الجالية الميزابية في الجزائر تشرف عليها جمعيات إصلاحية، شجعت روح المنافسة.

وتُوّج الإصلاح التربوي في ميزاب عندما تمَّ توحيد برامج التعليم في عام ١٩٤٨ – إقتداء بجمعية العلماء في تأسيسها لجنة التعليم العليا- ، وإرسال البعثات العلمية إلى تونس، بل ودَفْعِ المحافظين في ميزاب لتطوير مناهجهم الدراسية بصورة محدودة، في سبيل المحافظة على مكاسبهم أمام العامة المُتلهِّفة لكل تجديد علمي.

وبالنسبة للإصلاح الاجتماعي فقد جاء لمعالجة كثير من المظاهر الاجتماعية التي رءاها المصلحون أولوية في مشروعهم الإصلاحي، وانطلق المصلحون في كلتا المنطقتين من أن حالة المجتمع

هي نتيجة مباشرة للسياسة الاستعمارية المسلطة على الجزائريين، ولتقصير الهيئات الدينية والأسر.لذا دعوا إلى إنشاء المدارس، وتربية الأولاد، ومحاربة الخمور والقمار والمفاسد، بغلق الملاهي والحانات من طرف الإدارة الفرنسية، كما دعوا إلى الاهتمام بالمرأة، وذلك بتعليمها حتى لا تقع ضحية للتبرج والسفور، مع ضرورة الاهتمام بالشباب، ومراقبة مناهج دراسته، لمحاربة الإلحاد والتجنس والتفرنج، وهو كما نرى تصور بسيط غير عميق ولا دقيق .

وأمام السياسة الاستعمارية الهادفة إلى عزل المجتمع الجزائري عن أمته العربية والإسلامية نادى المصلحون بالوحدة، على مستوى المجتمع بمحاربة مظاهر الفرقة والعصبية بين القبائل والعشائر وبين العرب والبربر لتحقيق الوحدة الوطنية، ومن جهة أخرى بعث وتمتين أواصر الوحدة العربية والإسلامية من خلال الاهتمام باللغة العربية والتاريخ المحلي والإسلامي، والارتباط الصحفي والعلمي بالأقطار العربية والإسلامية.وفي هذا الإطار تميز الإصلاح الميزابي بتركيزه على انتمائه العربي الإسلامي تحديا لما تروجه الإدارة الاستعمارية، واستطاع التوفيق بين بربريته وإسلامه الذي لا يتم- حسبه- إلا بالاهتمام باللغة العربية وتطويرها. كما نال البعد الاقتصادي أهمية كبرى في الإصلاح الميزابي، لارتباط مجتمعه بالتجارة، والورشات الحِرَفية، والاحتكاك بالأوربيين في شمال الجزائر، ومنافسة اليهود، فرأى أن تطور وقوة المجتمع مرتبط بهذا البعد.

وبالنسبة للوسائل الإصلاحية فقد تميز دور الكشافة والنوادي والأناشيد بفاعلية أكبر في الزيبان بفضل شُعَب جمعية العلماء، بينما ظل إصلاح المرأة بعيدا عن منال المصلحين، لِمَا عُرفت به المنطقة من محافظة، كما أن المصلحين لم يستطيعوا تكوين مُصْلِحات لهذا الغرض، هذا في حين استفاد الميزابيون من هيئة "امصوردان" المشرفة على وعظ وإرشاد النساء، ومن تكوين المصلحين لزوجاتهم وبناتهم وشقيقاتهم للنهوض بالمرأة فعلا.

ومن الطبيعي أن تواجه الحركة الإصلاحية من خلال تطرُّقها لكل هذه المجالات مواقف مختلفة، فانطلقت في الزيبان من الصراع مع الزوايا والطُّرق الصّوفيَّة رغم محاولات التفاهم والمهادنة إلا أن عُمر الصراع كان أطول من فترات التفاهم القليلة جدا، وقد غَلَبَ مزاج الشيخ الطيب العقبي الحادّ على مسار هذه العلاقة، وزادت صلابةُ الإصلاح أصحابَ الزوايا والطرق اقترابا من الإدارة الاستعمارية وتحالفاً معها وتمسُّكاً بها.

وإذا كان موقف الطُّرقية وأصحاب الزوايا صريحا من الإصلاح، فإنَّ الإدارة الاستعمارية وموظفيها كان موقفها متراوحا بين إظهار اللامبالاة في أول الأمر، ثم المحاصرة والمهادنة والتضييق في مرحلة ثانية، ففي أول الأمر كان الترحيب، ثم كُتبت التقارير مُحذِّرة من منح الرخص لدخول المصلحين المساجد، أو فتحهم المدارس، أو منحهم اعتماد الجمعيات والنوادي.

ومن جهة أخرى تعسَّف القياد في تطبيق القوانين، وألقت علاقة الإدارة بالإصلاح على المستوى المركزي بِظِلالَها على وضعية الإصلاح في الزيبان، فكان شيخ العرب والضباط العسكريون يُطبقون ما يَرِد إليهم من أوامر دون تكييف، مما ألجأ المصلحين فيها إلى رفع شكاياتهم المتكررة إلى إدارة وصحف جمعية العلماء، النصيرِ الوحيدِ لهم في هذه المواقف .

وبالنسبة لموقف النخبة والنواب والمنتخبين فيمكن القول بأن العلاقة كانت مصلحية، وأنَّ الصراع ضد الجمود والخرافات والبدع هو العامل الذي وحّدهما، وكذلك الرغبة في تشكيل جبهة مُوحدة من خلال الصحافة والعرائض، لتحقيق عدد من المطالب كحماية اللغة العربية، وحرية الصحافة، وفصل الدين عن الدولة..إلخ.، وقد مثّل المؤتمر الإسلامي الجزائري أهم مظهر لهذا التحالف، فجعل المصلحون من النواب صوتهم إلى الإدارة الفرنسية، بينما وفّر المصلحون لهم دعما معنويا كبيرا، ودعاية واسعة في المناسبات الانتخابية، خاصة مع الدكتور سعدان وجماعته.

وتبدو علاقة المصلحين بالتيار الاستقلالي متوترة نوعا ما – كما في باقي مناطق الوطن – ،خاصة بعد المؤتمر الإسلامي، على المستوى الإيديولوجي على الأقل، فالمصلحون والنخبة مُوالُون للإدارة في نظر التيار الاستقلالي، والاستقلاليون متهورون في نظر مؤيدي مبدأ الإصلاح.

أما في ميزاب فتبدو العلاقة مصلحية أيضا، لكنها أقل تفاعلا بحكم عدم وجود نخبة ميزابية أصلا هذا من جهة، ومن جهة أخرى لتواجد النخبة بعيدا عن ميزاب، في الجزائر، وعلى شاكلة ما حدث في الزيبان وجد مصلحو ميزاب في النواب والمنتخبين صوتاً لهم لتبليغ مطالبهم المتعلقة بميزاب كحماية اللغة العربية، وحق الإشراف على القضاء، وفتح المدارس..إلخ، وفي سنة ١٩٤٨ وجدوا فيهم السند الكامل لدعم دخول ميزاب إلى المجلس الجزائري، ضد مطلب المحافظين بإبقاء ميزاب خارجه حِرصًا على خصوصيات هذه المنطقة. فكانت العلاقة براغماتية بحتة، ولكن ظلَّ الإصلاح على صرامته وحِدته في تناول قضية التجنيس والإلحاد والتفرنج، والتي كانت تمسُّ النخبة والنواب والمنتخبين بصفة مباشرة.

وابتداء من سنة ١٩٤٨ استطاع الإصلاح الميزابي السيطرة ميدانيا وسياسيا، من خلال انتخاب بيوض مُمثِّلا لميزاب بالمجلس الجزائري، فمثَّل نصراً للإصلاح الميزابي، في حين كان النصر السياسي الوحيد للإصلاح الزيباني هو وصول حليفه سعدان إلى المجلس الجزائري، لكن وفاته المبكرة حَرَمَت الإصلاح من أيِّ نصر سياسي آخر.

الملاحق:

١- صورة البعثة العلمية الميزابية في تونس ١٩٢٠

٢- صورة البعثة العلمية الميزابية في تونس ١٩٢٤

٣- صورة البعثة العلمية البيوضية في تونس ١٩٥٤

٤- تمثال الكاردينال لافيجري في بسكرة

٥- رخصة إنشاء جمعية الحياة بالقرارة

٦- تقرير فرنسي حول تجديد جمعية الإصلاح بغرداية

٧- صورة أول عدد من مجلة القرارية

٨- صورة الورقة الرئيسية من مجلة الشباب الناهض

٩- صورة الورقة الرئيسية من مجلة الشباب

10- المنهاج التربوي والمقررات الدراسية في معهد الحياة

الملحق رقم ٥١ : صورة البعثة العلمية المرابية في تونس سنة 1920 .



الملحق رقم ١٤ : صورة السفنة البحرية المرابطة في تونس، سنة ١٨٧٨



(١) السفنة البرابية في أواخر القرن ١٣ (١٢٨٠ هـ - ١٨٦٤ م) وتتصدر مقدمتها علم الكرداني من الشمال إلى اليمين ... يشرع بحمة الرؤوس التي تكسوها اللحى ... على يمينه الشرف رقم ٢ ... ٣ رمضان بيرم ... ٤ عبد العزيز الصيفي ... ٥ عبد الله ... ٦ أم البنين بحشد ... ٧ ... بحمادة ... ٨ عبد الله بحمادة ... الثالث من اليمين الأول من الشمال.

الطلبة رقم ٥٩ : البعثة العلمية اليمنية في بلجيكا ١٩٥٤



بعثة العلمية اليمنية في براسي العمراء في بلجيكا 1954 ـ 1954 في صحن دارهم يتوسط ابن عشرون ، ثم يظهر
يتوسط الشيخ يحيى في ثياب البيضاء ، على يمينه رئيس البعثة وعلى يساره عضو البعثة وجانبها المغفور الحبيب
يحيى الواضح ، وفي آخر الصف الواقف الأول على اليسار الضابط الناطق السيد الحاج صالح قباطي ، قد زار أبناؤهم طلبة البعثة ،
زار صالح الحرس أيام الثورة



Statue du Cardinal Lavigerie à Blida
par Falguières.

A T 88057

GOUVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE

Sous-Direction des Territoires du Sud

Récépissé de déclaration

ALGERIE

Vu la loi du 1er Juillet 1901, relative au contrat d'association.

Vu le décret du 16 Août 1901 portant règlement d'administration publique pour l'exécution de la loi précitée.

Vu le décret du 14 Août 1908 sur l'organisation administrative et militaire des Territoires du Sud et notamment l'article 1er qui confère au Gouverneur Général de l'Algérie les fonctions préfectorales dans ces Territoires.

Le Gouverneur Général de l'Algérie certifie avoir reçu de M. BACCI Alias Ben Amara, mandataire et président d'honneur de l'Association dénommée "El Hayat" dont le siège social est à Ouargla (Commune indigène de Ghardaïa) une déclaration accompagnée de deux exemplaires des statuts de ladite association.

ALGER, le 1 OCT 1937

P. Le Gouverneur Général,
P. Le Secrétaire Général du Gouvernement et P.O.
Le Directeur des Services Civils
et Rapporteur Général,

الملحق رقم 1 - رخصة باستلام جمعية "الحياة" بالعزلة، غرداية

GOUVERNEMENT GENERAL
de l'Algérie

Territoire de Chardala

Préfecture de Chardala

N°39/Cab.

Association "Djemaiet el Islah"

Confidentiel

Chardala le 27.3.29

Le Chef de bataillon PINOU, chef de l'annexe de Chardala à

Mr le Commandant militaire du territoire de Chardala à

J'ai l'honneur de vous rendre compte de ce que l'Association "Djemaiet el Islah" a procédé le 15 Mars courant au renouvellement de son bureau, conformément aux articles 7 du titre des statuts.

Ont été élus :

Président : BAHOUCHE SALAH BEN KACEM

Vice-Président: BAGHDACHA AHMED BEN MAHMOU

Trésorier : MAZOUZI SAID SALAH BEN BRAHIM

Trésorier-adjoint: AMI SAID SAID BEN SAID MOHAMED

Secrétaire: DADI ABDELKRIM BEN HAMIDA

Secrétaire-adjoint: ABDICHETTE SAID BEN BAKIR

Membres assesseurs: DADI CHAMAH MOHAMED
BOUKHOUCHE BAKIR
BOUDJEMAA BATAH
BOUAKIRA BRAHIM B. HADJ BAKIR
et ADJF TOUATI

Les renseignements suivants ont pu être recueillis :

1°/- BOUCHOUCHA SALAH BEN KACEM - propriétaire à Chardala, a un commerce de tissus à Ain Beida.

A fait ses études à la Médersa Zitouna à Tunis.

2°/- Est président de la Djemaiet el Islah depuis le mois de février 1928. Dirige l'école coranique de cette association

3°/- BAGHDACHA AHMED BEN MAHMOU - Chef de la fraction des Ouled Ahmed, tribu de Chardala. De 1912 à 1925 a rempli les fonctions de secrétaire au titre arabe de la Djemaiet el Islah

...ayon Personnage intrigant, connu pour ses idées tendancieuses
...nal d'OMAR BEN AICHA n'a attenf et de BOUDJEMAA SLIMAN BEN EL
HIA, dit FEKKAR.

...a été rappelé à l'ordre à diverses reprises.

5°/- MAHROUNE HADJ SALAH BEN BRAHIM , Trésorier de l'Association
depuis 1933.
Propriétaire à Ghardaia - Partisan fervent de BAYOUD HADJ
BRAHIM qu'il abandonnait lorsque ce dernier revint à Ghardaia.

4°/- AMMI SAID HADJ BEN HADJ MOHAMED , membre assesseur de la Djemaâ et Islah de 1931 à 1934. Trésorier adjoint en 1935.
Propriétaire à Ghardaia Ibadi de BATCHAGHA AHMED dont il partage les idées.

5°/- BADI OUAZAR HADJ BRAHIM, cultivateur à Ghardaia, fait la fraction du chef de la fraction des Ouled Kaci ben Hadj et accole de BADI OUAZAR MOHAMED dont il sera parlé plus loin.
N'a jusqu'ici été l'objet d'aucune remarque défavorable.

6°/- ACHCHERTEN HADJ BEN BADI , membre assesseur de l'association en 1934 et 1935.
Propriétaire à Ghardaia et commerçant à Constantine.
D'un caractère faible, ne partage pas encore les idées tendancieuses des membres du bureau de cette association, mais n'est laissé entraîner par eux.

7°/- BADI AOUISSAH MOHAMMED BEN AISSA, marabout de la zaouia à Ouargla
Vice-président de la djemaâ el Islah en 1931-1932 et 1935, membre assesseur en 1933 et 1934.

Journaux arabes. Il recommande ainsi lui faire les intéressés douteux
/2 pour procéder en commun à la lecture de la presse arabe subversive
et tendancieuse.

6°/- BOUKHROUCHA Rabia.

9°/- BLAGRAIE Salah.

10°/- AB[illegible] Youcef -

Les deux premiers sont propriétaires à Ghardaia
Le troisième est commerçant à Châteaudun du
Loiret.

Il s'agit encore là d'objet d'assez grande
que déplorable. Ils semblent d'ailleurs avoir été contraints
menaces pour attirer à l'association de nouveaux adhérents.

11°/- BOUACHE Hbachir ben Amar Rabia, propriétaire à Ghardaia,
commerçant à Trinck. Affilié à la Djemaâ el Islah depuis sa
création. Figurait au nombre des signataires de la demande d'auto-
risation. Fut un des fondateurs de la revue El Houd.

Ne s'est pas fait remarquer jusqu'à ce jour.

Sous le prétexte de propager les enseignements isla-
miques et de sauver le peuple dans la donation scientifique
et littéraire, l'association donnée sous le nom de "Djemaâ el
Islah" s'occupe surtout de questions d'ordre politique à tendan-
ces anti-françaises. Elle est intimement liée au parti de Ben Badis
et doit être l'objet à ces divers titres, d'une surveillance très
particulière.

ALGER.

S°Cl/CA -COPIE TRANSMISE A M. le Gouverneur Général de l'Algérie
Direction Cle des A.I et des Trav. du Sud
D/Direction des Trav. du Sud (A.I.M) ALGER

A titre de compte rendu
LAG. ORAN le 30.3.36
Le colonel DESTRICHE, Cdt Grp de Tra
de Ghardaia

DESTRICHE



الواحات) العدد الاول السنة الاولى
على جهة الغرب من سنطاق الجيزة
شرقه محرابه بلدي الفرافرة
(المكاتبات)
اسمه يرشدنا الجريدة
اليه تلحقا
جريدة الفرافرة
الواحات
El Guarafra
جريدة اسبوعية تعليمية ادبية اخبارية
تصدر يوم الاحد من كل اسبوع
تنشر الجريدة جميع انواع الاعلانات
بسعر يتفق مع الجمهور
الاشتراك
عن سنة بالفرافرة ٢٠ مريكا
عن نصف سنة ١٥ مريكا
من يكتب عدد يعد مشتركا
بسم الله الرحمن الرحيم
سلك الله بنا في الكائنات ابتغاء
ي وعمل يقربك استعدادا
عيب عليك الاعوان فرعى منك
لنعمة المجانبة واستدرار
نك ولطبك عند الضايقة والقلق
تنصك شر النوائب والنوازل
يطمئن بها كل ذي لب
عوانك ... وغيلت برحتك
صحة على كل موجود بكيان الوجود
سر الخلق اليك كرمك اجابت الاعلى
بعوذ بجلالك ان يحيط بالعظمة
سوك
حصن نسير على نهجها ونعتصم
تنك الطاهرة الامين المعصوم
يات الباهرة والذكر الحكيم جعلك
لمين وعلى آله واصحابه الطاهرين
داة الدين واعلام علوم الحقائق
أما بعد
فالجريدة لكل مشروع
من مقصد مفيد ولكل عمل
نافع . وانها دعاة الخير شعبه
جريدة غير حزبي على كل ذي رأي
حصيب وفكر ثاقب
تشرعنا فضل الله تعالى وغوثيه
على نبيه عليه جريدة اسبوعية
تصدر كل يوم الخميس
والقصد الاكيد منها تعليم
الكتابة ولسانه العربي
وتيسير الافهام وترغيب
الافكار . وتبيك عمل الخير والجود
والفروض على كل مسلم ومسلمة
تامة
علما نجيد واتمام هذا المجموع
الخير والعمل النافع ونرجو على الله
ما طلبناه من المراجعة وهي بالتعريف
بقدر طاقة المستطاع
بسم
الفرافرة جوه غرب الواحات
جامعة اللغة العربية
غير حاجة اكبر من اللغة العربية
اذ هي لسان نبينا محمد صلعم
وبها جاء القرآن فيجب ان
نشرها اصلها و و و
وجب اجل اللغات على الاطلاق
ما وسعها مادة واسلحها
بهم ومن يجتهد
وعلى هذا يجب علينا وجبنا
حينا ان نفاني في تعليمها
والمكابدة على مجيد تعلمها وجعل
اشعار العرب منها
اشرح الى جمع الفرائد واسلمه
والمذهب وحكمته
بها تجتمع على تدريس الاسلام
وتاريخه وسيرته وتدريس الادب
ثل الشعر ومدارسه وبيان اصوت الفرقة
ج سيارة ذكرت الحديث والفقه
والنحو الجيد وجمع الامثال
وحكم العرب والامثال
ونجتمع على تدريس هذه العلوم

الملحق رقم ٢٢ : صورة أول عدد من مجلة الفرافرة التي ستصبح فيما بعد جريدة الواحات بالبحرية وتصدر إلى اليوم





السنة :

العدد :

مبدؤنا
الدين والآداب
والعلم والعمل

الشباب

شباب فتح لا غير فيهم ♦ ويورثه في الشباب الماضيا

شعارنا
الفاتحة قبل الثقافة
وسلامة الوطن
قبل سلامة الفرد

الجزائر يوم الخميس رجب ١٣٦٩ موافق ٩٩ أبريل مايو ١٩٤٩

محتويات هذا العدد ؟

افتتاحية	هذا الصديق ؟
التربية والعالم	نكلي عليهن ؟
البحوث	الفرق بينهما ؟
من الطبيعة	الجزء الثاني
قصة مغلقة	جوزة والغراب
الأناشيد	تهنئة ابراهيم
من الأدب العربي	كبرياء ابن ابراهيم
أعلام الجزائر	فخار ابراهيم
الألغاز ؟	عبد العزيز ؟
الرسم	الفرد العزيز
الطبي	جائزة ومسابقة ؟
الجواب ؟	
تاريخ الفن	
ركن المكتبة	

مكبرة حائط

بقلم هذه الصديقة

على صفحات الشباب الغالية البيضاء بين أيدي إخواني الشبان على المسلمين العاطلين بكل قطر، أقرر قرارات مشروعة بين أكفهم الطاهرة بالإمضاء.

نعم إن شهر مايو لمن أعظم الشهور الجزائرية عامة وإسلامية عامة. شهر مرتقب الجزائري عاملا صلاحيته لعيد المستقبل الفتي شهر تجلب عيد الجزائريين الاسم الإسلامية.

شهر مايو الجزائري الأمم وإننا نوم أحرار الجزائر في الاشياء شهر الشهر الذي عاد الجزائر ذكرى واقعاتها شاذ رفع لها تحفات. في يوم ذكرى مايو الجزائر تستيقظ ضمائرنا وتستيقظ ما استشهد به الثورة ص. شباب وعلماء في العصبة كل عام تتراءى لنا روحه الله عليكم يا أحياء المسلمين والوطنية يا أحياء الإسلام وحياة العرب سلام الله عليكم السلام تشهد به البرية وحد الدين يعيد أبدا تلك الأيام الخالدة اجتمعت على اقترام أحرار تقدموا بها بيانات مرة طالبة بالحرية شهداء جاهدت عن نفسها فانتفضت فيها كما تنتفض الأسود على الفور تختار خيارها وتطلب عليها وتنزل فيها فاتكة الأشياء والأحرار.

العدد رقم ١٥ من سورة الفرقان آخر من مجلة "الشباب" قد يكون طبع بعد أن أعلنت الحرب على الجزائر.

الملحق رقم ١٠:

البرنامج الدراسي ومقررات معهد الحياة بالقرارة.

الحلقات	الكتب المقررة	السنوات	المستوى أو الطور	مواقيت ومكان الدراسة	الأساتذة
توحيد وعقيدة	-رسالة التوحيد ،محمد عبده (سني).	-الثانية	الثالث(العالي)	-/	بيوض
	-مشاريق أنوار العقول (السالمي)	-الأولى	- الأول	- المعهد	-بيوض
فقه المعاملات	-مختصرالخصال(ابن قيس الحضرمي،علق عليه السالمي بكتابه معارج الآمال ومدارج الكمال شرح مختصر الخصال)	-الأولى	- الثانية(متوسط)	- المعهد	/
	- كتاب النيل وشفاء العليل،لعبد العزيز الثميني	- كل السنوات	-الثالثة (تعليم عالي)	- المعهد	/
	- تلقين الصبيان السالمي يضاف إليه جواهر النظام للسالمي (٢جزء)علق عليه إبراهيم اطفيش حفظا	-الأولى	- الأول	- المعهد	/
	- الذهب الخالص،محمد اطفيش .	/	/	/	/
	- أركان الإسلام (إباضي عماني)	/	/	/	/
منظومات وملحقات	-الرحبية (أرجوزة) - خالد (سني شافعي)	-الأولى -الثانية والثالثة	-كل المستويات - كل المستويات	/. (في رمضان) - المعهد (طول العام)	- بيوض - بيوض
أصول الفقه	- كتاب الورقات،إمام الحرمين(سني)	/	الأول	- المعهد	/
	-مختصر العدل الإنصاف،	- /	- الثاني	- المعهد	/

	شماخي أ،(إباضي ليبي) – طلعة الشمس على الألفية (٢ ج)،السالمي	– /	– الثالث (العالي)	– المعهد	– /
الأخلاق	– قناطر الخيرات،الجيطالي، (٣ ج)،أعيد طبعه وعلق النومي	–كل السنوات	– كل المستويات	– المسجد (جماعي)	– بيوض
	– عظة الناشئين ،الغلاييني (سني)	–كل السنوات	– كل المستويات	– الصباح (المسجد،جماعي	– بيوض
	– طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد و أم القرى للكواكبي	–/	–/	–/	–/
اللغة و الأدب العربي	–مبادئ القراءة المباشرة (٤ ج)	– الأولى	– ربما الأول	–/	–/
	مصر.	– الأولى	– ربما الأول	–/	–/
	– شعر حول عمر الخطاب، بردية م،أميرة حفيظ(مصر)	–/	–/	–/	–/
	–الجرائدوالأدب،بطرس ب،(٥ ج)،لبنان	–/	– الثالث (العالي)	– المكتبة في المساء.درس بين ١٩٣٤و ١٩٤٥	– بيوض
	– الأمالي،القالي (٢ ج)				
	– وحي القلم،الرافعي (مصر)	–/	– نظن المستوى العالي	–/	–/
	–عصر المأمون،رفاعية (ج٢.ج٣)	–/	–الثاني والثالث	–المعهد (جماعي)،درس بين ١٩٤٦ و١٩٤٧	–/
	– تاريخ الأدب العربي، حسن الزيات (مصر)	–/	– الأول والثاني.	– المعهد	– عدون (شريفي)

نحو وبلاغة	– ألفية ابن مالك، شرح ابن عقيل	–كل السنوات	– الثالث(العالي)	– المعهد(درس منذ ١٩٣٧)	– بيوض ثم عدون
	– قطر الندى،ابن هشام ثم عوض بالغلاييني (مصري)	– الأولى	– /	– المعهد	– عدون
	–المغني اللبيب لابن هشام	– الأولى	–/	– المعهد	– عدون
	– شذا العرف	– الأولى	– الثالث (العالي)	– المعهد	– بيوض
	– النحو الواضح،احمد أمين الجارم(٣ج)،أدرج مكان اللبيب الاجرومية	–الأولى والثانية	– الأول والثاني	– /	– عدون
	– دلائل الإعجاز،الجرجاني	– الثانية	– الثالث(العالي)	– المكتبة(في المساء،درس من١٩٣٨ إلى ١٩٤٣)	– بيوض
	– الاجرومية(٣ج)حفظا، بالغلاييني والجارم	–الأولى	– الأول	– المعهد	– عدون
	– الجوهر المكنون،لخضر	– الأولى	– الثالث (العالي)	– المعهد	بيوض
	– البلاغة الواضحة،احمد أمين وعلي الجارم عوض البلاغة للهاشمي	– الثانية	– الأول والثاني	– المعهد	– عدون
	– لامية الأفعال،محمد بن مالك	– الأولى	– الثاني(المتوسط)	– المعهد	– عدون
التاريخ و السير	– دروس التاريخ الإسلامي وأحوال الدول العربية،الخياط م، تعليق م البكير،٣ج	–الأولى والثانية	– /	–المعهد (الخمسين – المعهد	– محمد علي دبوز
	–كتاب الجزائر،احمد المدني	– الثاني	– /	– المعهد	– م.ع.دبوز
	– حياة الرسول والخلفاء	–/	– الأول	– المسجد (في	–/
	– تاريخ مصطفى	–/	– العالي	المساء ورمضان)	– بيوض

	(٨ج،مصري) - تاريخ محمد عبده، رشيد رضا (مصري)	-/	- العالي	- المسجد و المعهد(المساء ور عادة)	- بيوض
علم النفس والتربية	- العلم النافع والثروة في التربية والتعليم،الجارم،أمين - تربية الطفل ومبادئ النفس،النحاس (أدرج مكان النافع)	- الثانية - الثالثة	- الأول - الثالث(العالي)	- المعهد - المعهد	-/ - /
الفلسفة و المنطق	-المنطق التوجيهي،أبو (أدرج مكان كتابي) - السلم، اخذاري علي - كتاب التهذيب	- الثالثة الأولى الأولى والثانية	- الثالث (العالي) - الثالث(العالي) - الثالث العالي)	- المعهد - المعهد - المعهد	- / -/ -/
رياضيات وحساب	-/	الثالثة	-/	- المعهد	- الراعي
مطالعة ونشاطات أخرى (حفظ و جغرافيا وكيمياء)	-/	-/	-/	- المعهد	-/

Bendrissou Salleh,op ٦٠,57 . annexe n^0 5

البيبليوغرافيـــــــــــــــــا

البيبليوغرافيا:

أولا: الأرشـــيـــف

١/ التقارير:

- تقرير رقم S/67 بتاريخ ١ أكتوبر١٩٣٤، مرقون دون تاريخ عند علي بيوض بمنزله في القرارة.
- تقرير لوموان القائد العسكري لمقاطعة غرداية بتاريخ ١٧ نوفمبر١٩٣٤. رقم٥٥٤، موجود عند علي بيوض.
- تقرير من رئيس ملحقة غرداية فيقورس إلى قايد القطـــاع العـــسكري لغردايـــة ،رقـــم S3/٥ جانفي١٩٣٥ عند السيد علي بيوض بمنزله في القرارة.
- تقرير رقم S6، بتاريخ ١٠ جانفي١٩٣٥.
- تقرير بتاريخ ٦ جويلية١٩٣٥، دون رقم ، عند السيد علي بيوض بمنزله بالقرارة.
- تقرير حول جمعية الإصلاح ونادي الهدى ، رقم 13C. بتاريخ 29 جانفي ١٩٣٦ عند السيد علي بيوض بمنزله في القرارة.
- تقرير رقم ٥٧٨، ٣٠ جانفي١٩٣٦ عند السيد علي بيوض بمنزله في القرارة.
- تقرير حول عمر بن عيسى،٨ فيفري١٩٣٦. (دون معلومات أخرى)، عند السيد علي بيوض بمنزلـــه في القرارة.
- تقرير حول عمر بن عيسى،٢٧ مارس١٩٣٦، دون معلومات اخرى)، عند السيد علي بيوض بمنزلـــه في القرارة.
- تقرير بتاريخ ٢٠ أفريل١٩٣٧، صادر عن عين التوتة.
- تقرير رقم195/S بتاريخ ١ ديسمبر١٩٣٧، عند السيد علي بيوض (ابن الشيخ إبراهيم بيـــوض) بمنزله
- تقرير رقم 10/S بتاريخ ٢٦ جانفي١٩٣٨(حول جمعية الإصلاح).
- تقرير حول الوضعية الأمنية في ملحقة غرداية بتاريخ ٢٨ سبتمبر١٩٣٨ عند السيد علي بيوض بمنزلـــه في القرارة.
- تقرير من عمالة قسنطينة، ٢٤ أكتوبر١٩٣٨ رقم189AIR 14/5.
- تقرير رقم ٥٧٢، GH12، بتاريخ ٢٩ نوفمبر١٩٤٢ عند السيد علي بيوض بمنزله في القرارة.
- ملاحظة رئيس الأمن الولائي على تقرير رقم ٥٧٨، ٣٠ جانفي١٩٣٦. بتاريخ ١٢ ماي١٩٤٥

- تقرير مؤرخ في ٢٩ جوان١٩٤٧، دون رقم. عند السيد علي بيوض بمنزله في القرارة.
- تقرير رقم 64/S حول نشاط جمعية العلماء في مختلف مناطق القطر الجزائري(مرقون دون تـــاريخ عند علي بيوض).
- تقرير من رئيس ملحقة غرداية الى القطاع العسكري،دون تاريخ،١٩٣/S.عند السيد علي بيوض بمنزله في القرارة.
- تقرير رقمS37 من بينو رئيس ملحقة غرداية الى قائد القطاع العسكري. عند السيد علي بيـــوض بمنزله في القرارة.
- تقرير رقم S/64 من القائد العسكري لغرداية الى الحاكم العام، دون تاريخ.
- تقرير من رئيس الكتيبة بينو Pinon رئيس ملحقة غرداية إلى قائد القطاع العسكري بغردايـــة، رقمS37، دون تاريخ.

٢/ محاضر جمعية الشباب الصغرى والكبرى:

- محضر جمعية الشباب، ماي-جوان ١٩٤٢، كراسة ١٩٤٢/١٩٤٣.
- محضر جلسة ٠٢ جويلية ١٩٤٢، كراسة ١٩٤٢/١٩٤٣.
- محضر جلسة الجمعية الكبرى ١١ فيفري١٩٤٣. رقم ٥٤٨، كراسة ١٩٤٢/١٩٤٣.
- محضر جلسة الجمعية الصغرى ٢٧ ماي١٩٤٣، رقم ٥٥٩.
- محضر جلسة الجمعية الكبرى ٣٠ ديسمبر١٩٤٣، ٥٧٤ ، كراسة ١٩٤٣/١٩٤٤.
- محضر للجمعية الكبرى ٥٧٦، ١٢ جانفي١٩٤٤،كراسة ١٩٤٣/١٩٤٤ .
- محضر الجمعية الصغرى، جلسة رقم ٥٩٩، جويلية ١٩٤٤.
- محضر الجمعية الصغرى ،جلسة ٦٠٢ ، ٢٤ ديسمبر١٩٤٤.
- محضر جلسة جمعية الشباب، ٦٣١، ٢٧ ديسمبر١٩٤٥.
-محضر جلسة الجمعية الصغرى ، ٢٧ ديسمبر١٩٤٥، ٦٣١.
-محضر جلسة الجمعية الصغرى ٢٧ ديسمبر١٩٤٥، ٦٣١.

٣- الصحف والجرائد:

- الإصلاح
- الإصلاح الثانية
- الأمة
-البصائر
- البرق
- البلاغ

- البستان
- الحياة
- الروح
- الصدِّيق
- صدى الصحراء
- الصراط السوي
- الفرقان
- الشباب (مجلة)
- الشريعة النبوية
- الشهاب
- المرصاد
- المغرب
- المنتقد
- النجاح
- النور
- وادي ميزاب

- La défense

٤/ الشهادات:

- شهادة محمد الصالح رمضان، في منزله ببن عمر، القبة، الجزائر . في ١٦فيفري٢٠٠٦.من الساعة ١٧ إلى ١٩,٣٠

- بن الشيخ بالحاج محمد بن بابا (من عشيرة آل جهلان):الاثنين ١٧ أفريل ٢٠٠٦ بمنزله بالقرارة قرب معهد الحياة.القرارة.غرداية.

- شهادة محمد خبزي عمارة يوم الثلاثاء ١٨ أفريل٢٠٠٦ بمنزله بالقرارة غرداية بحضور عيسى بن الشيخ.

- لقاء علي بيوض ابن الشيخ إبراهيم بيوض يوم ١٩أفريل٢٠٠٦ بحضور السيد محمد أوجانة.

- شهادة صالح باجو منزله بالقرارة يوم السبت ٢٢ أفريل ٢٠٠٦ بحضور مدير داخلية الحياة صالح حدبون الكاتب الخاص لشيخ بيوض في السبعينات من القرن الماضي.

- شهادة السيد حدبون (صالح) تلميذ وكاتب بيوض ومدير داخلية الحياة يوم السبت ٢٢ أفريل ٢٠٠٦ من الساعة ١٨ إلى ٢٢ مساء.وأيضا شهادة الشيخ باجو للباحث بمنزله في القرارة

- شهادة السيد أوجانة ملالي محمد مدير معهد الحياة ٢٠٠٦. ٢٢ أفريل ٢٠٠٦ بمعهد الحياة.القرارة.

- شهادة الشيخ ثابت الأزهاري في منزله ببسكرة،يوم ٢٦ أفريل ٢٠٠٦ .

- شهادة الطاهر القصوري للباحث في منزله ببسكرة يوم ٢٥ أفريل ٢٠٠٦.نقلا عن مخطوط كتبه سنة ١٩٦٣.

٥- الوثائق الرسمية:

- Bulletin officiel du gouvernement général de l`Algérie. 1922, Alger, imprimerie administrative, n° 519, 1923.
Exposé de la situation générale des territoires du sud de l`Algérie 1900-1919.
- Exposé générale de l`Algérie en 1946 .imprimerie officielle 1947. Présenté par Yves Chataigneau gouverneur général de l'Algérie.
- Gouvernement général de l`Algérie, Commissariat du centenaire. Les territoires du sud de l`Algérie. 1930.
-Rapport d`ensemble présenté par M Jounart gouverneur général.
- Gouvernement général de l`Algérie. Diction des territoires du sud. Situation générale des territoires du sud pendant les années 1916, 1917 et 1918. Alger, Ancienne maison Bastide Jourdan, 1919.
- Gouvernement général de l`Algérie. Diction des territoires du sud. Les territoires du sud. Compte rendu de l`oeuvre accomplie de 1947 à 1952. Roger Leonard et Maurice Cuttoli. Imprimerie officielle,1954.
- Commissariat du centenaire. Le territoire du sud. 1930, t 2.

ثانيا: المصادر

١/ باللغة العربية:

- الإبراهيمي (محمد البشير). سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي، دار الكتب، الجزائر،المطبوعات الجميلة،١٩٨٢، دط.

-بكلي (عبد الرحمن بن عمر). محاضرات البكري في العلم والعلماء للشيخ رحمه الله. جمع وتحقيق باجو مصطفى صالح، مكتبة البكري، العطف، دت.
- مسيرة الإصلاح. المطبعة العربية، غرداية، ٢٠٠٤.
- الجلالي (محمد العابد). الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية. مطبعة النهضة،تونس، ١٩٣٩، ط ١.
- جمعية العلماء المسلمين. اللائحة الداخلية لمدارس الجمعية. المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، دت.
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. منهاج التعليم. القسم الابتدائي والمتوسط. أكتوبر ١٩٥٢.
- الحاج (محمد عمر بن عيسى بن إبراهيم). مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب من ناحيته الدينية والسياسية والاجتماعية من سنة ١٨٥٣ إلى ١٩٥١. مطبعة النهضة، تونس، ١٩٥١.
- الخضر (حسين محمد). تونس وجامع الزيتونة. جمع وتحقيق علي الرضا التونسي. المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٥.
-الرحلات. جمعه وحققه علي الرضا التونسي، ١٩٧٥ .
-الحسيني (علي الرضا). صفحات من سيرة الإمام محمد الخضر حسين وأخويه زين العابدين ومحمد المكي. الدار الحسينية للكتاب، دمشق،٢٠٠٠.
-حمود (رمضان). بذور الحياة. دون دار طبع، ١٩٢٨ ،ج١.
-خير الدين(محمد). مذكرات. المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، ج ١و٢.
-دبوز (محمد علي). أعلام الإصلاح. دار البعث، قسنطينة، ١٩٧٦، ج١-٥.
- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة. مطبعة البعث، قسنطينة.
-رمضان (محمد الصالح). إسهاماتي في الكشافة الإسلامية. المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية، لجزائر، ٢٠٠٣.
- الزاهري (محمد السعيد). الإسلام في حاجة إلى تبشير ودعاية. المطبوعات الجميلة، ١٩٨٣.
- الزريبي (مولود). بدور الأفهام وشموع الاحلام على عقائد ابن عاشر الحبر الهمام، تونس، دت.
- السنوسي (محمد الهادي الزاهري). شعراء الجزائر في العصر الحاضر. المطبعة التونسية، ١٩٢٦، ط١، ج١ و٢.
- الشباح (المكي). مساهمة في تاريخ الحركة الوطنية. مذكرات مناضل أوراسي. مطبعة الكاتب ، ١٩٧٦ .
- عاشور (محمد). منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف. المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٩١٤، ط ١.

- عباس (فرحات). حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار. مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دت، ترجمة أبو بكر رحال.
- ليل الاستعمار. الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، دت.
- العوامر (إبراهيم). الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. تونس، ١٩٧٧، ط١.
- الكواكبي (عبد الرحمان). طبائع الاستبداد. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، موفم للنشر، الجزائر، دت.
- المدني (أحمد توفيق).حياة كفاح، مذكرات. ١٩٢٥-١٩٥٤. الشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع، الجزائر، ج ٢، ١٩٧٧.
- كتاب الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤.
- هذه هي الجزائر. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦.
- الميلي (محمد مبارك).رسالة الشرك ومظاهره. مكتبة النهضة الجزائرية، ١٩٣٧.
- دفتر أناشيد الإصلاح. مرقون عند السيد أوجانة ملالي مدير معهد الحياة في ٢٠٠٦ .

٢/ باللغة الفرنسية:

-Thruphemus (Albert). Les khouan du Lion Noire. Scènes de la vie à Biskra. ed P etG Soubiron , Alger, 1931.
-Baunard (M). Le cardinal Lavigerie. Librairie poussielgue, 1896.
-Congrès de la colonisation. Le père Lavigerie. Imprimerie des pères blancs. Alger, Mai 1930.
- L'oeuvre des pères blancs en Algérie, Ancienne imprimerie -heintz.
-Khaled (L'Emir). Situation des musulmans d`Algérie. Alger, 1924.
Goichon (A-M). La vie féminine au M`Zab. Etude de sociologie musulmane. Libraire Orientaliste, Paris ,1927.
- Le Mzab et son annexion à la France par le commandant Robin (chef du bureau arabe divisionnaire d`Alger. Librairie de l`académie, 1884.
-Venlande (René). Chez les pères bancs (Tunisie, Kabylie, Sahara).Paris, J.Peyronnet et cie éditeurs, 1929.
-Pottier (René). Le cardinal Lavigerie. Publication technique et artistique, Paris, t1.
Rinn (Louis). Les confréries religieuses, étude sur l islam en -Algérie.

ثالثا: المراجع

١/ باللغة العربية:

- ابن العقون (عبد الرحمن بن إبراهيم). الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر. الفترة الثانية (١٩٣٦-١٩٤٥). المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج٢.

- أبو حمدان (سمير).موسوعة عصر النهضة،جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية. الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، ١٩٩٢.

- أبو عمران (الشيخ)، والجيجلي (محمد). الكشافة الإسلامية الجزائرية ١٩٣٥-١٩٥٥. دار الأمة، الجزائر، ١٩٩٩.

- آعوشت (بكير بن سعيد). دراسات إسلامية في الأصول الاباضية. دار البعث، قسنطينة، ١٩٨٢، ط١.

- قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش (١٨٢٠-١٩١٤). المطبعة العربية، غرداية، ١٩٨٩.

- وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، دينيا وتاريخيا واجتماعيا. المطبعة العربية، غرداية، ١٩٩١.

بن قينة (عمر). الديسي حياته وآثاره وأدبه. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٧.

الحاج (سعيد يوسف بن بكير). تاريخ بني ميزاب ،دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية. المطبعة العربية، غرداية، ١٩٩٢.

- تركي (رابح). التعليم القومي والشخصية الجزائرية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ورؤساؤها الثلاثة١٩٣١-١٩٥٦. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ٢٠٠٤.

- الجابري (محمد الصالح). التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠.

- جمعية أول نوفمبر في الأوراس. تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من ١٩٣٧-١٩٥٤. دار الشهاب، باتنة، دت.

- الجندي (أنور). العالم الإسلامي والاستعمار. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩.

- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا. دار الطباعة، القاهرة، ١٩٦٥.

- الحداد (محمد). محمد عبده قراءة جديدة في خطاب الاصلاح الديني. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣.

- الحسيني (علي الرضا). زاوية علي بن عمر (طولقة ، الجزائر). الدار الحسينية للكتاب، ٢٠٠٢.

- محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره. الدار الحسينية للكتاب، ١٩٧٠.
- خالدي (مصطفى)، وفروخ (عمر). التبشير والاستعمار في البلاد العربية. المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٥٣.
- خرفي (صالح). صفحات من الجزائر. دراسات ومقالات ١٩٦٢-١٩٧٢. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٣.
- شهيد الثورة الجزائرية أحمد رضا حوحو في الحجاز (١٩٣٤-١٩٤٥). دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢.
- الركيبي (عبد الله). الشعر الديني الجزائري الحديث. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.
- زردوم (عبد الحميد). الكشافة في بسكرة (١٩٣٠-١٩٦٢). مطبعة المنار، بسكرة، ٢٠٠٥، ترجمة عثمان دلباني.
- الموسيقى والمسرح في بسكرة ١٨٤٤-١٩٦٢. مطبعة المنار، بسكرة، ٢٠٠٥، ترجمة عثمان دلباني.
- زوزو (عبد الحميد). الهجرة ودورها في الحركة الوطنية بين الحربين ١٩١٩-١٩٣٩. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥، ط ٢.
- سعد الله (أبو القاسم). تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨، ط١، ج٣، ٤، ٥.
- الحركة الوطنية الجزائرية. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ط٤، ج٢و٣.
- أفكار جامحة. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٨.
- تجارب في الأدب والرحلة. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣.
- محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث. دار المعارف، القاهرة، دت، ط٢.
- الزبير (سيف الإسلام). تاريخ الصحافة في الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥، ج٤.
- أجرون (شارل روبير). المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية. مقاومة القبائل للإدماج والتفكيك وفشل مشاريع التنصير والتجنيس. منشورات ثالة، الجزائر، ٢٠٠٠، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العربي ولد خليفة.
- الشيخ (سليمان). الجزائر تحمل السلاح. دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة. منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، دت، ترجمة محمد حافظ الجمالي.

- الصيد (سليمان). مدرسة الإخاء في بسكرة ١٩٣١ ودورها في نشر الثقافة العربية والإسلامية في منطقة الزيبان وغيرها. ٢٠٠٣ .
- الصديق (محمد الصالح). أعلام من المغرب العربي. موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠، ج١.
- الطالبي (عمار). أثار ابن باديس. دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- عجالي (كمال). أبو بكر مصطفى بن رحموني حياته وشعره. د م ج، ١٩٩١ .
عمارة (محمد). جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام. دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٤.
- عميراوي (أحميدة). رسالة الطريقة القادرية في الجزائر. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، دت.
- عويمر (مولود). مالك بن نبي رجل الحضارة. الجزائر، دار الأمل، ٢٠٠٧.
العياشي (مختار). البيئة الزيتونية ١٩١٠-١٩٤٥. مساهمة في تاريخ الجامعة الاسلامية التونسية. دار التركي للنشر، تونس، ١٩٩٠، تعريب حمادي الساحلي.
- فخار (حمو بن عمر). كان حديثا حسنا. مناقب القائد المربي الشيخ بيوض إبراهيم. جمعية التراث، القرارة، ٢٠٠٢ .
- فرصوص (أحمد). أبو اليقظان كما عرفته. المطبعة العربية، غرداية، دت.
- فضلاء (محمد الطاهر). أعلام من المغرب العربي، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠، ج ١.
- المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر. القطاع القسنطيني. دار الأمة، الجزائر، ١٩٩٩، ط١.
- فلوسي (مسعود). الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وتفسيره في رحاب القرءان. الملتقى الوطني الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض . ١٣-١٤ أفريل ٢٠٠٠، جمعية الحياة، المطبعة العربية، ٢٠٠٢.
- المراكشي (محمد صالح). تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار ١٨٩٨-١٩٣٥. الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥.
- مصمودي (فوزي). أعلام من بسكرة. تراجم لشخصيات علمية وثقافية ونضالية وثورية. الجمعية الخلدونية، بسكرة، ٢٠٠٢.
- مطبقاني (مازن). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣١-١٩٣٩. دار القلم، دمشق، دار العلوم بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- معمر (علي يحي). الاباضية. دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم. المطبعة العربية، غرداية، ١٩٨٥ .
- الإباضية في الجزائر. ج٢.

مناصرية (يوسف). الحزب الدستوري الحر التونسي ١٩١٩-١٩٣٤. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

- مياسي (إبراهيم). الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (١٨٣٧-١٩٣٤). دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٥، ط١.

- ناصر (محمد). أبو اليقظان وجهاد الكلمة. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠.

- الصحف العربية الجزائرية ١٨٤٧-١٩٣٩. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠.

-مفدي زكريا شاعر النضال والثورة. المطبعة العربية، غرداية، ١٩٨٤.

-المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٨، مج ١.

- الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما. مكتبة الريام، الدار البيضاء، ٢٠٠٥ .

- الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، ١٩٩١ .

- تابييرو (نوربير). الكواكبي المفكر الثائر. منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٨١، ط٢، ترجمة علي سلامة.

- الواهج (يوسف بن الحاج يحي). المرأة في المجتمع الميزابي. المطبوعات الجميلة، الجزائر، ١٩٨٢.

٢- باللغة الفرنسية:

-Ageron (Charles-Robert). L`histoire de l`Algérie contemporaine. PUF, Paris, 1968.

- Les Algériens musulmans et la France 1871-1919. PUF, Paris, 1968, T 2.

-Merad (Ali). Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940. Essai d`histoire religieuse et sociale. Editions El hikma, Alger, 1999, 2em ed.

- Zerdoum (Abdelhamid). Les français à Biskra (1844-1862).

- Zouzou (Abdelhamid). L`Aurès au temps de la France coloniale. Evolution politique, économique et sociale (1837-1939). Edition Houmma, Alger, 2 tomes.

رابعا: الدوريات

- الإبراهيمي (محمد البشير). مجلة مجمع اللغة العربية أنا. القاهرة، العدد ٢١.

- برج (محمد عبد الرحمن). دراسة في الفكر التربوي لمحب الدين الخطيب. الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني. جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، ط١، ١٩٩٠.
- بسيس (محمد الصادق) وباختيار (بن عمر). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شمس أشرقت في سماء الجزائر فأحيتها من بعد مئة عام. الهداية، تونس، أفريل ٢٠٠٤ .
- بلغيث (محمد الأمين). الطلبة الجزائريون بجامع الأزهر وعيون المخابرات الفرنسية بين الحربين من خلال وثائق جديدة. الموافقات، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر.
- بن عيسى (حنفي). تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر. الثقافة، العدد ٢ ، جويلية ١٩٧٧.
- بوكوشة (حمزة). شخصيات منسية: الأمين العمودي. الثقافة، ع٦، جانفي ١٩٧٢.
- فرحات الدراجي الأديب العالم. الثقافة، ع ٣٥،أكتوبر-نوفمبر ١٩٧٦ .
- الجمعية الخلدونية للدراسات التاريخية. الملتقى الوطني الأول. ع٢، (عدد خاص ببسكرة عبر التاريخ)، ٢٠٠٣.
- الحناشي (عبد اللطيف). الإبعاد في مواجهة النشاط السياسي للعرب المقيمين بالبلاد التونسية (مثال الجزائريين ١٩١١-١٩٣٩). المجلة التاريخية المغربية، ع٩٧ و٩٨، ماي ٢٠٠٠.
- خرفي (صالح). الشعر والانحراف الديني. الثقافة، ع ٤٤، أفريل-ماي ١٩٧٨.
- الذوادي (رشيد). محمد عبده والمشهد الإصلاحي التونسي. الهداية، تونس، أفريل ٢٠٠٤.
- ربان (محمد رجائي). رشيد رضا ومجلة المنار ما بين ١٨٩٨-١٩١٩. الحياة الفكرية في الولايات العربية. جمع وتقديم عبد الجليل التميمي. منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات،زغوان، تونس، ١٩٩٠.
- رحموني (الأخضر). أضواء حول الشيخ بلقاسم ميموني المربي وعالم القراءات. البصائر، ع ١٣٧، ٣١ مارس-٧ أفريل ٢٠٠٣ .
- رمضان (محمد الصالح). أقطاب السلفية في الجزائر ورؤيتهم الدينية والوطنية.مجلة التراث، جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة، ع٤، ديسمبر ١٩٨٩.
- ابن العابد الجلالي، شخصيته وجانب من تفكيره. الثقافة، ع ٨٢، أوت ١٩٨٤.
زردوم (عبد الحميد). شاهد من البداية، حاوره الطيب لسلوس. الزيبان، ع ٦ ، ٩- ١٥ أفريل ٢٠٠٦ .
السحنوني (أمقران). المعهد الكتاني بقسنطينة قرنان في خدمة الثقافة العربية و الاسلامية ١٧٨٧-١٩٨٧. التراث، جمعية التاريخ والتراث الأثري، باتنة، ع٤، ديسمبر ١٩٨٩.
- سعد الله (أبو القاسم). مدارس الثقافة العربية في المعرب العربي. الثقافة، ع ٧٩، ١٩٨٤.

-الاتجاه العربي في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين. الثقافة، ع ٨٢ .
- سلامي (عزيز). قراءة تربوية في فكر أبي اليقظان. الموافقات، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، عدد خاص، ١٩٩٦.
- صاري (جيلالي). عبد العزيز الهاشمي والإصلاح. المجلة التاريخية المغربية، ع٩٩-١٠٠، ماي ٢٠٠٠.
- عويمر (مولود). حركة شباب الموحدين من خلال جريدة القبس. البصائر، ع ٨٦ ، ٤-١١ مارس ٢٠٠٢؛ ع ٨٧، ١٢-١٨ مارس ٢٠٠٢.
- شكيب أرسلان ودوره في تحرير المغرب العربي. مجلة المجتمع، الكويت، العدد ١٤٤١، مارس ٢٠٠١.
- التجربة الدعوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا ١٩٣٦-١٩٥٤. تعارف، مجلة مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، باريس، ، العدد ١، ٢٠٠١.
- قاسم (أحمد الشيخ بلحاج). أبو اليقظان معالم في جهاده. الموافقات، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، عدد خاص، ١٩٩٦.
- قاسم (محمود). موقف جمال الدين الأفغاني من الاصلاح العلمي ومناهج الاصلاح عند أحمد خان ومحمد عبده. الثقافة، ع٨٢، أوت ١٩٨٤.
- قسوم (عبد الرزاق). خطورة التحدي وصلابة الموقف. الموافقات، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، عدد خاص، ١٩٩٦.
- القورصو (محمد). حول إشكالية انتشار الصحافة المشرقية والمغربية في المستعمرة الجزائرية ما بين ١٩٢٠-١٩٥٤. الصحيفة وآثارها في الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين. وحدة البحث في الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية. مخبر التاريخ والانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، دفتر عدد ٣، نوفمبر ١٩٩٢.
- مطمر (محمد العيد). التنظيم الإداري وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان منطقة الأوراس. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، ع ٤ ، ماي ٢٠٠٣.
- منصوري (بشير). الجمعية الخلدونية بين شموخ الماضي والتواصل مع الحاضر. الهداية، تونس، ع ١٦٠، أفريل ٢٠٠٤.
- ناصر (محمد). رائد التضامن الإسلامي عمر بن قدور. الأصالة، ع٥٨-٥٩، جوان-جويلية ١٩٧٨.
- هلال (عمار). الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي (١٨٩٨-١٩١٨). الثقافة، ع٨٤، نوفمبر -ديسمبر١٩٨٤ .

- النعيمي (بلقاسم). نعيم النعيمي في ذمة الله. الأصالة، ع١٦، أكتوبر ١٩٧٣.
يطو (عائشة). مدرسة الفتح مصدر الثقافة العربية الإسلامية في بريان. الشهاب الجديد، مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، مج ٣، ع٣، أفريل ٢٠٠٤.
-رفاعة الطهطاوي وإدريس العمراوي نموذج للتواصل الثقافي بين مصر والمغرب. الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج١، أوت ١٩٩٠.

- باللغة الفرنسية:

-Aouimeur (Mouloud). Le militantisme féminin dans l`Algérie des années 30: les fédérations Algériennes des femmes socialistes. Revue d'histoire maghrébine, nos 97-98, mai 2000.
-Bulletin de liaison sahariennes. Les fêtes de ghardaia. N 3, février 1951.
-Feraud (Charles). Les Beni djellebs, sultans de Tougourt. Notes historiques sur la province de Constantine. Revue Africaine, n° 28, 1884.
-Collot (Claude). Le régime juridique de la presse musulmane algérienne 1881-1962. Revue des sciences juridiques, économiques et politiques, n°2, 2e trimestre, juin 1969.
-Coyen (A). Le Mzab. Revue Africaine, n° 23, 1879.
-Deparmet (J). Contribution à l`histoire contemporaine de l`Algérie. La politique des Oulémas Algériens 1911-1937. L`Afrique française, juillet 1937.
-Elkoursou (Mohamed). Mythe et histoire. Approche critique de la thèse Mashreqienne de l`islah en Algérie. Revue d'histoire maghrébine, n°83-84, juillet 1996.
-Missions d`Afrique des pères blancs. Revue Africaine, n° 329, 1925.
- Notes sur l'histoire de Laghouat. Revue Africaine, n°39, 1895.
Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran. Bulletin de la société de géographie, Oran, 1884 -1885 .

سادسا: الرسائل الجامعية:

- بن رحال (يسمينة). أبو اليقظان وقضايا عصره. رسالة ماجستير التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، إشراف الدكتور شاوش حباسي، ٢٠٠٥-٢٠٠٦ (مخطوطة).
- بن عدة (عبد المجيد). مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود الرواد المصلحين ١٩٠٠-١٩٢٥. رسالة ماجستير التاريخ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، إشراف الدكتور جمال قنان،١٩٩١- ١٩٩٢ (مخطوطة).
- سعيدي (مزيان). النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر١٨٦٧-١٨٩٢. رسالة ماجستير التاريخ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر (مخطوطة)، إشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني، ١٩٩٨-١٩٩٩.
- مريوش (أحمد). الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية. رسالة ماجستير التاريخ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، ١٩٩٢.
- يسلي (مقران). الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (١٩٢٠-١٩٥٤). رسالة ماجستير الفلسفة، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، إشراف الدكتور أبو عمران الشيخ،١٩٩١ .
-Ben Drissou (Saleh). L'Institut El Hayat 1925-1962. DEA. Université Paris.
-Les Algériens originaires de sud est en Tunisie. Thèse de doctorat, de Mnouba, Tunisie.

ثامنا: المعاجم

-أبو عمران (الشيخ)، و سعيدوني (ناصر الدين) وآخرون. معجم مشاهير المغاربة. جامعة الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ١٩٩٥.

فهرس

- مقدمة

الفصل الأول: الأوضاع العامة في منطقتي الزيبان وميزاب وعوامل ظهور الحركة الإصلاحية فيهما.

- أولا: التعريف التاريخي والجغرافي: ١٤
- ثانيا: الأوضاع العامة للمنطقتين: ١٧
١- الأوضاع السياسية: ١٧
٢- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية: ٢٤
٣-الحياة الثقافية والتعليمية: ٢٨
٤-الحياة الدينية: ٣٥
- ثالثا: عوامل ظهور الحركة الإصلاحية وانتعاشها في المنطقتين..... ٤٣
أ- العوامل الخارجية: ٤٣
١- انتشار الفكر الإصلاحي..... ٤٣
٢- وصول فكر الجامعة الإسلامية والقومية العربية إلى الجزائر..... ٥١
٣- دور المهاجرين الجزائريين..... ٥٥
٤- دور الزيتونة والأزهر والحجاز..... ٤٨
٥- الميزابيون في تونس..... ٦١
٦- دور مصر والأزهر..... ٦٥
٧ - دور الحجاز..... ٦٧
٨- تأثير الصحافة..... ٦٨
٩- أثر الحرب العالمية الأولى..... ٧٠
ب- العوامل الداخلية..... ٧٢
١ - السياسة الاستعمارية الاضطهادية وفشل الكفاح المسلح..... ٧٢
٣- النهضة الجزائرية الحديثة..... ٧٤
٣-١- دور امحمد بن يوسف اطفيش في ميزاب..... ٧٧
٣-٢- دور إبراهيم اطفيش في ميزاب ٨٠
٤- الرصيد التاريخي..... ٨١
٥- الزوايا والمراكز العلمية..... ٨٨
٦- الإشعاع العلمي لقسنطينة..... ٩٠
٧- ملائمة الزيبان للإصلاح..... ٩٤
٨- دور الزيارات الإصلاحية..... ٩٣

الفصل الثاني : الإصلاح الديني في منطقتي الزيبان وميزاب

أولا- في الزيبان..... ٩٦

١ – مظاهر الإصلاح الديني ٩٧
أ–محاربة البدع والزوايا.....٩٧
ب– محاربة الطرقية.....١٠٢
ج – محاربة عاشور الخنقي وجريدة النجاح.....١٠٨
د– مسألة الاجتهاد.....١١٠
هـ–محاربة التنصير.....١١١
٢– وسائل الإصلاح الديني.....١١٦
أ –الوعظ والإرشاد ١١٦
ب – التفسير.....١١٨
ج –الصحافة.....١٢٠
د– التأليف و الطبع.....١٢٩
ثانيا:ميزاب ١٣٤
١– مظاهر الإصلاح الديني.....١٣٤
أ– محاربة البدع والطرقية.....١٣٤
ب–الاجتهاد ومحاربة الجمود.....١٣٦
ج – القضاء.....١٣٩
د–محاربة التنصير.....١٤١
٢– وسائل الإصلاح الديني ١٤٥
أ–الوعظ والإرشاد.....١٤٥
ب–الرحلات الوعظية.....١٤٧
ج– التفسير.....١٤٨
د–الصحافة.....١٣١
هـ– التآليف والطبع.....١٥٧

الفصل الثالث: الإصلاح التربوي في المنطقتين

أولا: في الزيبان.....١٦٦
١– الدعوة إلى التعليم.....١٦٦
٢– أهم المدارس في المنطقة.....١٦٨
٣– مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المنطقة.....١٧٣
٤– إصلاح مناهج التعليم.....١٧٨
٥– مبادرات وضع المناهج التعليمية.....١٨٠
٥–١ التقارير التربوية المقدمة إلى المؤتمر الثالث لجمعية العلماء (سبتمبر ١٩٣٥) ١٨٠
٥–٢ توحيد مناهج التدريس والإسهام الزيباني فيه.....١٨١
٥–٣ توحيد الامتحانات السنوية.....١٨٢

٥-٤ دور لجنة التعليم العليا.....١٨٢
٥-٥ تعديل المقررات الدراسية.....١٨٣
٥-٦ البعثات العلمية.....١٨٦
٥-٧ الإجازات والعقوبات التربوية.....١٨٧
٥-٨ تطوير الإدارة والتمويل.....١٨٧
ثانيا - في ميزاب
١- الدعوة إلى الاهتمام بالتعليم وإصلاح مناهجه.....١٩٠
٢- الدعوة إلى الانفتاح على علوم العصر.....١٩٣
٣- مدرسة الحياة أنموذج المدرسة الإصلاحية الميزابية.....١٩٤
٤- المدارس الإصلاحية في ميزاب وجمعياتها.....٢٠٣
٥- المدارس الإصلاحية الإباضية خارج ميزاب.....٢٠٧
الفصل الرابع: الإصلاح الاجتماعي في المنطقتين
أولا- في الزيبان
١- مظاهر الإصلاح الاجتماعي ٢١٠
أ- محاربة الآفات الاجتماعية.....٢١٠
ب - النهوض بالمرأة.....٢١٦
ج- محاربة التجنيس و التفرنج والإلحاد.....٢١٨
د- الاهتمام باللغة العربية والتاريخ.....٢٢٢
هـ-الدعوة إلى الوحدة.....٢٢٤
و- النهوض بالمجتمع اقتصاديا.....٢٢٧
٢- وسائل الإصلاح الاجتماعي.....٢٢٨
أ-شعب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المنطقة.....٢٢٨
ب- الجمعيات والنوادي.....٢٣٠
ج- الكشافة.....٢٣٢
د- المسرح.....٢٣٣
ه-الأناشيد.....٢٣٤
ثانيا- في ميزاب
١- مظاهر الإصلاح الاجتماعي ٢٣٦
أ- محاربة الآفات الاجتماعية.....٢٣٦
ب-الدعوة إلى الاهتمام بالمرأة.....٢٤٠
ج- محاربة التجنيس والإدماج.....٢٤٣
د- محاربة التفرنج والإلحاد.....٢٤٤
ه- الاهتمام باللغة العربية.....٢٤٧

و- الاهتمام بالتاريخ.....٢٤٨
ز- الدعوة إلى الوحدة.....٢٥٦
ح- النهوض بالمجتمع اقتصاديا.....٢٥٧
٢- وسائل الإصلاح الاجتماعي.....٢٥٩
أ - الجمعيات والنوادي.....٢٥٩
ب- الكشافة.....٢٦٢
ج- المسرح.....٢٦٣
د- الأناشيد.....٢٦٤
الفصل الخامس: المواقف المختلفة من الحركة الإصلاحية في المنطقتين
١- في الزيبان
أولا: موقف الطرق الصوفية والزوايا.....٢٦٧
ثانيا: موقف النخبة والنواب والمنتخبين وتيارات الحركة الوطنية.....٢٧٣
- المؤتمر الإسلامي الجزائري ، هيكلة التحالف.....٢٧٦
ثالثا- موقف الإدارة الاستعمارية وموظفيها ٢٧٨
أ- عبد العزيز الهاشمي القطرة التي أفاضت الكأس.....٢٨١
ب- موقف الموظفين الدينيين.....٢٨٢
٢- في ميزاب
أولا: موقف المحافظين.....٢٨٤
أ- الصراع داخل العزابة.....٢٨٤
ب- الصراع في مجال التعليم.....٢٨٦
ج- سياسة غلق الأبواب.....٢٨٧
ثانيا : موقف النخبة والنواب والمنتخبين.....٢٨٩
ثالثا:- موقف الإدارة و موظفيها.....٢٩٢
أ- القياد: ٢٩٢
ب- الإدارة الفرنسية.....٢٩٤
- الخاتمة ٢٩٩
الملاحق ٣٠٦
- البيبليوغرافيا ٣٢٣
- الفهرس ٣٣٦